فهرس المحتويات

ٹائٹل بار اوّل

الحمد للہ والمنت کہ بتائید و توفیق آن نعم المولی و نعم النصیر و عنایات
آن ذات جلیل و عظیم و کبیر حصہ اولی کتاب لاجواب موسوم بہ

آئینہ کمالات اسلام

جسکا دوسرا نام دافع الوساوس بھی ہے

بماہ فروری سنہ ۱۸۹۳ء
مطبع ریاض ہند قادیان مین باہتمام شیخ نور احمد مہتمم
و مالک مطبع طبع ہو کر شایع ہوا

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

ترجمة صفحة الغلاف للطبعة الأولى

الحمد لله والمنة على أن الجزء الأول لهذا الكتاب الفريد:

مرآة كمالات الإسلام

واسمه الثاني

دافع الوساوس

نُشر في شباط/فبراير ١٨٩٣م بتأييد وتوفيق وفضل من الله الجليل العظيم الكبير نعم المولى ونعم النصير
في مطبعة "رياض الهند" بقاديان، بإشراف صاحبها شيخ نور أحمد

بعض الأبيات لنصح الجماعة والدعوة إلى الإسلام

[١] *"اسعَوا أيها الشباب جاهدين لينال الدين قوة، ويعود الربيع والرونق إلى حديقة ملّة الإسلام.*

يا أيها الإخوة إذا رحمتم الآن غربة الإسلام فستحظَون عند الله بمماثلة أصحاب النبي ﷺ.

ويزول خلاف الأشرار ونفاقهم، وينشأ الوفاق التام والصداقة والحب الكامل.

تحمّسوا للسعي، إذ إن نصرة الله تظهر من عند الله لناصري الإسلام حتما.

لو جاشت اليوم في قلوبكم فكرة كرامة الدين، فوالله؛ لنلتم أيضا عزةً وكرامةً.

لو أطلقتم يد السخاء في تأييد الإسلام لظهرت لكم يد قدرة الله فورا.

لا يفلس أحد نتيجة الإنفاق في سبيله، إذ يكون الله تعالى نصيره إن وُجدت العزيمة.

يا أيها الأحبة، ابذلوا يومينِ من حياتكم في خدمة الدين، فإن ساعة الموت ستأتي أخيرا بمئات الحسرات.

حقِّق أملَ الدين لتتحقق آمالك، وسوف تظهر الرحمة للعيان بعد الكثير من الآلام واليأس والحزن

انظر إلى أنصار النبي ﷺ كيف عملوا، لتعلم أن ينبوع الثروة يتدفق نتيجة نصرة الدين.

اسعَ من القلب والروح حتى توفَّق لخدمة الإسلام، وإذا حظيت بهذا الشراب نلتَ الخلود.

يا أخي إنك تُعطَى أجر النصرة مجانا، وإلا فقدر السماء هذا سوف يتحقق لا محالة.

---

[١] *العبارة المائلة هي ترجمة قصيدة فارسية (المترجم).*

إني أرى أن من مشيئة الله القادر القدوس أن تعود إلى الإسلام قوتُه وشوكته المعهودة.

يا إلهي الكريم أكرِم بأفضالك مئة مرة مَن ينصر دينك، وإذا حلّت به مصيبة فاصرفها عنه.

اجعله سعيدا دائما يا أيها القادر، حتى تتراءى الجنة في كل شؤونه وأموره.

يا أسفا، إن قومي لا يسمعون صراخي وعويلي، مع أنني أنصحهم بكل طريقة لعلّهم يعتبرون.

لا أرى أن هؤلاء القوم سيفتحون عيونهم يوما، إلا إذا تولدت فيهم التقوى والطهارة وخشية الله.

إنهم يعدّونني دجالا وكاذبا وأسوأ من الكفار، لا أدري لماذا يكرهون نور الله.

يا أيها الجهلة الغافلون عن الدين، أتعجبون أن ينبوع الحياة قد تدفق من قِبل الله في وقت الظلام.

لماذا يستغرب المرء حين يفكر أنه قد جاء مزيل الغفلة عن الغارقين في سبات عميق!

فيا قومي، قد نسيتم أحاديث رسول الله ﷺ بأن مصلحا يُبعث للأمة على رأس كل قرن."

****

بسم الله الرحمن الرحيم[٢]

نحمده ونصلّي على رسوله الكريم

يا حيُّ يا قيّومُ برحمتك أستغيث،

رَبِّ يسِّرْ ولا تُعسِّرْ وتَمِّمْ بالخير[٣]

الحمدُ للهِ الذي نوّر عيونَ المؤمنين بمصابيح الإيمان، وأيّد قلوب العارفين بفهم دقائقِ العرفان، وألْهَمَهم نكاتٍ وأسرارًا وعلومًا ما يُلقّاها إلا من أُوحِيَ مِن الرحمن. وجعلهم شموس الأرض وحُجج الدِّين وحِرْز الأمان. وأضرمَ في الخافِقَيْن نارهم وبلّغ أذكارهم في الآفاق والأحْضان. وجعلهم منهلاً لا يغور، ومتاعًا لا يبور، وجعل أعداءهم كعصْفٍ مأكولٍ، أو كقِرْفٍ سقط من الإِهان. وجعلهم أسْعدَ ناسٍ لا يرهقهم ذلّةٌ ولا يغشاهم دخان، ولا يضرّهم طعنُ المِطْعان. قد هاجروا الأوطان، وتبتّلوا إلى الله الرحمن. بهر قمرُهم، وثرّ ثمرُهم، وكان معاداتُهم عنوان النحوس، وإيذاؤُهم لباس ذي البُؤس، وشِعار الشّقيِّ المرْقعان. فنحمد الله على آلائه الذي أرسل عُرفاءَه وخلفاءه وأولياءه لتخليص الناس مِن نعاس الغفلة وأيدي الشيطان. الذي طهّر الأنفاسَ من رجس الأوثان، ووضَع الفأسَ على أشجار الخبث والعصيان.

---

[٢] *من هنا يبدأ النص العربي الذي كتبه المسيح الموعود* عليه السلام *بنفسه. (الناشر)*

[٣] *لقد كتب* عليه السلام *هنا أربعة أبيات بالفارسية وفيما يلي تعريبها:*

حُبُّك دواءٌ لألفِ مرضٍ يا إلهي، وأقسِمُ بوجهك الكريم أن الحرية الحقيقية إنما هي أن يصبح الإنسان أسير هذا الحب.

البحث عن ملاذك ليس عمل المجانين، بل هو قمة الذكاء.

لن أخفي ثروة حبّك أبدًا لأن إخفاءها خيانة.

وإني مستعدّ للتضحية بروحي وحياتي في سبيلك، لأن الصداقة الحقيقية هي تسليم الروح إلى الحبيب. (الناشر)

الملِك الحكيم الودود، الذي خلق الشمس والقمر لتنوير ظاهرِ العالَمِ، وخلق الأنبياء والرسل والمحدّثين لتنوير بواطن نوعِ الإنسان، وأقام الشريعة وأدخل في أُخْراها فُحول الوقتِ ومَصاليت الدوران. سبحانه، ما أعظمَ شأنَه! هو مرسِلُ الرُّسلِ ومسهِّلُ السُّبلِ ومؤسِّس الأديان، ومُتِمُّ الحجّةِ في كلّ أوان، وكلّ يوم هو في شانٍ. خبع الأسرار وأترعَها في كلّ عين من الأعيان، فبأَيِّ أسرارِه يحيط الإنسانُ. لا تقعدوا في خيمة العقل وحده وقد سقط البُوانُ، واسْعوا إلى الله بإمحاضِ الطاعة وإخراجِ غيره عن الجَنان. ويلٌ لكلِّ جامدٍ سامدٍ عقر النفس وأبار، **وطُوبى لِمنْ سنّ وسار**[٤]، وجاهد في سُبُل الرحمن. والصلاة والسلام على سيدِ رسله وخاتِمِ أنبيائه وإمام أوليائه وسُلالة أنواره ولُبابِ ضيائه، الرسول النبيّ الأُمّيّ المبارك، الذي سدّد للرَّعاع، وشفى الأنعام من الدُّكاع، وبيّن للأتباعِ أحكام الفرقان بأحسن البيان، وفجّر ينبوع نفثاته كالرِّثانِ، وأتى بالكتاب الذي فيه لكلِّ أَكُولةٍ مرعى وزُلالٌ لكلّ عطشان. وأخرجَ الأجِنّة من ظلماتٍ ثلاث: شركٍ مطوِّحٍ من الجِنان، وأعمالٍ محرقةٍ في النيرانِ، وأخلاقٍ مقلِّبةٍ من الفطرة الإنسيّة إلى طبائعِ السِّباع والثعبان. الناصح الموقظ الذي أشفق على الناس كلّ الإشفاق، وأذهب الوسنَ من الآماق، وأعطى الأفْرُخَ الضعيفة قُوتَ الزفيفِ والطيران. وهدى الناس إلى أهدى سبيلٍ، وأطرد النفوس بين وَخْدٍ وذَميل. وجعل الأُمّة أمّةً وسطًا سابِقَ الأممِ في اللمعان كأنها الأزْهرانِ، وجذبهم بقوّته القدسيّة حتى أصبحوا له أطْوعَ مِن حذائه في كل موطنٍ وميدان. وكمّل النفوس وربّى الأشجار حتى استأثر الثمرُ وتسمّنَ ومالت الأغصانُ. فدخلوا في دين الله مجدِّين شارين أنفسهم ابتغاءَ مرضات الله الرحمن. وزُلزِلوا زلزالاً شديدًا حتى ضاق الأمر عليهم والتقتْ حلقتا البِطانِ. فارتحلوا مدلجين راضين بقضاء الله على ضعفٍ من المريرة، حتى أشرقتْ عليهم شمسُ نصر الله ونزلوا فرِحين برَوحٍ وريحان. ودخلوا في حضرة الله بجميع قوّتهم،

---

[٤] *ورد تحت هذه الجملة باللغة الفارسية: إنها إلهام من الله تعالى. (الناشر)*

وكسروا قيودًا عائقةً، وأوثانًا مانعةً من ذلك الإيوان. وجعلوا نفوسهم عُرضةً لمصائب الإسلام، ونسوا كلَّ رُزءٍ سَلَفَ قبل هذه الأحزان. وباتوا لِربّهم سُجّدًا وقيامًا، وما طعموا النوم إلا مثاثًا من الأوان. وفنوا في اتّباع رسول اللهِ، وما أبدعوا وما خرجوا في استقراء المسالك مِن كلام الله الحنّان، واقتحموا كلَّ مَخوفةٍ لدين الله الرّيّان. وقطعوا للهِ ورسوله مِن كلّ وليّ وحميم، حتى برّزوا السيوف من الجِفان، وآثروا أسمالاً على ألبسةِ تنعُّمٍ ودلال، ونضَّوا عنهم لذّة البطن ورَوْح البال، وقنِعوا بالحميم من الزُّلال، وتراءت الدنيا في أعينهم كالإِران. واتّقَوا الله حقّ التّقاة في الأفعال والكلمات، وفزِعوا مِن فتن اللُّسْن وحصائد الألسنة، حتى صاروا كبِكْرٍ خَفِرةٍ في إيثار الصمتِ وكفِّ اللسان، وحذوا مثال رسولِ الله ﷺ في أقوالهم وأفعالهم، وحركاتهم وسكناتهم، وأخلاقهم وسِيرِهم، وعِمارةِ الباطن والاقتيان. فأعطاهم الله قلبًا متقلّبًا مع الحق، ولسانًا متحلّيًا بالصدق، وجنانًا خاليًا من الحِقْد والغِلِّ والشّنآنِ. رضِي الله تعالى عنهم وأحلّهم جنّاتِ الرضوان. ندب إلينا ذِكرهم بالخير، إنهم برهان رسالة سيدِنا وحجةُ صدق مولانا ونجومُ الهدى ووسائل الإيقان. كلُّ واحد منهم أوذيَ في سبيل الله، وعُنِّيَ فيما وُلِّيَ، وخُوِّفَ بالسّيف والسِّنان. فما وهنوا وما استكانوا حتى قضوا نحبهم وآثروا المولى على وُجودٍ فانٍ. تلك أُمّةٌ روحانية وقومٌ موجَعٌ لخدِينٍ أحبِّ الأخدانِ.

فأيها الناس، صلُّوا وسلِّموا على رسولٍ حُشِرَ الناس على قدمِه، وجُذِبوا إلى الربّ الرحيم المنّان. الذي أخرج خَلْقا كثيرا من المفاوز المهلكة المبرحة إلى روضاتِ الأمن والأمان، وشجّع قلوبًا مزءودة، وقوّى هِممًا مجهودة، وأبدع أنوارًا مفقودة، وجاء بأبْهى الدُّررِ واليواقيت والمرجان. وأصّل الأُصول وأدّب العقول، ونجّى كثيرًا من الناس من سلاسل الكفر والضلالة والطغيان. وسقى المؤمنين المسلمين الراغبين في خيره كأس اليقين والسكينة والاطمئنان، وعصمهم مِن طُرق الشرّ والفساد والخسران،

وهداهم إلى جميع سبل الخير والسعادة والإحسان. ومِن جملة مِننِه أنه أخبرنا مِن فتن آخر الزمان، ثم بشّرنا بتأييدٍ وتداركٍ من الربّ المنّان.

اللّهمّ فصلِّ وسلِّمْ على ذلك الشفيع المشفَّع المنجي لنوع الإنسان، وأيِّدْنا أن ننتجع ونستفيض مِن حضرة هذا السلطان، ونجِّنا به مِن شرِّ كلّ يدٍ قاسطةٍ، بالجور باسطةٍ، ومِن علماء يسعون لتطلُّبِ مَثالبِ الإخوان، وينسون معائبهم كلّ النسيان. لا يحصر لسانُهم عند السبِّ واللّعن والطّعن والبهتان، ولكن يحصر عند شهادة الحقّ وبيان الحقيقة وإقامة البرهان. يعظون ولا يتّعظون، ويدَعون ولا يَدْعون، ويقولون ولا يفعلون، ويُفسدون ولا يُصلحون. ويشُقُّون ولا يخُوصون، يُكفرون بغير علم ولا يخافون. ويحثّون الناس على الخير وهُمْ على شرِّهم راصعون. ويقولون للمؤمنِ: لستَ مؤمنا، ولا يبالون مِن أخْذ الله تعالى ولا يتفكرون. **اللّهمّ** فاحفظْنا من فتنتهم وبرِّئْنا من تُهمتهم، واخصُصْنا بحفظك واصطفائك وخيرِك، ولا تَكِلْنا إلى كلاءةِ غيرك، وأوزِعْنا أن نعمل صالحًا ترضاه. نسألك رحمتك وفضلك ورِضاءك، وأنت خيرُ الراحمين.

ربِّ كُنْ بفضلك قوّتي، ونور بصري وما في قلبي، وقِبلة حياتي ومماتي. واشْغَفْني محبّةً، وآتِني حُبًّا لا يزيد عليه أحد من بعدي. ربِّ فتقبّلْ دعوتي وأعطِني مُنْيتي، وصافِني وعافِني، واجذِبْني وقُدْني، وأيِّدْني ووفِّقْني، وزَكِّني ونَوِّرْني واجعلْني جميعًا لك، وكُنْ لي جميعًا.

ربِّ تعال إليّ مِن كلّ باب، وخلِّصْني من كلّ حجاب، واسْقِني من كلّ شراب، وأَعِنّي في هيجاء النّفْسِ وجذباتها، واحفظْني مِن مَهالِكِ البينِ وظلماتها، ولا تَكِلْني إلى نفسي طُرْفةَ عين، واعصِمْني من سيّئاتها، واجعلْ إليك رفعي وصعودي، وادخُلْ في كلّ ذرّة من ذرّات وجودي، واجعلْني من الذين لهم مسْبحٌ في بحارك، ومسْرحٌ في رياض أنوارك، ورِضاءٌ تحت مَجاري أقدارك، وباعِدْ بيني وبين أغيارك.

ربِّ بفضلك وبنورِ وجهك أَرِني جمالك، واسْقِني زُلالك، وأَخرِجْني من كل أنواع الحجاب والغبار، ولا تجعلْني من الذين نُكسوا في الظلمة والاستتار، وتَناهوا عن البركات والإشراقات والأنوار، وانقلبوا بعقل[٥] الناقصِ وجَدِّهم الناكصِ مِن دار النعيم إلى دار البوار. وارزُقْني إمحاض الطاعة لوجهك، وسُجودَ الدوام في حضرتك، وأعطِني همّةً تحلّ فيها عينُ عنايتك، وأعطِني شيئا لا تعطيه إلا لوحيدٍ من المقبولين، وأَنْزِلْ عليّ رحمةً لا تنزلها إلا على فريد من المحبوبين.

ربِّ أَحْيِ الإسلام بجهدي وهمتي ودعائي وكلامي، وأَعِدْ بي سحْنتَه وحِبْرَه وسِبْرَه، ومَزِّقْ كلَّ مُعانِدٍ وكِبْرَه. ربِّ أرِني كيف تُحيي الموتى. أرِني وُجوهًا ذوي الشمائل الإيمانية، ونفوسًا ذوي الحكمة اليمانية، وعيونًا باكيةً من خوفك، وقلوبًا مقشعِرّةً عند ذكرك، وأصلاً نقيًّا يرجع إلى الحق والصواب، ويتفيّأُ ظِلالَ المجاذيب والأقطاب، وأرِني عرائِكَ ساعيةً إلى المتاب والإعداد للمآب.

ربِّ ظهر الفساد في البرّ والبحر، والعمارات والصحراء، وأرى عبادَك في البلاء، وحيطانَك بالبيداء، ودينَك في البأساء والضرّاء، وأرى الإسلامَ كمحتاجٍ تَرِبَ بعد الإتراب، أو كشيخٍ مرتعش تباعدَ من زمان الشباب، أو كشُذّاذِ الآفاقِ، أو كغريبٍ تناهى عن الرِّفاق، أو كحُرٍّ ابتُلِيَ في الإرقاق، أو كيتيمٍ سقط من الآماق. يميس الباطلُ في بُرْدِ الاستكبار، ويُلطَمُ الحقُّ بأيدي الأشرار. يسعون لإطفاء نوره سَعْيَ العفاريت، واللهُ خيرٌ حافظًا ومَنْ لنا غير ذلك الخِرِّيت؟ انْتهى أمرُ الدينِ إلى الكساد، وثارتْ بالأحداث حصْبةُ الفساد وجُذامُ الارتداد. خرجوا مِن قيود الشريعة الغرّاء، ونبذوا أنفسهم بالعراء. تركوا أسوةً حسنةً، واتّخذوا الفلاسفة الضالّة أئمّةً، واستحْلَوا

[٥] *هكذا في الأصل، ولعلها: بعقلهم. (الناشر)*

كلامهم واستجادوا أوهامهم، وأُشرِبوا في قلوبهم عِجْلَ خيالاتِ اليوْرفِين[٦]، وما هم إلا كجسدٍ له خُوار، وما شمُّوا عرْف العارفين.

وأيْمُ اللهِ، قد كنت أُقمتُ مِن الله لأجدّد الدين بإذنه، وأجدعَ أنْفَ الباطل مِن مارِنه، وأُمرتُ لذلك من الله القدير البديع، فلبّيتُ دعوته تلبية المطيع، وبلّغتُ أوامره وبذلت فيها جهد المستطيعِ. فارتاب القوم بعَزْوتي، وأَبَوا تصديق دعوتي، وسُبِرَ فيه غورُ عقلهم ودعوى نقلهم. فاشتعل المبطلون، وظنّوا بي الظنون، ونهضوا إليّ بالتكفير، وما لهم بذلك مِن علمٍ مثقالَ القِطْمير. دخلوا فيما لم يعلموا، وأخذوا اللعن شِرعةً، ولم يفتّشوا حقيقةً. وكلُّ ذلك كان مِن لهبِ الغِلِّ، أَخَذَهم كداءِ السلِّ.

وأما أنا فما كنتُ أن آبى مِن أمر ربّي، أو أفتري عليه مِن تلقاء نفسي. هو محسني ومنعمي. أسبغَ عليّ مِن العطاء، وأتمّ عليّ من كلّ الآلاء، وأعطاني توفيقًا قائدًا إلى الرشد، وفَهْمًا مُدرِكًا للحقّ، وآتاني ما لم يُؤْتَ أحدٌ من الأقران، وإنْ هي إلا تحديث بآلاء الرحمن. هو كفلني وتولّى، وأعطى ما أعطى، وبشّرني بخير العاقبة والأُولى، ودنا مني وأدنى، وحمدني مِن عرشه ومشى إليّ، ورفعني إلى السماوات العُلى. وتلك كلها من بركات المصطفى، الظلُّ بأصله اقتدى، فرأى ما رأى. فالآن لا أخاف ازدراءَ قادحٍ، ولا هَتْكَ فاضحٍ، وأفوّض أمري إلى الله. إنْ أكُ كاذبًا فعليّ كذبي، وإنْ أَكُ صادقًا فإن الله لا يضيع أمر الصادقين.

والرُّزْءُ كُلّ الرُّزءِ أنّ أعداء الدين اختلسونا الراحةَ بتوهين سيدِنا رسولِ آخرِ الزمان، وضلَّ سعيُ علمائنا في تكفير المسلمين وإخراج الإخوان من الدين والإيمان. فهذه عُضْلةٌ سقطتْ على الإسلام، وداهيةٌ نزلتْ على دين خير الأنام. وجبتْ شموسُ العلوم، وقلّتْ أشجارٌ طيّبة، وكثرتْ شجرةُ الزّقّومِ، ولم يبق إلا أطلالُ العلماء وفضلة الفضلاء، إلا ما شاء الله. فلمّا أضاعوا حقيقةً، ضاهوا سقطًا.

---

[٦] *أي الأوروبيين. (الناشر)*

يا حسرةً على العلماء! إنهم بمقابلة الأعداء كالظالِع الأعمى في زلَجِ البيداء، ولكن للإسلام والمسلمين كالسِّباع أو البلاء النازل من السماء. لم يبق فيهم علمٌ وحلم وتفقُّه وتدبُّر، إنْ هم إلا أسماء خالية من الذكاء، مملوّة من الكبر والخيلاء، إلا الذين تداركَهم لُطْفُ الكبرياءِ، وسبقتْهم رحمةُ أرحم الرحماء، فهم مبرَّءُون من هذا الداء، بل هم كالتِّرياق لهذا الوباء، وحُجّة الله على الأشقياء، وهم أوّلُ السعداءِ والنجباء والشرفاء. في قلوبهم حرارةٌ إسلامية، لا يمسّهم بردُ هذا الشتاء. هم عميدُ الإسلام، وعمادُ دين خير الأنام، وهم ملوكُ الدين، تُجلَب الخيراتُ مِن حرمِهم، ويُرجى كلُّ مطلوب مِن كرمهم. وهم خزنةُ أسرار الشرع، ومهرةُ الأصول والفرع. سلّمهم الله تعالى وأبقاهم، وعادى من عاداهم، ووالى من والاهم.

أيّها العلماء الطاعنون في ديني ببهتان الإلحاد، واللاعنون عليّ بتهمة الارتداد، أتعلمون لِمَ آويتُ ذِكْركم بين ذكر نعتِ الرسول الكريم، وما أظنّ أن تعلموا بغير التعليم. فاعلموا أن مقصدي مِن هذا أمرانِ توأمانِ شمّرتُ كشْحي لهما، ومُنْيتان متشابهتان سألتُهما من ربّ الأرض والسماء.

الأمر الأوّل: استمالتُكم بذِكر الرسول المقبول والشفيع المأمول، الذي تعالى شأنُه عن العقول، وتداركَ قُرْبُه شقاوةَ المخذول. فضممتُ ذِكْركم بذكر المصطفى، لعلّي أجد شفاء صدوركم من هذا المأوى، ولعلّكم تذكرون خاتم الأنبياء وشأنه الأعلى، وشَرْزَه الذي هو شرزُ الله الأغنى، فيملِككم الأدبُ والهيبة والخشية والتقوى، ويحصُل لكم حَدسٌ صائب وجنانٌ تائب وقلبٌ أخشى، ويبعُد منكم عند ذِكره سيْلٌ قد اقترب منكم ودنا، وتلين جلودكم وتقشعرّ قلوبكم، وتسمعون ما أقول لكم. ولا تتّبعوا كلّ قريحة تأبى.

فاتّقُوا لِلّهِ يا إخواني، وعند ذكر رسول الله ﷺ تأدّبوا، واخفضوا جناحكم في حضرته ولا تشمّخوا، وادخلوا في السِّلم ولا تفرّقوا، وأطيعوا ولا تمزّقوا، وتواخوا ولا

تعادوا، وصِلُوا ولا تقطعوا، وابتغوا سُبُلَ رضاء الله ولا تيْأسوا، وكُفُّوا ألسنتكم، عبادَ الله، ولا تعتدوا. أتُخرِجون أهل قِبلتِكم من دينكم ولا تخافون؟ وتدَعون إخوانكم ولا تدْعون؟ وتجدون على أنفسكم ولهم لا تجدون؟ وتُكفرون المسلمين المصلّين الصائمين الموحِّدين القائمين على حدود الله، ولا تبالون؟ أشركاؤكم في كلمتكم كفّار، ما لكم كيف تحكمون؟ أرفقاؤكم في قِبلتكم أغيارٌ، انْظروا ما تقولون؟ أنحنُ نفِرٌّ من رسول الله ﷺ؟ اتّقوا الله أيها المعتدون. أكَفَرْنا بالله ورسوله؟ اتّقوا الله أيها المفترون.

تجرؤون على سبِّ الإخوان، واللهُ منعكم من سبّ الأوثان؟ وتؤذون[٧] المؤمناتِ القانتات، واللهُ منعكم من قتل الكافرات المشركات. أإكفارُ المؤمنين حسنة، والقولُ بوفاة المسيح معصية؟ ما لكم؟ أين تقواكم؟ وأيّ شيء أغشاكم؟ أين ضبأتْ فِراستكم وإمعانكم؟ وأين ظعن علمكم وعرفانكم؟ أدُرِّسْتم في فُهْرِ اليهودِ، ولُقِّنْتم مِن فنِّ الفندِ المنضود؟ رضيتم بالقذر، وقد نُصحتم للحذر. نسيتم يوم الدين، وصِرتم لِعسلِ الإسلام كالمحارين.

يا إخوان التُّرّهات، احْذروا من يوم المؤاخذات. ما تعرفون إلا ظواهر القرآن، ثم تكذِّبون أرباب العرفان. قنِعتم على قشر الكتاب، وما مسّ عقلُكم باللّباب. أخذتم ظهْر القرآن وحذافيره، وتحسبون أنكم نزحتم بِيره. ومنكم مَن صَبَّغَ البهتان، وواضَخَ الهذيان، وجهَر السبُعِيّة كعسّارةٍ، وكوّس عقول الناس بإغلاطٍ وإدارةٍ، وثوّر عليّ كلّ غـثٍّ ذي شرارةٍ، وحرّف كلماتي وقرضها كفأْرةٍ، وأفِد إلى التحقير والتوهين، وخرد عِرضي كالمجانين، وسعى إلى تُنّاء الثغورِ وقُطّانها، ليُهلكهم مِن شجرة الشَّجرِ وأغصانها. فنأْنؤوا الرأي بإغلاطه، وزلّتْ أقدامهم وأطالوا لُسْنهم وأمخطوا بإمخاطه، وأنِفوا مِن قبول الحق وأكلوا من مُخاطه. فكلُّ سليطةٍ لعنتْ عليّ وسبّتْ، وكلُّ ذِيخةٍ

[٧] *ورد هنا في الأصل بالهامش باللغة الأردية: هذه إشارة إلى فتوى أعلنوا فيها ضدنا: فليتخطّفْ نساءهم من شاء، ولا إثم عليه. (الناشر)*

نبحتْ، وكلُّ ناقةٍ عشواء لبزتْ، وكلُّ مُناضل رمى سهمه وما تراخى، فمُطِرْنا حتى صارت الأرضُ سُوّاخى. ونهض علينا كلُّ جفْرٍ وجنين، ولم يغادر من لعنٍ وطعن وتكفير وتوهين. وقرضوا عِرضي كقرْضِ الفُويسقةِ أوراق القرآن، وصالوا عليّ كصولة حبشيٍّ على بيت الرحمن.

فلما رأيتُ تَغَرَ قِدْرِهم للفساد وقدرتَهم على الإفناد والإيقاد والإطراد، جهشتُ إلى الله الرحمن مِن حفْشهم عليّ كأمواج من الطوفان. فسمع الله دعائي وتضرّعي والتجائي، وبشّرني بفتوحاتٍ من عنده، وتأييداتٍ من جُنده، وقال: "لا تخفْ، إنني معك، وماشٍ مع مشيك. أنت مني بمنزلة لا يعلم الخلْقُ. وجدتُك ما وجدتُك. إني مُهين من أراد إهانتك، وإني مُعين من أراد إعانتك. أنت مني، وسِرُّك سرّي، وأنت مرادي ومعي. أنت وجيه في حضرتي. اخترتُك لنفسي".

هذا ما بشّرني ربي وملْجئي عند أربي. ووالله لو أطاعني ملوكُ الأرض كلّهم، وفُتحتْ عليّ خزائن العالم كلّها، ما أسرّني كسروري من ذلك. ربِّ، إني مُلئتُ مِن آلائك، وأُشربتُ من بحار نعمائك. ربِّ، بَلِّغْ شكري إلى أرجاء سمائك، وتعال وادخُلْ في قلبي بجميع ضيائك. إني آثرتك ورسولك على سواك، وانسلختُ من نفسي وجئت راغبًا في رضائك. ولك هذه أشعاري، وأنت محبوبي وشِعاري ودِثاري.[٨]

ثم أستأنفُ قصّتي الأولى وغُصّتي العظمى؛ أن العلماء ما وجدوا من سهم إلا رموا إليّ، وما من بلاء إلا أنزلوا عليّ؛ وأمطروا عليّ بهتاناتٍ لا أصل لها ولا أثر، ولم

---

[٨] *لقد كتب عليه السلام هنا بيتين فارسيين وفيما يلي تعريبهما:*
تخلّينا عن شرفنا وسُمعتنا وعزّتنا الدنيوية. لقد تمّ لنا الوصالُ بالحبيب، ولكن بعد أن صِرنا غبارًا.
لقد سلّمنا له القلبَ، وألقينا في سبيله النفسَ، فكم من حيلة لجأْنا إليها من أجل وصاله.
(المترجم)

يُغادَر في ذمي نظمٌ ولا نثر[٩]. فلما رأيت تباعُدهم عن الصواب وتصاعُدهم في الارتياب، لم أجد بدًّا من تأليف هذا الكتاب، فكتبتها بدموعٍ سائلة، وحسراتٍ شائلة، وبذلتُ جهد نفسي لإزالة شبهاتهم، وإظهار هفواتهم، وأسألُ الله تعالى أن يجعل بركةً كثيرة فيه، ويزُجّ في النفوس الضيّقة معانيه.

وها أنا بريء مما يقولون، ويعلم اللهُ ولا يعلمون. لستُ من الكافرين والملحدين والمرتدّين، وإنْ أنا إلا يوسف في المسجونين. قد أُرسلت لأضع عنهم سلاسلهم وأغلالهم، فكيف أخاف إكفارَهم، وأعلمُ حالهم؟ ومن يقُمْ على مصادٍ، ما يخفْ من وِهادٍ؛ ومن يشربْ من كأسِ وصالٍ، ما يُبالِ مِن مكفّرٍ ضالٍّ. وإني أعلم مِن ربّي ما جئتُ به مِن كوكبٍ، فلا يُزعجني ضُباحُ ثعلبٍ. فاتّقُوا الله ولا تبخْتروا بدجاحكم[١٠]، ولا تُنادوا الخلْق على نباحكم. ما لكم لا تكبحون أفواهكم ولا تكمحون، ولا تتركون التبلّخ والتبذّخ وبِعَيْثِكم تفرحون. وتُكفرون الناس بغير علم وأنتم فيها مُفرِطون. إنْ كان فينا وفيكم اختلاف فقد اختُلِف مِن قبل، وكم من اختلافٍ رحمةٌ لو كنتم تعلمون. واللهُ يحكم بيننا وبينكم في الدنيا ويوم القيامة، وينبّهكم على ما كنتم فيه تختلفون.

يا قوم، مَهْلاً بعض تلك الظنون، فإنّ بعض الظنّ إثم، ما لكم لا تفهمون. وما جئتُ بكذبٍ ولا فِرْيةٍ ولا شيءٍ يخالف سُنن الهدى، ولكن عُمِّيتْ عليكم، فكيف أزُجُّ فيكم ما لا تمسّون. وستذكرون ما أقول لكم، وأفوّض أمري إلى الله؛ هو ربّي ينظر إلى قلبي، ويجد فيه ما لا تجدون.

---

[٩] *ورد هنا في الأصل بالهامش باللغة الفارسية: هذه إشارة إلى ما نظمه المنشي سعد الله وما كتبه الشيخ البطالوي وغيرهما من المشايخ من سباب وشتائم. (الناشر)*

[١٠] *هكذا في الأصل، ولعله: "بوجاهكم" أو "بدجاجكم". (الناشر)*

يا قوم، لِمَ أفْرطتم في أموركم، ونبذتم القرآن وراء ظهوركم؟ أتقْتدون غير الفرقان، وأنتم تعلمون. إن الذين يتبتّلون إلى ربّهم لا يخافون شقاق أحدٍ، وبوعْدِه ساكنون. اطمأنّوا بالله مولاهم، وعليه يتوكّلون. يسمعون به، وينطقون به، وبنوره ينظرون. يطّلعون على غرائب علومه، وعلى أسراره يشرفون. وإنْ كنتم في شكّ من أمري فاقرأوا كتابي، وتدبّروا في جوابي، واسألوا الله ما في قبابي، إن كنتم للحق طالبين كما يطلب الصادقون. فاسْألوا ولا تملُّوا. وطهِّروا النيّاتِ ولا تُلطِّخوا. وادعوا في آناء لياليكم ولا تسأموا. وانتظِروا وقت الرحم وتَرقّبوا. وجاهِدوا حقّ جهادكم تُكشفْ عليكم وتهتدوا. طُوبى لمن جاء بقلبٍ منيب وسليم. طوبى لمن جاء بفهمٍ مستقيم. طوبى لِروْعٍ ينتجع عند الشبهات، ويسأل الله تفهيم العويصات. طُوبى لقدمٍ تطاوعُ الرِجْلَ على الفرار مِن مواقع الافتنان بِغِيبة الإخوان والإكفار. وطوبى لعينٍ حداها الحق إلى صواب، وعصمها مِن طرق فسادٍ وتباب. وطوبى لخطواتٍ تنقل إلى حسنات، وتصرف مِن خُططِ الخطيّات. وطوبى لنفسٍ زُكِّيتْ مِن فوْرتها، وطوبى لأرواح أُعطُوا مِن غُلّةِ الحقّ وسَورتها. وطوبى لفكرٍ لا يعلم اللغوب، ولا ينثني حتى يرى المطلوب. وطوبى لكلّ غريبٍ وحليم، وطوبى لمن حُبِّب إليه الربّ الكريم.

يا قوم، قد أناخ الأعادي بساحتنا مِن عبيد العِباد وقسّيسين، وأمطروا علينا حجارةً مِن طين الشياطين. حسبوا التِبْرَ تُرابًا، والحياة تبابًا، والنور نارًا، والنافع ضارًّا. داختْ فِتنتهم، وضنأتْ دعوتهم. شغبوا على الإسلام، وجاءوا بالفتن العظام. سرى سحرُهم في كل حجرٍ وشجرة، ومذرتْ مِن نفسِهم كلُّ مَدَرة. يراءون ماضِرهم كاللبن السائغ، ويصولون على الصدِّيقين بالقلب الزائغ. فقَدِمَ بقدومهم فوجُ همِّنا، واجتمعتْ كتيبةُ غمِّنا. وسئِمنا تكاليفهم متجرّعين بالغُصص، حتى طُبعتْ في المطابع مصائبنا كالقصص. وَدَّعَ طِيبَ عيشنا خوفُ هذا المقام، ووجدنا إذا وجدنا لهب هذه الأيامِ. دمس الليلُ علينا من الغموم والأفكار، ووقعْنا في حيصٍ بيصٍ وتنمُّرِ الأطوارِ.

يا قوم، هذا قوم كذّبوا ديننا، وأضلّوا أحداثنا، وقرفوا رسولنا بالافتراء، وولجْنا المضائق بولوجهم، وأصابنا عرجٌ بعروجهم، وأُرغمتْ معاطسنا بالتوهين والاستهزاء، فأنّى وقت أن نتضرّع بحضرة الرحمن، ونتأوّه آهةَ الثّكْلانِ، ونقرع بابه قَرْعَ مُصابٍ، ونسأله كشْف الضرّ والنجاة من عذابٍ، لتتحرّك من الله رحمتُه الغرّاء، وتسكن الضوضاء، ويجيء بعد مكابدة العناء يومُ رَوحٍ وريحان مِن قبل أرحم الرحماء، وتنزل سكينة القلب وقرّة العين، بعد معاناة الأَينِ ومداناة الحَينِ.

يا قوم، أدْرِكوا ريحكم قبل أن يذهب، وأَرْضُوا ربّكم قبل أن يسخط ويغضب. ولا تكونوا أوّلَ جارحٍ لدينه، ولابِزٍ على آياته وبراهينه. لِمَ بادرتم إلى الإساءات في وقت المواساة، وإلى الفصل في وقت الوصل؟ ألا ترون فساد أبناءِ النفّاثات، إخوانِ التُّرّهات. فثأونا بالكلمات المؤذيات، وآذونا بتوهين سيّدِ السادات وتكذيب كتاب الله جامِع البركات، وتَوطّؤونا بلُسْنِهم وأَرْجلهم، وخلبوا أحداثنا بأيدي الأطماع ولطائف حيلهم، وصاروا للإسلام كالـمُوصِب، وللمسلمين كالذِّيب. فسقطنا في شِصْبٍ شديدٍ تداكأتْ آفاتُه، وفي يد الله إجحاتُه وإسحاتُه. يردُسون على ديننا، ويصولون على عِرض نبيِّنا وخدينِنا.

فيا هكْرًا على إسلامكم! لا تتيقّظون من منامكم. ألا ترون قد جاء وقت الانتهاء، وهطل رُكامُ الأعداء، وضاقت الأرض علينا بالبأساء والضرّاء. اعلموا أن هذا اليوم للإسلام يومٌ مَحْتٌ، وجنّتُه مَرْتٌ، وإنْ لم يتداركْ رَوْحُ الله فقَلَتٌ. إن الكفار زيّنوا الدقارير، وذمّوا المِسْك والعبير، ونُقص القرآن في العيون، وقُوِّمَ بالدُّونِ، قُدّتْ تلابيبُه، ورُدّتْ أعاجيبُه، وغُلِث البولُ بالماء، ورُجِّحت الظلمةُ على الضياء، وأطاروا عيسى بإفراطِ الإطراء، وجعلوا الله الوحيد ذا البنات والأبناء، وعدلوا بالله عبده، وأوقعوا الناس في الليلة اللّيلاء، ونحتوا للرسول الكريم بهتاناتٍ، وأضلُّوا خلقًا كثيرًا بتلك الافتراء. وما آذى قلبي شيء كاستهزائهم في شأن المصطفى، وجَرْحِهم في

عِرض خير الورى، ووالله، لو قُتلتْ جميعُ صبياني، وأولادي وأحفادي بأعيني، وقُطّعتْ أيديَّ وأرجلي، وأُخرجت الحدقةُ من عيني، وأُبعدتُ من كلّ مرادي وأَوْني وأَرَني؛ ما كان عليّ أشقَّ من ذلك. ربِّ انظُرْ إلينا وإلى ما ابتُلينا، واغفرْ لنا ذنوبنا واعفُ عن معاصينا، لا يتغير أمرٌ بدون تغييرك، ولا يأتي ولا يُرَدُّ بلاء إلا بتقديرك.

وأنتم، يا معشر العلماء، بسأْتُم بالدنيا ونُعاسِها، ولذّاتِ دُكاسِها. ومنكم من ثاختْ قدمُه في وحْل العيسائية، ومالَ مِن قومٍ أشْعثَ أغبرَ إلى أرباب الزينة والزَّرْبيّة، لِيستوفي حظّه مِن رَخاخ الدنيا وجيفتِها، وليجني جنى شهواتِه ويتلبّس بقطيفتها. ومنكم قوم وقعوا في المكالبة بينهم لتفشو على الأعداء شُنْعتُهم وشَيْنُهم، فآذى بعضهم بعضًا، ورَضَخَ وبَدَحَ وبَذَخَ، وطرَح ثوب السلم وفسَخ. وعاثَ كلُّ حزب في إخوانهم كعيث الذِيبِ في الغنم، وأراد أن يُزعِج أصل حريفه بالرمي والرجم. فأكلوا أنفسهم كالديدان، وفسّحوا الأمر لأعداء الدين وأهل الطغيان، وتركوا التقوى وحاسدوا على الأدْران، وأسرّوا نفوسهم وأغضبوا الله الرحمن. فلُطِمَ الإسلامُ مِن فسادٍ أَنْفُسِيٍّ وآفاقيٍّ، وأعرضَ مِن مواساته كلُّ قلبٍ نِفاقيٍّ. وكنت أرى كلّ ذلك وأساقي، وعبراتي يتحدّرن عن مآقي، وزفراتي يتصعّدن من التراقي، فتوكّلتُ على الله الباقي. فإذا هبّتْ نسيمُ الإلهام على جناني، وجاءت برَيّا التبشيرِ ورفعِ مكاني، فأُمرتُ وأُرسلتُ لإصلاح هذا الفساد، وإزالةِ ذلك النادِ. إن مع الجدب حِصبًا[١١]، إن مع الجدب حِصبًا[١١]. فاتّقوا الله، ومَهْلاً تعجُّبًا. وما كان طروقي في غير حينه، بل عند حَذْلِ الناس إلى الظلمة وتَرْكِ نبراس الله وأنوارِ دينه. وجئتُ في وقت كانت الملّة في مماراةٍ مشتدّةِ اللهوب، وكانت الأمّة في أمواجٍ مُرجِدةٍ للقلوب، وكان الناس أخذوا طرق الإلحادِ والإباحة والفساد، وتركوا سبيل الرشد والصلاح والسداد، وكان العلماء لا يرون مَلَدَ القرآنِ وغَيدَه، ورشاقتَه وفي حُلل النور مَيدَه. وكانوا عفروا اللؤلؤ

[١١] *كذا في الأصل، ولعلها: خِصبًا. (الناشر)*

بالاستحقار، وحسبوا كتاب الله خاليًا من المعارف والأسرار، فاتخذوا عارِفَها سُخْرةً ومهجورًا بالاقْمِطْرار، وقطعوا الأُخوّة بالاكْفِهْرار. ومع ذلك كانت مباراة المذاهب بطريق الاستدلال ودَخْلِ العقول، لا بفوارس على صهوات الخيول، وكانت عادة أبناء الزمان قد جرتْ واستحكمتْ لامتحانِ الحُسن والجمال، والنظرِ إلى الشمائل وأنواع الكمال. وكان الإسلام قد لُوّحتْ خدودُه وجبهته، وبُدّلتْ هيئتُه وصورته، وأُخْفيت طاقتُه ولياقته، وكُتمتْ ملاحتُه ورشاقته، وكان هذا هو السبب الذي جرّأ المخالفين على الإنكار، فزاغوا في الظنون والاستحقار. فبعث الله رجلاً لإعلاءِ شأن كلامه، وإظهارِ أسراره وإعلان معارفه، وإراءةِ تضوُّعِ مِسكه وفَضِّ ختامه، فالقومُ ردّوه ولم يقبلوه، وطردوه ولم يأْووه، وسبّوه ولم يشكروه، وأهانوه ولم يوقِّروه، ولم ينظروا إليه كما ينظر مرموقُ الاهتداءِ، مومُوقُ الإخاء، وشطّوا في خوضهم حدودَ الاتّقاء، وقالوا: لقد جئتَ إدًّا، وجُزتَ عن الملّة جدًّا. فلم يلبثوا حتى نهد منهم إليّ بطّال لإكفاري، وكيف ينطفئ نور الله مِن فُوهِ بَطالويٍّ[١٢] عاريٍّ، ولكنه سعى كلّ سعيه لمحوِ أشعّة الحقّ وإطفاء أنواره، وتبديدِ أعوانه وأنصاره، فلم يُغادِرْ جذعًا ولا قارحًا من المستعجلين المتفقّهين، إلا جعَله من اللاعنين المكفِّرين، إلا ما شاء اللهُ ربّ العالمين. فكلُّ بُغاثٍ استنسرَ، وكلُّ محجوبٍ أكفرَ وكفر، واستهدفَني للنضال وأكثر، وأخرجَ كلّ نِجاره وما غادرَ. فجعلوا عرضي للسهام عُرضةً، وحسبوه عملاً يزيد قُربةً، وقلّبوا لي الأمور، وأوقدوا لي التنُّور، وأرادوا أن يسحتوني ويسحقوني ويسقوني كأس المنايا والآفات، وأراد الله أن يمزّق مكائدهم، ويُرِيهم مِن بعض الآيات. هو ربّي، ورحمتُه تكفيني، وله حياتي ومماتي وتجهيزي وتكفيني. هو حِبِّي كثيرُ السماح، يأتيني ويسقيني كأساتِ راحٍ. ذِكره شرابٌ يزيل الأحزان، وحُبُّه شيء أسَر أهل الصلاح. لن نفصل ما وصلْنا له، ولو قُطِّعْنا بالسيوف والرماح. وانظروا إلى آثار رحمته وآيات قبوليّته؛ إن

[١٢] *ورد في الأصل تحت هذه الكلمة: أي الشيخ البطالوي.* (الناشر)

القوم يسعون لإعدامي، وهو يُربِّي عِرْدامي، والقومُ يمكر لقطعِ أصلي وهدم بنياني، وهو يُنمِي أفناني وأغصاني، والقومُ يريد إطرادي وتحقيري وتوهيني، وهو يُكرمني ويبشّرني بمراتب ويدنيني.

ومِن مِننِه أنه أحيا قلوبًا يهوون إليّ، وعبادًا يعتكفون لديّ، وأحبابًا يصلّون عليّ، وأرسلَ في أقطار العالم رياحًا تحشر الناس إلينا كأنه فوجٌ نوريٌّ، يقود القلوب إلى الدين المتين، **أو عَبْقريٌّ بهيروِيٌّ نُورُ الدِّين**[١٣]. فهذا رحمة ربّي وحقٌّ صُراحٌ ما يُبْطله بطالويٌّ وغيرُه، وإنْ بخَع نفسه من حسرات ويطير مِن القالب طيرُه.

ووالله إن البطالوي ما قصّر في مكائده، بل ضمّ بطاليّتَه بفحش لسانه وحصائده. **ولولا هيبةُ سيفٍ سَلَّه عدلُ سلطنةِ البرِطانيةِ لحَثَّ الناسَ على سفك دمي، وجلَب رَجِلَه وخَيْلَه لِحسمي وحطمي، ولكن منَعه مِن هذا رُعْبُ هذه الدولة ولمعانُ تلك الطاقة. فنشكر الله كلّ الشكر على ما آمَنَنا مِن كلّ خوف تحت ظلّ هذه الدولة البرِطانية المباركة للضعفاء وكهْفِ الله للفقراء والغرباء، وسَوْطِ الله على كلّ عتيد ذي خيلاء. ثم وجب علينا شكرُ إحسانات القيصرة العادلة، التي يخاف أَخْذَها قلبُ الحادل والحادلة. وكيف لا نشكرها وإنّ الله عصمنا بهذه السلطنة مِن حلول الأهوال، وطمس بها آثار الظلم، وأنزل علينا من الآلاء والأموال؟. اللّهم فاجْزِ تلك الملِكةَ منّا خير جزائك، وانْصُرْها على أعدائها وأعدائك، وأَدْخِلْها مِن كلّ شرّ في ذُراك وارزقْها من نعمائك، واهْدِ قلبها وقلب ذراريها إلى دينك دين الإسلام، ونَجِّهم مِن أنفِ الشِّركِ واتخاذِ العبد إلهًا ونَجِّهم من جميع الآلام. ربِّ أَحْسِنْ إليهم كما أحسنوا إلينا، واجعلْ**

---

[١٣] *ورد في الأصل تحت هذه الكلمات باللغة الفارسية ما معناه: أي أخونا المولوي الحكيم نور الدين البهيروي، فإن مواساة الإسلام هي الصفة الغالبة فيه، ولذلك فإنه يشابه انتشار النور السماوي، وذلك فضل الله. (الناشر)*

أفئدةً منهم يقبلون دينك في زمان حياتي، ربِّ أَنْزِلْ عليهم مائدةً من بركاتك واسْتجِبْ دعواتي، آمين ثم آمين.

ويا عجبًا كلّ العجب! هذا قوم يقال له الكفار، وذلك حزبٌ يقال له الإخوان والأنصار. فيا حِزبَ إخوانٍ شرٍّ من الأعادي، هلمّ إلى ما تُنجّي يوم التنادي، ولا تطيلوا سوءَ ظنّكم بالإخوان، واتقُّوا الله مصرِّف الملوَيْن. أليس منكم رجلٌ رشيد يخاف المآل، ويذَر اللَّدَد والجدال؟ أتعلمون ما تواجهون، وإلى من تتوجّهون؟ أتُكفِّرون فِرق الإسلام باختلاف الفروع، وتأبون من المندوب والمشروع؟

وها أنا أشهد بالرّب العظيم، وأحلِف بالله الكريم، على أنني مؤمن مسلم موحِّد متّبع لأحكام الله وسُنن رسوله، وبريءٌ مما تظنّون ومِن سُمِّ الكفرِ وحلوله. وإني لا أرى لغير الشرع عزّةً، ولا لعالِمِه درجةً. وآمنت بكتاب الله، وأشهد أن خلافه زندقةٌ، ومَن تفوّهَ بكلمة ليس له أصلٌ صحيح في الشرع، مُلْهَمًا كان أو مجتهدًا، فبِهِ الشياطينُ متلاعبة. وآمنت بأنّ نبيّنا محمدا ﷺ خاتَمُ الأنبياء، وأن كتابنا لقرآنٌ كريم وسيلة الاهتداء. لا نبيّ لنا نقتدي به إلا المصطفى، ولا كتاب لنا نتّبعه إلا الفرقان المهيمن على الصحف الأُولى. وآمنتُ بأن رسولنا سيّدُ وُلْدِ آدم وسيّدُ المرسلين، وبأن الله ختم به النبيّين، وبأن القرآن المجيد بعد رسول الله محفوظٌ من تحريف المحرّفين وخطأِ المخطين، ولا يُنسخ ولا يزيد ولا ينقص بعد رسول الله ولا يخالفه إلهامُ الملهَمين الصادقين. وكلّ ما فهمتُ مِن عويصات القرآن أو أُلهمتُ من الله الرحمن، فقبِلتُه على شريطة الصحّة والصواب والسَّمْتِ، وقد كُشِفَ عليّ أنه صحيح خالص يوافق الشريعة لا ريب فيه، ولا لبْس ولا شكّ ولا شبهة، وإنْ كان الأمرُ خلاف ذلك على فرض المحال، فنبذْنا كلّه مِن أيدينا كالمتاع الرديّ ومادةِ السُّعال، وآمنّا بمعاني أرادها الله والرسول الكريم، وإن لم نعلمْها ولم يُكشفْ علينا حقيقتُها من الله العليم. وعندنا نصوصٌ وآيات وبراهين على صحّتها سنذكرها في موضعها ووقتها، نردُّ بِها على

الذين اعتادت قلوبُهم زُورًا، وقذفتْ أقلامُهم لغوًا موفورًا، وهم لا يقرأون كتابي، ولا يتدبّرون في جوابي ولا يتفكّرون. فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون.

وما أردنا للمخالفين في ذلك الكتاب إلا جواب أوهامهم وإسحات إلزامهم، وأما طريق السبِّ بالسبّ واللعن باللعن والذبّ، فالكتابُ نُزِّهَ عنها، وفُوّض الأمر إلى الله ربّ السماء.

يا معشر العلماء، لا تدخلوا في علم الله وأسراره، ولا تجرؤوا على قولٍ ما أُعطيتم مِن علم دِثارِهِ. ولا يختلبْكم حياةُ الدنيا وخضراؤها، ولا يفتننّكم صَرْخُ صارخةٍ وضوضاؤها. وإني أعزِمُ عليكم بالله الرحمن، أن تذَروني مجادلاً بأعداء المصطفى والفرقان، وتُمِدُّوني بكفّ اللسان، إنْ أَكُ صادقًا فسوف يُريكم الله صدقي وثباتي، وإنْ أَكُ كاذبًا فكفى الله لإجحاتي وإسحاتي. فلا تُشمِتوا بي الأعداءَ، ولا تعتدوا ولا تطيلوا الإيذاء. ولَعِلْمُ الله أَوْسعُ من عِلمكم، هو يعلم في نفسي ما لا تعلمون. وإن لم تنتهوا فستُرجعون إلى الله ثم تُسألون.

وأمّا الأمر الثاني الذي ألجأَني إلى ذِكركم بذكر إمام الأقاصي والأداني ﷺ، فاعلموا، يا شَرْخَ المسلمين وشيوخَ المؤمنين، أني أردت مِن ترتيبي هذا أن أستنزل رحم الله عليكم وتوبتَه بالتوسل بخاتَمِ الأنبياء وأصفى الأصفياء. فاشْهدوا أني أَمُدُّ إلى الله يد المسألة لكم، وأطلب منه هَدْيَكم. ربِّ يا ربّ، اسْمَعْ دعائي في قومي، وتضرّعي في إخوتي. إنّي أتوسّل إليك بنبيّك خاتم النبيّين، وشفيعٍ ومشفَّعٍ للمذنبين. ربِّ أَخرِجْهم من الظلمات إلى نورك، ومِن بيداء البُعْدِ إلى حضورك. ربِّ ارْحمْ على الذين يلعنون عليّ، واحفَظْ مِن تَبِّك قومًا يقطعون يديّ، وأَدخِلْ هداك في جِذْرِ قلوبهم، واعفُ عن خطيئاتهم وذنوبهم، واغفِرْ لهم وعافِهم، ووادِعْهم وصافِهم، وأَعْطِهم عيونًا يبصرون بها، وآذانًا يسمعون بها، وقلوبًا يفقهون بها، وأنوارًا يعرفون بها، وارْحمْ عليهم، واعفُ عما يقولون، فإنهم قوم لا يعلمون.

ربِّ بوجهِ المصطفى ودرجتِه العليا، والقائمين في آناء الليل والغازين في ضوء الضحى، وركابٍ لك تعُدُّوا[١٤] السُّرى، ورحالٍ تُشَدُّ إلى أمِّ القرى، أَصْلِحْ بيننا وبين إخواننا، وافتَحْ أبصارهم، ونَوِّرْ قلوبهم، وفَهِّمْهم ما فهّمتَني، وعَلِّمْهم طرق التقوى، واعْفُ عما مضى. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ السماوات العُلى.[١٥]

---

[١٤] *هكذا في الأصل، وربما الصحيح: "تَعدُو السُّرى"، أي: تجري وقتَ السير ليلا، أو "تُعَدُّ للسُّرى"، أي: تُجهَّز للسير ليلاً. (الناشر)*

[١٥] *هنا انتهى النص العربي الذي كتبه المسيح الموعود عليه السلام. (الناشر)*

في مدح سيدنا وسيد الثقلين محمد المصطفى وأحمد المجتبى ﷺ

[١٦] *"أنّى لي أن أؤدي حق مدح ذلك السيد العظيم الذي تعجز عن مدحه السماوات والأرض والعالَمان.*

إن مقام القرب الذي يحظى به ﷺ عند الحبيب الأزلي لا يعرف قدره أحد من الواصلين إلى الله أيضا.

الأفضال التي ينزِّلها عليه الحبيب الأزلي، لم يحلم بها أحد في العالم.

هو سيد عباد الله الخواص ومَلك حزب عشاقه، وقد نالت روحه كل درجة لوصال الحبيب.

هو ذلك الوجود المبارك الذي نزل رحمةً من رب العالمين.

إنه ﷺ يحظى بقرب خاص عند الله لدرجة لا يدرك عظمته الخواص والكبار أيضا.

إن أحمد آخر الزمان ﷺ هو مفخرة للأولين، وإمام الآخَرين ومقتداهم وملجؤهم وكهفهم وحصنهم الحصين.

مقامه العالي كسفينة لنجاة العالم كله، لن ينجو أحد يوم الحشر دون اللجوء إلى ملاذه.

يفوق الجميع في الكمالات، وليست السماوات أمام عزيمته القوية إلا كذّرة.

هو مظهر النور الذي كان مستورا منذ الأزل، هو مطلع الشمس التي كانت خافية منذ البداية.

هو رئيس المجلس السماوي، وحجة الله على الأرض، وآية الله العظيمة والقوية.

كل ذّرة من كيانه مسكن الله الأزلي، وكل أنفاسه وكل ذراته منوَّرة بجمال الحبيب.

جمال وجهه أجمل من مئات الأقمار والشموس، وتراب زقاقه أروع من مسك بلاد التتر.

---

[١٦] *العبارة المائلة التي تبدأ من هنا هي ترجمة قصيدة فارسية.* (المترجم)

يفوق إدراكَ عقل الناس وفهمَهم، أنّى للفكر أن يصل حدود ذلك البحر الذي لا ينتهي.

إن روحه سبقت في قول: "بلى"[١٧]، هو آدم[١٨] التوحيد، بل كان على صلة مع الحبيب قبل آدم أيضا.

هو مفطور على التضحية بالنفس من أجل خلق الله، هو المضحي لكسيري القلوب والمواسي للمنكوبين.

يوم كانت الدنيا مليئة بالكفر والشرك، لم يحزن لها قلب أحد سوى هذا المَلِك.

لم يكن أحد مطّلعا على خبث الشرك ورجس الأوثان إلا قلب أحمد ﷺ الذي كان مشغوفا بحبّ الله.

من يعلم التضرعات التي رفَعها النبي ﷺ من أجل الدنيا في حراء؟

لا أدري طبيعة ذلك الألم والحزن والمعاناة التي كانت تأتي به إلى ذلك الغار حزينا.

لم يَخَف الظلام ولم يَخْشَ العزلة، وما كان يخشى الموت ولا يخاف عقربا أو حية.

إن هذا القتيل في سبيل الأمة وفداء الخلق ضحّى بنفسه لأهل الدنيا، ولم يعبأ بجسده ولا بحياته.

كان يتأوه تأوهات أليمة من أجل خلق الله، وكان شغله الشاغل هو التضرع أمام الله ليل نهار.

ثارت الضجة في السماء نتيجة تواضعه وأدعيته، وبسبب تألُّمه اغرورقت عيون الملائكة أيضا حزنا.

وأخيرا نظر الله تعالى إلى الدنيا المظلمة برحمة نتيجة تواضعه ومناجاته وتضرعاته ﷺ.

---

[١٧] هذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾. منه

[١٨] أي الذي أقام التوحيد مجددا بعد اختفائه. منه

كان طُوفان الأعمال السيئة هائجا في العالم، وكان الناس قد صموا وعموا بسبب الشرك والذنوب.

كانت الدنيا مليئة بأنواع المفاسد كما في زمن نوح، ولم يعد أيّ قلب خاليا من الظلمة والغبار.

استولت الشياطين على كل روح ونفس، عندها تجلّى الله تعالى على روح محمد ﷺ.

إن مِنّته متحققة على كل قوم أبيض وأسود، فقد ضحّى بنفسه من أجل البشر.

يا نبي الله أنت شمس سبل الهداية، لا يستطيع عارفٌ تقيٌّ أن يهتدي بدونك.

يا نبي الله إن شفتيك تَهبان الحياة، يا نبي الله أنت الهادي إلى سبل الله.

هناك مَن يتحرّى كلامك الطاهر عند زيد وعمرو، والآخر يسمعه من لسانك مباشرة.

من اغترف غرفة من نبعك فهو حيٌّ، والذي يتبعك فهو العاقل الحقيقي.

منتهى معرفة العارفين معرفة وجهك، وغاية صدق الصادقين الثبوت على حبّك.

لا يمكن لأحد أن ينال ثروة العرفان إلا بواسطتك، حتى وإن مات في المجاهدات.

إن الاعتماد على الأعمال دون حبّك غباوة، فالغافل عنك لن ينال حسنة أبدا.

بحبك ينال المرء في لمح البصر نورا لا يناله السالكون إلى مدة طويلة جدا.

كل ما يوجد في العالم من أشياء غريبة ومفيدة ومحببة إلى القلوب أجد فيك محاسنها كلها.

ما من زمن أفضل من لحظات حبّك، وما من عمل أحسن من مدحك وثنائك.

لقد جرّبت محاسنك اللامتناهية، فإن كان الآخرون خدامك فإني مستعد لأضحي بحياتي من أجلك.

كل شخص يدعو لنفسه في صلاته، ولكني أدعو لك ولآلك يا سيدي.

يا نبي الله إني فداء كل ذرة من وجودك، ولو أُعطيت مئة ألف نفس لفديتك بها كلها.

الحق أن اتّباعك وحبّك هو البلسم الشافي لكل قلب، وإكسير لكل روح جريحة.

القلب الذي لا يدمى في حبك فهو ليس قلبا أصلا، وما الفائدة من الروح التي لا تفديك.

قلبي لا يخاف الموت في سبيل حبك، انظر إلى استقامتي إذ أتقدم إلى الصليب فرحا مسرورا.

يا رحمة الله، إننا نرجو رحمتك، أنت الذي يرجو الرحمة من بابك مئاتُ الآلاف أمثالنا.

يا نبي الله أنا فداء وجهك الجميل، وقد نذرتُ في سبيلك الرأسَ الذي هو عبء على الكتفين.

منذ أن أُرِيتُ نور رسول الله المقدس، يتدفّق عشقه في قلبي كما يتدفق الماء من الشلال.

إن نار عشقه تصعد من قلبي مثل البرق، انصرفوا عني أيها الأصدقاء الناقصون.

إن قلبي في حالة الوجد منذ أن رأيتُ النبي ﷺ في المنام، إن روحي ورأسي ووجهي فداء وجهه ورأسه.

إني أرى مئات آلاف يوسف في ذقنه ﷺ، وبَنَفَسه نُخلق أمثال المسيح الناصري بغير عدّ وحساب.

هو سيد القارات السبع، وهو شمس الشرق والغرب ومَلِك الدين والدنيا، وملاذ كل مسكين.

قد أفلح القلب الذي يسلك سبيلك بالصدق والصفاء، وسعيدٌ مَن كان على علاقة بهذا الفارس.

يا نبي الله، لقد أظلمت الدنيا بالكفر والشرك، وآن الأوان لتطلّ بوجهك كالشمس.

يا حبيبي، أرى أنوار الله في وجهك، وأرى قلبَ كلّ عاقل مشغوفا بحّبك.

إن أصحاب القلوب الحية يعرفون قدرك، والعارفون يعرفونك، ولكن شمس الظهيرة مختفية عن أعين الخفافيش.

لكل شخص حبيبٌ في الدنيا، ولكني فداءٌ لك وحدك يا حبيبيورديَّ الخدَّين.

لقد علّقتُ قلبي بوجهك الجميل تاركا العالم كله، وقد آثرتُك على نفسي.

ليست الغاية من الحياة إلا أن يُضحَّى بها في سبيلك. وما المراد من الحرية إلا العيش في أسرك كالصيد.

سيبقى حّبك في قلبي ما دمتُ حيًّا، وما دام قلبي ينبض بالدم سيكون مداره عليك وحدك.

يا رسول الله، إن لي صلة وطيدة بك، وأحبك مُذ كنتُ طفلا رضيعا.

في كل خطوة خطوتُها في سبيل الله الأحد، وجدتُك معيني ومؤيدي وناصري سرًّا في كل مكان.

إنني على صلة عظيمة بك في العالَمينِ، وقد ربَّيتَني بنفسك في حضنك كما يُربَّى الطفل الرضيع.

أُذكُر حين أَريتَني وجهك في الكشف، واذكُر حين شرَّفتَني بمجيئك كالمشتاقين.

أُذكُر الألطاف والأفضال التي أكرمتَني بها، وكذلك البشارات التي أعطيتني من الله تعالى.

أُذكُر حين أَريتَني في اليقظة جمالك ووجهَك وصورتك التي يغبط بها فصل الربيع.

اسأل الله القادر العليم يا رسول الله عما أصابنا من الأذى من هذين الشيخَين المؤذيَين.

الله العليم الحليم أعلم بحالنا وبوقاحة هذين الشيخَين البذَّائَين.

لقد سمَّياني دجالا وضالا وكافرا، وليس في نظرهما نجس وسيئ ومهان مثلي.

لم يحترق من أجلي أنا المظلوم والحزين قلبُ أحد سواك يا مَن أنعمتَ عليّ مرارا في الرؤى.

نعم، إن ذلك الإله الرحيم الكريم، الذي هو معشوقي ومحبوبي، طمأنني دائما مواسيا ولا يزال

لقد صبرتُ على مئات المصائب بسبب لطفه، فإن الكحل لا يصلح للعين ما لم يكن دقيقا مثل الغبار.

يا مَن يكفّر المسلمين تعنتا وعداوة، عليك أن تستحي من الله العادل والقادر.

إن تكفير الآخرين سهل، ولكن يكون الموقف حرجا عندما سيسأل الله عنه.

يا أخي لماذا تكفّر الناطقين بالشهادة؟! استأصِل كفرك أولا من الجذور إن كنت تخاف الله.

لقد صرتَ عجوزا ولا تدري إلى الآن ما أخلاق العجائز، وهبك الله حرقة العجائز وصبرهم.

ماذا أنجزت لو كفّرتَ قومك؟ فإن كنتَ بطلا فأدخِل في الإسلام يهوديا مثلا.

عندما يُزيل الهواء صبيحة القيامة حجابا عن وجه الحقيقة، سيتميّز المؤمن من الكافر تماما.

اِذهب وانتبه لنفسك أولا إن كنت عاقلا، وأَحرِزْ نور الإيمان إذ لا معنى لادّعاء الإيمان.

حتّامَ تعتزّ بالتكفير وحتّام تستهزئ، فاذهب واترك نفسك على إيمانك واتركنا على كفرنا.

لا تذكر لي الجنة ولا الجحيم، فإني أعيش كالمجانين حزنا على دين محمد ﷺ.

عندما أتذكّر المهمة الدينية، أنسى أفراح العالَمين وأحزانهما كليا."

أما بعد فإن هذا الكتاب الذي اسمه

مرآة كمالات الإسلام

*واسمه الثاني هو "**دافع الوساوس**" أيضا، يحتوي على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، بارك الله فيه وهدى به عالَما.*

آمين، ثم آمين

المقدّمة

قبل مدة وجيزة ألّفتُ بتوفيق من الله في تأييد الإسلام ثلاثة كتب، أولها اسمه: "**فتح الإسلام**" وثانيها اسمه: "**توضيح المرام**" وثالثها اسمه: "**إزالة الأوهام**". وقد ذكرتُ فيها بأمر من الله ووحيه وإلهامه منصبَ "**مثيل المسيح**" الذي مُنِحتُه أنا العبد المتواضع. كذلك بيّنتُ فيها من الدقائق والحقائق والمعارف العليا التي تُعدُّ من أعظم حقائق الإسلام والقرآن الكريم السَّنِيّة، التي هي مدعاة فخرٍ للمسلمين في وجه المعارضين. وتظهر بتلك الحقائق قمة حُسن التوحيد الإسلامي وجلاؤه. وإضافة إلى ذلك تضمنت تلك المعارف ردودا مقنعة على الهجمات الخارجية التي يشنها الناس في هذا الزمن على تعاليم الإسلام نتيجة حقدهم المجرّد وقصر نظرهم. واستمددتُ كل ذلك من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، كما تضمنت هذه الكتب شهادات الأكابر من السلف على تلك الحقائق. وكنت آمل أن يقرأ العقلاء تلك الكتب بنظر الشكر فيسجدوا لله شكرا على أنه أكرمهم بهذه النعم الروحانية في الوقت المناسب تماما. ولكن من المؤسف حقا أن الأمر كان عكس ذلك تماما بسبب فتنة بعض المشايخ؛ فأثار الناس شغبا وضجة شديدة كفرًا بالنعمة بدل أن يشكروا الله، فاعتُبرت كل تلك الحقائق واللطائف والنكات والمعارف الإلهية كفرا. وبناء على ذلك سُمِّيتُ كافرا وملحدا وزنديقا ودجالا، بل اعتُبرتُ أسوأ من جميع الكفار والدجالين في العالم. إن مؤسس هذه الفتنة هو شيخٌ يُدعى "محمد حسين" المقيم في مدينة بطاله في محافظة غورداسبور. وكما أن معظم المشايخ المعاصرين يستعجلون في التكفير، وقبل أن يصلوا إلى كنه قولٍ يكفّرون قائلَه؛ إلا أنه يبدو أنّ هذه العادة متفاقمة عند الشيخ المذكور أكثر من غيره بكثير. وما تبيّن لي حتى الآن هو أن الله، القسّام الأزلي، قد أعطى الشيخ المذكور نزرا يسيرا جدا من التدبر والتأمل وحسن

الظن، لذا سعى قبل غيره في كل حدب وصوب حاملا ورقة الاستفتاء في تكفيري. وقد حمل "ميانْ نذير حسين" قلمه قبل غيره من أجل التكفير، وزيّن بشهادة تكفيره استفتاءَ الشيخ محمد حسين، وكفّرني دون أدنى ترددٍ وتأمّل، مع أنني كنت قد كتبتُ إليه بوضوح تام بأنني لستُ منحرفا عن أيّة عقيدة من عقائد الإسلام المتفق عليها. وأحد أسباب تكفيره إيايّ الكثيرة أن ميانْ المحترم في أرذل العمر ولم تبق عنده قدرة على التدبر والتأمل، اللهم إلا شدة الغضب والغيظ المفرط وحِدّة الطبع. بل أظن – إن لم أكن مخطئا– أن حواسه أيضا هي الأخرى موشكة على الاختلال لكونه شيخا هرمًا. وإضافة إلى ذلك يبدو لي أنه من ذوي الأفكار السطحية منذ البداية، ولا يرقى طبعه لمستوى هذه الحقائق العليا والمعارف الدقيقة. إذًا، فمُصدر الاستفتاء هو الشيخ البطالوي، وأول المكفّرين هو ميان نذير حسين، والآخرون كلهم أتباعهما، حيث ظل معظمهم يحذون حذوهما جبرا لخاطر الشيخ البطالوي ومراعاة لحقّ تلمذة ميان نذير حسين الدهلوي. مع أن تكفير المشايخ للآخرين ليس بِدعا منهم؛ فإن هذه العادة لهذه الفئة قد تفاقمت في العصر الراهن كثيرا بوجه خاص، فتُخرج فِرقةٌ من الدين فرقةً أخرى. ومما يؤسَف له هو أن مثل هذه الفتاوى ليست جديرة بالإدانة لمجرّد خطئهم في الاجتهاد، بل لأن أعمالهم تتنافى في كل خطوة مع الأمانة والتقوى. يُخفون الأحقاد في القلوب ثم يُظهرونها متنكرين بعباءة الدفاع عن المسائل الدينية. أليس مما يدعو للاستغراب أن يتجاسر المرء إلى هذا الحد في تكفير الآخرين في قضايا حساسة كهذه، بينما يُقرّ الآخر بإسلامه مرارا وتكرارا ويتبرأ من التهم التي عُدَّت مدعاة للكفر، ومع ذلك يكفَّر ويُلقَّن الناس عنه أنه كافر وسيبقى في جهنم خالدا مثل المشركين والكفار ولن يخرج منها أبدا، مع إقراره بشهادتَي "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، وإيمانه بالتوحيد وتسليمه بالعقائد الإسلامية الأساسية والتزامه بالصلاة والصوم وكونه من أهل القِبلة؟

"يا مَن كنتُ دجالا وضالا في نظرك، لماذا لا تخشى الله ذا الجلال.
تسمّي المؤمن كافرا، فإذا كنت تحسب نفسك مؤمنا مع هذه الأفكار فإني كافر"[١٩].

نتأسف على جميع المشايخ المكفِّرين عموما لأنهم -من دون تحقيق وبحث- ختموا على وثيقة تكفيرٍ أعدّها الشيخ محمد حسين ولم يقرأوا كتبي من البداية إلى النهاية ولم يسألوني شيئا بالمراسلة أيضا. ولو كان عندهم حُسن النية لأجبرهم نور قلوبهم على أن يسألوني أولا أو يطلبوا منّي تبيان معاني كلامي. وإذا ثبت بعد التحقيق أن تلك الكلمات تقود إلى الكفر في الحقيقة كان لهم أن يشهدوا بكُفر أخيهم بقلب حزين. فلو فعلوا ذلك ولم يستعجلوا لبرَّأوا ساحتهم من جريمة يُدان بها عند الله مكفِّرٌ متسرّع. ولكن المؤسف حقا أنهم لم يفعلوا ذلك بل اختار بعض المشايخ في تكفيرنا أسلوب الشاة؛ إذ تجري وراء شاة أخرى جزافا وتقضم ما تقضمه صاحبتها، **فما أشكو إلا إلى الله**. من لا يعرف أن تكفير مسلم موحِّد من أهل القبلة أمر حساس جدا، ولا سيما إذا كان ذلك المسلم قد أعلن في كتاباته وخطاباته مرارا وتكرارا أنه مسلم ومؤمنٌ بالله جل شأنه ورسوله وبملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت بحسب ما علّمنا الله جل شأنه ورسوله ﷺ. وليس ذلك فحسب بل إنه ملتزمٌ بجميع الأوامر مثل الصيام والصلاة التي بيّنها الله تعالى والرسول ﷺ، فهل تكفير مثل هذا المسلم وتسميته "الأكفر" و"الدجال" من سيرة مَن كان شعارهم التقوى وشيمتهم خشية الله وعادتهم حسن الظن؟

فكما أنني بيّنت قبل قليل أنه صحيح تماما أنه قد جرت عادة المشايخ منذ القِدم أنهم كلَّما عجزوا عن فهم بعض الحقائق والمعارف والدقائق والنكات الرفيعة الواردة في كتب العلماء الأكابر وأئمة العصر، وحسِبوها منافية لكتاب الله وآثار النبي ﷺ؛

[١٩] *ترجمة بيتين فارسيين. (المترجم)*

فقد أخرج بعضُ المشايخ هؤلاء الأكابرَ والأئمةَ من حظيرة الإسلام وتسامح بعضهم قليلا فلم يكفِّروهم ولكن أخرجوهم من أهل السنة والجماعة. ثم حين انقضى ذلك العصر وجاء إلى حيّز الوجود علماء القرن التالي، شرح الله صدور العلماء المتأخرين وفهّمهم أمورًا دقيقة لم يفهمها مَن سبقوهم، فبرّأوا الأكابر الأسلاف والأئمة السابقين من الكفر. ولم يقتصروا على تبرئتهم فحسب، بل أيقنوا أنهم كانوا أقطابا بلغوا أعلى مراتب الولاية. استمرت عادة المشايخ على هذا المنوال بوجه عام، ولكن قليلاً منهم من آمَن بهؤلاء المقبولين في حضرة الله في عصرهم. فقد جرت عادةُ المدّعين بالعلم والمتمسكين بظواهر الأمور، وخصلتُهم -منذ زمن الإمام الكامل "الحسين ﵁" إلى زمننا هذا- أنهم لم يتقبّلوا أحدا من رجال الله في عصرهم. لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم عن اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ...﴾[٢٠] أيْ تعوّدْتم يا بني إسرائيل على أنه كلما جاءكم رسولٌ كذّبتم بعضا منهم وقتلتم بعضهم. وقد اتخذ مشايخ الإسلام أيضا العادة نفسها ليحذوا حذو اليهود تماما، فلم يقصّروا في التقليد. وكان من المحتوم أن يتم ذلك ليتحقق كلُ ما قاله النبي ﷺ منذ البداية عن هذه المشابهة. صحيح أن العلماء قبلوا أيضا هؤلاء المقبولين عند الله وأظهروا لهم إخلاصا كبيرا حتى انضموا إلى جماعتهم، لكنهم فعلوا ذلك بعدما رحلوا من هذه الدنيا الفانية وتبين قبولهم من قِبل عشرات الملايين من عباد الله.

ولله درّ القائل: "لقد جئتَ لزيارة قبري بعد وفاتي، فويلٌ لحبّك هذا."

أما حالتي، فالله الكريم أعلم بها. لقد أنزل ﷻ عليّ بركاته كاملةً، وأرسلني بفطرة متحمسة لاتّباع النبي ﷺ لكي أعلّم الناس سبل الاتباع الحقيقي، وأُخرجهم من الظلمة العلمية والعملية التي تحيط بهم نتيجة قلة تدبرهم. لا أدّعي أن في نفسي

---

[٢٠] *البقرة: ٨٨*

رصيدا كبيرا من العلوم المكتسَبة، بل أقرّ بضعفي وقلة علمي أكثر من غيري وقبل غيري. ولكن إلى جانب ذلك لا أستطيع أن أخفي أمرًا أكيدًا آخر هو أن الله تعالى بنفسه قد رباني -أنا الضعيف البسيط والأُمِّيّ- في كنفه، وأطلَعني على حقائقَ صادقةٍ ومعارفَ كاملةٍ ما كنت لأفوز بها بنفسي ولو عُمِّرت طويلا وتدبرت أكثر من جميع المتدبرين. إنني أشكر ذلك المولى الكريم لسبب آخر أيضا وهو أنه وهبني حماسا دينيا لنشر الإسلام لدرجة لا أجد بفضله تعالى أيَّ مشقة في التضحية حتى بنفسي في سبيل ذلك. مع أنني قطعتُ آمالي كلها من أهل الدنيا، لكن آمالي بالله تعالى قوية ومتينة. فمع أنني أعلم بأني وحيد في ظاهر الأمر إلا أنني لست وحيدا في الحقيقة بل إن مولاي الكريم معي، وما من أحد أقرب إليّ منه ﷻ. وبفضله نلتُ روح العشق هذه لأخدم دينه بتجشم المعاناة والإيذاء، وأنجز المهمات الإسلامية بكل شوق وصدق. لقد كلّفني ﷻ بهذه المهمة، فلن أمتنع عنها لقول أحد، ولا يسعني أن أنظر باستخفاف إلى الأحكام التي يُلهمنيها الله، والعياذ بالله. بل أبجّل تلك الأوامر المقدسة أيما تبجيل، وأودّ أن تُبذل حياتي كلها في هذه الخدمة. والحق أن الحياة السعيدة والمباركة هي تلك التي تمضي في سبيل خدمة دين الله ونشره. وإلا لو ملك الإنسان كلّ الدنيا وحاز ثروةً يمتلكها إمبراطور وتحقق له ترفٌ لما أمكنه عدّها نعمةً، بل هي عذابٌ تنكشف مرارتُه عاجلا أحيانا وآجلا أحيانا أخرى.

أتأسف على أن معظم العلماء المعاصرين متوجهون إلى أمور سطحية ومنحطة جدا. فلا يفقهون الحقائق الدقيقة التي أودعها الله تعالى في كتابه العزيز وبيّنها سيدنا وهادينا ﷺ. وليس ذلك فحسب بل يعُدّون عارفا - ينال من الله تعالى إنعامات المعارف الحكيمة ليكشف الدقائق التي أوجبت حاجةُ الوقت كشْفَها- زنديقا وملحدا ومحرِّفا ومارقا من الدين. أراهم جاهلين لمعظم هذه الحقائق مكتفين بالحرْفية والسطحية. لا تميل طبائعهم ولا تنسجم مع السعادة الحقيقية التي ينالها العارفون بالله

نتيجة اطّلاعهم على الأسرار الغامضة. ومع أنّ الوثنية الشرقية -كما هي- لم تؤثر فيهم، إلا أن أوثان الأوهام خافية في قلوبهم وتشكّل عقبة في سبيل الوصول إلى الحقيقة. إنني موقن يقينا كاملا بأن الله تعالى قد أراد أن يكسّر هذه الأوثان. لا يسعني أن أشكّ قط في أن الموعد قد حان لتُكسر تلك الأوثان كليا، وينال عباد الله الحقائق المفقودة من جديد. إن الله -العالم بالأسرار كلها- يعلم جيدا أن هؤلاء الناس قد ابتعدوا كثيرا عن حقيقة الإسلام وتركوا نور الحق المبارك.

فهذه آفة داخلية ذكرتُها مجملا، دعْ عنك حال الأمم المعادية فهم محمَّلون بالاعتراضات والشبهات كشجرة أثقلتْها ثمارُها. لقد تعاظمت ضغائنهم ضد الإسلام في عصرنا الحاضر، وقد شرع كلٌّ منهم في توجيه الاعتراضات إلى الإسلام بكل قواه. إذا كان لدى أحد من معارضينا إلمام بعلم الطبيعة اعترض بناءً على هذا العلم، وأراد أن يثبت أن الإسلام يقول بما يخالف الحقائق الثابتة في العلوم الطبيعية. وإذا كان أحد من معادينا يملك نزرا يسيرا من علم الطب قدّم البحوث المتعلقة به ليعترض على الإسلام خداعًا، ويركز على الزعم أن الإسلام يقول بما ينافي التجارب المشهودة والمحسوسة الثابتة تماما بالبحوث العلمية الحديثة. كذلك الذي لديه خبرة بعلم الفلك المعاصر يوجه إلى الإسلام اعتراضات في مجاله وهلمّ جرا.

فباختصار، لقد وجّه قصيرو النظر قرابة ثلاثة آلاف اعتراض -بحسب علمي- إلى الإسلام وتعاليم القرآن الكريم وإلى سيدنا ومولانا ﷺ. ومع أن الطوفان الثائر لهذه الاعتراضات يُحدث في الظاهر قلقا وحزنا عندما نلقي عليها نظرة عابرة، لكننا حين ننظر بتمعنٍ نجد أنها لا تسبب أيّ ضرر للإسلام، بل لو لم نتكاسل نحن لوجدنا أن حكمة الله تعالى قد جعلتها وسيلة لكشف دقائق الإسلام وحقائقه الكامنة لكي يجتنب طلاب الحق -بسبب نور هذه المعارف الجديدة التي تنكشف، ولا تزال تنكشف على المتدبرين نتيجة الإمعان فيها- ظلمات مهولة تظهر في هذا العصر في

أشكال مختلفة. لا شكّ أن هذه الاعتراضات مخيفة جدا في حالة التغافل، وتبدو كأنها ستُحدث طوفانا من الضلال. إن تذكُّر معتقدات الإسلام وحدها أو قراءة الكتب القديمة لا تكفي للحماية منها. والحق أن العارفين بالحقيقة يدركون أن المسلمين يواجهون ابتلاء شديدا بسبب هذه الاعتراضات المعاصرة. ولو تغافل المسلمون عن هذا البلاء لأثَّرت هذه المادة السامة فيهم وفي ذريتهم أيضا رويدًا رويدا، ولأوصلتْهم إلى هوة الهلاك. إنّ الإيمان الذي يتغلب على النوايا السيئة والزلات لا يتأتّى دون العرفان أبدا. فكيف يأمن خطر العثار أولئك الذين يجهلون محاسن القرآن الكريم ويعجزون عن دفع الاعتراضات الخارجية وينكرون حقائق كلام الله ومعارفه السَّنِيَّة؟ بل الحق أن إيمانهم الظاهري يتعرّض لخطرٍ شديد في هذا العصر ولا يقاوم أبسط الابتلاءات. تكمن قوة إيمان المرء بالله في قوة إيمانه بكتابه، ولا يمكن أن يكون إيمان المرء بكتابه ﷻ قويا ما لم يرَ كلامَ الله المقدس معجزةً عظيمة وبحرًا لا ينتهي من المعارف والحقائق دون الحاجة إلى المعجزات المنقولة التي ليست مشهودة الآن. فالذين يعتقدون أن في الذبابة عجائب قدرة الله القادر التي لا تعدّ ولا تحصى ولا يسع أحدًا أن يأتي بنظيرها مهما كان فيلسوفا كبيرا أو حكيما، وينظرون إلى حبة الشعير على أنه لو ظل حكماء العالم كلهم يبحثون في عجائبها وخواصها الخفية إلى يوم القيامة ما استطاعوا يقينًا القول بأنهم اكتشفوا جميع خواصها؛ أولئك المدّعون بأنهم مسلمون ومن ذرية المسلمين، يوقنون مع ذلك بأن القرآن الكريم لا يضم في طياته حقيقة دقيقة سوى كلمات فخمة وذات معانٍ سطحية. وقد حسِبوا أن نكات كلام الله وأسراره ومعانيه قد اقتصرت على ما بيَّنه النبيُ ﷺ بحسب مقتضى الضرورة ونظرا إلى قدرات الناس الموجودة آنذاك. مع أنهم يعلمون أن كلام النبي ﷺ ما دُوّن بالكامل ولم يُحفَظ كما كان حقه، ومع ذلك كله فهم غافلون تماما وغير آبهين لاكتشاف أسرار القرآن الكريم الجديدة.

وليكن معلوما أننا لا نقصد **بالأسرار الجديدة** أنه يمكن أن تُستنبَط من القرآن الكريم كل يوم أمورٌ جديدة تناقض شريعته المقرَّرة والمصرَّح بها، بل المراد من الأسرار والنكات والدقائق أمور تسلِّم بتعاليم الشريعة كلها ثم تبيِّن ملامحها كاملة وتُظهر حقيقتها الكاملة للعيان حتى تُري المنقول معقولا. فكانت هناك حاجة إلى هذه الأسرار في زمن التعقل هذا. أينما أجلتم النظر وجدتم في سنة الله الجارية أنه تعالى ظلّ ينصر دينه بحسب حاجات العصر دائما. وقد أرى دائما في كلامه وفعله -بواسطة أحد من أصفيائه- نورا اقتضته حالة العصر بطبيعتها لكي يدلل على أن كلامه وفعله ليس ناقصا ولا ضعيفا.

ففي زمن موسى اقتضى الأمر حيّةً مقابل الحيّات، وفي زمن المسيح عليه السلام اقتضت الحاجة إظهار الطب الروحاني مقابل الأطباء والمشعوذين، فنصر الله تعالى بذلك أنبياءه بحسب مقتضى العصر. أما في زمن سيدنا ومقتدانا خاتم المرسلين ﷺ فلم تقتصر الحاجات على نوع واحد، كما لم يكن العصر محدودا بل كان ممتدا إلى يوم القيامة، لذا جعل الله الحكيم القديرُ القرآنَ الكريمَ يشمل كمالات لا نهاية لها. وظل القرآن الكريم بسبب كمالاته التي شملت دقائق الخير جميعها يتدارك فساد كل عصر على أكمل وجه. فإن أعظم مهمة للقرآن الكريم في زمن النبي ﷺ كانت إصلاح مبادئ خلق الله، فأعطى العالم كله مبادئ نزيهة ومستقيمة لمعرفة الله وحقوق العباد، وأقام التوحيد المفقود وقدَّم للعالم مقابل أفكارهم المظلمة كلاما فصيحا بليغا من الدرجة العليا ومليئا بالنور والحكمة فمزَّق الأفكار السائدة آنذاك إربًا، وأظهر معجزة عظيمة في الحكمة والمعرفة والفصاحة والبلاغة والتأثير القوي. وكذلك كلما هاجت الظلمة وماجت -أيًّا كان نوعها- تصدَّى لها نور هذا الكلام المقدس، لأن ذلك الكلام الطاهر قد جاء بمعجزة أبدية وبنور كامل رافعًا ظلمات كلّ زمان؛ فظل يدرأ ويدفع كل نوع من الظلام بقوة نوره حتى جاء زماننا هذا.

فأخرجت الأرض -كما أنبأ القرآن الكريم- كافة أنواع الظلمات المستترة فيها، وقامت ثورة عظيمةٌ في الضلال والإلحاد وهدر العقل. إنه لطوفان الطبائع الزائغة نفسُه المسمّى بـ"**الدجال**" بتعبير آخر. وقد أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم أن ذلك الكلام العظيم والكامل سيتغلب على هذا الطوفان أيضا. فكان ضروريا أن يكون كلام الله زاخرا بالفلسفة الحقة التي تتغلب على الفلسفة الحالية الخادعة، لأنه جاء للإصلاح الأبدي، فلن يكلّ ولن يملّ ما لم يُقِم ملكوته في كل طبع سليم. والحق أن آكلي سمّ الفلسفة كانوا ينتظرون هذا الترياق، فأظهره الله تعالى، وأراد لكسر شوكة العقلانيّة النجسة أن يُظهر غلبة عقلانية القرآن الكريم ويسحق عقلانيّة الأعداء الباطلة سحقا.

ولكن الأسف كل الأسف على الذين لا يعرفون الوقت غير آبهين بما تواجهه ذراري المسلمين كل يوم من مصائب لا تطاق بسبب الصولات والفتن الخارجية، وإلى أيّ مدى تضرر الإسلام بفعل هذه الوساوس الفلسفية حتى ابتعدت منه فئة كبيرة من المسلمين ذوي الثقافة الحديثة وكأنهم هجروه نهائيا. وكذلك ترك كثيرٌ من الجهلاء وقليلو العقل نورَ الإسلام ودخلوا ظلمات المسيحية واختاروا اعتقادا مخجلا ومدعاة عارٍ وشنارٍ. وكان السبب وراء ذلك أن الاعتراضات السخيفة والمليئة بالخداع والسفسطائية السائدة في العصر الراهن بدت مهمةً في نظرهم القاصر.

ومن إحدى المفاسد الكبرى في عصرنا الراهن أن المشايخ أنفسُهم يدعمون -باعتناقهم بعض المعتقدات- المسيحيين وغيرهم في تعاليمهم المنطوية على الشرك.

فعلى سبيل المثال نجد أن معتقدات المسيحيين المعاصرين الباطلة تستند إلى عمودٍ وحيد هو حياة عيسى عليه السلام، وهي بنظرهم مدعاةٌ لتأليهه، في حين يُقرّ المسلمون في العصر الحاضر أن نبينا الأكرم مدفونٌ تحت الثرى ويزعمون في الوقت نفسه أن المسيح ما زال حيًّا وبذلك يضعون في أيدي المسيحيين إقرارهم المخطوط

بأن المسيح يتمتع بخواص مميزة ونادرة تفوق صفات الإنسان العادي بل حتى يفوق أقرانه من الأنبياء. أفلا يثبت من الاعتقاد بأن أفضل البشر ﷺ الذي جاء بعد المسيح بـ ٦٠٠ عاما وعاش عمرا قصيرا ومضى على وفاته ١٣٠٠ عام، بينما المسيح لم يمت بعد، أن المسيح عليه السلام يفوق لوازم البشر؟ إذًا، إن المشايخ المعاصرين لم يقصِّروا في نصر المشركين قط، وإنْ كانوا يُعلنون براءتهم من الشرك ظاهريا. والأدهى والأَمرّ من ذلك أن الله جلّ شأنه يبرهن في كتابه المجيد على موت المسيح عليه السلام، بينما يخلق هؤلاء القوم آلاف الفتن للإسلام بعدّهم المسيحَ حيّا إلى الآن، إذ يعدّونه حيًّا وقيوما في السماء مقرّين بأن سيد الأنبياء ﷺ ميِّتٌ في الأرض مع أنه قد وردت في القرآن الكريم شهادةُ المسيح التالية: ﴿ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[21]، أيْ أبشِّركم برسول اسمه "أحمد" وسيأتي بعد موتي. فإن لم يكن المسيح قد خلا من هذا العالَم المادي إلى الآن فذلك يستلزم أن نبينا الأكرم ﷺ أيضا لم يشرِّف هذا العالم بمجيئه إلى الآن، لأن النص يقول بكلمات صريحة إن النبي ﷺ سيأتي إلى هذا العالم المادي بعد أن يغادره المسيح عليه السلام، فالرحيل قد ذُكر في هذه الآية مقابل المجيء، ولا بد أن يكون المجيء والرحيل على المنوال نفسه؛ بمعنى أن يرحل أحد إلى ذلك العالم ويأتي منه آخر.

وشهادة المسيح الثانية على موته مذكورة بصراحة في الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ فلينظر إليها من كانت له عينان. وليتضح أن في الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إشارة إلى تحقق الوعد المذكور في الآية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[22]. ولفهم هذا المعنى -الذي قصده الله جلّ شأنه- للتوفي يجب الإمعان في هاتين الآيتين معا حيث تتضمنان الوعد وتحققه. ولكن من المؤسف حقًا أن المشايخ المعاصرين لا يهتمون

---

[21] *الصف: ٧*

[22] *آل عمران: ٥٦*

بهذه البحوث قط. إن كلمة "التوفي" نفسها التي وردت في القرآن الكريم مرتين بحق المسيح، قد وردت بحق نبينا الأكرم ﷺ أيضا؛ وذلك كما في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾[٢٣]. فلو استنبط المشايخ من هذه الآية أن النبي ﷺ أيضا قد رُفع إلى السماء حيًّا لما تأسفنا. ولكن انظروا إلى تجاسرهم ووقاحتهم في أنه عندما ترد في القرآن الكريم كلمة "التوفي" بحق النبي ﷺ يستنتجون منها معنى **الوفاة**، ولكن عندما تأتي الكلمة نفسها بحق المسيح عليه السلام يستنبطون منها معنى **الرفع حيًّا**، ولا ينتبه أحد منهم إلى أن الكلمة هي نفسها التي استخدمها الله تعالى في القرآن الكريم **٢٥ مرة** وبيّن بوضوح تام أن معناها هو قبض الروح فقط إلا أنهم يقلّدون بعضهم كالعميان. فلا يزالون يستنبطون منها معنىً مغايرا تماما في حق المسيح عليه السلام، وكأن معنى التوفي لكل شخص في العالم سوى المسيح هو قبض الروح، ولكن معناها لابن مريم عليه السلام هو الرفع حيًّا. ألا يؤيد هذا الأسلوبُ الشركَ؟ فمن ناحية يسبّ المسيحيون المتعصبون والأشرار سيدنا ومولانا ﷺ دون وازع ورادع ويعُدّون المسيح سماويا ويعدّون نبينا الأكرم ﷺ أرضيا، ومن ناحية أخرى ينصرهم هؤلاء المشايخ في هذا الزمن الحرج ويروِّجون ادّعاء المسيحيين أكثر بالتسليم بأفكارهم الشركية.

ليْتَهم تفكّروا لدقيقة واحدة متجرّدين من تعصبهم الأعمى ليروا ما هو الشرك وما حقيقته وما هي مبادئه ومقدماته، حتى يتبين لهم أن إشراك أحد مع الله في ذاته أو صفاته أو أقواله أو أفعاله أو في حق كونه معبودا -سواء أكان على قدم التساوي أم أقل منه- هو الشرك بعينه الذي لن يُغفر.

ومن المقدمات التي ينشأ منها الشرك أن يعترف المرء لبشر بأنّ في ذاته أو صفاته أو أفعاله خصوصية لا توجد عند غيره من البشر قط، لا حقيقةً ولا ظليا. فلو قبلنا

[٢٣] الرعد: ٤١

لآدميٍّ أنه متفرد ومستثنى من بين البشر جميعا من حيث فطرته أو لوازم حياته ويملك ميزة إضافية لا نصيب لغيره فيها، لوضعنا نتيجة هذا الاعتقاد غير المبرر جبلاً من الشرك في طريق الإسلام. إن القرآن الكريم يعلّم بصراحة تامة أن الله تعالى الوحيد الحميد الذي يقتضي التوحيد لذاته قد جَعَلَ خلْقه متشاركين في الصفات وجعل البعض مثيلا وشبيها للآخر كيلا توقِع خصوصيةُ فردٍ معين تتعلق بذاته أو صفاته أو أفعاله أو أقواله في خطأ أنَّ ذلك الفرد المعين يملك في نفسه خصوصيةً تفوق بني جلدته بحيث لا يمكن أن يشاركه بها أحد، لا حقيقة ولا ظليا، بل هو واحد لا شريك له في هذه الصفة! فإن سورة الإخلاص في القرآن الكريم تبيّن السر نفسه في أن الوحدانية في الذات والصفات خاصة بالله تعالى؛ فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾.

وما دام الأمر الحق أن أعظم علامة لمعرفة المخلوق هي أن المخلوقات تتشارك وتتشابه ولا يملك أيّ منها ميزة وخصوصية ذاتيه لا يشاركه فيها غيرُه، حقيقةً أو ظليا. فلو قبلنا في هذه الحالة أن أحدا من أفراد البشر يتميّز عن غيره كليًّا من حيث بعض صفاته أو أفعاله، ويفوق لوازم البشرية وينفرد مثل الله تماما في فعله هذا أو صفته، فكأننا جعلناه شريكا في صفة وحدانية الله تعالى. هذا سرّ دقيق فتدبروه حق التدبر.

فلما ذكر الله تعالى في كلامه المجيد وفاة المسيح عليه السلام مرارا، حتى ذكره مقرونا بذكر أمه مريم الصديقة التي توُفّيت باتفاق الجميع فقال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾[٢٤]؛ أيْ كانا يأكلان الطعام ما داما حيَين. لقد كان السبب وراء هذا التأكيد أنه سبحانه وتعالى كان يعلم جيدا -بناء على علمه الأزلي- أن الناس في الزمن الأخير سيقعون في فتنة شديدة نتيجة عقيدة حياة المسيح، وأن تلك الفتنة ستكون مضرة جدا

[٢٤] *المائدة: ٧٦*

بالإسلام، لذا قد حكم سلفا ووضّح بكل جلاء أن المسيح عليه السلام قد توفّي. يظن بعض الجاهلين أن الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ تتضمن وعدًا بموت المسيح فقط ولا يتبين منها سوى أن الله تعالى سيُميته في وقت من الأوقات، ولا يترشح منها أنه قد أماته سابقا. ولكنهم لا يفكرون أنه تعالى قد أخبر بتحقق الوعد أيضا حين قال على لسان المسيح عليه السلام نفسه: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾.

وإضافة إلى ذلك من الجدير بالتفكر أيضا أن وعْد الله تعالى بأنه فاعل كذا وكذا يدلّ على أن ذلك الوعد على وشك التحقق دون تأخير، وليس أن يتحقق وعد الرفع فورا ويبقى وعد التوفّي معلّقا لا يكاد يتحقق منذ ما يقارب ألفَي عام؟

فيا أيها القراء الكرام؛ لا أقصد من كلامي المذكور أن أُظهر على الناس أخطاء المشايخ المعاصرين، لأنني سأتناول لاحقا ما كُشف عليّ من سوء فهمهم وسوء طويتهم وسوء ظنهم وسلاطة لسانهم، وذلك في الرد على أسئلتهم.

ولا أهدف في هذه **المقدمة** إلا إظهار حقيقةٍ لكم بأن المشايخ المعاصرين لم يعرفوا هذا الوقت الحرج الذي يعيشه الإسلامُ. فبدلا من أن ينصروا الإسلام قد نصروا المسيحيين إذ وضعوا في أيديهم جزءا من الدليل بإقرارهم.

لم يوضّح لنا النبي الأكرم ﷺ بدليل واحد فقط بل باثني عشر دليلا قويا وقرينة قاطعة أن عيسى بن مريم عليه السلام قد مات وأن المسيح الموعود من هذه الأمة. ولكن المشايخ في هذا العصر لم ينتبهوا إلى هذا الأمر أدنى انتباه بل قبلوا للإسلام شتّى المفاسد، وقوّوا تلك الآفات الخارجية بافتراءات داخلية، فبسبب هبوب هذه الرياح السامة يواجه الإسلام أخطارا متتالية لا تكاد تنقطع. والآن لا يقبل عاقل أن قوى البشر وحدها قادرةٌ على درءِ هذه المفاسد كلها، وإنما بوسْع الله القادر – على تحويل البحار إلى براري والبراري إلى بحار– أن يزيل هذا الفساد المنتشر في البر والبحر. فيا أيها الإخوة، اعلموا يقينا أن حالة المسلمين الحالية أخطر من حالة

اليهود في زمن عيسى ؛ إذ تحيط بالإسلام سلسلة من المصاعب إحاطة الجبال الشاهقة ببلدة. ولا يصعب على عاقل رأى مفاسد العصر الراهن أن يدرك كم من معوقات صعبة قد أحاطت بالإسلام كالدائرة وكم تصعب سبل النجاح في هذه الحالة. ولكن من المؤسف حقا أن معظم المشايخ المعاصرين، ممن يستحقون الشفقة على جهلهم وغبائهم، يجهلون تماما هذا الطوفان الهائل. ويزداد أسفي أكثر حين أرى أن فتورا كبيرا قد حدث في تقوى هذا الحزب وصدْقهم إلى جانب ما يكنّونه من الإهمال والجهل والفتور تجاه الإسلام؛ وكأن حسن الظن واللباقة والاستقامة وعلوّ الهمة وحسن الأخلاق ومواساة الإسلام والمسلمين قد تلاشت من قلوبهم كليا، وكأن الفضائل الحميدة مثل العفو والإحسان والإخلاص والتصالح قد انمحت من صدورهم نهائيا. إن آلاف أبواب الشر مفتوحة على قلوب أكثرهم وليس هناك باب واحد للخروج من الشر والتوجُّهِ إلى التصالح. وأرى أن روحانيتهم قد اضمحلّت بشدة نتيجة استكبارهم وتعاظم غفلتهم. إنهم منجذبون إلى الدنيا وَجاهِها وشوكتها ويتكاسلون في التوجه إلى الله؛ والسبب في ذلك أنهم قد ابتعدوا عن مشيئة **الوحي** الذي يزكّي القلوب ويغسل الأدران الداخلية.

يقولون ولا يفعلون، يوجّهون الآخرين ولكنهم لا يسلكون ذلك السبيل؛ لذا ختم الله على قلوبهم وجعل فهمهم وعقلهم سطحيا لأن من سنة الله أنه ما لم يكسب الإنسان الأعمال الصالحة بدقة وحذر شديد لا توهَب لقلبه أسرارٌ دقيقة.

هذه هي حالة المشايخ، أما حالة المتنسّكين فتبدو، للأسف الشديد، أسوأ منها إلا ما شاء الله. نجد في قومنا معظم المتنسّكين الذين أساءوا للإسلام؛ إذ أوجدوا آلاف البدعات التي لا أصل لها في الشرع الشريف، وهم متورطون في التقاليد والأفكار السخيفة التي يستحي المرء من ذكرها. يعيش بعضهم مثل الرهبان الهندوس وبأسلوبهم الخاص ولباسهم تقريبا، ويهدرون أعمارهم في مجاهدات همجية عبثية بعيدة

كل البعد عن الطريق المسنون، وبالنظر إلى وجوههم يرى المرء أمارات غضب الله بادية عليها وتبدو وجوههم كريهة لدرجة قد لا يكون في هذا العالم وجه أدلّ على الشقاوة من وجوههم!

إن لدى معظم المتنسكين عادات يزعمونها في قرارة قلوبهم كمالا ويرونها دليلا على أنهم قد قطعوا شوطا طويلا في سبيل الوصول إلى الله. ولكن تلك الأمور في الحقيقة ليست إلا أفكارا مبنية على الجهل والهمجية وبعيدة عن المعارف الحقة كما تبتعد السحابة في ضوء الشمس القوي. لا يستطيعون أن يخدموا الدين أدنى خدمة، ويبدو أن لحياة الكسل وهدر الأوقات والتحرر والخمول والطبيعة الخامدة والتباهي تأثيرا قويا فيهم، وفيها يضيعون حياتهم كلها. وقد بلغ ضعفهم أن عجزوا عن تغيير شيء في عاداتهم التي تنافي الشرع الشريف، وتعارض المبادئ الإنسانية أيضا.

إن كثيرا من الناس ممن يتنكرون بعباءة التنسّك تركوا طرق الإسلام الطيبة قصدا بتحريضٍ من إراداتهم السيئة، فتورطوا في أعمال مشينة ومخجلة لدرجة أشكُّ أن يساويهم الشيطان فيها على سمعته السيئة كلها.

ولكن الحق أن ذنب هؤلاء جميعًا في أعناق المشايخ الذين يهدرون أوقاتهم في خصومات وضِيعة بدل أن يتوجهوا إلى مواساة خلق الله بصدق. هل هم أقل من اليهود في تمسكهم بظواهر الأمور والعكوف على الدنيا وريائهم وإشباع أهوائهم وإثارتهم الفتن والأقاويل؟ كلا، بل توجد عندهم هذه الصفات أكثر من اليهود أيضا، لكنهم يخفونها عن الآخرين بحذلقتهم. يكرهون الصدق ويحبون الكذب. وليس ذلك فحسب بل يريدون أن يدفعوا الآخرين أيضا إلى الهوّة ذاتها التي وقعوا فيها بأنفسهم. ولشقاوة طبعهم تراهم يتمسكون بشكل الدين الظاهري وأدنى جزئيات الشريعة رافضين المساس بحقائق الإسلام العليا ومعارفه الدقيقة وليس لهم أدنى صلة بهذه الأسرار والنكات. وكما أنّ الهواء الذي في مجرى الينبوع يتسبب في تدفق الماء إلى

الأعلى بصعوده في كل لحظة، كذلك حال ينبوع فطرتهم؛ بمعنى أن ذلك الينبوع الذي أخفوه منذ أمدٍ طويل يتدفق في العصر الراهن بقذارة أهوية التعصب وأبخرته. ربِّ ارحم، ربِّ ارحم!

فيا أيها الإخوة، إن تلك الريح السامة منتشرة داخليا وخارجيا أيضا في عصرنا الراهن ولا يسع الإنسان وحده أن يردها، بل إن هذا في قدرة الله الحي القيوم القادر الذي يغير المواسم ويُصرّف الأوقات وينزِّل الغيث بعد شحّ الأمطار. فكما ترون أن شدة الحر تستنزل المطر وذلك أن القيظ حين يبلغ كماله ويقرب إلى درجة يوشك فيها بنو البشر على الهلاك عندها يقع تأثير الحر الشديد في البحار بحكمة الخالق الأزلي الكاملة، فتتصاعد الأبخرة نتيجة شدة الحر، فتجذبها رياحُ البحارِ -الباردة والثقيلة القادرة على الإمساك- وتمتلئ بها كالمرأة الحامل، فتهب الرياحُ القريبة منها تلقائيًا دافعةً إياها، وتتسبب بصفتها واسطة في السحاب الذي يعود تلقائيا إلى الأرض، حيث يكون الهواء حارا نسبيا وألطف وأقل ثقلا وتعارضا. عندها ينزل المطر بقدر الحرّ. والحال نفسه فيما يتعلق بالمطر الروحاني الذي ظل يهطل في مواسمه المناسبة منذ القِدم، بمعنى أنه حين يصل الجدب والمَحل الروحاني منتهاه وكماله في أيام شح الأمطار الروحانية، تهيج حرقة القلوب السعيدة وطلبها ورغبتها هيجانا شديدا ودفعة واحدة، فتوصل تلك الحرارةُ لوعتَها وحرقتَها إلى بحر الرحمة الذي لا شاطئ له، فيتوجه بحر الرحمة إلى تداركها وتصعد الأبخرة النورانية لرحمة الله التي تنزل بغير دعاء أحد أو استحقاقه. عندها يتلقّى تلك الفيوضَ الملائكةُ المقربون الذين حركة نفوسهم وحماستها فاترة وهم مصداق لـ "يفعلون ما يؤمَرون"، ثم إن الطبائع التي هي على صلة بهؤلاء الملائكة -وهم الأنبياء والرسل والمحدَّثون- تُحرّك تلك الفيوض بحماسهم الصادق ويصبحون واسطة ليُمطروه في محلها المناسب الذي فيه حرقة الاستعداد والطلب. ويحدث ذلك على هذا المنوال دائما في وقت الضرورة. غير

أنه لم تعُد هناك حاجة الآن إلى أمطار شديدة بعد أن هطلت بغزارة متناهية في عهد النبي المقدس ﷺ. ولم يَضِع حتى الآن ذلك الماء النقي، ولكن هناك حاجة دائمة إلى أمطار خفيفة حتى لا يحدث خللٌ في خضرة الأرض بوجه عام. فحين يرى الله الحكيم والقدير أن الجدب والمَحْل استولى على الأرض وبدأت بساتينها وأشجارها بالذبول، فإنه يدبّر لنزول الأمطار حتما. هذه هي السنّة الجارية في الكون منذ القِدم، ولن تجدوا لها تبديلا ولا تحويلا. فكان ضروريا بحسب هذه السنّة أن يرحم الله تعالى عباده الضعفاء في هذه الأيام أيضا. انظروا إلى حالة الدهر واشهدوا بأمانة، أليس هذا هو الوقت الذي يحتاج فيه الإسلام إلى نصرة الله بشتى أشكالها؟ هل يوجد في الأزمنة الخالية نظير لما أُهين به الإسلام والرسول الأكرم ﷺ في زمننا هذا، وما شُنَّ من صولات على الشريعة الربانية وما فُتح فيه من أبواب الردة والإلحاد؟ أليس صحيحا أن قرابة مئة ألف شخص قد تنصّروا في الهند في غضون مدة وجيزة؟ وأُلِّف ستون مليون كتاب أو أكثر ضد الإسلام، وقد تَرك الإسلامَ أفرادُ عائلات أصيلة لدرجة أن الذين كانوا يسمَّون "آل الرسول ﷺ" لبسوا لباس النصرانية وصاروا أعداء للرسول، وأُلِّفت ونُشرت ضد النبي ﷺ كتب مليئة ببذاءة اللسان والإهانات والشتائم التي تقشعر لسماعها الأبدان، وتشهد القلوب باكية أنهم لو قَتلوا أولادنا أمام أعيننا وقطَّعوا أعزاءنا وأقاربنا الأقربين في الدنيا إربا وقتلونا أيضا بالخزي والإهانة وغصبوا أموالنا- فوالله ثم والله لما أصابنا حزنٌ وما تعذّبت قلوبنا كما تعذّبت بسماع سبهم وإساءتهم إلى النبي ﷺ. أفلم يأت على الإسلام إلى الآن وقت المصيبة الأخيرة التي قدِّرت في آخر أيام الدنيا؟ هل لأحد أن يثبت أنه سيأتي زمن أسوأ من هذا وأكثر فتنةً بحسب القرآن الكريم والأحاديث؟ فيا أيها الإخوة لا تظلموا أنفسكم واعلموا جيدا أن الوقت قد حان، وبلغت الفتن الخارجية والداخلية منتهاها. فلو وضعتم الفتن الراهنة في كفَّة الميزان وبحثتم للكفة الأخرى في كافة الأحاديث والقرآن

الكريم كله لما وجدتم فيهما فتنًا تساوي جزءا واحدا من ألف جزء منها، دع عنك أن تكون مثلها. فأيّ زمن أكثر فسادا؟ وزمنُ أيّ دجال أكبر سيأتي بعد هذا الزمن ليكون أسوأ منه فتنة؟ هل يمكنكم أن تُثبتوا أنه قد ذُكرت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فتنٌ أخرى أكبر منها ستظهر في المستقبل ولا أثر لها في هذه الأيام؟

اعلموا يقينا أنكم لو سعيتم للبحث عن نظير الفتن الراهنة حتى متّم في سعيكم هذا، لما ثبت من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أن هناك فتنا أكبر من الفتن الحالية ستحدث في المستقبل.

فيا أيها السادة، لقد انتشرت في هذا العصر أنواع دجل قد لا تخطر ببال جدِّ دجالكم الوهمي؛ لقد بُدئ بهذه النشاطات لإغواء خلق الله من آلاف الجوانب التي يحتاج ذكرها إلى مجلد منفصل، وقد حاز فيها العدو انتصارا هزّ القلوب، وقد تركت مكائدهم في القلوب تأثيرا كبيرا على العموم، وقد بذر تمسكُهم بالعلوم الطبيعية وفلسفتُهم بذرة التجاسر والوقاحة حتى أعلن كلٌّ من فلاسفتهم: "أنا الرب". فاستيقِظوا وتنبَّهوا وانظروا ما هذا الوقت الذي حلّ، وفكِّروا إلى أيّ مدى تُعادي الأفكار الراهنة التوحيدَ الخالص لدرجة قد عُدّت فكرة قدرة الله تعالى سخفا بحتا، والذي يتفوّه بكلمة "القدر" يُسمَّى جاهلا مطلقا. والذين يملكون أذهانا فلسفية ينشرون الإلحاد ويفكرون في أن يستولوا على زمام الألوهية كلها بأية طريقة؛ فيزيلوا الأوبئة متى شاءوا ويردّوا الموت متى أرادوا ويُنزّلوا المطر متى أحبوا ويُنبتوا الزروع متى رغبوا، فلا يبقى شيء خارج سيطرتهم. ففكِّروا؛ هل لهذا الضلال حدود في العصر الحاضر؟ لقد وضعتْ هذه الآفات فأسًا على يدَي الإسلام كلتيهما؛ فهبُّوا أيها الراقدون، وانهضوا أيها الغافلون، فإن وقت الانقلاب العظيم قد أتى. إنه لَوقت البكاء لا وقت الرقود، ووقت التضرع لا وقت الاستهزاء والسخرية والتكفير. اُدعوا

الله تعالى ليهبكم عيونا لتروا بها الظلام بالتمام والكمال وتلاحِظوا أيضا ذلك النور الذي أعدّته رحمة الله لمحو تلك الظلمة. استيقِظوا في الهزيع الأخير من الليالي واطلبوا الهداية من الله مبتهلين متضرعين، ولا تدعوا ولا تخطِّطوا بغير حق للقضاء على الجماعة الحقة. إن الله لا يتّبع مكائد غفلتكم ونسيانكم، وسيُظهر عليكم غباوة أذهانكم وقلوبكم، وسينصر عبده. ولن يقطع شجرة غرسها بيده. هل يقطع أحدكم شجرة يرجو إثمارها قريبا؟ فكيف يمكن أن يقطع ذلك الحكيم الخبير وأرحم الراحمين شجرته التي انتظرها أياما مباركة لتُثمر؟ فما دمتم أنتم لا تريدون فعل ذلك فأنّى لعالم الغيب الذي يعلم ما في أعماق كل قلب أن يفعله؟

اعلموا يقينا أنكم في هذه الحرب تضربون بالسيوف أوصالَكم أنتم. فلا تلقوا بأيديكم إلى النار بغير حق وحذار أن تضطرم فتحرق أيديكم وتجعلها رمادا. واعلموا يقينا أنه إذا كان ذلك الغرس من صنع الإنسان لوُجِد كثيرٌ من الناس قادرون على القضاء عليه، ولَما بلغ هذه المدة من الزمن، أيْ اثني عشر عاما، وهو عمر الرشد. فهل رأيتم مفتريا من قبل افترى على الله بأنه يكلّمه ثم بلغ هذا العمر المديد سليما معافى؟

الأسف عليكم أنكم لا تتفكرون في آيات القرآن الكريم ولا تتذكرون قول الله جلّ شأنه للنبي ﷺ بأنك لو تقوّلتَ عليّ قولا لقطعتُ منك الوتين. فمَن أحبّ إلى الله مِن النبي ﷺ حتى يسلَم إلى الآن مع افترائه الكبير إلى هذه الدرجة، بل ينال حظا وافرا مِن نِعم الله تعالى أيضا؟

فيا أيها الإخوة اتركوا أهواءكم النفسانية ولا تتجاوزوا الحدود في الإصرار على أمور تخص علم الله وحده، ومزِّقوا سلسلة عاداتكم وكونوا أناسا جديدين، واسلكوا مسلك التقوى لتُرحموا وليغفر الله لكم ذنوبكم. فاخشَوا وارتدِعوا. أليس فيكم رجل رشيد؟!

وإن لم تنتهوا فسوف يأتي الله بنُصرةٍ من عنده وينصر عبده ويمزّق أعداءه ولا تضرونه شيئا.

[٢٥] *"اِسقِ أشجار الحب بماء عينيك لتعطيك ثمارا حلوة يوما ما.*

إن قمر الإسلام يجمع في نفسه حقائق كثيرة، ولكن لا يعرف محاسنه ذوو نظرة سطحّية.

لقد جئتُ من ذلك الحبيب لأُرِي الخلق هذا القمر، إن لم تربي اليوم فستتحسر حتما يوما ما.

إن كان شأني خافيا على عيَنيك فالزم السكوت على الأقل، لأن المريض لا يُشفى ما لم يلتزم بالحِمْية.

أنت تسمي عشاق الإسلام كافرين لأنك لم تُعطَ عين المعرفة ونور العرفان.

يا أيها الغبي أين نذهب إن فررنا من عتبات المصطفى ﷺ؛ إذ إننا لن نجد الإكرام والثروة في أيّ مكان آخر.

الحمد لله أن القوم قد قاطعوني بأنفسهم، فأتاح الله لي الخلوة بفضله ورحمته.

كم كنت أتأذّى برؤية هذه الوجوه، إنني فخور بحبيبي الذي رزقني الجنة مرة أخرى.

لماذا تحسدني على حيازة القرب من ذلك الحبيب؟ إذا كنتَ قادرا فاقطع رزقا مقدَّرا لي.

لا يصل المرء إلى ذلك الحبيب بالاستكبار، لا ينال الإكرام عنده إلا من حرق لباس العزة.

إذا أردتَ سبيل الله فاترك التباهي بالعلم، إذ لا يُسمَح لأسير الزّهو والنخوة بالدخول في زقاقه.

---

[٢٥] العبارة المائلة هي ترجمة قصيدة فارسية (المترجم).

إذا كنت تريد الله فلا تعلّق قلبك بالنعم الدنيوية، فإن حبيبي يحب الذين يتركون الملذات.

"لا بد من قطرة ماء نقية ليتكوّن فيها اللؤلؤ، أنّى للقلب النجس أن يرى وجه الله المقدس".[٢٦]

لا أريد شيئا من التكريم الدنيوي قط، فلا تضع لي كرسيا، فإني مكلَّف بالخدمة.

إن الناس جميعا والعالم كله يريد العزة لنفسه، ولكني -على النقيض من ذلك- أحبّ الذلة في سبيل الحبيب.

إن جميع الناس يودّون الأمن والعافية في هذا الزمن، ولكن ما الذي دهاني، إذ أتمنى المصيبة؟

حيثما أنظر يتراءى لي وجه الحبيب فقط، فهو يسطع في الشمس، وفي القمر أيضا تبدو ملاحته.

منذ أن علمت أن القلب الجريح المسكين ينال الإكرام في حضرته، صرتُ أطمع بالفقر والتواضع.

لقد قطعتُ جذور الأنانية والعُجب التي يؤتي رجسُها ثمار الكراهية واللعنة.

لو رُفع الحجاب عن روضة قلبي وروحي لرأيتَ فيها وجه المعشوق الطاهر.

لقد نوّر قصرُنا وسقفه بتجلي نور حبّه، ولكن لا يراه إلا من كان ذا بصيرة.

لقد أنعم عليّ نظرُ رحمة ذلك الحبيب بكثرة، وإلا؛ فأنّى لمثلي أن ينال الرشد والهداية.

أصحاب العلوم المادية يعتزّون بعلومهم، وبأيديهم قد ألقوا بعيدًا اللب والمغزى.

لقد غطَّوا عقولهم وفطنتهم بحُجُب الاستكبار، ويطمعون بهذه الخمرة كما يطمع الأطهار بقرب الله.

---

[٢٦] كتب المسيح الموعود عليه السلام على هذا البيت أنه إلهامي. (المترجم)

لقد سرد الله قصة الشيطان ليعلم الناس أن الاستكبار يحوّل العابد أيضا إبليسا.

لقد أمضوا حياتهم في كلام معسول بلا جدوى، ولكن لا يجدون لحظة فراغ لتقصّي الحقائق.

إن تباهيهم وحذلقتهم الظاهرية باطلة في أمور الشرع، فالغافل عن الحقائق لا يفهم الشرع أبدا.

يزعمون أن المسيح الناصري حيٌّ إلى يوم القيامة، ولكن لا يعطون هذه الأفضلية للنبي ﷺ.

فما داموا محرومين منذ الأزل من رائحة مسك العرفان، لذا سمحوا بهذه الذلة بحق سيد العالمين.

لقد رَموا لآلئ القرآن كلها كقمامة، فكم من خسارة أُلحقتْ بملة الإسلام لقصور علمهم!

لقد نصروا المسيحيين جميعا بمعتقداتهم، فتشجّع عبدة الأموات كثيرا.

أنّى لي أن أنام نوما هادئا في هذا الزمن الناري، في حين يستغيث الزمن: هلُمُّوا أغيثوني.

الليلة ليلاء، وخوف من السارق، والقوم غافل، أين أهرب من هذه الهموم كلها؟ فأظهِر يَدَ قدرتك يا رب!

لا أخاف مَن يذرّ التراب على ضيائي، كيف يمكن أن يختفي نور أودعه الله فطرتي!

لا يقلق قلبي نتيجة شغبهم وضجيجهم، فالصادق لا يكون جبانا حتى لو واجَه القيامة."

والآن، قبل أن أتوجه إلى بحوث أخرى أرى من الضروري أن أكتب بحثا في ماهية حقيقة **دين الإسلام** ووسائل الوصول إليها، وثمرات الالتزام بها، لأن فهم

كثير من الأسرار الدقيقة يتوقف على أن تترسخ جيدًا في الذهن أولا حقيقة الإسلام ووسائلها وثمراتها. وسيكون من المفيد جدا لمعاندينا من الداخل أن يقرأوا **حقيقة الإسلام** والبحوث المتعلقة بها بإمعان، لأن الشكوك والشبهات التي هم واقعون فيها قد نشأ معظمها في القلوب لعدم تدبّرهم للحقيقة الكاملة التامة للإسلام ووسائلها وثمراتها. ولا شك في أنه لو قرأ معارضونا من الداخل **ردودي** على اعتراضاتهم بعد التأمل في هذه الحقائق لنجوا من أوهامهم ووساوسهم بشرط أن يقرأوها بتأمل ويفكروا -واضعين تلك الغايات نُصبَ أعينهم- في ردودي التي كتبتها لاستئصال تلك الشبهات وإزالتها، كذلك سيستفيد أهل الأديان المناهضة لنا كثيرا من تبيان تلك الحقائق وسيفهمون في هذا المقام ما هي حقيقة **الدين** وما هي علامات صدقه.

فليكن واضحا أن **الإسلام** في لغة العرب هو إعطاء ثمن الشيء مقدما، أو تسليم المرء عمله لأحد، أو طلب الصلح وترك أمر أو خصومة. أما معنى **الإسلام** اصطلاحا فهو ما أُشير إليه في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢٧]، أيْ أنّ المسلم هو الذي يسلّم نفسه كلية في سبيل الله؛ أي يَنذُر نفسه لله لاتباع مشيئته ﷻ ونيل مرضاته، ثم يثبُت على الأعمال الصالحة لوجه الله، ويسخّر كل قواه العملية في هذا السبيل، أي يصبح لله تعالى وحده اعتقادا وعملا.

والمراد من "اعتقادا" هو أن يعدَّ وجوده كله في الحقيقة شيئا قد خُلق من أجل كسب معرفة الله وطاعته وعشقه ومحبته ومرضاته. وأما "عملا" فمعناه أن يكسب الحسنات الحقيقية -لوجه الله فقط- المرتبطة بكل قدرة وقوة موهوبة من الله بذوق وشوق وتركيز وإخلاص، وكأنه يرى وجه معبوده الحقيقي في مرآة طاعته.

[٢٧] *البقرة:* ١١٣

وبقية ترجمة معاني الآية هي أن الذي تكون نزاهته العملية والعَقَديّة مبنية على محبة ذات الله وتصدر منه الأعمال الحسنة بحماس طبيعي، هو من يستحق الأجر عند الله، لذا فلا خوف على مثل هؤلاء الناس ولا هم يحزنون، بمعنى أن لهم نجاةً حاضرة، لأن الإنسان عندما يؤمن بذات الله وصفاته تتحقق له موافقة تامة معه ﷻ، وتوافقُ إرادتُه إرادة الله، وتكون متعته كلها في طاعة الله تعالى، ولا تصدر منه الأعمال الصالحة بمشقّة بل بِلَذَّة، فهذه هي الحالة التي يجب أن تُسمَّى الفلاح والنجاة والخلاص. وما يُستشعَر به ويُلمس في حالة النجاة في عالَم الآخرة إنما هو في الحقيقة ظلالٌ وآثار لهذه الحالة الراسخة التي ستظهر في ذلك العالم بصورة مادية. والمراد من ذلك أن حياة الجنة تبدأ من هذا العالم، وكذلك يبدأ عذاب جهنم أيضا من رجس هذا العالم وحياة العمى.

فكل ذي عقل سليم يستطيع أن يفهم بعد التمعن في هذه الآية الكريمة بأن حقيقة الإسلام لا يمكن أن تتحقق وتتجسّد في أحد إلا إذا كان وجوده -مع كافة قواه الظاهرية والباطنية- خالصًا لله نذرًا في سبيله، معيدًا إلى الله تعالى كافة الأمانات التي نالها من ذلك المعطي الحقيقي، وأن يُري إسلامه وحقيقته الكاملة عملا لا اعتقادا به فحسب، بمعنى أن يُثبت مدّعي الإسلام أن يديه وقدميه وقلبه وذهنه وعقله وفهمه وغضبه ورحمته وحِلمه وعلمه وكافة قواه الروحانية والمادية وشرفه وماله وراحته وسروره وكل ما له من قمة الرأس إلى أخمص القدمين في الظاهر والباطن حتى نيّاته وهواجسه الداخلية وخواطر قلبه وعواطف نفسه؛ تابعة لله تعالى كما تتبَع الإنسانَ أوصاله.

وباختصار، أن تبلغ قدم صدقه درجة تَجَرُّدِهِ الكامل عن كل ما يملكه، فلا يعود ملكا له بل يصير كله لله تعالى، وتُسخَّر كافة أعضائه وقواه في خدمة الله تعالى وكأنها جوارح الحق ﷻ.

ويتبين أيضا بصراحة وبداهة من التدبر في هذه الآية أن نذْر الحياة في سبيل الله -الأمر الذي هو حقيقة الإسلام- على قسمين، **الأول**: أن يجعل الإنسانُ اللهَ تعالى وحدَه معبودا ومقصودا ومحبوبا له، ولا يبقى له شريك في عبادته وحبه ومخافته والرجاء منه ﷻ، وأن يقبل قلبا وروحا تقديسه ﷻ وتسبيحه وعبادته وكافة آداب عبوديته وأحكامه وأوامره وحدوده وأمور القضاء والقدر السماوية وأن يحمل المرءُ نير طاعة كافة أوامره ﷻ وحدوده وقوانينه وأقداره بكل تواضع وانقياد وبإخلاص تام وأن يعرف بكل دقة جميع الحقائق المقدسة والمعارف اللطيفة التي هي وسيلةٌ لمعرفة قدراته ﷻ الواسعة، وواسطةٌ لمعرفة ملكوته وعلوّ مرتبة سلطانه، وهادية قوية لمعرفة آلائه ونَعمائه.

القسم الثاني لنذر الحياة في سبيل الله هو أن يكرّس المرءُ حياته لخدمة عباده وصالحهم ومواساتهم وحسن معاملتهم ونُصحهم الصادق، وأن يتحمل المرء المعاناة والآلام لإراحة الآخرين، ويرضى بالألم لتوفير الراحة للآخرين.

فاتضح من هذا البيان أن **حقيقة الإسلام** هي الأعلى والأكثر سموًّا، وليس لأحد أن يُلقَّب باللقب الشريف: "المسلم" بمعناه الحقيقي ما لم يسلِّم لله تعالى وجودَه كله مع كافة قواه وأمانيه وإراداته، وما لم يتخلَّ عن أنانيته وجميع رغباته ويسخّر نفسه كليا في سبيله ﷻ. إذًا، سوف يُعدُّ الإنسان مسلما حقيقيًا عندما يُحدِث في حياته الغافلة انقلابًا شديدًا تفنى به نفسُه الأمارة مع جميع جذباتها دفعة واحدة، فينال بعد هذا الفناء حياة جديدة لكونه محسنا لله، وتكون حياته طاهرة بحيث لا يبقى فيها إلا طاعة الخالق ومواساة المخلوق.

والمراد من طاعة الخالق أن يكون المرء جاهزا لقبول كل أنواع الهوان والذلة لإظهار عزة الله وجلاله ووحدانيته، ويكون مستعدا لقبول آلاف الميتات من أجل إحياء وحدانيته، وتقبل يدُه أن تقطع نظيرتها بكل سرور في سبيل طاعته ﷻ،

وينفِّره حبُّ عظَمةِ أحكامه والعطش للبحث عن رضاه ﷻ مِن الذنوب وكأنها نار حارقة أو سمّ فتّاك أو صاعقة قاتلة يجب الفرار منها بجميع ما لديه من قوة. فباختصار، يجب أن يترك المرء رغباته كلها من أجل مرضاة الله ﷻ وأن يرضى تحمّل الجراح المهلكة من أجل الارتباط به ﷻ، وأن يتخلى عن كافة النزعات النفسانية لإثبات الصلة به جلّ شأنه.

والمراد من خدمة خلق الله أن يخدمهم لوجه الله بمواساته الحقيقية والعفيفة قدر استطاعته في جميع حاجاتهم، وفي مختلف الأمور والوسائل التي جعل القسّامُ الأزليُّ الناسَ فيها محتاجين بعضهم لبعض، وأن يعين بقوته التي وهبه الله إياها كلَّ محتاج، ويسعى جاهدا لإصلاح دنياه وأُخراه.

ولكن هذا الوقف في سبيل الله لن يكون اسما على مسمًّى ما لم تتصبغ كافة أعضاء المرء بصبغة طاعة الله تعالى وكأنها أداةٌ لله تصدر بواسطتها الأفعال الإلهية بين حين وآخر، أو كأنها مرآة نقية تنعكس فيها مرضيات الله كلها بصفاء تام؛ فحينما تبلغ طاعاته لله وخدماته هذا المبلغ عندها يصح القول مثلا عن قوى وجوارح شخصٍ امتلك هذه الصفات ببركة صبغة الله هذه -على سبيل الوحدة المشهودة - بأن عينيه هما عينا الله، ولسانه لسان الله، ويديه يدا الله، وأذنيه أذنا الله، ورِجليه رِجلا الله؛ لأن كافة أعضائه وقواه عندما تنقاد لإراداته ﷻ وتصبح صورةً متجسدة لمشيئته تستحق أن تُسمى صورته ﷻ. والسبب في ذلك أنه كما تكون أعضاء المرء تابعة تماما لمرضاة الله ورغبته كذلك يحظى الإنسان الكامل بعد بلوغه هذه الدرجة بانسجام تام مع مرضيات الله تعالى وإراداته، ويجد عظمةَ الله ووحدانيته ومالكيته ومعبوديته وجُلّ مرضاته مرغوبا فيها كما يراها اللهُ تعالى.

فإن هذه الطاعة التامة لله تعالى والخدمة الممزوجة بالحب والمليئة بالإخلاص والحنيفية التامة هي الإسلام وحقيقته ولُبُّه الذي يُنال بعد إيراد الموت على النفس والمخلوقات والأهواء والإرادة.

مدارج السعادة التامة في الإسلام

هنا نكتة جديرة بالانتباه وهي أن الآية التي سبق ذكرها: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تشير إلى الدرجات الثلاث الضرورية للسعادة، وهي **"الفناء والبقاء واللقاء"**. لأنه كما ذكرنا من قبل أن قوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ﴾ يفيد أنه يجب على الإنسان أن يسلِّم لله تعالى وينذر له كافة قواه وأعضاءه وكل ما كان له؛ وهذه الحالة تسمّى "الفناء" بتعبير آخر وذلك لأن الإنسان حينما يسلِّم جميع قواه لله تعالى -بحسب منطوق هذه الآية- وينذرها في سبيله ويتخلى عن ثوائر نفسه وسكناتها فلا شك أنه قد أصابه نوع من الموت، وهذا الموت يسمّيه "الصوفية" باسم الفناء.

أما ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فتشير إلى مرتبة "البقاء"، لأن الإنسان حين يعود إلى النشاط بجذب من الله وحثِّه بعد فناءٍ تامٍ كامل وسلب أهواء النفس، ويتحرك بقدرة الله من جديد بعد انقطاعه من دوافع النفس كلها، فهي الحياة الثانية التي يجب تسميتها بالبقاء.

مدارج السعادة التامة في الإسلام

وأما قوله تعالى ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الدال على إثبات الأجر والثواب ووجوبهما، وعلى نفي الخوف والحزن وسلبهما، فهو إشارة إلى حالة اللقاء، لأن الإنسان حين يحظى بأعلى درجات العرفان واليقين

والتوكل والحب بحيث لا يبقى الأجر على إخلاصه وإيمانه ووفائه أمرا وهميا أو خياليا وظنيا فقط بل يكون يقينيا وقطعيا ومشهودا ومرئيا ومحسوسا

وكأنه قد ناله سلفًا ويتأتى له اليقين بوجود الله تعالى وكأنه يراه ويزول عنه خوف المستقبل ولا يبقى للحزن على الماضي والحاضر أيّ أثر قط، ويرى كل نعمة روحانية كأنها حاضرة وموجودة في ذلك الوقت فإن هذه الحالة البريئة من كل انقباض وتكدُّر ومن كل شك وريب والبريئة من ألم الانتظار، أيًّا كان نوعه، تُسمَّى "**اللقاء**"، فكلمة "**محسن**" المذكورة في الآية تدل دلالة صريحة على مرتبة اللقاء هذه؛ لأن "الإحسان"، كما شرحه النبي ﷺ، هو حالة الكمال حين يُنشئ الإنسان مع الله تعالى، من خلال عبادته، علاقة وكأنه يراه.

ومرتبة **اللقاء** هذه تتحقق للسالك كاملة حين تغشّي الصبغةُ الإلهية صبغة البشرية وصفاتها، وتخفيها تحتها بالتمام والكمال كما تغطّي النار لون الحديد لدرجة لا يُرى بالنظر الظاهر شيءٌ سوى النار. ولقد تعثّر بعض السالكين بعد بلوغهم هذا المقام إذ حسِبوا علاقة الشهود كعلاقة الوجود. وأولياء الله الذين

أطفال الله

بلغوا هذه الدرجة أو الذين حظُوا بجرعة من هذه الكأس سماهم بعض الصوفية "**أطفال الله**" لأن أولياء الله هؤلاء يجلسون في كنف صفات الله تعالى كليا. وكما أن ابن أحدكم يشبه أباه إلى حد ما في ملامحه، كذلك الأولياء أيضا يشبهون إلى حد ما صفات الله الحسنة ظليا بسبب تخلُّقهم بأخلاق الله. ومع أن الأسماء من هذا القبيل ليست مستخدمة في شريعة الإسلام بصورة واضحة، ولكن العارفين قد استنبطوها في الحقيقة من القرآن الكريم نفسه، لأن الله جلّ شأنه يقول: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[٢٨]. فمن الواضح أنه لو كان استخدام هذه الكلمات على سبيل المجاز من المنهيات الشرعية لنزّه الله تعالى كلامَه من هذا الأسلوب الذي يُستنبط منه جواز إطلاقِها.

---

[٢٨] *البقرة:* ٢٠١

وفي درجة اللقاء هذه تصدر عن الإنسان أحيانا أعمالٌ تبدو وكأنها تفوق قدرات البشر وتتسم بصبغة قدرة الله، كما أن **سيدنا ومولانا سيد الرسل خاتم الأنبياء** ﷺ حين رمى بحفنة من الحصى إلى الكفار في معركة بدر، فما رماها بواسطة دعاء بل رماها ﷺ بقوته الروحانية هو، ولكن تلك الحفنة أظهرت قدرة الله تعالى وتركت في صفوف جيش العدو تأثيرا خارقا للعادة بحيث لم يبق منهم أحد لم يصب تأثيرُها عينَه، فصاروا جميعا كالعميان وسادتهم الحيرة حتى بدأوا يهربون كالمذهولين. فإلى هذه المعجزة يشير الله جلّ شأنه بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[٢٩]؛ أي قد عملتْ قدرة الله تعالى في الخفاء، ولم يكن ذلك من صنع الإنسان.

معجزات رسول الله الاقتدارية

كذلك إن معجزةً أُخرى للنبي ﷺ وهي شق القمر، قد ظهرت بقدرة الله نفسها إذ لم يرافقها دعاء، لأنها أيضا حدثت بإشارة إصبع كانت تتمتع **بقدرة الله**، وهناك معجزات أخرى كثيرة من هذا القبيل أظهرها النبي ﷺ كقدرةٍ شخصية منه ولم يرافقها دعاء. ففي كثير من الأحيان أدخل ﷺ إصبعه في ماء قليل في قدحٍ فكثّره حتى شرب منه الجيش كله والخيل والإبل، ومع ذلك بقي الماء بالقدر نفسه الذي كان عليه من قبل. وقد حدث مرات عديدة أن وضع النبي ﷺ يده المباركة على بضع أرغفة من الخبز وملأ بها بطون آلاف الجياع. وفي بعض الأحيان الأخرى بارك بشفتيه قدحا من الحليب وأشبع به جماعة من العطاش الجياع. وأحيانا أخرى مزج لعابه في بئر ماء مالح وحوّله إلى ماء عذب وزلال. وتارة شفى المصابين بجروح بالغة بوضع يده المباركة عليهم، وتارة أخرى شفى ببركة يده العيون التي خرجت مقلتها في

معجزات رسول الله الاقتدارية

[٢٩] *الأنفال: ١٨*

الحروب. وكذلك أنجز أعمالا أخرى كثيرة من هذا القبيل بقدرته الشخصية التي رافقتها قدرة الله الخفيّة.

أما لو أنكر البراهمة والفلاسفة وأتباع مذهب الطبيعة المعاصرون هذه المعجزات فهم معذورون لأنهم غير قادرين على أن يدركوا تلك المرتبة التي ينال فيها الإنسان ظلّيّا قدرةً إلهية، فلو سخِروا من هذه الأمور لكانوا معذورين في ذلك أيضا لأنهم لم يجتازوا من درجات البلوغ الروحاني سوى درجة الطفولة وليسوا على حالة ناقصة فقط، بل هم مسرورون أن يموتوا على هذه الحالة الناقصة.

حالة المسيحيين المؤسفة

لكننا نتأسف أكثر على المسيحيين الذين سمعوا من هنا وهناك بعض الخوارق عن المسيح عليه السلام المماثلة لهذه المذكورة -لكنها أدنى درجةً منها- واتخذوها دليلا على ألوهيته، ويقولون بأن إحياءَ المسيح الموتى وشفاءه المفلوجين والمجذومين كانا بقدرته هو وليس نتيجة الدعاء، وهذا دليل على أنه عليه السلام كان ابن الله، بل كان إلها على وجه الحقيقة. ولكن الأسف كل الأسف أن هؤلاء المساكين لا يعرفون أنه لو صار أحد إلها

قد أُعطي نبينا صلى الله عليه وسلم معجزات اقتدارية أكثر من غيره

نتيجة أمور كهذه لكان سيدنا ومولانا صلى الله عليه وسلم أحق بالألوهية من غيره، لأن الخوارق الاقتدارية التي أظهرها صلى الله عليه وسلم لم يُرها المسيح عليه السلام قط. أما هادينا ومقتدانا صلى الله عليه وسلم فلم يُر هذه الخوارق الاقتدارية بنفسه فقط بل ترك في أمته سلسلتها الطويلة التي تمتد إلى يوم القيامة كما ظلت تظهر في كل عصر وزمان بحسب مقتضاه وسوف تظل تظهر على الدوام إلى آخر الدنيا. ويتعذر العثور على نظير لظل القدرة الإلهية

الذي حظي به أولياء هذه الأمة. فأيّة غباوة أن يُعدّ أحد إلها أو ابنَ إله بناءً على هذه الخوارق. فإذا كان الإنسان يعدّ إلها نتيجة هذه الخوارق فإلى أين تنتهي سلسلة الآلهة؟

المعجزة الاقتدارية تبقى أدنى درجة من قدرات الله تعالى المباشرة

ولكن الجدير بالذكر أن هذه الخوارق الاقتدارية -وإن كانت من عند الله- لا تساوي بحال من الأحوال أفعالَ الله الخاصة التي تظهر للعيان دون وساطة إرادة غيره، وليس مناسبا أن تتساوى معها أصلا. لذلك كلما أظهر نبي أو وليّ أمرا خارقا للعادة على سبيل الاقتدار -دون وساطة الدعاء- ولم يقدر إنسانٌ على إظهار مثله قط، كان فعْله هذا أدنى درجة من أفعال الله التي يُظهرها ﷻ علنا وجهارا وبقدرته الكاملة، بمعنى أنه لا بد أن تضم المعجزة الاقتدارية في طياتها نقصًا وضعفًا حتمًا مقابل أفعال الله التي تَظهر من الله جلّ شأنه مباشرة لكيلا يحدث التشابه في الخلق في رأي السطحيين. لذلك فإن عصا موسى بقيت عصا مع أنها تحوَّلت إلى ثعبان مرارا. وإن طيور عيسى -مع أن طيرانها على سبيل المعجزة ثابت من القرآن الكريم- بقيت طينا على أية حال. ولم يقل الله تعالى مطلقا بأنها صارت حية أيضا.

ولكن لما كانت القدرة الإلهية في **خوارق نبينا ﷺ الاقتدارية** أكثر من غيرها -لأن شخصه ﷺ كان مثالا أتم وأعلى وأرفع وأكمل لظهور التجليات الإلهية- فنحن عاجزون عن تحديد خوارق النبي ﷺ الاقتدارية في درجة معينة من درجات البشرية. ولكننا نؤمن بأنه لا بد أن يكون هناك أيضا فَرق خفيٌّ في فعل الله جلّ شأنه وفعل رسوله الأكرم ﷺ.

إنما غايتي من هذا التوضيح أنْ أبيّن أنه عندما يحوز الإنسان مرتبة "اللقاء" فإنّه تصدر منه حتما أفعال إلهية في أوقات **تموُّج** هذه المرتبة. ولو قضى أحد جزءا من عمره في صحبة مثل هذا الشخص حقيقةً لشاهَد شيئا من الخوارق

الآيات الاقتدارية تصدر من أهل الله في مرتبة اللقاء

الاقتدارية حتما؛ إذ يعلو الإنسانَ شيءٌ من صبغة الصفات الإلهية في حالة هذا التموُّج لدرجة تصبح رحمتُه رحمَة الله، وغضبُه غضب الله. وفي كثير من الأحيان يقول ذلك الإنسان بغير الدعاء لشيء كُن فيكون. وينظر إلى أحد بنظر الغضب فينزل عليه الوباء، وينظر إلى غيره برحمة فيصير مورد الرحمة عند الله. وكما أن أمر الله "كن" يُحدث نتيجة حتمية دون تأخير، كذلك فإن أمره "كن" أيضا لا يخطئ في حالة التموُّج والـمَدّ. وقد بينتُ من قبل أنّ السبب الحقيقي وراء الخوارق الاقتدارية هو أن هذا

لأهل الله في كل شيء بركة

الشخص يتصبّغ بصبغة الله ﷻ على وجه الظلية بسبب قوة الاتصال معه، وتستولي عليه التجليات الإلهية بصورة دائمة، ويزيل اللهُ –الحبيبُ الحقيقي– الحُجُبَ الحائلة بينهما، ويأخذه في حضنه ويقرّبه بشدة. وكما أنه ﷻ مبارِك بنفسه كذلك يضع البركة في أقوال ذلك الشخص وأفعاله وحركاته وسكناته وطعامه ولباسه ومكانه وزمانه وجميع لوازمه. فكل شيء يلمسه يتبارك منه دون دعائه. فتكون البركة في بيته، وتكون أبوابه وعتباته مترعةً بالبركات، وتنزل البركة على أبوابه فيشهدها

كيفية مرتبة البقاء واللقاء

في كل حين وآن، ويشم رائحتها. وحين يسافر هذا الإنسان يكون الله تعالى معه بجميع بركاته. وعندما يعود إلى بيته يأتي معه بحر من النور. فباختصار يكون هذا الإنسان غريبا حقا لا يدرك كنهه إلا الله تعالى.

هنا فليكن واضحا أيضا أنه بعد تحقق درجة **الفناء في الله**؛ أيْ بعد الدرجة التي يستلزمها ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ﴾ –التي يسميها الصوفيةُ باسم

"**الفناء**" ويسميها القرآن الكريم باسم "**الاستقامة**"- تليها درجة البقاء **واللقاء** دون تأخير؛ بمعنى أنه عندما ينقطع الإنسان عن الخَلق والأهواء والإرادة تماما ويبلغ حالة الفناء تبدأ درجة البقاء فور رسوخ هذه الحالة. ولكن ما لم تترسخ هذه الحالة وما لم يصبح الخضوع التام أمام الله تعالى أمرا طبيعيا فلا تتحقق مرتبة البقاء، بل لا تتحقق هذه المرتبة إلا بعد زوالِ كل أنواع التصنع، وانبثاقِ أغصان الطاعة الخضِرة من القلب مترنحةً مثل النبات تماما، وأن يصبح لله في الحقيقة كل ما كان يعدّه الإنسان لنفسه، وأن تكون جميع لذاته الكاملة في عبادة الله وذكره تعالى كما يجد الآخرون ملذاتهم في إشباع الهوى، وأن تحل مرضيات الله تعالى محلّ نزعات الإنسان النفسانية.

كيفية مرتبة البقاء واللقاء

ثم عندما تستحكم حالة **البقاء** هذه جيدا وتترسخ في كل جزء من أجزاء جسد السالك وتصبح جزءا لا يتجزأ من كيانه **ويُرى نور ينزل من السماء**، فبنزوله تزول الحُجُب كلها وينشأ في القلب حبٌّ لطيف وعذبٌ جدا ممزوج بالحلاوة لم يكن موجودا من قبل ويشعر القلب بالارتياح والطمأنينة والسكينة والسرور مثلما يشعر به المرء عندما يلقَى -صدفة وبعد فراقٍ طويل- صديقًا حميمًا ويعانقه. تبدأ كلمات الله تعالى المنيرة والعذبة والمباركة والمفرِحة والفصيحة والمعطَّرة والمبشِّرة بالنزول عليه في قيامه وقعوده ونومه ويقظته كما يهبّ على بستانٍ صباحًا نسيمٌ عليل يحمل معه نوعًا من النشوة والسرور ويُجذَب الإنسان إلى الله تعالى بحيث لا يمكنه أن يعيش دون حبّه ﷻ وتصوِّره كالعاشقين ولا يكون جاهزا للتضحية بماله وروحه وشرفه وأولاده وبكل ما لَه فحسب، بل يكون قد ضحّى بها حقيقةً من أعماق قلبه، ويكون قد جُذب بجذب قوي دون أن يدرك ما حدث له ويجد في نفسه انتشارا للنورانية بشدة كطلوع النهار، ويشاهد أنهار

الإخلاص والحب والوفاء تجري بداخله بكل قوة وشدة، ويشعر في كل لحظة **كأن الله قد نزل على قلبه**. حين تشعرون بهذه الحالة وبكل علاماتها افرحوا واشكروا الحبيب الحقيقي، فهذه هي الدرجة الأخيرة التي سُمِّيت بـ "**اللقاء**".

سلوك السالك يكون إلى مرتبة الفناء فقط

وفي هذا المقام الأخير يشعر الإنسان وكأنه غُسل بمياه طاهرة كثيرة وأُبعِدت عنه الدوافع النفسانية كليا وخُلق من جديد وفُرش بداخله عرش رب العالمين، ومثُل أمامه وجهُ الله القدوس إلى الأبد مع كل حُسنه وجماله الأخّاذ. ولكن إلى جانب ذلك يجب التذكّر أيضا أن الدرجتين الأخيرتين "أيْ البقاء واللقاء" لا تُكتسَبان بل توهَبان، وأن دائرة الاكتساب والجهد تمتد إلى درجة الفناء فقط، وعندها ينتهي سَيرُ السالكين الصادقين وسلوكُهم. وتصل دائرة الكمالات البشرية إلى استدارتها التامة. وعندما يجتاز طيّبو الباطن درجة الفناء كما يجب، يهبّ نسيم رحمة الله دفعة واحدة بحسب سنة الله ويوصلهم إلى درجة البقاء واللقاء.

ظل روح القدس الكامل ينشأ بالتقاء الحبّين في حالة اللقاء

فالواضح من هذا البحث أن كافة صعوبات السلوك ومشقته تنتهي عند درجة الفناء، ولا دخْل لسعي الإنسان ومجاهدته ومشقته وجهده بعدها، بل إن ذلك الحب الصافي الذي يتولد في قلب الإنسان تجاه الله تعالى في حالة الفناء تنزل عليه جذوةُ الحب الجليّة من الله، ويعبّرون عن هذه الدرجة بدرجة **البقاء واللقاء**. وعندما ينزل حب الله على حب العبد ينشأ ظل منير وكامل لروح القدس في قلب الإنسان بالتقاء الحبَّين، وفي درجة اللقاء هذه يكون نورُ روح القدس ساطعا جدا.

سبب ظهور المعجزات الاقتدارية والآيات

إن الخوارق الاقتدارية السابقة الذكر تصدر من هؤلاء لأن نور روح القدس يحالفهم دائما ويسكن فيهم فلا ينفصلون عنه ولا

ينفصل النور عنهم أبدًا في حين من الأحيان، ولا في حال من الأحوال. يخرج هذا النور مع نَفَسهم دائما ويقع مع نظرهم على كل شيء، ويُري الناس لمعانه من خلال كلامهم. وإن هذا النور يسمّى

روح القدس؛ ولكن هذا ليس روح القدس الحقيقي، بل إنّ روح القدس الحقيقي هو ذلك الذي في السماء وروح القدس هذا إنما هو ظله الذي يسكن في الصدور والقلوب والأذهان الطاهرة للأبد ولا ينفصل عنها طرفة عين، ومَن رأى أن **روح القدس** هذا ينفصل عنه بكل تأثيراته فهو على الباطل تماما، ويسيء بأفكاره المظلمة إلى أصفياء الله المقدسين.

الاعتقاد أن روح القدس ينفصل عن الأولياء والأنبياء في حين من الأحيان باطل

صحيح تماما أن **روح القدس** الحقيقي يبقى في مكانه، ولكن ظله -الذي يسمَّى مجازًا أيضًا روح القدس- يدخل تلك الصدور والقلوب والأذهان وكافة أعضاء الذين يستحقون نزول حب الله الكاملِ مع بركاته على حبهم الأصفى والأجلى بعد نوالهم مرتبة **البقاء واللقاء**. وعندما ينزل روح القدس المذكور يتعلق بكيان ذلك الإنسان تعلُّقَ الروح بالجسد، فينوب مناب قوة البصر ويعمل عمل العيون، ويصبح قوة الشم ويهب الآذانَ حِسًّا روحانيا، ويمثّل كلام اللسان وتقوى القلب وذكاء الذهن ويسري في اليدين ويوصل تأثيره إلى القدمين أيضا.

نور روح القدس يخالط الكمّل دائما ويسري في جميع قواهم

زبدة الكلام أنه يزيل الظلمة كلها من كيان الإنسان وينوّره من قمة الرأس إلى أخمص القدمين. ولو انفصل عنه طرفة عين لحلّ محله الظلام. ولكنه "**نعم القرين**" الذي أُعطيه الكمّل من الناس إذ لا ينفصل عنهم لحظة واحدة. أما الاعتقاد بإمكانية انفصاله عنهم فهو إقرار بتعبير آخر على وقوعهم في الظلام مرة أخرى بعد أن خرجوا إلى النور، وتعود إليهم النفس الأمارة بعدما عُصموا منها، وتُبطَل وتُعطَّل

حواسهم كلُّها بعد أن فُتحت عليهم حواس روحانية.

فيا مَن تُنكرون هذه **الحقيقة** وترفضون **نكتة المعرفة هذه** لا تستعجلوني واستشهدوا بنور قلوبكم، هل ابتعاد نور العباد الأصفياء عنهم كليًّا في وقت من الأوقات أمرٌ واقعي؟ هل يصحّ أن تُفقَد من المؤمنين الكُمّل أحيانا جميع الآيات النورانية عند كمال إيمانهم؟

وإذا قلتم: متى قلنا إن نور الأصفياء الروحاني كله ينطفئ في وقت من الأوقات ويحيط بهم الظلام كليا؟ فجوابه أن هذا ما يتبين من **اعتقادكم**؛ إذ تعتقدون أيضا -التزاما بآيات كلام الله واتّباعها- أن **الأصفياء** يُعطَون كل نور وسكينة وطمأنينة وبركة واستقامة وكل نعمة روحانية بواسطة **روح القدس** فقط. وكما اعتُبر الشيطان **بئس القرين** للأشرار والكفار إلى الأبد لينشر فيهم الظلمة

بطلان الاعتقاد القائل أن روح القدس لا يبقى مع المقربين دائما بل كثيرا ما يقطع علاقته المباركة بهم ويصعد إلى السماء فيبقون بدونه

دائما فلا يفارقهم في قيامهم وقعودهم وحركتهم وسكونهم وفي حالة نومهم ويقظتهم، كذلك أُعطي المقرَّبون **روح القدس كنعم القرين** لكي ينزّل عليهم النور دائما ويكون في تأييدهم في كل حين ولا ينفصل عنهم في وقت من الأوقات.

فمن الواضح الآن أنه ما دام ضروريا أن يكون **نعم القرين** رفيق **المقربين** وأنيسهم دائما وفي كل حين -كما يخبر القرآن الكريم- مقابل **بئس القرين** الذي يلازم أشد الناس شرًّا ويرافقهم دائما، فلو جاز انفصال **نعم القرين** عن المقربين -كما يزعم إخوتنا من قومنا الذين يعاندوننا من الداخل، ويقولون بأن روح القدس -وهو اسم جبريل- ينزل تارة من السماء ويقترن بالمقربين بشدة حتى يتبوأ قلوبهم، وتارةً أخرى يتركهم وحدهم ويهجرهم ويبتعد عنهم ملايين الأميال بل إلى مسافاتٍ لا تُعد ولا تحصى،

الاعتقاد أن روح القدس كان كثيرا ما ينفصل عن النبي ﷺ إساءة كبيرة

ويصعد إلى السماء ويقطع علاقته عن هؤلاء المقربين تماما ويختفي في مستقره، عندها يحرمون كليا من ذلك النور وتلك البركة التي تنشأ عند نزوله في قلوبهم وأذهانهم وفي كل جزء من كيانهم- أفلا يستلزم هذا الاعتقاد أن الظلمة تحيط بهؤلاء الأصفياء مرة أخرى بعد انفصال روح القدس عنهم، ويسري فيهم تأثير **بئس القرين** نتيجة فِراق **نعم القرين**؟ والعياذ بالله. يجب أن تفكروا قليلا بتقوى الله وخشيته، هل هذا هو الأدب؟! وهل هذا هو الإيمان والعرفان؟!

وهل هذا هو حُبُّ رسول الله ﷺ؟!

بأن يُسمَح بهذا العيب والحالة المتردية للنبي ﷺ وكأن روح القدس كان يهجره فترات طويلة وكان ﷺ يُحرم من الأنوار القدسية التي هي ظل روح القدس؟ والأدهى والأَمرّ من ذلك أن المسيحيين يعتقدون بحق المسيح قطعا ويقينا[٣٠] أن روح القدس لم يهجره قط منذ أن نزل عليه بل كان عليه السلام مؤيَّدا به دائما وأبدا حتى ما كان لينفصل عنه أثناء نومه ولم يصعد إلى السماء تاركا إياه وحيدا مهجورا، ولم ينفصل عنه عليه السلام نورُ روح القدس ولا لحظة واحدة في حين من الأحيان، بينما يعتقد المسلمون بأن روح قدس النبي ﷺ كان يهجره، ويقرّون أمام أعدائهم بكل صراحة بأن النبي ﷺ لم يحظَ بصحبة دائمة لروح القدس مثل عيسى عليه السلام.

الآن، تأملوا جيدا، فأية إساءة وسوء أدب أكبر من أن يهان النبي ﷺ إهانة صريحة بإعطاء المسيحيين فرصة للاعتراض؟ مَن منا لا يعرف أن نزول روح القدس

[٣٠] ملحوظة: هذا ما يعتقد به المسلمون أيضا عن المسيح عليه السلام، انظر تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، ومعالم، وفتح البيان، والكشاف، والتفسير الكبير، وتفسير الحسيني وغيرها تحت آية: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ *(البقرة: ٨٨)* الأسف، ثم الأسف، ثم الأسف! منه.

مدعاة للنور وأن هجرَه سبب الظلام والظلمة وسوء الاعتقاد وضياع الإيمان؟ أنقذ الله الإسلامَ من شر هؤلاء المسلمين الذين يدّعون نطق شهادة الإسلام ثم يهاجمون رسول الله ﷺ. إن المسيحيين لا يعتقدون -حتى عن الحواريين- أن روح القدس كان يهجرهم في وقت من الأوقات، بل يعتقدون أنهم كانوا يوصلون فيض روح القدس إلى الآخرين أيضا، أما هؤلاء القوم فمع تسميتهم أنفسهم بالمسلمين والمشايخ والمحدثين ونيل الألقاب مثل "شيخ الكل" يسيئون الظن بحق خاتم المرسلين وخير الأولين والآخرين ويطيلون اللسان إلى هذه الدرجة ومع ذلك يبقون مسلمين! والآخرون في نظرهم كفار!

الدليل من الآيات والأحاديث على أنّ روح القدس يبقى مع المقربين دائما

إذا طُرح سؤال: أين جاء في القرآن الكريم صراحةً أو إشارة أن روح القدس يبقى مع المقربين دائما ولا يهجرهم؟ فجوابه أن القرآن الكريم زاخر بهذه التصريحات والإشارات، بل يعد كلَّ مؤمن بصحبة روح القدس؛ فمن جملة الآيات التي تصرِّح بذلك أوائل آيات سورة الطارق وهي: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[٣١]، فالآية الأخيرة منها ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ التي معناها أن على كل نفسٍ ملاكًا حافظا، تدل دلالة

هناك ملاك موكّل بكل نَفْس لبقائه وصدور أفعاله

صريحة على أنه كما أن هناك ملاكا موكَّلا على وجود الإنسان الظاهري لا ينفصل عنه كذلك هناك ملاكٌ موكَّل بحفظ باطنه أيضا فيحفظه من الشيطان ويحميه من ظلمة الضلال، وهو **روح القدس** الذي لا يسمح بتسلُّط الشيطان على عباد الله الخواص. وهذا ما تشير إليه أيضا الآية:

---

[٣١] *من هنا تبدأ في الأصل حاشية طويلة وقد أخّرناها إلى ص ٤٥١ بأمر من سيدنا أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره العزيز. (المترجم)*

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ[٣٢]﴾.

لاحظوا كيف تبين هذه الآية بصراحة تامة أن مَلاكا من ملائكة الله يبقى مع الإنسان دائما وفي كل حين لِحفظه، ولا يفارقه لحظة واحدة، فهل يمكن أن يخطر بالبال في هذا المقام أن يكون هناك ملاكٌ موكَّل بالإنسان لرقابته المادية دائما ولم يوكل برقابتة الروحانية الدائمة؟ كلا بل إن أكثر الناس تعصبا أيضا يستطيع أن يفهم أن حفظ الباطن والروح أهم من حفظ الجسد، لأن ضرر آفة الجسد يقتصر على هذا العالَم، أما آفة الروح والنفس فتُلقي بالمرء في جهنم أبدية. فكيف لنا أن نزعم أن الله الرحيم الكريم الذي يرحم جسد الإنسان الذي سيصبح ترابا غدا لا يرحم **روح الإنسان**؟ فثابت من هذا النص القطعي واليقيني أن **روح القدس** أو قولوا إن شئتم "ملاك الرقابة الداخلية" يبقى مع الإنسان الصالح دائما كما يكون معه لحفظه المادي.

الرد على أنه إذا كان روح القدس خاصا بالمقربين فلماذا يُوهَب لعامة الناس

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم بهذا المعنى يثبت منها أن هناك ملائكة موكّلين لتربية الإنسان وحفظه الظاهري والباطني ولتسجيل أعماله ويبقون معه على الدوام. فمن جملة تلك الآيات قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾[٣٣]، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[٣٤]، ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾[٣٥] أيْ أن لله حافظين يرسلهم عليهم فيحفظونهم من كل جانب، ظاهريا وباطنيا أيضا.

---

[٣٢] *الحجر: ٤٢*

[٣٣] *الانفطار: ١١*

[٣٤] *الأنعام: ٦٢*

[٣٥] *الرعد: ١٢*

وفي هذا المقام أورد صاحب "معالم"[٣٦] حديثا يفيد أن لكل عبد ملاكا موكّلا يبقى معه دائما ويحفظه في أثناء نومه ويقظته من الشياطين والبلايا الأخرى. وبهذا المعنى أورد حديثا آخر برواية كعب الأحبار. وقد أورد ابن جرير في تأييد هذه الآية حديثا: "إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم". وقد جاء في هذا المقام عن عكرمة حديث مفاده أن الملائكة يرافقون الإنسان دائما لحفظه من كل شرّ، وعندما ينزل القدر المبرم يهجرونه. ونُقل عن مجاهد أنه ما من إنسان لم يوكل لحفظه الدائم ملاك. ونُقل حديث آخر عن عثمان بن عفّان يتلخص في أن عشرين ملاكا يلازمون الإنسان لأداء مهمات مختلفة، وأن إبليس يترصّد للإضرار في النهار ويترصد أبناؤه للغرض نفسه ليلا. وقد أورد الإمام أحمد رحمة الله عليه الحديث التالي: "حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا سُفْيَان حدثني مَنْصُور عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِيه عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِن الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِن الْمَلَائِكَةِ. قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ وَإِيَّايَ لَكِنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ." انفرد بإخراجه مسلم.

الدليل من الأحاديث على أنّ الملائكة الآمرين بالخير والشيطان الآمر بالشر يرافقون الإنسان

فمن هذا الحديث يتبين بكل وضوح أنه كما وُكِّل بالإنسان الداعي إلى الشر الذي يرافقه دائما، كذلك قد وُكِّل الداعي إلى الخير أيضا بكل بشرٍ لا يهجره في حال من الأحوال، بل هو قرينه ورفيقه دائما. ولو وكَّل الله تعالى بالإنسان داعيا إلى الشر فقط دون توكيل الداعي إلى الخير لوصم ذلك عدل الله ورحمه

ثابت من الحديث الصحيح أنّ الإنسان أُعطي قرينَين، أحدهما يدعو إلى الخير والآخر يدعو إلى الشر

[٣٦] *معالم التنزيل للإمام البغوي. (المترجم)*

بأنه ﷻ وكّل الشيطانَ قرينًا ورفيقًا دائما لفتنة الإنسان الضعيف الذي ترافقه النفس الأمارة سلفًا بحيث يجري منه مجرى الدم ويدخل في قلبه ليترك فيه نجاسة الظلمة ويثير الشر ويخلق الوساوس، ولم يوكّل به أيّ رفيق لدعوته إلى الحسنة حتى يدخل هو الآخر قلبَه ويجري في الدم لكي تتساوى كلتا الكفتين. ولكن لما ثبت من آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أنه كما وكّل الله تعالى الشيطان قرينا دائما ليدعو إلى الشر كذلك وكّل ذلك الرحيم والكريم من ناحية ثانية **روح القدس** بالإنسان قرينًا للأبد لدعوته إلى الحسنات. وليس ذلك

فحسب بل إن تأثير الشيطان ينعدم تماما في مرتبة البقاء واللقاء وكأنه يُسلم، ويلمع نور روح القدس إلى أقصى الدرجات. فمَن له أن يعترض **عندها** على هذا التعليم المقدس والأعلى إلا من كان غبيا أو أعمى يعيش كالبهائم فقط وليس له من نور التعليم المطهّر نصيب. **بل الحق والواقع** أن هذا التعليم القرآني أيضا يُعدّ معجزة من جملة المعجزات لأن الحسن والاعتدال والحكمة التي حلّ بها هذا التعليمُ عقدةَ أنه لماذا توجد في الإنسان عواطفُ الخير والشر القويةُ؟! -لدرجة أنّ أنوارها أو ظلماتها تلاحَظ بكل وضوح في عالم الرؤيا أيضا- لم يبينها أيّ كتاب آخر بهذا الأسلوب المحكم والصادق. وما يزيد الأمر إعجازا هو أنه لا يتوصل المرء إلى أيّ أسلوب ناجع سواه، إذ ترِد على أساليب أخرى اعتراضات لا يمكن الخلاص منها بحال من الأحوال؛ لأن قانون الله في الطبيعة يثبت لنا بوجه عام أن الفائدة التي تستمدها نفوسنا وقوانا وأجسامنا من الله، مبدأ الفيض، إنما تُستمد بواسطة بعض الأشياء الأخرى. فمثلا صحيح أن الله هو الذي يهب عيوننا نورا ولكننا ننال ذلك النور بواسطة الشمس. كذلك إن ظلمة الليل التي تريح نفوسنا ونؤدي أثناءها حقوق

إن تعليم القرآن أنه قد وُكّل بالإنسان داعٍ إلى الخير وداعٍ إلى الشر كلاهما، معجزةٌ علمية لكونه مبنيا على نظام دقيق وحكيم عظيم

نفوسنا تأتي منه ﷻ في الحقيقة، لأنه هو علة العلل لكل مخلوق. ثم حين نرى أن هناك قانونا محددا منذ القِدم لفائدتنا، فإننا نجد كل فيض من فيوض الله بواسطة غيرنا -وإن كنا نملك في أنفسنا أيضا قوى لقبول ذلك الفيض- كما أن أعيننا تملك نوعا من النور لقبول الضوء، وأن آذاننا أيضا تملك في أعصابها حواس لتلقّي أصوات يوصلها الهواء إلينا، ولكن هذا لا يعني أن قوانا مخلوقة بصورة مستقلة وكاملة بحيث لا تحتاج إلى مُعينات أو مساعِدات خارجية قط. فلا نرى مطلقا أن قوة من قوانا الجسدية يمكن أن تعمل كما هو حقها بناء على مَلَكة فيها دون أن تحتاج إلى مُعِين أو مساعد خارجي. فمهما كانت عيوننا حادة البصر لكننا محتاجون إلى ضوء الشمس. ومهما كانت آذاننا مرهفة السمع لكننا مع ذلك بحاجة إلى الهواء الذي ينقل الصوت من خلاله ويوصله إلى آذاننا؛ فثبت من كل ذلك أن قوانا وحدها لا تكفي لإدارة آليّة بشريتنا بل نحن بحاجة إلى أنصار ومساعدين خارجيين. ولكن النواميس الطبيعية تخبرنا بأنه، وإن كان ذلك النصير والمعين الخارجي هو الله تعالى لكونه علة العلل، ولكنه لم يدبّر قط أن يؤثر في قوانا وأجسامنا بغير واسطة؛ بل

الدليل على وجود الملائكة والجنّة

بقدر ما نمعن النظر ونستخدم فكرنا وذهننا نرى بكل صراحة ووضوح أن هناك **عِلَلا تتوسط** بيننا وبين الله تعالى لنيل كل نوع من الفيض، وبواسطتها تنال كل قوة فيضا بقدر حاجتها. فمن **هذا الدليل وحده يَثبت وجود الملائكة والجِنَّة أيضا،** لأن الذي نريد إثباته هو أن قوانا وحدها لا تكفي لاكتساب الخير أو الشر، بل نحن بحاجة إلى عوامل مساعدة خارجية تملك تأثيرا خارقا للعادة، ولكن تلك المِدَّات والمعينات ليست هي اللهُ تعالى بشكل مباشر ولا تعمل دون واسطة، بل تعمل بواسطة بعض الأسباب.

إن مطالعة النواميس الطبيعية كشفت لنا بالقطع واليقين أن تلك العوامل المساعدة موجودة في الخارج وإن لم نعلم كنهها وكيفيتها، ولكنه معلوم يقينا أنها

ليست الله تعالى مباشرة ولا هي قوانا ولا مَلكاتنا، بل هو خلقٌ آخر غير هذا وذاك، ويملك كيانا مستقلا. وعندما نسمِّي أحدها الداعي إلى الخير فسندعوه روح القدس أو جبريل، وحين نسمي غيره داعيا إلى الشر نسميه شيطانا وإبليس أيضا. ليس ضروريا أن نُري روح القدس أو الشيطان عيانا لكل قلب مظلم، وإن كان العارفون يرونهما إذ يمكن رؤيتهما في الكشوف، غير أن المحجوب الذي لا يقدر على أن يرى الشيطان ولا روح القدس يكفيه هذا الدليل لأن وجود المؤثِّر يثبت بوجود المتأثِّر. وإذا لم يكن هذا القانون صحيحا فكيف يمكن العثور على وجود الله تعالى إذًا؟ هل لأحد أن يُري أين الله؟ بل الحق أنه قد اعتُرف بضرورة ذلك المؤثّر الحقيقي نظرا إلى المتأثِّرات التي هي نماذج قدرته. غير أن العارفين يرونه بعيون روحانية ويسمعون كلامه بعد بلوغهم مرتبتهم الأخيرة. ولكن لا سبيل للاستدلال على وجوده أمام المحجوب إلا أن يؤمن بالمؤثِّر الحقيقي من خلال النظر فيما يحدث فيه التأثير. فبهذه الطريقة يثبت وجود روح القدس والشياطين، ولا يثبت فقط بل يُرى بكل جلاء. ولكن الأسف على الذين **أنكروا وجود الملائكة والشياطين** متأثرين بظلمة الفلسفة الباطلة، وبذلك أنكروا البيّنات والنصوص القرآنية الصريحة، وسقطوا لغبائهم في هوّة الإلحاد. **فليكن واضحا هنا أن هذه المسألة من المسائل التي لإثباتها أفردني الله تعالى في استنباط الحقائق من القرآن الكريم، فالحمد لله على ذلك.**

> الدليل على وجود الملائكة والشياطين هو من البحوث النادرة التي أُفردتُ بها بواسطة الإفاضات القرآنية

وإن اعترض هنا أحد من الآريين أو المسيحيين وقال بأن معظم المشايخ المعاصرين **مثل الشيخ البطالوي محمد حسين والشيخ الدهلوي نذير حسين** يخالفون هذا المعتقد ولا يعتقدون مطلقا أن

> يعتقد الشيخ البطالوي والدهلوي أن الشيطان وحده وكِّل قرينا دائما للإنسان، وقد حُرِم الأنبياء أيضا إلا عيسى، دونك عامة الناس، من صحبة روح القدس

يعتقد البطالوي والدهلوي أن الأنبياء أيضا كثيرا ما يُحرَمون من صحبة روح القدس ولكن القرين الآخر يخالفهم دائما مثل بقية الناس، وإن لم يسيطر عليهم، ولكن يقولان بأن الشيطان لم يخالف عيسى أما روح القدس فجاء معه وصعد إلى السماء معه

كل إنسان أُعطِي قرينَين؛ أي الداعي إلى الخير وهو روح القدس، والداعي إلى الشر وهو الشيطان، بل يقولون بأنه قد أُعطِي قرينا واحدا فقط وهو الداعي إلى الشر ويبقى مع الإنسان دائما لاستئصال إيمانه، وقد أُعجب الله تعالى كثيرا بفكرة أن يجعل الشيطان مرافقا للإنسان ليل نهار ويعطيه السيطرة على كل ذرة من كيان الإنسان ويوقعه في هوّة الدمار سريعا، وأن جبريل واسمه الثاني هو روح القدس، لم يوكّله ﷻ داعيا إلى الخير لعامة الناس قط بل ولا للأولياء أيضا، بل تُرك هؤلاء الناس جميعا في قبضة الشيطان فقط!! غير أن روح القدس ينزل على الأنبياء فقط، وحتى هذا لا يكون إلا لحظاتٍ أو لمدة وجيزة جدا، ثم يصعد جبريل إلى السماء مفارقا إياهم، بل إنّ الأنبياء يُحرَمون أحيانا من لقاء روح القدس أو قولوا جبريل، إن شئتم حتى أربعين يوما بل أكثر من ذلك. أما القرين الثاني، وهو الشيطان، فلا يفارقهم لحظة واحدة، والعياذ بالله حتى لو أسلم في نهاية المطاف!

فجوابه: إن هؤلاء القوم محجوبون وغافلون ومحرومون من حقائق القرآن الكريم، وإنهم لا يعتنقون هذا الاعتقاد أيضا بصراحة، بل وقعوا في هذا البلاء لغبائهم وقلة تدبرهم ثم بسبب بُغضهم لي وضغينتهم؛ لأن السبل التي سلكوها مقابلي كانت فيها هذه الآفات فوقعوا فيها على غير قصد منهم كما يقع الطير في الشَرَك بغير قصد منه طامعا في حبَّة.

لقد هيأ البطالوي ونذير حسين للنصارى وغيرهم فرصة الاعتراض على الإسلام ونسبا العيب في فهمهم إلى الإسلام

والحق أن هؤلاء القوم عندما أصروا على أن جبريل وملاك الموت وغيرهما من الملائكة ينزلون إلى الأرض بهويتهم الحقيقية ثم يعودون إلى السماء بعد هنيهة، وحينما ينزلون من السماء تخلو

السماء من وجودهم، ثم حين يطيرون من الأرض إلى السماء تخلو الأرض من وجودهم، وردت عليهم مئات الاعتراضات من القرآن والحديث والعقل؛ فمن جملة البلايا التي يقتضيها اعتقادُهم هذا تلاشي العدل والرحم في نظام الله الروحاني، ووجد الكفار وغيرهم من المعارضين فرصة سانحة للاعتراض على الإسلام ليقولوا أية قسوة قلبية هذه وكم هو بعيد عن الرحم أن يوكّل الله تعالى الشيطان وذريتَه بإغواء الإنسان إلى الأبد، ويجعلهم قرناء ومصاحبين له لكي يستأصلوا إيمانه، وليَجْرُوا في كل حين وآن في كيانه ومجرى دمه وقلبه وذهنه وفي كل جزء من جسده، وفي عينيه وأذنيه ويوسوسوا له، وألا يعطي ﷻ الإنسانَ ولو قرينا واحدا ليهديه ويبقى معه دائما. الحق أن منشأ هذا الاعتراض هو اعتقادهم المذكور آنفا لأن هؤلاء القوم يعتقدون من ناحية بحسب الآية: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[37] أن لجبريل وعزرائيل، ملاكَ الموت، مقاما معلوما ومحددا في السماء لا يستطيعان أن ينزلا منه قيد شبر ولا يستطيعان أن يصعدا فوقه قيد شبر ومع ذلك يعتقدون يقينا بضرورة نزولهما إلى الأرض بوجودهما الحقيقي. كذلك يعتقدون بحسب زعمهم بصعودهما إلى السماء بوجودهما الحقيقي. ومَن أنكر نزولهما أو صعودهما بوجودهما الحقيقي كان كافرا عندهم. إن اعتقاد هؤلاء المسلمين العجيبين يستلزم مصيبةً أن نظام العدل الذي ذكرناه قبل قليل؛ أي وجود القرين الحسن مقابل القرين السيئ مع الإنسان دائما ينقلب رأسا على عقب تماما بحسب اعتقادهم هذا، ويبقى الشيطان وحده مصاحبا للإنسان دائما لأنه حتى إذا نزل الملاك، روح القدس، على أحد –كمسافر مثلاً– فيأتيه بحسب اعتقادهم للحظة واحدة أو لمدة وجيزة جدا، ثم يصعد إلى مقره الحقيقي أي السماء، ويهجر الإنسان –أيًّا كان– تاركًا إياه في صحبة

إن اعتقاد البطالوي والدهلوي أن القرين الدائم للإنسان هو الشيطان فقط يبطل نظام الله المعتدل المتعلق بتربية الإنسان

[37] *الصافات: ١٦٥*

> لقد أخطأ البطالوي والدهلوي أولا إذ عدّا نزول الملائكة وصعودهم بوجودهم الأصلي ضروريا، وكمغبة هذا الخطأ اضطرا للإقرار بأن روح القدس لا يبقى مع الملهَمين دائما

الشيطان. أليس هذا الاعتقاد مما يصم الإسلام بوصمة عار؟ هل يجوز القول عن الله الكريم الرحيم أنه يودّ دمار الإنسان أكثر من هدايته، والعياذ بالله؟ كلا. إن العَمِه لا يفهم تعليم القرآن الكريم فينسب إليه غباءه. لقد تعرض المشايخ لكل هذه البلايا التي لا يسعهم الخروج منها لسبب وحيد هو زعمهم أن الملائكة ينزلون إلى الأرض بكيانهم الحقيقي، وهذا الاعتقاد استلزم اعتقادا آخر أنهم يصعدون إلى السماء أيضا دون أدنى توقف.

فبسبب هذين المعتقدَين الخاطئين وقعوا في مشكلة حتى خرقوا لأنفسهم اعتقادا ثالثا بأن الإنسان لم يُعطَ نِعْمَ القرين قط –مقابل بئس القرين– ليبقى معه دائما. فباختلاقهم هذا المعتقد قد افتروا على تعليم القرآن الكريم افتراء شديدا وهيأوا للأعداء الأشرار فرصة للهجوم عليه. لو أنهم قبلوا أن أي ملاك لا ينزل بوجوده الحقيقي قط بل ينزل بوجوده الظلي الذي أُعطِي قدرةً على تمثُّله، كما كان جبريل يظهر متمثلا في صورة دِحْيَة الكلبي، وكما تمثّل الملاك للسيدة مريم، لما نشأ أيّ اعتراض قط، ولما استطاع أحد أن يعترض على دوام نعم القرين. واللافت في الموضوع أنهم باعتقادهم هذا يعادون القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أيما معاداة؛ ذلك أنّ القرآن الكريم يبيّن أن السماء هي مقرّ

> يثبت من آيات قرآنية كثيرة أن المؤمنين الكمّل يُعطَون روح القدس دائما

الملائكة ومقام ثبوتهم، كما يؤكد بقوة بأن المؤمنين الكمّل يُعطَون روح القدس على الدوام ليؤيدهم ولا يهجرهم.

ومع أن كل شخص يجد في نفسه شيئا من بريق روح القدس نتيجة النور الذي أُودعتْ فطرتُه إياه، لكن ذلك البريق يُغشى بظلمة الشيطان لدى عامة الناس ويختفي كأنه ليس موجودا أصلا. والحقيقة أن هناك ثلاث فئات كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ

عندما يبلغ الإنسان مرتبة الإيمان الكامل والاستقامة الكاملة تنزل عليه الملائكة ويرافقونه دائما ويكونون خداما له من الله في كل أعماله

وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾[٣٨] أيْ فئة غلَبَتْهم الظلمة الشيطانية وتضاءل فيهم نور روح القدس. والفئة الثانية هي التي يتساوى فيهم نور روح القدس والظلمة الشيطانية. والفئة الثالثة هم أولئك الذين غلبهم بريق روح القدس وصاروا خيرا محضا. والآيات التي جاءت في القرآن الكريم عن روح القدس يتبين منها أن المؤمنين الكمَّل يعطَون روحَ القدس للأبد؛ فمن جملتها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[٣٩]، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[٤٠] أي إذا تحليتم بالتقوى وخشية الله فسيعطيكم الله تعالى روح القدس الذي به تمتازون عن غيركم كليا، ويجعل لكم نورا أي روح القدس الذي سيمشي معكم. إن اسم روح القدس في القرآن هو "النور". ويقول الله تعالى في سورة أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[٤١]، أي الذين لا ينقص إخلاصهم قط عند أية مصيبة أو آفة أو زلزال أو امتحان... وسنكون معهم دوما في الدنيا والآخرة. ويقول تعالى في سورة أخرى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[٤٢] ..نورا يمشي به.. أيْ أن بركات ذلك النور تكون معلومة عند الناس، فهل يمكن أن يكون هذا الشخص كمن هو

مهمة روح القدس هي إلقاء حياة روحانية ونور روحاني في القلوب لذلك سُمّي روح القدس نورا وروحا.

---

[٣٨] *فاطر: ٣٣*

[٣٩] *الأنفال: ٣٠*

[٤٠] *الحديد: ٢٩*

[٤١] فصّلت: ٣١- ٣٢

[٤٢] *الأنعام: ١٢٣*

تفسير الآية: ﴿وأيدهم بروح منه﴾

أسير الظلمة كليًّا ولا يقدر على أن يخرج منها؟ والمراد من النور والحياة هو روح القدس فبه تزول الظلمة وهو يحيي القلوب، لذلك سمِّي روح القدس أي روح القدسية التي بدخولها تُنال الحياة المقدسة. كما يقول تعالى في سورة أخرى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾[٤٣].

ومن جملة الآيات القرآنية التي يثبت منها أن روح القدس يبقى مع عباد الله الملهَمين دائما، ويهب لهم العلم والحكمة والطهارة: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[٤٤] المراد من كتابة الإيمان هو أنه دخل إراداتهم الفطرية والطبيعية وصار جزءا منهم لا يتجزأ، ولم يعد هناك أيّ تكلّف أو تصنّع. إن مرتبة رسوخ الإيمان في كل ذرة من القلب ينالها الإنسان حين يحظى بتأييد روح القدس وينال حياة جديدة؛ فكما تبقى الروح داخل الجسد دائما لِحفظه وتُلقي عليه بنورها كذلك تسكن روحُ القدس لهذه الحياة الجديدة وتُلقي بنورها على القلب في كل لحظة وآن، وكما يحيا الجسد دائما بوجود الروح كذلك يجب أن يحيا القلب وكافة القوى الروحانية بتأثير روح القدس. لذلك قال تعالى أيضا -بعد بيان أننا كتبنا في قلوبهم الإيمان- بأننا أيدناهم بروح القدس، لأنه حين كُتب في قلوبهم الإيمان ودخل فطرتهم نال الإنسان حياة جديدة، وهذه الحياة الجديدة لا تُنال قط إلا بتأييد من روح القدس. لقد سُمّي روح القدس بهذا الاسم لأنه بدخوله يُعطَى الإنسان روحا طاهرة. إن القرآن الكريم زاخر بذكر الحياة الروحانية، وقد سمّى المؤمنين أحياء مرارا، وسمى الكفار أمواتا. وهذه إشارة إلى أن المؤمنين ينالون حياة جديدة نتيجة دخول روح القدس. أما الكفار فمع أنهم أحياء جسدًا لكنهم محرومون من الحياة التي تهب القلب والذهن حياة الإيمان.

بيان مهمات روح القدس

---

[٤٣] *فاطر: ٢٣*

[٤٤] *المجادلة: ٢٣*

لقد استُخدمت لتأييد حسان بن ثابت بروح القدس كلمات استُخدمت في القرآن الكريم بحق عيسى، واعتُرف بأن معناها في هذا المقام هو أن عيسى أُعطي روح القدس على الدوام ولم ينفصل عنه لمح البصر. فينبغي أن يؤخَذ هنا أيضا المعنى نفسه بسبب وحدة الكلمات

ولا بد من التذكر هنا أنه قد وردت أحاديث كثيرة تؤيد هذه الآية الكريمة، ففي صحيح البخاري حديث برواية السيدة عائشة رضي الله عنها جاء فيه: "أن رسول الله ﷺ وضع لحسّان بن ثابت منبرا في المسجد فكان ينافح عن رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: اللهم أيّدْ حسّان بروح القدس كما نافَح عن نبيك". أي كان حسان يجابه الكفار من قِبل النبي ﷺ ويردّ على هجوهم بالمدح، فدعا له النبي ﷺ فقال: اللهم أيّد حسان بروح القدس؛ أي أيده بجبريل. ولقد نقل أبو داود عن ابن سيرين وكذلك الترمذي الحديث نفسه وعدّه حديثا حسنا صحيحا. وقد ورد في البخاري حديث بطول الكلمات أن رسول الله ﷺ قال لحسان: "أجبْ عني، اللهم أيّده بروح القدس." وهناك حديث آخر بحق حسّان هو: "هاجِهم وجبريل معك". أي رُدَّ على هجو الكفار بمثله.

اعتقاد علماء الإسلام أن روح القدس كان يبقى مع عيسى عليه السلام دائما

فقد ثبت من هذه الأحاديث كلها أن جبريل كان مع حسّان دائما وكان رفيقه الدائم. وكذلك فإن قوله تعالى في الآية المذكورة ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ يعلن أيضًا بكل وضوح بأن روح القدس يبقى مع المؤمنين دائما، لأن الآية المماثلة لها التي جاءت بحق عيسى عليه السلام أي: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[٤٥] قد اتفق المفسرون جميعا في تفسيرها على أن روح القدس كان قرينا ورفيقا دائما لعيسى عليه السلام ولم يفارقه لحظة واحدة. انظروا التفسير الحسيني، والتفسير المظهري، والتفسير العزيزي، ومعالم وابن كثير وغيرها. ولقد أورد المولوي صديق

الحديث من صحيح البخاري الذي يشهد على أن روح القدس يعطى للمؤمنين دائما

[٤٥] *البقرة: ٨٨*

المشايخ المعاصرون يعتقدون أن جبريل بقي مع عيسى ٣٣ عاما متتالية ليل نهار ولم ينفصل عنه. ويقولون أن هذه الفضيلة العظيمة أُعطيها عيسى عليه السلام فقط ولا يشاركه فيها أيّ نبي حتى حُرم منها نبينا ﷺ أيضا، والعياذ بالله

حسن خان في تفسير فتح البيان تحت تفسير هذه الآية عبارة: "وكان جبريل يسير مع عيسى حيث سار، فلم يفارقه حتى صعد به إلى السماء".

وفي هذا المقام هناك أمران مؤسفان وجديران بانتباه القراء الكرام:

أولا: كان هؤلاء المشايخ يعتقدون بأن جبريل كان ينزل على الأنبياء بالوحي من السماء بين حين وآخر، ثم كان يصعد إلى السماء دون أدنى تأخير بعد تبليغه الوحي. أما الآن فقد اخترعوا بحق عيسى اعتقادا جديدا يناقض هذا الاعتقاد، أي أن جبريل ما كان يصعد إلى السماء من أجل نقل الوحي إلى عيسى بل كان الوحي يهبط من السماء تلقائيا، ولم يفارق جبريلُ عيسى عليه السلام طرفة عين بل ما زار السماء إلا في اليوم الذي صعد فيه عيسى عليه السلام إلى السماء، وبقي في الأرض قبل ذلك ٣٣ عاما متتالية ليلَ نهار ولم يفارق عيسى عليه السلام لحظة واحدة. وظلّ ٣٣ عاما متتالية تاركا مقامه السماوي، الذي لا تقل مساحته عن ألف ميل طولا وعرضًا، خرابا يبابا، بينما يثبت

يعتقد العلماء المعاصرون أن أسلوب نزول الوحي على عيسى يختلف عن الأنبياء الآخرين كلهم

من الأحاديث الصحيحة أن السماء لا تخلو من الملائكة حتى قيد شبر ولو لحظة واحدة. والأسلوب الذي ظل جبريل ينقل به الوحي إلى عيسى إلى ٣٣ عاما كان أيضا أغرب من أساليب نقْله إياه إلى جميع الأنبياء لأنه قد اتفق البخاري في صحيحه وكذلك أبو داود والترمذي وابن ماجه ومسلم على أن جبريل ينزل على الأنبياء من السماء بالوحي بين فينة وفينة، (أي التجلي الذي فصّلناه قبل قليل). ولقد أورد ابن جرير وابن كثير في تأييد ذلك حديثا

كيفية نزول الوحي على الأنبياء

عن النواس بن سَمْعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بأمره تكلّم بالوحي، فإذا تكلّم أخذت السماوات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة؛ من خوف الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا. فيكون أول مَنْ يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام، فيكلِّمه الله من وحيه بما أراد. فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلها من سماء إلى سماء يسأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول عليه السلام: قال: الحقّ، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض".

كيفية نشوء الوحي وكيفية نزوله على الأنبياء

إن قوله ﷺ: "تكلّم بالوحي" يعني أنه يتكلم بكلام لا يزال فيه إجمال وإخفاء نوعا ما؛ فتحدث رجفة في السماء بسبب الكلام المحجوب المعنى فيعمّ ذلك الكلام المهيب جميع السماوات ولا يدرك أحد معانيه. وكل ملاك يرتعد بخوف الله مرتقبا ما هو حادث. ويُغشى الملائكة كلهم فيخرون لله سجدا، فيرفع جبريل رأسه قبل غيره ويفهِّمه الله تعالى تفاصيل الوحي كله ويُطلعه على مشيئته ومرضاته. عندها يذهب جبريل بذلك الوحي إلى الملائكة كلهم الموجودين في سماوات مختلفة، فيسأله كل ملاك: ماذا كان هذا الصوت المهيب، وما المراد منه؟ فيجيبهم جبريل: الحقّ، وهو العلي الكبير، أي أن هذا الوحي من الحقائق التي رأى الله **العليّ الكبير** أنْ من الحكمة إظهارها، فيقولون كلهم مثل ما قال، ويبلّغ جبريل ذلك الوحي حيث أُمر بتبليغه سواء في السماء أو في الأرض.

بطلان اعتقاد أن جبريل ترك السماء بجسده الأصلي وعاش مع المسيح الناصري على الدوام

يتبين من هذا الحديث أن جبريل يكون في السماء عند نزول الوحي، ويبلّغه إلى محله المناسب، حيث وهب الله تعالى صوته القوة والقدرة. فما أبطَله من اعتقاد القولُ

بيان أساليب إساءة المشايخ المعاصرين للنبي ﷺ

في هذه الحالة بأن جبريل هجر السماوات بوجوده الحقيقي وجاء إلى عيسى عليه السلام وبقي معه إلى ٣٣ عاما متتالية وظلّت المهمات الموكولة إليه كلها -التي ذكرناها قبل قليل- مُلغاةً! وهذا الاعتقاد يستلزم أيضا أن الوحي كان ينزل على الأرض تلقائيا دون واسطة جبريل، وكان جبريل يتلقّاه على الأرض.

والأمر الثاني الجدير بانتباه القراء الكرام هو أن هؤلاء المشايخ أطروا عيسى في كل شيء وأساؤوا إلى سيدنا ومولانا ﷺ. والأدهى والأمَرّ من ذلك أن

لم يعتقد السلف الصالح عن النبي ﷺ قط ما يعتقده المشايخ المعاصرون مثل ميان نذير والبطالوي واعتقادهم يسيء إليه ﷺ بشدة

يعتقدوا بحق المسيح أن روح القدس لم يفارقه قط وكان عليه السلام بريئا من مسّ الشيطان وأن كلا هذين الأمرين كان خاصا به وحده، ويعتقدوا في نبينا الأكرم ﷺ أن روح القدس لم يكن معه دائما ولم يكن ﷺ بريئا من مسّ الشيطان، والعياذ بالله، وأن سيدنا ومولانا **محمدا** ﷺ ميّت في نظرهم، مع أنهم يُدعَون مسلمين. أما عيسى عليه السلام فما زال حيا! وأن روح القدس رفيق عيسى الدائم، وأما نبينا ﷺ فمحروم من هذه النعمة! وأن عيسى عليه السلام بريء من مسّ الشيطان ولكن نبينا ﷺ ليس معصوما منه! من ذا الذي لا يستطيع أن يقدّر مدى الضرر الذي يلحق بالإسلام في هذا العصر على أيدي الذين يتمسكون بهذه المعتقدات! إن هؤلاء القوم أعداء رسول الله ﷺ المتستِّرون، فليبتعد عنهم كل مسلم ومحبّ صادق للنبي ﷺ. إنهم يريدون أن يشركوا السلف الصالح في أقوالهم المردودة بكل وقاحة وتجاسر مع أنهم لا يفقهون أقوال السلف الصالح لعماهم، ولا يصلون إلى حقيقة أحاديث النبي ﷺ بل يقولون مخادعةً بأنه إذا كان هذا حالنا، فهذا ما يعتقد به السلف الصالح أيضا.

فيا قليلي الفهم، ليس هذا سبيل السلف الصالح مطلقا. لو اعتقد الصحابة في رسول الله ﷺ أن روح القدس كان يهجره حينا من الأحيان أو إلى فترات طويلة لما أخذوا منه ﷺ الأحاديث التي قالها في كل وقت وفي كل زمن، كلا بل ظلّ نظرهم مركّزا على قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[٤٦]. ولو اعتنق الصحابة مثلكم اعتقادا بمس الشيطان لما عدّوا النبي ﷺ **سيد المعصومين**. اتقوا الله، لماذا أنتم مصمِّمون على الافتراء؟

كان الصحابة يحفظون جميع أعمال النبي ﷺ وكلامه حتى كيفية طعامه ولباسه وواجباته تجاه أزواجه، كذلك جميع أمور العشرة بناء على أن هذا كله وحي، وهذا ما قاله النبي ﷺ أيضا

"*كيف انخفضت مرتبة سيدنا المصطفى ﷺ مقابل المسيح الناصري أيها الولد الغبي؟!*

كيف تقول عن الذي يده يدُ الله بأنه منفصل عن روح القدس؟!

وكيف يجوز أن يهجر روحُ القدس -حتى لحظة واحدة- مَن كان كل قوله وفعله هو ديننا؟

لِمَ كل هذا الافتراء على سيد الأنبياء! لماذا لا تخافون غضب الله؟"[٤٧]

لا شك أن الصحابة كانوا يعتقدون أنه لم يخلُ فعلٌ للنبي ﷺ أو أيّ قول له من هدي الوحي؛ سواء أكان ذلك الوحي مجملا أو مفصلا، أو خفيّا أو جليًّا، أو بيِّنا أو مشتبَهًا لدرجة أن جميع معاملات النبي ﷺ ومكالماته مع أزواجه في الخلوة والسرّ وجميع الأمور العائلية المتعلقة بالأكل والشرب واللباس وضرورات الحياة اليومية قد ضُمَّت كلها إلى الأحاديث بفكرة

لم يعتقد الصحابة عن النبي ﷺ قط أن روح القدس كان ينفصل عنه، وإلا لما عدّوا كل قوله وفعله حجة في الدين

---

[٤٦] *النجم: ٤-٥*

[٤٧] *ترجمة أبيات فارسية. (المترجم)*

> إنّ خطأ النبي ﷺ الاجتهادي أيضا كان مصبّغا بصبغة وحي الله، وفي هذا الخطأ الاجتهادي أيضا كان النبي ﷺ يبقى مستغرقا في تصرّف الله وجذبه الخاص

أن كل تلك الأعمال والكلام كان من نور روح القدس. فقد وردت في سنن أبي داود وغيره من كتب الحديث رواية، وقد رواها الإمام أحمد أيضا ببعض الوسائط عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ فَقَالُوا إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا. فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ."؛ أيْ كل قول أو فعل يصدر مني فهو من الله تعالى كله.

وإذا قيل بأنه قد ورد في كتب الحديث ذِكر خطأ النبي ﷺ في الاجتهاد أيضا في بعض الأمور، فإذا كان منشأ كل أقواله ﷺ وأفعاله هو الوحي فلماذا صدر الخطأ حتى وإن لم يُترَك ﷺ قائما عليه؟

فجوابه: إن ذلك الخطأ الاجتهادي أيضا لم يكن بعيدا عن نور الوحي، ولم يبتعد النبي ﷺ عن سيطرة الله عليه ولا لحظةً واحدة؛ فإن مَثل ذلك الخطأ الاجتهادي كمثل سهوه ﷺ في الصلاة بضع مرات وذلك لتنشأ بسببه المسائل الدينية. فلهذا السبب صدر منه ﷺ خطأ اجتهادي في بعض الأحيان ليكون سببا لإكمال الدين، وتنشأ بسببه بعض المسائل الدقيقة. والمعلوم أن ذلك السهو البشري أيضا لم يكن مثل سهو عامة الناس بل كان متصبّغًا بصبغة الوحي، لأن ذلك كان تصرُّفا خاصا من الله تعالى مسيطِرا على النبي، وكان يُميله إلى ما فيه حِكم كثيرة من الله تعالى. فلا نرى ذلك الخطأ الاجتهادي أيضا بعيدا عن الوحي، لأن ذلك لم يكن أمرا عاديا بل كان الله تعالى حينها يسيطر على نبيه وكان يُظهر النور بصورة سهو أو اجتهاد خاطئ وذلك لمصلحة عامة. فكان الوحي يتدفق كما يُسَدّ ماء نهر جارٍ لحكمة ما

يعتقد المشائخ الجهلة المعاصرون عن المسيح أن جبريل كان يصاحبه دائما ولكن يثبت من الإنجيل أخطاؤه الاجتهادية، أما نبينا ﷺ فتتراءى تجليات الله ﷻ في كل قوله وفعله وحركته وسكونه. المشائخ الجهلة المعاصرون يوقنون من منطلق آية واحدة فقط بأن روح القدس كان يلازم المسيح دائما ولكن هناك آية أكثر وضوحا وتفصيلا ودلالة بحق نبينا ﷺ وهي: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾. من المؤسف أن هؤلاء العمهين لا يرون هذه الآية الصريحة

ثم يُطلَق بعد حين. فلا يسع عاقلا أن يقول في هذا المقام بأن ماء النهر قد جفَّ أو أزيل منه. والحال نفسه فيما يتعلق بالخطأ الاجتهادي الذي يصدر من الأنبياء؛ فروح القدس لا يفارقهم قط، ولكن الله تعالى يسيطر على فهمهم وإدراكهم أحيانا لحكمة ما فيصدر منهم قولٌ أو فعلٌ خاطئ سهوا لتظهر حكمة منشودة، وحينئذ يجري نهر الوحي بكل قوة ويُزال الخطأ وكأنه لم يكن له وجود أصلا.

لقد ذهب **المسيح** إلى شجرة التين مسرعا ليأكل من ثمارها حين كان روح القدس معه، ولكنه لم يخبره أن الشجرة لا تحمل ثمارا في ذلك الوقت، ويعلم الجميع جيدا أن الشاذ والنادر هو في حُكم المعدوم.

فما دام **تجلّي الألوهية يتراءى** بوضوح تام في ما يقارب مليون قول وفعل لسيدنا ومولانا **محمد** ﷺ، ونرى أنوار روح القدس ساطعةً في كل أقواله وأفعاله وجملة حركاته وسكناته، فما الضير إذا وُجدت في عمل أو عملين سمة البشرية؟ بل كان ضروريا أن يحدث ذلك حينا من الأحيان لتأكيد بشريته ﷺ حتى لا يتورط الناس في الشرك.

يكتب الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي مشيرا إلى كتاب "الوفاء والشهادة" لصاحب "سفر السعادة" أن الملائكة لم يكونوا ينفصلون عن النبي ﷺ وكان جبريل قرينه الدائم ﷺ.

في الأخير أنهي هذا الموضوع بعد نقل بعض الأقوال التي يظهر منها أن السلف الصالح لم يؤمنوا قط بأن روح القدس كان ينزل على النبي ﷺ في بعض المناسبات الخاصة فقط، وأنه ﷺ كان محروما منه في بقية الأوقات كليا والعياذ

بالله؛ فمن جملتها قولٌ سجّله **الشيخ عبد الحق المحدّث** الدهلوي في الصفحة ٤٢ من كتابه **"مدارج النبوة"** ويتلخص في أن ملائكة الوحي كانوا رفقاء النبي ﷺ وقرناءه على الدوام. فينقل من "جامع الأصول" و"كتاب الوفاء" أن إسرافيل لازم صحبة النبي ﷺ منذ بداية نبوته إلى ثلاث سنوات متتالية، ثم جاءه جبريل للصحبة الدائمة. ثم ينقل المؤلف من صاحب **"سفر السعادة"** بأن النبي ﷺ كان بالغا من العمر سبع سنوات حين أمر الله جلّ شأنه إسرافيل ليلازم صحبته ﷺ، فكان إسرافيل يلازمه ﷺ في كل حين وآن. وظل الحال على هذا المنوال إلى نهاية السنة الحادية عشرة من عمره ﷺ. ولكن إسرافيل ما كان يلقي في قلب النبي ﷺ بصورة الوحي إلا كلمة أو كلمتين. كذلك كان ميكائيل أيضا قرين النبي ﷺ. ثم أُمر جبريل فكان قرينه ﷺ ومصاحبه إلى ٢٩ عاما متتالية قبل الوحي، ثم بدأ نزول وحي النبوة.

الثابت الذي لا ينكره أحد من أكابر الأمة أن ملائكة الوحي كانوا يرافقون النبي ﷺ دائما قبل زمن الوحي أيضا فضلا عن زمن الوحي. فكان جبريل قرينه ورفيقه إلى ٢٩ عاما متتالية قبل وحي القرآن. فمما يخالف العقل أن يبقى جبريل معه في كل حين قبل نزول وحي القرآن وعندما جاء وقت نزول وحي القرآن وظهرت حاجة القرب الدائم ترك جبريل عادته السابقة وصعد إلى السماء تاركا إياه ﷺ وحده ولم يزره إلى عدة شهور

كل عاقل يستطيع أن يفهم من هذا البيان أن السلف الذين كتبوا عن جبريل أنه كان رفيق النبي ﷺ في كل حين وآن وبصورة دائمة إلى ٢٩ عاما قبل النبوة، لا يمكن أيضا أن يؤمنوا قط بأن جبريل كان يصعد إلى السماء أحيانا؛ لأن تركَه النبيَّ ﷺ في وقت من الأوقات ينافي دوام القرب والمعية غير المنقطعة. ولكن إذا نظرنا إلى اعتقاد آخر أيضا لهؤلاء الصلحاء بأن

لقد صدّق الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي وصوّب في كتابه مدارج النبوة أن جبريل لا ينزل مع الوحي من السماء بوجوده الأصلي بل يبقى مستقرا في السماء غير أن صورته التمثلية تظهر بقدرة الله وتبلّغ وحيه

مقر جبريل هو السماء فحسب وأنه يأتي بكل وحي من السماء فقط، فلا نجد سبيلاً للخلاص من التناقض الناتج عن هذين المعتقدين إلا أن نعتقد بأن نزول جبريل من السماوات ليس على وجه الحقيقة بل على سبيل التمثّل. وإذا كان النزول على سبيل التمثّل فلا ضير في أن يلازم جبريل الأنبياء عليهم السلام بوجوده التمثّلي في كل حين وآن وفي كل طرفة عين لأنه ما زال في السماء بوجوده الحقيقي. وهذا المذهب صدّقه وأكّد عليه الشيخ "عبد الحق" المحدث الدهلوي في الصفحة ٤٥ من كتابه "مدارج النبوة" فيقول ما مفاده أن للعارفين إشكالا في نزول جبريل الذي كان أحيانا بصورة دِحْيَةَ الكلبي أو بصورة إنسان آخر، وينشأ الاعتراض أنه إذا كان جبريل في الحقيقة يتمثّل جسدا جديدا شبيها بجسد دحية الكلبي وكان يَنفخ فيه روحه فأين كان جسده الحقيقي ذو الـ ٣٠٠ جناح؟ هل كان يبقى جسدا بلا روح وكان جبريل يموت ثم يظهر في جسد آخر على سبيل التناسخ؟

ثم يقول في الجواب بأن هذا النزول تمثُّلي عند المحققين وليس حقيقيا حتى يستلزم ترك جسد والدخول في جسد آخر على وجه الحقيقة. ثم يقول: الحق أنه كان في ذهن جبريل صورة دحية الكلبي، فكان جبريل عليه السلام نتيجة قدرته الكاملة وإراداته الشاملة يظهر مع جميع صفاته في تلك الصورة على سبيل التمثُّل؛ أي كان يُظهر نفسه في صورة دحية الكلبي تمثُّلا. وكان يُظهر نفسه على النبي ﷺ تمثُّلا بإلباس صفاتِه تلك الصورة، وليس أنه كان ينزل

إن رأي الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي الشخصي هو أن جبريل لا ينزل بالوحي بوجوده الحقيقي قط ولا تسع الأرضُ وجودَه الحقيقي. بل يرى جميع الباحثين أن جبريل يبقى في السماء ويُظهر صورتَه التمثُّلية على الأرض كما تثبت كرامة الأولياء الكمّل أنهم بقوا في مكان وأظهروا تجلّيهم في مكان آخر تمثُّلا. ثم يقول بأن هذا لا يقتصر على جبريل فقط بل جميع الملائكة ينزلون إلى الأرض تمثُّلا ولا يتركون مقاماتهم الحقيقية، ويتراؤون على الأرض تمثُّلا كما رأت مريم الصديقة جبريل. يقول الله جل شأنه: ﴿فتمثّل لها بشرا سويا﴾

من السماء بكيانه الحقيقي بل كان يبقى ثابتا وقائما في مقامه في السماء. وكان جبريل هذا تمثُّلا لجبريل الحقيقي؛ أي كان ظله وليس عينه، لأن جبريل بعينه موجود في السماء بصفاته الخاصة، وحقيقتُه وشأنه مختلف.

> أجمع الصحابة على أن النبي ﷺ رأى جبريل بصورته الحقيقية مرتين فقط في السماء، ولكنه رآه في الأرض بصورة تمثلية دائما

ثم يقول الشيخ بعد هذا الكلام بأنه كما ظل جبريل ينزل تمثُّلا وليس حقيقة، كذلك هو مثال الأمور الروحانية التي تتمثل بصورة مادية، وهذا هو مَثل تمثّل الله تعالى أيضا حين يراه أصحاب الكشوف بصورة البشر، وهذا هو مَثل الأولياء الكمّل الذين يُشاهَدون أحيانا بصور متعددة في مواضع مختلفة.

جزى الله الشيخ الصالح "عبد الحق" المحدث خيرا على أنه قبِل بصدق القلب أن جبريل لا ينزل بنفسه، بل إنّ وجوده التمثُّلي هو الذي يشاهده الأنبياء، وأما جبريل فيبقى ثابتا مستقرا في مقامه في السماء. وهذا هو الاعتقاد نفسه الذي أعتنقه أنا العبد المتواضع وبسببه يُصدر العلماء المعاصرون العمهون والمزعومون فتاوى التكفير ضدي. ومن المؤسف أنهم لا يفكرون بأن جميع المفسرين والصحابة أيضا متفقون على أن النبي ﷺ رأى وجود جبريل الحقيقي مرتين فقط. ويمكن لطفل صغير أيضا أن يفهم أن مجيئه إلى النبي ﷺ بوجوده الحقيقي والأصلي كان مستحيلا أصلا، لأن وجوده الحقيقي يملأ الشرق والغرب، وأن أجنحته بالغةٌ أرجاء السماوات فأنّى لمكة أو المدينة أن تتسع له؟

لو اعتقدتم بنزول جبريل في الحقيقة وبوجوده الحقيقي لواجهتم حتما اعتراضا أنه كيف انحصر ذلك الوجود الحقيقي في حجرة النبي ﷺ؟ وإذا قلتم بأن ذلك لم يكن وجوده الحقيقي لم يبق بعد الأصل إلا التمثُّل. ويمكن عدُّ نزوله نزولا حقيقيا إن لم يبق في السماء أيّ أثر لوجوده الحقيقي قط. وإذا نزل من السماء بوجوده الحقيقي فعليكم أن تُثبتوا أين مجال قيامه وبقائه.

كان مذهب السلف الصالح أن أقوال النبي ﷺ وأفعالَه على مدى حياته كانت من الوحي

فباختصار، إن فكرة أن جبريل كان ينزل إلى الأرض بوجوده الحقيقي بديهية البطلان، ولا سيما لو تأملنا في الجانب الثاني ونظرنا إلى فسادٍ يلازم الاعتقاد القائل بأن الأنبياء ظلوا في معظم الأوقات محرومين من بركة الوحي؛ فإنه من قلة الحياء أن يخطر هذا الاعتقاد بالبال.

يقول الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في الصفحة ٨٣ من كتابه "مدارج النبوة"، بأن جميع كلمات النبي ﷺ وأحاديثه إنما هي **وحي خفيٌّ** باستثناء بعض المواضع مثل قصة أسارى بدر، وقصة مارية، وقصة العسل وتأبير النخل وهي نادرة وبسيطة. ثم يقول في الصفحة نفسها أن الأوزاعي روى عن حسان بن عطية أن نزول جبريل ليس خاصا بالقرآن الكريم فحسب، بل إنّ كل سُنّة أيضا هي نتيجة نزول جبريل، بل اجتهاد النبي ﷺ أيضا من الوحي. ثم يقول في الصفحة ٨٧ بأن الصحابة كانوا يعدّون كل قول النبي ﷺ وفعله **وحيا**، سواء كان قليلا أم كثيرا، صغيرا أم كبيرا، ولم يكونوا يترددون في العمل به ولم يناقشوه. بل كانوا يحرصون على العمل بما يفعله النبي ﷺ في السرّ والخلوة أيضا.

فلا شك أن الذي يتأمل في أحوال الصحابة وكيفية عدِّهم كل أمر من أوامر النبي ﷺ وكل قوله وفعله حجة دينية، وعدِّهم كل أوقاته ﷺ وكل لحظاته مستغرقة في الوحي سوف يستحي من القول بأن جبريل كان يهجره ﷺ ويصعد إلى السماء، وسوف يخشى أن تمر بقلبه شبهة مثلها. ولكن من المؤسف حقا أن العلماء المعاصرين الذين يُدعَون محدِّثين أيضا لا يخافون الله شيئا. وإذا كان التخلّي عن معتقداتهم هذه كفرا، فأيّ سعادة أكبر من مثل هذا الكفر!

نحن براء كل البراءة من إيمانهم هذا، ونحتكم إلى الله في أقوالهم هذه التي تؤدي إلى إساءة شديدة بحق رسول الله ﷺ أمام أعدائه. ماذا أقول وماذا أكتب بحق الذين أعطوا الكفارَ فرصة السخرية والاستهزاء، وحطُّوا مرتبة نبينا ﷺ مقابل عيسى عليه السلام

لدرجة تقشعر لهولها الأبدان.

أعود الآن إلى **مبحث حقيقة الإسلام** وأقول بأن حقيقة الإسلام التي يعلّمها القرآن الكريم ليست شيئا جديدا بل قد أُرسل جميع الأنبياء لإظهار الحقيقة نفسها. وكانت الكتب الإلهية كلها تهدف دائما لتُقيم بني آدم على هذا الصراط المستقيم. ولكن تعليم القرآن الكريم يفوق جميع التعاليم الأخرى على وجه الكمال وذلك لسببين اثنين.

أولا: إن الأنبياء السابقين لم يكونوا يُبعثون إلى جميع بني آدم في عصرهم، بل لم يكونوا يُرسلون إلا إلى قومهم؛ الذين كانت مواهبهم محدودة وكانوا بحاجة إلى الإصلاح في بعض العادات والمعتقدات والأخلاق والسلوكيات. لذا كانت تلك الكتب تأتي بقدر معين من الهداية يناسب ذلك القوم على قدر مواهبهم وقدراتهم، وذلك مثل قانون خاص بقوم معيّن.

ثانيا: كان هؤلاء الأنبياء يتلقون شريعة تخص زمنا محددا، ولم يُرد الله لتلك الكتب أن تبقى هدايتها جارية إلى نهاية العالم، لذا كانت تلك الكتب تأتي بهداية خاصة بزمن قدّرته الحكمة الإلهية للالتزام بتلك الكتب، وذلك مثل قانون خاص بقوم معين.

ولكن القرآن الكريم بريء كليا من كلا هذين النقْصَينِ اللذَين ذكرتهما، لأن الله جلّ شأنه قصد من إنزال القرآن الكريم أن يكون قادرا على إصلاح جميع بني آدم وجميع الأزمنة وكافة المواهب ويكمّلها ويربيها، وأن تَظهر على بني آدم صورة الإسلام وعظمته كاملةً. ولأنه قد آن أوان ظهور هذه العظمة فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم قانونا كاملا وجامعا لجميع الأمم والأزمنة إلى يوم القيامة، وفتح باب الإفادة والإفاضة لكل موهبة أيًّا كان مستواها كما يقول تعالى:

= بقية البحث حقيقة الإسلام =

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[٤٨] أي أن هؤلاء الناس الذين أورثناهم كتابا هم ثلاث فئات:

(١) فئة الظالمين الذين يظلمون أنفسهم، أي يُكرهون النفس الأمارة على السير على سبل الله، ويخالفون النفس المتمردة ويشتغلون في المجاهدات الشاقة.

(٢) الفئة الثانية تضم المقتصدين، أي الذين يُكرهون أنفسهم المتمردة ويُجبرونها على بعض الخدمات في سبيل الله، فتنقاد نفوسهم لأداء بعض المهام بطيب خاطر ابتغاء مرضاة الله وتؤديها بشوق وحب وإخلاص؛ فإنهم يعملون بأوامر الله تعالى بشيء من التكلّف والمجاهدة، وفي الوقت نفسه تصدر منهم طاعة ربهم الجليل بحماس ورغبة قلبية دون أي تكلف بمعنى أنه لم تحصل لهم موافقة تامة لمقتضى إرادة الله جلّ شأنه ومشيئته، ولم يتخلصوا تماما من معارضة النفس والمعركة معها، بل توافقهم النفس في بعض سبل السلوك وتعارض في بعضها الآخر.

(٣) والفئة الثالثة هم السابقون بالخيرات وذوو المراتب السامية، أي أولئك الذين انتصروا على النفس الأمارة كليا، وهم السابقون في الخيرات الذين زال التمرد والأمر بالسوءِ من نفوسهم تماما. ويحبون أوامر الله وجميع سبل شريعته، وقضاءه وقدره ومشيئته ومرضاته بطبعهم وليس تكلُّفا وتصنُّعا، ولا يدَّخرون جهدا في سبيل الطاعة. وتكون طاعة الله تعالى جزءا من طبيعتهم وراحة نفوسهم بحيث لا يستطيعون أن يعيشوا بدونها. إن نفوسهم تطيع الله تعالى بكمال المتعة والشوق واللذة وبشدة الرغبة وانشراح القلب المليء بالسعادة ولا يضطرون ليُجبروا نفوسهم أو يُكرهوها على أيّ أمر وفي أيّ مقام أو أمر من أوامر الله أو مشيئته ﷻ، بل تصبح نفوسهم مطمئنة وتكون إرادة الله إرادتهم ومشيئته مشيئتهم ويحبون أوامر الله ومشيئته كما يحبها الله تعالى، لذا لا يبتعدون عن الله عند الابتلاء، بل يخطون إلى الأمام بخطوات حثيثة.

---

[٤٨] *فاطر:* ٣٣

ثم يقول الله جلّ شأنه بأن هذه الفئات الثلاث محل فضله الكبير؛ أي أن الظالمين منهم أيضا مورد فضل الله وهم أصفياؤه ومحبوبون عنده ﷻ، وكذلك حال المقتصدين منهم. أما السابقون بالخيرات فأمرهم واضح جليّ.

ويتضح من هذه الآية أن الله جلّ شأنه قد عدَّ الظالمين لأنفسهم أيضا عباده الأصفياء ومحل فضله، وعدَّهم من عباده الأحباء والأصفياء والجديرين بالإشادة الذين رضي الله عنهم كثيرا، مع أن القرآن الكريم زاخر بقول الله جلّ شأنه بأنه لا يحب الظالمين، ولا يمكن أن يكون الحائدون عن العدل مورد فضل الله تعالى بحال من الأحوال. فيتبين من هذا الدليل بالبداهة أن المراد من حزب "الظالمين" في هذه الآية ليس فئة المتمردين والعصاة والمشركين والكافرين الذين يتركون سبل العدل والحق ويعادون الله تعالى، لأن القرآن الكريم يعُدّ مثل هؤلاء الناس مردودين ومورد غضب الله تعالى ويقول بصراحة تامة بأن الله لا يحب الظالمين والمعتدين الذين يحيدون عن طريق العدل والإنصاف، فأنّى لهم أن يكونوا مورد فضل الله، وكيف يمكن أن يسَمَّوا المصطَفَين والمختارين؟ فنضطر للقبول بناء على هذه الأدلة القاطعة واليقينية أن كلمة "الظالم" هنا لم تُستخدَم بمعنى مذموم بل استُخدِمت بالمعاني المحمودة الجديرة بالإشادة وتستحق أن تنال نصيبا من درجة السابق بالخيرات، وهي بمنزلة الأخ الصغير لهذه الدرجة الفاضلة ولا يمكن أن يكون المعنى إلا أن المراد من الظالمين هنا هم أناس يمارسون في سبيل الله الجبر والإكراه على أنفسهم المعارضة، ويعكفون على مجاهدات شاقة ليل نهار لِكبت جماح أنفسهم، لأنه ثابت من اللغة أيضا أن كلمة "الظالم" قد وردت بمعنى النقص فقط ودون أيّ اعتبار آخر، حيث يقول الله جلّ شأنه في آية أخرى: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾[49] أيْ لم تنقص. وإنّ كبح جماح النفس في سبيل الله ظلمٌ من منطلق هذا المعنى دون أدنى شك. وبالإضافة إلى ذلك لا

[49] *الكهف: ٣٤*

يسعنا أن نجعل كتب اللغة التي دُوِّنت بعد القرآن الكريم بمئات السنين وفق الأساليب السائدة في عصورها حَكَمًا على القرآن الكريم. بل القرآن الكريم يكفَل نفسه بنفسه من حيث معانيه، وإن آياته يفسر بعضها بعضا.

والمعلوم أن الله تعالى لم يستخدم قط كلمة الإكرام أي "الاصطفاء" بحق الظالمين الآخرين، بل عدّهم مردودين ومخذولين ومغضوبا عليهم. أما في هذه الآية فقد عدّ

هناك صديق لنا يود أن يعلم معنى الكلمتين "ظلوما" و "جهولا" في الآية: ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾، الواردتين في محل المدح، فعليه أن يقرأ هذا البحث بتدبر

الله ﷻ الظالمين أصفياءه ومحط فضله فتبيّن من هذه الآية بكل جلاء أن المقتصِد عُدَّ مصطفًى لكونه مقتصدا، والسابق بالخيرات عُدّ مصطفًى لأنه سابق بالخيرات. فهل بقي أيّ شك في إثباتِ أنَّ المراد من "الظالم" في هذا المقام هو الظالم الذي يحبه الله، أيْ الذي يمارس الجبر والإكراه على نفسه من أجل الله تعالى ويكبح جماح الأهواء النفسانية وينقصها ابتغاء مرضاة الله جلّ شأنه؟ فقد سُمِّي هؤلاء الظالمون في آيات أخرى في القرآن الكريم بـ "**التوابين**" أيضا الذين يحبهم الله جلّ شأنه.

إذًا، فمن الخطأ الفاحش الظنّ أن المراد من "الظالمين" المذكورين في هذه الآية أولئك الذين يعصون الله تعالى بشدة، ويمارسون الشرك والكفر والفسوق ويرضون به ويبغضون سبل الهداية بل المراد هنا الظالمون الذين يسعون إلى الله تعالى على الرغم من أهواء النفس القوية باذلين كل ما في وسعهم. والقرينة الأخرى على هذا المعنى هي أن الله جلّ شأنه قد بيّن الغاية المتوخاة من نزول القرآن أنه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِيْنَ﴾، وعدَّ المتقين وحدهم بوجه خاص حائزين على الرشد والهداية والبركة من القرآن الكريم، حيث يقول: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾. فبالنظر إلى هذه الغاية المنشودة يتحقق بالقطع واليقين أنه لا يمكن قط إطلاق كلمة "الظالم"

الواردة في هذه الآية على عاصٍ ومتمرد يترك طريق العدل ويختار الشرك والإلحاد عمدا، لأن شخصا مثله خارج عن دائرة التقوى بلا شك ولا يستحق مطلقا أن يُعَدّ حتى من أدنى أنواع المتقين. ولكن هذه الآية لا تُدخل "الظالم" في حزب المتقين والمؤمنين فقط بل تعُدّه رئيس المتقين والمختار منهم. فثبت، كما قلتُ قبل قليل، أن الظالم المذكور في هذه الآية ليس من الظالمين الذين يخرجون من دائرة التقوى كليًّا، بل المراد هم أولئك الذين يواجهون ظلمة المعصية ولكن مع كل ذلك ليسوا متمردين بل يصارعون نفوسهم المتمردة دائما ويريدون أن يجتنبوا أهواء النفس تكلُّفا وتصنُّعا قدر الإمكان، ولكن تغلبهم النفس تارة وتوقعهم في المعصية، وتارة أخرى هم يغلبون ويزيلون تلك البقعة السوداء بكثرة البكاء. وإن هذه الصفة الموجودة فيهم ليست مذمومة بل محمودة وهي وسيلة للترقيات غير المتناهية والمجاهدات الشاقة. والحق أن صفة معارضة النفس هذه التي تسمَّى بتعبير آخر بالظَّلومِية، إنما هي ميزة فريدة ومحمودة جدا أُعطيها الإنسان ولم تُعطَها الملائكة فيقول الله تعالى مشيرا إلى هذا الأمر: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٥٠] أي أن الإنسان يتحلى بصفة الظلوم والجهول، لذا حمل هذه الأمانة التي لا يستطيع حملها إلا الذي يتحلى بصفة عداوة نفسه والشدة عليها.

فباختصار، إن صفة الظلومية مركَبٌ لمراتب سلوك الإنسان، ووسيلة عظيمة أُعطِيها لنيل مقامات القرب؛ فتتجلى في أوائل المجاهدات الشاقة بصورة نار جهنم، ولكنها في النهاية توصل إلى نعماء الجنة. والحق أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٥١] هو الآخر يشير إلى صفة الظلومية المحمودة؛ فلام التعريف في "**الظالمين**"

---

[٥٠] *الأحزاب: ٧٣*

[٥١] *مريم: ٧٢- ٧٣*

هنا تفيد التخصيص، والمراد منها أن الظالمين نوعان:

(١) الظالمون المتقون الذين وُعدوا بالنجاة، وهم أحباء الله، وعُدُّوا من الناجين في الآية: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ﴾.

(٢) الظالمون المشركون والكافرون والمتمردون الذين سيُلقَون في جهنم. ولقد قال تعالى في هذه الآية بأن المتقين أيضا ليسوا في منجى من مسّ هذه النار. والمراد من هذا البيان أن المتقين يُلقون أنفسهم في هذه النار بشتى الطرق بكل شجاعة وبطولة في هذه الدنيا التي هي دار الابتلاء، ويرمون بأنفسهم في نار مضطرمة في سبيل الله. كذلك ينزل عليهم أنواع القضاء والقدر السماوي بصورة النار. إنهم يؤذَون ويعذَّبون وتحل بهم زلازل عنيفة لا يقدر على احتمالها أحد سواهم. ولقد ورد في حديث صحيح ما مفاده: إن الحُمّى التي تصيب المؤمن أيضا من فَيْح جهنم، فينال المؤمن في هذا العالم نصيبا من النار بسبب الحمى أو معاناة أُخرى. وجاء في حديث آخر مفاده أنّ الجنة تتمثل للمؤمن جحيما في هذه الدنيا؛ بمعنى أن المصاعب الشاقة في سبيل الله تتراءى له بصورة جهنم، فحين يَرِدُها بطيب خاطر يجد نفسه في الجنة فجأة. وهناك أحاديث أخرى كثيرة تتلخص في أن المؤمن يأخذ في هذه الدنيا نصيبا من نار جهنم، أما الكافر فيُلقى فيها جبرا وإكراها، ولكن المؤمن يدخلها من تلقاء نفسه لوجه الله. وهناك حديث آخر بالمعنى نفسه بأن جزءا من النار مقدر لكل بشر، فليقبلها لنفسه في سبيل الله في هذه الدنيا إذا شاء أو ليقضِ حياته في الرفاهية والغفلة إذا شاء، ثم يقدِّم حساب تنعُّمه في الآخرة.

وللآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ معنى آخر أيضا وهو أنه سيُكشَف لكل شقي وسعيد في عالم الآخرة على سبيل التمثّل إنْ كان قد سلك في الدنيا سبل السلام أو اختار سبل الهلاك والموت والجحيم. وإن سبيل السلام وهو الصراط المستقيم والدقيق جدا ولا يسلكه إلا قلة قليلة -والانحراف عنه هو في الحقيقة السقوط في جهنم-

سوف يتراءى في ذلك اليوم على سبيل التمثّل. والذين لم يسلكوا الصراط المستقيم في الدنيا لن يقدروا على السلوك عليه في ذلك اليوم أيضا، لأن ذلك الصراط المستقيم في الحقيقة هو نموذجٌ للصراط المستقيم الروحاني في الدنيا. وكما نستطيع أن نرى الآن بعيون روحانية أن هناك جهنم على يمين صراطنا ويساره، فلو تركنا الصراط وانحرفنا يمينا لوقعنا في جهنم، ولو مِلنا إلى اليسار لسقطنا فيها أيضا، ولو سلكنا هذا الصراط مستقيمين لنجونا منها. فإن الوضع نفسه سيتراءى لنا في عالم الآخرة وسنرى بأم أعيننا أن هناك صراطا قد مُهِّد على الجحيم بصورة جسر، وعلى يمينه ويساره جهنم، وسنؤمَر بالسلوك عليه. فلو كنا قد سلكنا في الدنيا على الصراط المستقيم دون الانحراف يمينا أو يسارا، فلا خوف علينا من ذلك الصراط أيضا ولن يصلنا دخان الجحيم ولن يصيب قلوبَنا فزعٌ أو خوف، بل سنعبره مستنيرين بقوة نور الإيمان، لأنه قد سبق لنا أن عبرناه، وهذا ما يشير إليه الله جل شأنه حيث يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾[٥٢] أيْ من يكسب حسنة يُجزَى يوم القيامة أكثر مما كسب. كذلك يقول تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٥٣] ولكن الذي لم يسلك الصراط المستقيم في الدنيا فلن يقدر على ذلك عندئذ أيضا، وسوف يسقط في جهنم ويصير حطب نارها كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٥٤]أي أن الذين كسبوا السيئات سيُلقون في جهنم ويقال لهم بأن هذا الجزاء في الحقيقة يمثّل أعمالكم التي كسبتموها في الدنيا، ولن يظلم الله أحدا بل ستظهر الأعمال الحسنة بصورة الجنة، والأعمال السيئة بصورة الجحيم.

---

[٥٢] *النمل: ٩٠*

[٥٣] الزخرف: ٦٩

[٥٤] *النمل: ٩١*

وليكن معلوما أن عالم الآخرة هو في الحقيقة انعكاس للعالم الدنيوي، وما يظهر في الدنيا من الإيمان ونتائجه أو الكفر ونتائجه بصورة روحانية سيظهر في عالم الآخرة بصورة مادية. يقول الله جلّ شأنه: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾[٥٥]. فيجب ألا نستغرب من هذا الوجود التمثّلي بل يجب أن نفكّر قليلا كيف تتراءى الأمور الروحانية متمثِّلة في عالم الرؤى. وإن عالمَ الكشف أغرب من ذلك أيضا إذ تُرى بهذه العيون أمورٌ روحانية في صور مادية مختلفة في حالة اليقظة وعدم غياب الشعور. ففي كثير من الأحيان يحصل في حالة اليقظة الكاملة اللقاءُ مع أرواحٍ خلت من هذه الدنيا ولكن أصحابها يشاهَدون كما عاشوا في هذه الدنيا بجسدهم الحقيقي لابسين لباسا من ألبسة هذه الدنيا، ويتحدثون. وفي كثير من الأحيان يُنبئ بعض المقدسين منهم بأنباء مستقبلية بإذنه تعالى وتتحقق تلك الأنباء. وفي بعض الأحيان، وفي اليقظة بعينها، يقع في اليد شراب أو ثمرة من عالم الكشف وتكون لذيذة الطعم جدا. وإنني صاحب تجربة في كل هذه الأمور. وهذا النوع من أعلى درجات الكشف إذ يحدث في اليقظة تماما، فقد جربت شخصيا أنْ مثُلَ من الغيب أمام عيني طعامٌ لذيذ أو نوع من الثمار أو الشراب، ثم أُلقِمتُ به بيد من الغيب فتلذذت بطعمه اللذيذ بلساني. وأثناء ذلك تكون سلسلة الكلام مع الآخرين أيضا جارية وتعمل الحواس الظاهرية عملها على أحسن وجه، فأشرب هذا الشراب أو آكُل الثمرة وأشعر بلذتها وحلاوتها بصورة بيّنة، بل تكون تلك اللذة ألطف من اللذة الدنيوية بكثير. ولا يخطر بالبال قط أنه وهمٌ أو خيالات لا أصل لها، بل إنّ الله وهو "بكل خلق عليم" يُري نموذج الخلق. فما دام الله تعالى يُري نموذج الخلق في هذه الدنيا، وظل العارفون في كل زمان يشهدون بذلك، فلماذا يستغرب العقل من الخلق التمثّلي الذي سيحدث في الآخرة؟ ولماذا يتعجب العاقل من أنه سيتراءى

---

[٥٥] *الإسراء: ٧٣*

ميزان الأعمال والصراط، وكذلك تتراءى أمور روحانية كثيرة متمثلة في أشكال مادية؟ هل يُستبعَد عن قدرة الإله الذي أرى سلسلة الخلق التمثّلي للعارفين في الدنيا أن يُريها في الآخرة؟ بل الحق أن لهذه التمثلات صلةً أقوى بعالم الآخرة، لأنه إذا كان هذا الخلق التمثّلي يظهر على الحائزين على التزكية في هذا العالم الذي ليس مقام تجلي الانقطاع التام، فلماذا لا يُرى في عالم الآخرة الذي هو مقام انقطاع أكمل وأتم؟

يجب الانتباه جيدا إلى أن العجائب كلها التي يقرأها شخصٌ محجوبٌ على أنها قصص وردت في آيات القرآن الكريم لتنبئ عن المعاد، تُكشف على العارفين في الكشوف في هذه الدنيا. فالذي لم يصل نظره إلى الحقيقة يستغرب من هذه البيانات، بل في كثير من الأحيان ينشأ في قلبه اعتراض أن استواء الله يوم الدين على العرش ووقوف الملائكة صفا ووزن الأعمال في الميزان وسلوك الناس على الصراط وذبح الموت يوم الجزاء كما يُذبح الكبش، وكذلك ظهور الأعمال على الناس بصورة إنسان وسيم أو دميم، وجريان أنهار اللبن والعسل في الجنة وغيرها من الأمور؛ كلها تبدو بعيدة عن الحقيقة والمعقولية. ولكن كل هذه الشكوك تزول بحلّ نكتة واحدة فقط وهي أن عالم الآخرة هو عالم الخلق التمثّلي. ومن أسرار الله تعالى أنه يخلق بعض الأشياء على سبيل التمثّل كما يخلق بصورة طبيعية. وكما ترون أن صورتكم تنعكس بكاملها في المرآة، ويمكنكم أن تتأملوا كيف ترتسم صورتكم العكسية وكيف تظهر فيها ملامحكم. فلو صوّر الله تعالى الأمور الروحانية على وجه الحقيقة ووضعها أمام أعينكم بعد نفخ روح الصدق فيها، فما وجه الغرابة في ذلك؟ إن الله جلّ شأنه يكشف جميع الحقائق على الباحثين في هذه الدنيا، ولن يكون في الآخرة أمرٌ لا يمكن كشف حقيقته في هذا العالم.

وإذا اختلج في قلب أحد اعتراضٌ أنه قد تلت الآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾

آيةٌ أخرى هي: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ أيْ سننجي المتقين بعد ورودهم جهنم، ونترك الظالمين ساقطين فيها، وأن من مفهوم النجاة أن يصاب الإنسان أولاً بعذاب أو بلاء ثم يُنجّى منه، فهذا المعنى يستلزم -والعياذ بالله- أن يواجه عباد الله المقرّبين أيضا عذابَ جهنم إلى حد ما، ثم يُنَجّون منه.

فجواب هذه الشبهة هو أن كلمة "النجاة" لم تُستَخدَم هنا بمعناها الحقيقي، بل ليس المراد منها إلا أننا سنكشف حينئذ كون المؤمنين ناجين، ونُري الناس أنهم نجوا من موطن القلق والكرب العظيم وبلغوا مراداتهم. ومن سنّة الله الجارية في القرآن الكريم أنه يستخدِم فيه بعض الكلمات بصرفها عن حقيقتها كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[٥٦] والمعلوم أن من مفهوم القرض الحقيقي أن الإنسان يسأل غيره شيئا عند الحاجة والاضطرار ويعده بتسديده في وقت آخر. ولكن الله جلّ شأنه منزّه عن الحاجة؛ لذا فالمراد من مفهوم القرض في هذا المقام شيءٌ واحد فقط وهو أخذُ المرءِ شيئا جاعلاً نفسَه مسؤولا عن إرجاعه إلى صاحبه في وقت آخر. كذلك الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾[٥٧] أيضا صُرفت عن مفهومها الحقيقي، لأن المبتلي بالمعنى المعروف يكون غافلا عن النتيجة التي تظهر بعد الابتلاء ولكن المراد هنا ليس هذا، بل المراد من ابتلاء الله هو أن يكشف على المبتلَى عيوبه أو ميزاته الباطنية. إذًا، فقد صُرفت كلمة "**النجاة**" أيضا عن معناها الحقيقي. كما ورد توضيح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٥٨]؛ .. أي سينال المتقون مرامهم.

[٥٦] *الحديد:* ١٩

[٥٧] *البقرة:* ١٥٦

[٥٨] *الزمر:* ٦١- ٦٢

وهذا القول يفسر آية النجاة السابقة لأنه قد كُشف فيه حقيقة النجاة، وهي بلوغ المؤمنين مراداتهم. وقيل أيضا بأنهم سيُحفَظون من سوء ذلك اليوم كليا ولن يمسّهم السوءِ قط، ولن يدنو الحزنُ منهم أبدا.

ويمكن أن يُستَنتَج من الآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ معنى أن يكون الخطاب في الحقيقة موجّها إلى المأخوذين في عذاب جهنم، وأن يُنجَّى بعضهم الذين يملكون شيئا من التقوى، أما الآخرون فيبقون في جهنم. ويمكن استنباط هذا المعنى حين يُستَثنى من هذا الخطاب الأبرارُ والأخيارُ وجميعُ المقدسين والمقربين. ولكن الحق أنه يبدو أن المراد من كلام الله جلّ شأنه هو المعنى الذي بيّنتُه آنفا. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

والآن أعود إلى بحث الظَّلومية وأقول بأن صفة الظلومية التي يتحلّى بها المؤمن تحبِّبه إلى الله تعالى، وببركتها يجتاز مراحل السلوك العظيمة ويقبل لنفسه بطيب الخاطر أنواع مرارة لا تطاق، ويتحمل صَلْيَ أصناف الجحيم وحُرقتها. فلهذا السبب حين مدح الله الإنسان بأعلى أنواع المديح وفضّله على الملائكة، بيّن سبب أفضليته أنه ظلوم وجهول، حيث يقول ﷻ: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾ أي أن هذه الأمانة -التي هي ابتلاء كامل من الرب، ولا يقدر على حملها إلا العبد الكامل- قد حملها الإنسان لأنه كان ظلوما جهولا أي كان قادرا على أن يقسو على نفسه في سبيل الله، ويستطيع أن يبتعد عن غير الله لدرجة يخلو ذهنه حتى من صورته أيضا.

فليكن واضحا أننا سنرتكب خطأ فاحشا إذا استنتجنا هنا من "الظلوم" معنى الكافر والمتمرد والمشرك والمنحرف عن جادة العدل؛ لأن الله جلّ شأنه قد استخدم كلمة الظلوم والجهول هنا في محل مدح الإنسان وليس في محل الذم. وإذا كانت في محل الذم، والعياذ بالله، لكان المعنى أن الإنسان كان الأسوأ من غيره على الإطلاق

إذ حمل أمانة الله تعالى المقدسة وانقاد لأمره ﷻ. بل سنضطر للقول، والعياذ بالله، بأن الأنبياء والرسل كانوا هم الأظلم والأجهل -بالمعنى المذموم- لأنهم حملوا هذه الأمانة قبل غيرهم. بينما يقول الله جلّ شأنه بأنه قد خلق الإنسان في أحسن تقويم، فكيف صار أسوأ من غيره؟ ثم عدّ الأنبياءَ أسياد العادلين، فكيف يمكن عدّهم ظلومين جهولين بالمعنى الآخر؟

وإضافة إلى ذلك فإن هذا الزعم يستلزم اعتراضا على الله تعالى أيضا وهو أن الأمانة التي أراد تسليمها لم يكن فيها خير وصلاح وبركة، بل كانت تحتوي على شرّ وفساد لدرجة أن قبِلها الشرير والظالم ولم يقبلها الأبرار والصالحون.

ولكن هل يجوز سوء الظن بالله بأن ما ينبع من نبعه ﷻ وما يسمّيه أمانته التي يجب أن تُرَدّ إليه ﷻ مرة أخرى، أن يكون سيئا ونجسا في الحقيقة -والعياذ بالله- ولا يقبله إلا الظالم والمتمرد والعاصي والمحروم كليّا من نعمة العدل؟ الأسف كل الأسف أن أصحاب هذه الأفكار الشنيعة لا يُعيرون عظمة الله أدنى اهتمام، ولا يتدبرون أن الأمانة إذا كانت خيرا محضا فكيف صار حملُها ظلما؟ أما إذا كانت شرّا وفسادا فلماذا نُسبت إلى الله تعالى أصلا؟ وهل الله تعالى مبدأٌ للفساد؟ والعياذ بالله. وهل الشيء الذي ينبع من نبعه المقدس يجوز تسميته فسادا وشرا؟ الظلمة تعود إلى الظلمة والنورُ إلى النور، فكانت الأمانة نورا والإنسان الظلوم الجهول أيضا نورا بحسب المعنى الذي بينتُه، فقد قبِل النورُ نورا.

إن ذلك النور الأجلى الذي وُهب للإنسان، أعني للإنسان الكامل، لم يكن في الملائكة، ولا في النجوم، ولا في القمر، ولا في الشمس، ولم يكن في بحار الأرض ولا أنهارها، ولا في اللَّعْل، ولا في الياقوت، ولا في الزمرّد، ولا في الماس، ولا في اللؤلؤ؛ باختصار، لم يكن ذلك النور في أي شيء من الأرض أو السماء، وإنما كان في إنسان، أي ذلك الإنسان الكامل الذي كان **سيدنا ومولانا، سيد الأنبياء، سيد**

الأحياء محمد المصطفى ﷺ أتمَّ وأكملَ وأعلى وأرفعَ فردٍ من نوع البشر، فقد أُعطي هذا النور لذلك الإنسان، كما أُعطيه الآخرون أيضا -بحسب مراتبهم- الذين تصبّغوا بصبغته، أي لأولئك الذين كانوا متصبغين بالصبغة نفسها إلى حد ما. والمراد من الأمانة جميع القوى والعقل والعلم والقلب والروح والحواس والخوف والحب والعزة والجاه وجميع النِّعم الروحانية والمادية التي يهبها اللهُ تعالى للإنسان الكامل ثم يعيد الإنسان الكامل تلك الأمانة كلها إلى الله تعالى بحسب الآية: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[٥٩]؛ بمعنى أنه يفنى فيه ﷻ وينذر نفسه في سبيله. وإن هذه الميزة وُجدت بوجه أعلى وأكمل وأتم في سيدنا ومولانا وهادينا النبي الأمّي الصادق والمصدوق **محمد المصطفى** ﷺ كما شرحت ذلك في مقالي **"حقيقة الإسلام"**، حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٦٠]، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٦١]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٦٢]، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ﴾[٦٣]، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٤].

أنّ أفضلية نبينا ﷺ على الأنبياء الآخرين أفضلية كلّيّة

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي: أي صلاتي وعبادتي ومجاهداتي وتضحياتي ... أي ليس في الدنيا منذ بدايتها إلى نهايتها إنسانٌ كامل وفانٍ في الله من الدرجة العليا

[٥٩] *النساء: ٥٩*

[٦٠] *الأنعام: ١٦٣ - ١٦٤*

[٦١] *الأنعام: ١٥٤*

[٦٢] *آل عمران: ٣٢*

[٦٣] *آل عمران: ٢١*

[٦٤] *غافر: ٦٧*

مثلي حتى يعيد إلى الله تعالى أماناته كلها؛ ففي هذه الآية ردّ على أولئك الموحّدين قليلي الفهم الذين يقولون بأنه لا تثبت أفضلية نبينا ﷺ الكلية على الأنبياء السابقين، ويقدمون لذلك أحاديث ضعيفة ويقولون بأن النبي ﷺ منع من أن يُفضَّل على يونس بن متّى. ولكن قليلي الفهم أولئك لا يدركون أنه لو كان ذلك الحديث صحيحا، فهو على سبيل التواضع الذي كان من عادة النبي ﷺ بوجه عام. والمعلوم أن لكل حادث حديثا؛ فلو كتب أحد الصالحين مثلا في نهاية رسالته: "أحقر عباد الله" فأي غباوة وخبث نفسٍ أكبر من الاستنتاج من ذلك أنه أسوأ من كل شخص في العالم كله حتى من الوثنيين والفاسقين أجمعين؛ حيث يُقر بنفسه أنه أحقر عباد الله؟!

يجب الانتباه جيدا إلى أنه ما دام الله جلّ شأنه قد سمَّى النبي ﷺ أول المسلمين عدّه سيد المطيعين جميعا وعَدّه ﷺ أولَ من أعاد الأمانات كلها قبل غيره، فهل يبقى لمن يؤمن بالقرآن الكريم مجال بعد ذلك أن ينتقد -أيّا كان نوع انتقاده- شأن النبي ﷺ العظيم؟ لقد بيّن الله تعالى في الآية المذكورة آنفا مدارج كثيرة للإسلام وبيّن أن الدرجة العليا هي تلك التي أُودعت فطرةَ النبي ﷺ. **سبحان الله ما أعظم شأنك يا رسول الله!**

"إن موسى وعيسى بل كل الأنبياء من حزبك أنت، وكلهم سلكوا هذا المسلك بفضلك أنت".[٦٥]

فقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ يعني: اتّبعوا سبيلي الذي هو الحقيقة العليا للإسلام. عندها يحبكم الله. وقوله ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي قل لهم بأني أُمرتُ بأن أسلّم وجودي كله لله تعالى وأفوّض نفسي له؛ أي أفني نفسي في سبيل الله وأكون خادمَ العالمين كما هو رب العالمين، وأكون كلّيا له ﷻ ولسبيله. لذا فقد

---

[٦٥] *ترجمة بيت فارسي. (المترجم)*

سلَّمتُ لله كل ما كان لي، فلم يعد لي شيء، بل كل ما كان لي فقد صار لله رب العالمين.

أما الشبهة في أنه هل ذهب أحد مِن المتقدمين إلى هذا المعنى لكلمتي الظلوم والجهول الواردتين في هذه الآية؟ ومَن من أهل اللغة يستنتج هذا المعنى من كلمة "الظلم"؟ فجوابها أننا لسنا بحاجة إلى أيّ سند بعد كلام الله تعالى. إن بعض آيات الله يفسر بعضها الآخر. فما دام الله تعالى قد سمّى بعض المتقين ظالمين أيضا وعدَّ الظلم هو المرتبة الأولى من مراتب التقوى الثلاث، فقد فهمنا من ذلك بالقطع واليقين أنه ليس المراد من الظلم المذكور هنا ذلك الظلمُ البعيد عن التقوى، الذي هو شعار الكفار والمشركين والعصاة. بل المراد هو الظلم الذي هو شرط محتوم للمتقين في مراتب السلوك الابتدائية؛ أي كبتُ المرء أهواءه النفسانية وسعيه لإنقاص ظلمة الطبيعة البشرية من نفسه. وقد استُخدم "الظلم" بمعنى النقص في آية أخرى أيضا وهي: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أيْ: ولم تنقص. انظروا القاموس، والصحاح، والصراح حيث ورد الظلم بمعنى النقص أيضا. وهذا ما استُنتج من الآية المذكورة أي "ولم تنقص".

لم أتفرّد باستنباط هذا المعنى

وبالإضافة إلى ذلك لم أتفرد في استنتاج هذا المعنى بل قد ذهب إلى المعنى نفسه كبار العلماء والمحققين من أصحاب اللغة؛ فقد استنبط صاحب "الفتوحات المكية" -وهو من أهل اللغة أيضا في تفسيره الذي طُبع في مصر- المعنى نفسه، حيث قال في تفسير الآية: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ بأن الظلوم والجهول جاءتا في محل المدح، والمراد منهما أن الإنسان المؤمن يظلم نفسه نوعا ما في سبيل العمل بأوامر الله بحيث يعادي أهواء النفس ورغباتها، وبذلك يقلل وينقص من ثورة النفس وهياجها. ثم ينقل صاحب التفسير الحسيني من تفسير "الخواجة محمد

الرد على الشبهة: هل استنبط أحدٌ من المتقدمين هذا المعنى من هذه الآية

بارسا" أن معنى الآية هو أن الإنسان حمل تلك الأمانة لأنه كان ظلوما؛ أي كان قادرا على أن يتخلّى عن نوازع نفسه ورغباتها، أي ينقص من أهواء النفس ويقضي عليها نهائيا ويفنى في الله تعالى. وكان الإنسان جهولا لأنه يملك قدرة على أن يُهمل غير الحق ويتجاهله تماما، وينفي كل ما سواه قائلا: "لا إله إلا الله". يقول ابن جرير، وهو رئيس المفسرين، في تفسير هذه الآية بأن لفظتَي الظلوم والجهول جاءتا في محل المدح وليستا في محل الذم.

فلباب القول أن الأكابر والمحققين الذين نوّر الله تعالى عيونهم بنور المعرفة قد ذهب معظمهم إلى أنه لا يمكن أن يُستبنط من الآية معنىً سوى أن الإنسان بحمله أمانة الله نال لقبَي الظلوم والجهول على سبيل المدح لا الذمّ؛ وقد أورد ابن كثير أيضا بعض الروايات في تأييد هذا المعنى.

ولو تأملنا وتدبرنا في الآية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ لَعلمنا يقينا أن الأمانة التي عُرضت على الملائكة والأرض والجبال والكواكب كلها فأبَين حملها، عندما عُرضت على الإنسان فلا شك أنها تكون قد عُرضت أولا على أرواح الأنبياء والرسل لأنهم أسياد الناس وأول المستحقين لمفهوم الإنسانية الحقيقي. وإذا استُنبط من الظلوم والجهول معنى الكافر والمشرك والمتمرد الشديد التمرد فسيُطلق هذا الاسم على الأنبياء قبل غيرهم، والعياذ بالله. لذا فقد بات واضحا بداهةً أن لفظتَي الظلوم والجهول قد وردتا هنا في محل المدح. والمعلوم أنه لما كان الانقياد لأمر الله وعدم الإعراض عنه ليس معصيةً بل هو عين السعادة، فكيف يمكن أن يناسب مقتضى الحال في هذا المقام المعنى الحقيقي للظلوم والجهول الذي يستلزم الإباء والتمرد؟ لا يخفى على المطّلِع جيدا على أساليب الكلام في القرآن الكريم أن الله الكريم الرحيم جلّ شأنه يستخدم في بعض الأحيان بحق عباده الخواص لفظا يبدو غير جميل في

الظاهر ولكنه يكون محمودا جدا وفي محل المدح من حيث المعنى، كما قال الله جلّ شأنه بحق نبيه الأكرم: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[٦٦]. ومعلوم أن معنى "الضال" كما هو شائع ومعروف ومتداول بين أهل اللغة؛ هو المنحرف عن جادة الصواب، فبهذا يكون معنى الآية بأن الله وجدك (يا رسول الله) منحرفا عن الصراط المستقيم فهداك، مع أن النبي ﷺ لم يضل الطريق المستقيم قط. ومن اعتقد -مع كونه مسلما- أن النبي ﷺ قام في حياته بعمل الضلال فهو كافر وملحد ويستحق أن ينفَّذ فيه حدٌّ شرعيّ، بل يجب أن يُستنبَط من الآية هنا معنى يناسب سياقها، وهو أن الله جلّ شأنه قال عن النبي ﷺ أولا: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾. وجدك ضالا، أي عاشقًا لوجه الله فجذبك إليه، ووجدك فقيرا إليه فأغناك. والآيات التي تليها تمثّل قرينة على صحة هذا المعنى، إذ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فهذه الآيات جاءت مرتَّبة السياق تماما، وهي تشرح وتصرح بالهدف الكامن في الآيات الأولى فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ثم قال مقابل ذلك: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي اُذكر بأنك كنت يتيما فآويناك، فعليك أن تؤوي الأيتام كذلك. ثم قال ﷻ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ وقال مقابل ذلك: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي كنتَ أنت أيضا راغبا في وصالنا وكنت باحثا عن جمالنا وحقائقنا ومعارفنا، فكما ربّيناك كالأب تربية جسدية، كذلك فتحنا عليك بصفة المعلِّم أبواب العلوم كافة، وأسقيناك شراب لقائنا أكثر من غيرك، وأعطيناك كلَّ ما سألتنا، فلا تَرُدَّ أنتَ أيضا السائلين، ولا تنهرهم. واذكُر أنك كنت عائلا وكانت أسباب معيشتك الظاهرية منقطعة تماما فتولّاك الله بنفسه وأغناك عن تقديم حاجاتك لغيره. فلم تعُد محتاجا إلى الوالد ولا إلى الأم ولا إلى المعلِّم ولا لطلب حاجتك من الآخرين بل سوّى الله تعالى جميع

[٦٦] *الضحى: ٨*

أمورك بنفسه، وتكفَّلك منذ ولادتك، فعليك أن تشكره وتعامِل المحتاجين على المنوال نفسه. فيتبين بجلاء تام من هذه الآيات كلها أنه ليس معنى "الضال" هنا هو المنحرف عن جادة الصواب بل فيه إشارة إلى العشق البالغ منتهاه. وبهذا المعنى جاءت بحق يعقوب عليه السلام الآية: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[٦٧]. فمع أن الكلمتين "الظلم" و"الضلال" تعطيان أيضا معنى أن يترك أحد جادة الاعتدال والإنصاف ويتبع شهوات غضبه وبهيميته، ولكنهما وردتا أيضا في القرآن الكريم بحق العشاق الذين يدوسون نفوسهم وأهواءها تحت الأقدام في نشوة العشق في سبيل الله. وبهذا المعنى يقول الحافظ الشيرازي في بيتٍ *ما تعريبه*:

"لم تستطع السماء أن تحمل حِمل الأمانة، فأخرَجوا القرعة باسمي أنا المجنون".

إن ما يقصده الشاعر من هذا الجنون هو حالة العشق وشدة الحرص على الطاعة.

إذًا، فهذه هي حقيقة هذه الآيات التي فتحها الله عليّ، ولم أستنبط قط معنى يستلزم أن الأمانة الإلهية لم تكن مقدسة أو كانت تحتوي على فساد فقبلها المفسد الظالم ولم يقبلها الأبرار، الأمر الذي يؤدي إلى عدِّ جميع الأنبياء والرسل المقدسين – الذين هم أعظم حاملين لتلك الأمانة– ظالمين. لقد شرحتُ من قبل أن الأمانة وحقيقة الإسلام شيء واحد في الحقيقة، وأن الأمانة والإسلام شيء محمود في الحقيقة، ومعناه أن يعاد إلى الله تعالى عطاؤه كما تُعاد الأمانة إلى صاحبها. فمَن قبِل شيئا محمودا ومرغوبا فيه ولم يُعرض عن أمر الله وآثر رضاه عز وجل على رغباته الشخصية فأنّى له أن يكون جديرا بالذمّ؟

وجدير بالتذكّر أيضا أن الله تعالى يقول بعد آية حمل الأمانة: ﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

---

[٦٧] *يوسف: ٩٦*

﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٦٨]؛ أي أن حمْل الإنسان أمانة الله تعالى استلزم أن يعذَّب المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات الذين قبلوا باللسان فقط ولم يلتزموا بها عمليا، وليكون المؤمنون والمؤمنات الذين حملوا الأمانة والتزموا بها عمليا مورد رحمة الله تعالى.

إن هذه الآية أيضا تعلن بكل وضوح وصراحة أن المراد من الظلوم والجهول في الآية هم المؤمنون الذين قبِلت طبائعهم ومواهبهم الأمانة ثم التزموا بها، لأنه من الواضح تماما أن المشركين والمنافقين لم يقبلوها بوجه كامل. وإن وجود لام التعريف في "حملها الإنسان"، يفيد التخصيص في الحقيقة، ويتبين أن الله تعالى يقصد من وراء ذلك أن جميع الناس لم يقبلوا هذه الأمانة بوجه كامل بل قبِلها المؤمنون فحسب. ولكن مع أن بذرة الموهبة كانت موجودة في طبائع المشركين لكنهم لم ينالوا –بسبب النقص في المواهب– نصيبا كاملا من هذه العبارة البديعة، أي الظلوم والجهول. أما الذين أُعطُوا قدرة أكبر فقد نالوا هذه النعمة كاملة. إنهم لم يقرُّوا بقبول الأمانة بلسانهم فقط بل أثبتوا بأعمالهم وأفعالهم أنهم أعادوا الأمانة التي حملوها من قَبل بكمال الأمانة والإخلاص.

وليكن واضحا أيضا في الأخير أن لفظ "الجهول" أيضا قد استخدِم، على غرار "الظلوم"، بمعنى يليق بالاتقاء والاصطفاء، لأنه إذا كان المراد منها معنى الجهل الحقيقي –أي الجهل بالعلوم والمعتقدات الصحيحة، والتورط في أمور سخيفة وغير صحيحة– فذلك ينافي صفات المتقين بكل صراحة ووضوح، لأن التقوى الحقيقية لا تجتمع مع الجهل قط. إن التقوى الحقيقية تكون مصحوبة بالنور كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ

[٦٨] *الأحزاب: ٧٤*

سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٦٩]، ويقول أيضا: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[٧٠]؛ أيْ إذا داومتم على التقوى وتمسكتم بها وثبَتُّم عليها لوجه الله، فسوف يجعل الله بينكم وبين غيركم فرقا واضحا وهو أنكم ستُعطَون نورا تسلكون به في جميع مسالككم بمعنى أن ذلك النور سيعمّ أفعالكم وأقوالكم وقواكم وحواسكم؛ فسيكون في عقولكم نور وفي كل ما تقولونه تخمينا نور، وفي عيونكم نور، وفي آذانكم نور، وفي لسانكم نور، وفي كلامكم نور، وفي كل حركة من حركاتكم وسكناتكم نور، والسبل التي تسلكونها ستصبح نورانية. فباختصار، ستُملأ كافة السبل لقواكم وحواسكم نورا وستمشون في النور كليا.

ويتبين من هذه الآية بكل جلاء أن التقوى لا يمكن أن تجتمع مع الجهل قط، غير أن فهْم المرء وإدراكه يمكن أن يزيد أو ينقص بحسب مراتب التقوى. ومن هنا يثبت أيضا بأن الكرامة العظيمة والعليا التي يُعطاها الأولياء البالغون درجة الكمال من التقوى هي أن كافة حواسهم وعقولهم وفهمهم وقياسهم يودَع نورا، وتُغسَل قوّتهم الكشفية بمياه النور وتُطهَّر لدرجةٍ لا تكون في نصيب غيرهم، وتغدو مرهفة جدا وتُفتح عليهم الينابيع المقدسة من المعارف والحقائق، ويجري فيض سائغ من الله تعالى في كل ذرة من كيانهم مجرى الدم.

والآن أَصرفُ عنان القلم مرة أخرى إلى صلب الموضوع وهو بيان حقيقة الإسلام. فليكن واضحا أني قد بيّنت من قبل ما هو الإسلام وما حقيقته ولكن لا بد من الذكر بعد ذلك البيان كيف يمكن نوال حقيقة اسمها الإسلام، وما هي وسائل نيلها التي ذكرها القرآن الكريم.

أولا وقبل كل شيء يجب أن يكون معلوما أن وسيلة الحصول على شيء ما،

---

[٦٩] *الأنفال:* ٣٠

[٧٠] *الحديد:* ٢٩

هي ما يضمن استعمالُه الصحيح -أو الاستعانةُ به- والحصولَ على الغاية، ويكون استعمال نقيضه مدعاةً للحرمان والفشل. ثم ليتضح بعد ذلك أنه مع أن القرآن الكريم قد بيّن عدة وسائل لتحصيل حقيقة الإسلام، ولكن مآل كل تلك الوسائل يعتمد على أمرين اثنين فقط:

أولا: أن يتسنّى اليقين الكامل بوجود الله تعالى وبمالكيته التامة وبقدرته التامة وبسلطته المطلقة، وبعلمه التام، وبحسابه الكامل، وبأنه واحد لا شريك له، وبأنه الحي القيوم والحاضر الناظر وذو الاقتدار وأنه الأزلي والأبدي، وأنه "الأحد" بكل قواه وقدراته وجلاله وكماله؛ لدرجة يرى المرء كل ذرة من وجوده ووجود العالم كله تحت سيطرة الله وخاضعا لحكمه. ويرى مشهد: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[٧١] ماثلا أمام عينيه، ويُكتب في قلبه بخط كبير "بيده ملكوت السماوات والأرض" ويترسخ فيه نقشه القويّ لدرجة أنَّ عظمته وهيبته وكبرياءه تجعل كافة الأهواء النفسانية تضمحل بأشعته القاهرة وتَبهرها وتحل محلها، وتلقي بهيبته الدائمة في القلب، وترمي بملكوت النفس تحت تراب المذلة نتيجة صولها القاهر، وتمزّقها إربا، وتحطّم جدران الغفلة بتجلياتها المهيبة، وتهدم أبراج الكِبر، وتطيح بحكومة الظلمة البشرية كليا من عاصمة الوجود البشري، وتُري أهواء النفس الأمارة -التي كانت تحكم طبيعة الإنسان وعُدَّت ذات مكرمة- ذليلةً مهانة لا أهمية لها ولا قدر.

ثانيا: أن يطّلع المرء اطلاعا شاملا وواسعا على حسن الله وإحسانه، لأن الحب الكامل إنما ينشأ إما نتيجة الحسن أو الإحسان. والمراد من حسن الله جلّ شأنه هو محاسن ذاته وصفاته؛ وتلك المحاسن هي أنه ﷻ خيرٌ محضٌ ومبدأ جميع الفيوض ومصدر كل الخيرات وجامع جميع الكمالات ومرجع كل أمر، وموجد كل الموجودات، وهو علة العلل لكل مؤثِّر وفي يده أمر تأثيره وعدم تأثيره في كل حين

[٧١] *الأنعام: ١٩ و ٦٢*

وآن. وهو واحد لا شريك له في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله وكمالاته. وهو أزليٌّ وأبديٌّ بجميع صفاته الكاملة. وهو بَرٌّ ورحيم إذ يغفر نتيجة التوبة خطيئات آلاف السنين دفعة واحدة على قدرته الكاملة على المؤاخذة. وهو حليم وستار إذ يرى عشرات الملايين من الأعمال المنكَرة والذنوب المستنكَرَة ومع ذلك لا يبطش بمرتكبيها سريعا. ولو ظهر جماله الروحاني على سبيل التمثّل لسقط عليه كل قلب كالفراشه، ولكنه أخفى جماله عن الأغيار، ولم يُظهره إلا على الذين يبحثون عنه بصدق. لقد ألقى ﷻ بظلال حُسنه على كل شيء جميل. إن القمر أو الشمس أو أيَّ نجمٍ متلألئ وجميل، أو وجوه الناس التي نراها جميلة وبهيّة، أو الأزهار النضرة والجميلة التي تجذب القلوب بألوانها وروائحها هي كلها تنال في الحقيقة مثقالَ ذرة على سبيل الظلية من ذلك الحسن الذي لا زوال له. إن ذلك الحسن ليس ظنا ووهمًا أو خيالا، بل هو قطعي ويقيني وجليّ جدا بحيث تنبهر الأبصارُ كلها بمجرد تصوره، وتنجذب إليه القلوب الطاهرة. والحق أن الدفاتر لا تتسع لإحسانات ذلك الحبيب الحقيقي على الإنسان، لأن نِعمه لا تُعَدّ ولا تحصى؛ فهو يرى ذنبا بعد ذنب، ويُحسن إحسانا بعد إحسان، يرى خطأً بعد خطأ ويُنعم نعمةً بعد نعمة.

والحق أنه لا يستطيع أن يحسن إلينا زيدٌ ولا بكرٌ، ولا تستطيع الشمس أن تفيدنا بضوئها، ولا يقدر القمر أن ينفعنا بنوره، ولا يمكن أن تُغيثنا النجوم شيئا، ولا حقيقة لتأثيرات هذه الأشياء. كذلك لا يمكن أن ينفعنا صديق ولا ابنٌ. وباختصار شديد، لا يمكن لأيّ شيء أن يكون مدعاة لراحتنا ما لم يُرِد الله ذلك. فيتبين من ذلك أن تحقق حاجاتنا بآلاف الطرق، بل بما لا يُعَدّ ولا يُحصى من الطرق؛ هو في الحقيقة فضلٌ من ذلك المنعم الحقيقي. فمن يستطيع أن يعُدّ نِعم الله أو يُحصيها؟ فلو قلنا عدلا وإنصافا لاضطُررنا لنشهد أنه ما أحبَّنا أحدٌ مثله.

وقد أشير في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٧٢] إلى هذين القسمين من الوسائل التي يتوقف عليها تحصيل حقيقة الإسلام، أيْ أن الذين يدركون عظمة الله وقدرته وإحسانه وحسنه وجماله هم الذين يخشونه في الحقيقة. والحق أن الخشية والإسلام شيء واحد من حيث المفهوم، لأن مفهوم كمال الخشية يستلزم مضمون الإسلام. إذًا، فإن مآل معاني هذه الآية وحصيلتها هي أن الوسيلة الكاملة لتحصيل الإسلام هي معرفة عظمة ذات الله وصفاته التي قد فصّلتُها من قبل، وإلى هذه الحقيقة تشير الآية: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٧٣]، والمراد من الحكمة هو معرفة عظمة ذات البارئ تعالى وصفاته، والمراد من الخير الكثير هو الإسلام؛ إذ قال الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٧٤]. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٧٥]. أيْ أُرزُقني يا رب علما كاملا بعظمتك ومعرفة شؤونك وصفاتك. وقال أيضا: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٧٦]. فتبين بقراءة هاتين الآيتين معا أن السبب وراء عدِّ نبينا ﷺ أول المسلمين هو أنه أعلم من غيره في علوم معرفة الله؛ أي أن علمه ﷺ بالمعارف الإلهية أكثر من غيره، لذا فإن إسلامه ﷺ أيضا أرفع وأعلى من الجميع، وهو أول المسلمين. ولقد أشير أيضا إلى كثرة علم النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[٧٧]. أيْ علّمك الله علوما ما كنت قادرا على تحصيلها بنفسك، وإن فيوض الله نزلت عليك بفضله تعالى أكثر من غيرك؛ بمعنى أنك سبقت

---

[٧٢] *فاطر: ٢٩*

[٧٣] *البقرة: ٢٧٠*

[٧٤] *يونس: ٥٩*

[٧٥] *طه: ١١٥*

[٧٦] *الأنعام: ١٦٤*

[٧٧] *النساء: ١١٤*

الجميع من حيث المعارف الإلهية والأسرار والعلوم الربانية، وأن الله تعالى قد مسحك بعطر معرفته أكثر من غيرك.

إذًا، فقد جعل الله تعالى العلم والمعرفة وسيلة لإدراك حقيقة الإسلام، مع أن هناك وسائل أخرى أيضا لإدراكها؛ مثل الصوم والصلاة والدعاء والعمل بكافة أوامر الله التي تربو على ستمئة أمر، ولكن العلم بعظمة البارئ عزّ اسمه وبوحدانية ذاته، والمعرفةُ بشؤونه وصفاته الجلالية والجمالية، هي أعظم الوسائل التي تتوقف عليها الوسائل الأخرى كلُها؛ إذ كيف لغافل القلب والمحروم تماما من معرفة الله أن يوفَّق للصوم والصلاة والدعاء، أو يكسب الخيرات الأخرى؟ إذ الدافع وراء كل هذه الأعمال الصالحة هو المعرفة، وهي منشأ الوسائل الأخرى كلها، وهي تتولد منها. وإن بداية هذه المعرفة هي بسبب صفة الرحمانية وليست نتيجة أيّ عمل أو دعاء، بل هي فقط هبة من الفيض الذي لا علة فيه، **يهدي من يشاء ويضل من يشاء**. ولكن هذه المعرفة تزداد نتيجة الأعمال الصالحة وحُسن الإيمان حتى تنزل في نهاية المطاف بصورة الإلهام وكلام الله وتنوِّر الصدر كله بالنور الذي يسمَّى الإسلامَ. وعند الوصول إلى هذه الدرجة من المعرفة التامة لا يبقى الإسلام مقتصرا على الألفاظ، بل تتسنّى جُلّ حقيقته التي تناولتُ ذكرها قبل قليل، وتضع روح الإنسان رأسها على عتبات الله بكل تواضع وانكسار. عندها يصدر من كِلا الجانبين صوت يقول: كل ما هو لي فهو لك؛ أي تنطق روح العبد وتقرّ بأن كلَّ ما هو لي فهو لك يا ربي، ويتكلم الله تعالى أيضا ويبشر عبده قائلا: يا عبدي، كلّ ما هو معي من السماوات والأرض وغيرهما فهو معك كلُّه.

وقد أشير إلى هذه المرتبة في الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٥٤)؛ إذ قال تعالى في هذه الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ أي قل يا خدامي ولم يقل: "قل يا عباد الله"، والسرّ في

استخدام هذا الأسلوب هو أنها نزلت لكي يبشر الله تعالى برحمةٍ لا تنتهي، ويهدِّئ روع الذين صاروا مكسوري القلوب بسبب كثرة المعاصي. فأراد الله جلّ شأنه بواسطة هذه الآية أن يقدم مثالا على أنواع رحمته ويُري العبد إلى أيّ مدى يُكرم عباده الأوفياء بإنعاماته الخاصة فوضّح ﷻ بقوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ أن انظُروا إلامَ وصل رسولي الحبيب، انظروا كم أحرز عبدي المصطفى هذا درجة عليا بواسطة الطاعة الكاملة حتى صار له كلُّ ما كان لي. والذي يتحرّى النجاة فليكن عبدا له؛ أي يجب أن يفنى في طاعته وكأنه عبدٌ له عندها سيُغفر له مهما كان مذنبا من قبل. إن "العبد" يُطلَق في اللغة العربية على الرقيق أيضا، كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾[٧٨]؛ ففي هذه الآية إشارة إلى أن مَن يودّ النجاة فعليه أن ينشئ مع هذا النبي علاقة العبودية أي لا يخرجنّ عن أوامره قيد شعرة وليعُدَّ نفسه مطيعا له كالرقيق عندئذ سينال النجاة.

في هذا المقام أتأسف على أولئك الموحدين المزعومين والعمهين الذين يبغضون نبينا الأكرم ﷺ حتى يعدّون من الشرك التسميةَ بأسماء مثل "غلام نبي" و"غلام رسول"، و"غلام مصطفى" و"غلام أحمد" و"غلام محمد". بينما يتبين من هذه الآية أن هذه الأسماء هي مدار النجاة. وما دام مفهوم العبد يتضمن أن يتخلّى المرء عن كل نوع من الحرية وحب الذات ويتّبع سيده تماما، لذا فقد رُغِّب الباحثون في أن يُنشئوا في أنفسهم هذا المضمون إن كانوا يريدون النجاة.

والحق أن للآية المذكورة آنفا والآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٧٩] مفهوما واحدا، لأن كمال الاتّباع يستلزم الفناء والطاعة التامة التي يتضمنها مفهوم العبد. والسرّ هو أنه كما تَعِد الآية الأولى بالمغفرة بل

---

[٧٨] *البقرة:* ٢٢٢

[٧٩] *آل عمران:* ٣٢

تبشِّر المرءِ كونَه حبيب الله، وكأن الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ بتعبير آخر هي: قل يا متّبعيَّ الذين ارتكبتم الذنوب بكثرة لا تقنطوا من رحمة الله، لأن الله جلّ شأنه سيغفر لكم الذنوب كلها ببركة اتّباعكم لي. ولكن لو أُريد فقط من "عبادي" عباد الله عموما لفسد المعنى، لأنه ليس صحيحا مطلقا أن يغفر الله تعالى للمشركين والكافرين جميعا هكذا دون أن يتحقق فيهم شرط الإيمان وشرط الاتّباع. إن هذا المعنى يناقض نصوص القرآن الكريم البينة بصراحة تامة.

فليكن واضحا أيضا في هذا المقام أن محصلة هذه الآية هي أن الذين يصبحون عبيدا لك يا رسول الله، قلبا وقالبا، يوهَبون نور الإيمان والحبَّ والعشقَ الذي سيحررهم من غير الله، ويُنقَذون من الذنوب، ويُرزَقون حياة طيبة في هذه الدنيا، وسيُخرَجون من قبور الأهواء النفسانية الضيقة والمظلمة. وهذا ما يشير إليه الحديث: "أنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي"[٨٠].

فليتضح أن القرآن الكريم زاخر بعبارات أن الدنيا كانت ميتة فأحياها الله تعالى من جديد بإرسال نبيه خاتَم النبيين ﷺ، حيث يقول: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[٨١]، وقال على غرار ذلك بحق أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[٨٢]؛ والمراد من تأييد روح القدس هو أنه يحيي القلوب ويُنقذها من الموت الروحاني، ويهبها كلَّ ما هو طاهرٌ من قوى وحواس وعلم، ويوصل إلى مقام قرب الله تعالى بالعلوم اليقينية والبراهين القاطعة، لأن مقربيه ﷻ هم أولئك الذين يعلمون يقينا أنه موجود، ويعلمون يقينا أيضا أن قدرته ورحمته وعقابه وعدله كلها حق وصدق وهو مبدأ جميع الفيوض ومنبع نظام العالم كله وعلة العلل لسلسلة المؤثِّرات

[٨٠] *صحيح البخاري، كتاب المناقب.*

[٨١] *الحديد: ١٨*

[٨٢] *المجادلة: ٢٣*

والمتأثِّرات كلها، وهو متصرف بالإرادة وبيده ملكوت السماوات والأرض كله. وإن هذه العلوم التي هي مدار النجاة، لا تُنال -قطعا ويقينا- إلا بالحياة التي ينالها الإنسان بواسطة روح القدس. والقرآن الكريم يعلن بكل قوة وشدة أن تلك الحياة الروحانية إنما تتسنّى نتيجة اتّباع رسول الله ﷺ فقط، أما المارقون عن اتّباع هذا النبي الأكرم ﷺ فهم ميّتون ولا توجد فيهم روح هذه الحياة.

والمراد من الحياة الروحانية هي قوى الإنسان العلمية والعملية التي تحيا بتأييد روح القدس. ويثبت من القرآن الكريم أن الأحكام التي يريد اللهُ أن يثبِّت الإنسانَ عليها هي ستمئة حُكم، ومقابلها ستمئة جناح لجبريل عليه السلام. وما لم تأت بيضة البشرية تحت أجنحة جبريل حاملةً نِير الستمئة حُكم هذه فلا يتولد منها ولَدُ الفناء في الله. وحقيقة البشرية تتسع لستمئة بيضة. فمن دخلت بيضات استعداده الستمئة تحت أجنحة جبريل الستمئة؛ كان إنسانا كاملا، وكان تولُّده كاملا، وحياته كانت كاملة. ويتبين بنظرة التأمل والتدبر أن الأولاد الروحانيين لبيضة البشرية -الذين وُلدوا بواسطة روح القدس ببركة اتّباع النبي ﷺ- هم أتم وأكمل كيفًا وكمًّا وصورةً ونوعًا وحالةً من أولاد الأنبياء جميعا. وإلى هذا الأمر يشير الله جلّ شأنه بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٨٣]،خير أمة: أي خُلقتم لإصلاح الناس، والحق أن كمالات تعليم القرآن الخاصة كلها تشهد على كمالات مواهب هذه الأمة المرحومة، لأن كُتب الله جلّ شأنه تنزل بحسب قدرة الأمة المكلَّفة بالعمل بها؛ فمثلا يرى جميع المحققين أن تعليم الإنجيل ليس كاملا، بل يركّز على جانب واحد فقط، ويُهمل الجانب الثاني كليًّا. ولكن الحق أن سبب ذلك يعود إلى قصور قدرات الذين أُنزل الإنجيل إليهم. ولأن الله تعالى طوّر القدرات البشرية تدريجيا، لذا فقد كان في الأزمنة الأولى أناس كثيرون أغبياء وبليدون وقليلو العقل والفهم وضيقو الآفاق، وضعفاء العزيمة واليقين

---

[٨٣] *آل عمران: ١١١*

وذوو أفكار سطحية وغارقون في الأطماع الدنيوية، وذوو قوى دماغية وقلبية ضعيفة جدا. ولكن بعد تلك الأزمنة جاء زمن سيدنا ومولانا النبي ﷺ الذي ارتقت فيه المواهب رويدا رويدا، وكأن الدنيا أخذت منحى جديدا من حيث قواها الفطرية، فأُنزل التعليم الكامل نظرًا لاكتمال المواهب.

تنبيه

لإزالة شبهة وردت في جريدة "نور أفشان" بتاريخ ١٣/١٠/١٨٩٢م

لقد جاء في إنجيل يوحنا ١١: ٢[٨٤] قول عيسى ؑ: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا"؛ أي سينجو من موت الذنب والمعصية والغفلة والكفر وسينال حياة روحانية لطاعة الله. فقد كتب محرر "نور أفشان" بتاريخ ١٣/١٠/١٨٩٢م معلّقًا على هذه الفقرة من الإنجيل لقلة فهمه بقوله أنه لم يكن في تاريخ العالم منذ زمن آدم إلى يومنا هذا شخص ادّعى مثل هذا الادّعاء العظيم وقال بحق نفسه بأني أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. ولو أعلن أحد بذلك لاستحال عليه إثباته، ولكن الإله المسيح ادّعى ذلك وأثبته أيضا.

لا يخفى على مطّلع على حقائق الأمور كم هو بعيد عن الحق والصدق قول المحرر المحترم هذا. والواقع أنه إذا كان المسيح ؑ قد أعلن: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" لكان محتوما أن يظهر صدق إعلانه وتنتشر الحياة الروحانية بواسطته في العالم في حياته وبعد مماته أيضا لأنه كان نبيا صادقا. ولكن قد لا نجد في سيرة أي نبيّ نظيرا لعدم قدرة المسيح ؑ على نشر الصدق الإلهي والتوحيد الرباني إلا نادرا. وقد شهد في زمننا هذا كبار القساوسة أيضا بأن تعليم المسيح لم يقدر على إزالة الأفكار السطحية وقلة الفهم والطمع في الدنيا حتى من تلاميذه، وما أبدوه عند اعتقال المسيح من الجبن وسوء الاعتقاد والغدر، بل إنّ ما جرى في اللحظات الأخيرة على لسان بعض الحواريين من كلمات اللعن والطعن بحق المسيح، إنما هو أمرٌ عدّه كبارُ العلماء المسيحيين أيضا -الذين يحتلون مكانة مرموقة- من دون مبرر وأنه مخجل جدا للمسيحيين. فكم هو بعيد عن الحقيقة الزعم بعد كل ذلك بأن المسيح ؑ

[٨٤] *هذا سهو الناسخ، والصحيح: إنجيل يوحنا: ١١: ٢٥. (المترجم)*

كان قيامة روحانية وبأن الأموات الروحانيين قد عادوا إلى الحياة بواسطته! إن نموذج الاستقامة والإيمان الذي أبداه أتباع المسيح ﷺ لهو مثال سيِّء لا بد وأن يكون قد ترك تأثيره السيِّء على جميع المسيحيين الذين أتوا إلى العالم بعد ذلك وإلى يومنا هذا، لأن كل شخص يستطيع أن يفهم أنه لو ظهرت من المسيح معجزات في الحقيقة وظهرت منه أمور غريبة من الدرجة العليا لما كانت عاقبة الحواريين الذين آمنوا به سيئة إلى درجة أن يأخذوا بضعة دراهم رشوةً مقابل اعتقاله، وأن يهرب بعضهم بعد أن شاهده يُعتَقل، أو أن يلعنه بعضهم قدّامه. أفهذه علامات الذين يترسخ الإيمان في قلوبهم وينالون حياة جديدة؟ وهل يُبدون الوفاء لسيدهم ومولاهم ومرشدهم على هذا المنوال؟ إن كلمات المسيح ﷺ المسجّلة في الأناجيل أيضا تدل على أن حوارييه وأصحابه ورفقاءه وندماءه وجلساءه ليل نهار كانوا خالين من الروحانية تماما. لهذا السبب وصف المسيح ﷺ بعضهم بضعيفي الاعتقاد وذكر بعضهم بكلمة الشياطين. ولكننا لو تركنا الحواريين جانبا وألقينا نظرة على المسيحيين الذين جاءوا بعد ذلك بين حين وآخر إلى يومنا هذا لما رأينا واحدا منهم خرج من "قبر" النفس والدنيا إلى قيامة الحياة الجديدة، بل نجدهم جميعا ميّتين ومنتنين في قبور النفسانية الضيِّقة والمظلمة، ولم تمسسهم ريح حياة الروحانية. ولا يدرون مَن الإله، وما حقيقة عظمته وقدرته، وكيف يهب القلوبَ الطاهرة حياةً طيبة ويتقرب إليها. إنهم فرحون بتأليههم إنسانا عاجزا وبتحميله حِمل ذنوب الآخرين دون مبرر.

وليكن معلوما أن الموت أربعة أنواع: موت الغفلة، وموت الذنب، وموت الشرك، وموت الكفر. فكل هذه الأنواع الأربعة من الموت ملحوظة في المسيحية. أما موت الغفلة فلأن جُلّ قواهم تُبذَل لزينة الدنيا، ولا يعيرون لإزالة الحُجُب التي بينهم وبين الله أدنى اهتمام. وإذا أردتم أن تروا موت الذنب فسِيروا في أوروبا لتروا كم بقي فيهم من العفة والورع والطهارة. أما موت الشرك فترون بأنفسكم أنهم ألَّهوا إنسانا

ونسوا الإله الحقيقي. وأما موت الكفر فهو أنهم أنكروا رسولا صادقا.

فالواضح من هذا البيان كله أن الظن بأن المسيح عليه السلام قد أرى نموذج القيامة في إحياء الأموات الروحانيين هو زعمٌ محال تماما وادعاء يعوزه دليل. بل الحق أن نموذج هذه القيامة من حيث الحياة الروحانية قد أراه ذلك الإنسان الكامل الصفات الذي اسمه الكريم هو محمد ﷺ. ويشهد القرآن الكريم كله من البداية إلى النهاية أن هذا الرسول قد أُرسل حين كانت جميع أمم العالم قد ماتت روحانيا، وقد أهلك الفسادُ الروحاني الناس برًّا وبحرا، عندها جاء هذا الرسول ﷺ وأحيا العالم من جديد، وأجرى في الأرض أنهار التوحيد. ولو فكّر منصفٌ فيما كان عليه الناس في الجزيرة العربية في البداية ثم ما آلت إليه حالتهم بعد اتّباعهم هذا الرسول ﷺ، وكيف تحولت حالتهم من الهمجية إلى الإنسانية السامية، وكيف ختموا على إيمانهم بإراقة دمائهم والتضحية بأرواحهم، وبهجرهم أقاربهم، وببذلهم أموالهم وكرامتهم وراحتهم في سبيل الله؛ لَتراءى ثباتهم وصدقهم وتضحيتهم بأرواحهم في سبيل رسولهم الحبيب كرامةً من الدرجة العليا دون أدنى شك.

لقد عملتْ فيهم تلك النظرة الطاهرة حتى محَوا نفوسهم، وقاموا -فانين في الله- بأعمال الصدق والحق التي يستحيل نظيرها في أمة أخرى. وما حصلوا عليه كمعتقدات لم يكن تعليما لتأليه إنسان ضعيف، أو لاعتبار الله محتاجا للأولاد، بل عرفوا بواسطة نبيهم الإلهَ الحق ذا الجلال غير المتبدّل منذ الأزل، وهو الحي القيوم والمنزَّه من البنوّة والأبوة، والبريء من الولادة والموت. لقد خرجوا من حفرة الموت في الحقيقة وتثبَّتوا على منارة الحياة الطاهرة العليا. وقد نالوا جميعا حياة جديدة وتلألأوا من حيث إيمانهم تلألُؤ النجوم.

فالحق أنه قد جاء إلى الدنيا إنسان كامل واحد أرى هذه القيامة الروحانية بوجه أتم وأكمل، وأحيا الأموات منذ أمد بعيد وأحيا العظامَ الرميم منذ آلاف السنين.

فبمجيئه فُتحت القبور ودبّت الحياة في عظام بالية. ولقد أثبت ﷺ أنه هو الحاشر وهو القيامة الروحانية والذي على قدميه خرج العالم من الأحداث. هذا وقد أثّرت بشارةُ: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾ *(النصر: ٣)* في الجزيرة العربية كلها. ثم لم يقتصر نموذج هذه القيامة على الصحابة فقط، بل الله القادر القدير الذي بعث هذا البشير والنذير إلى كل أمة وكل زمن وكل بلد قد وضع في أتباعه الصادقين بركات أبدية، ووعد بأن ذلك النور وروح القدس الذي أُعطِيه صحابة ذلك الإنسان الكامل سوف يُعطَاه متّبعوه والمخلصون الصادقون القادمون أيضا، حيث قال جلّ شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٨٥] أي أن الإله الرحيم هو الذي بعث ... وكذلك هذا الرسولُ الذي يربّي هؤلاء الناس تربية، سوف يربّي حزبا آخر أيضا سيلحقون بهؤلاء ويخلقون في أنفسهم كمالاتهم. ويجب الانتباه في هذا المقام إلى نكتة أن كلمة ﴿آخَرِينَ﴾ في الآية: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُم...﴾ جاءت في محل المفعول، وتقدير قوله تعالى: هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويعلّم الآخرين منهم الذين لما يلحقوا بهم. أيْ أنّ لنا آخرين أيضا من العباد الخالصين الكاملين غير الصحابة، وسيُخلَقون في الزمن الأخير بكثرة. وكما ربّى النبيُ ﷺ أصحابه ﵃ كذلك سيربّيهم النبيُ ﷺ أيضا تربية باطنية أيْ أنهم سيأتون في زمن تنقطع فيه سلسلة الإفاضة والاستفاضة الظاهرية، وتتطرق إلى الإسلام أخطاء وبدعات كثيرة، وتخلو قلوب الزهاد أيضا من النور الباطني، عندها يوصل الله تعالى نفسا سعيدة إلى كمال الروحانية ببركة تربية النبي ﷺ الروحانية فقط دون واسطة الوسائل والطرق الظاهرية، وسيجعله جماعةً ستُحرز مماثلة قوية بالصحابة، لأن تلك

[٨٥] *الجمعة: ٣-٤*

الكمالات كلها تكون من ثمار تربية النبي ﷺ، وسيكون فيضه جاريا فيهم، فسيلحقون بالصحابة؛ أيْ سيشبهونهم من حيث كمالاتهم، وستتسنّى لهم بفضل الله تعالى ورحمته -لنيل الأجر والثواب- الفرص نفسها التي نالها الصحابة. وبسبب قلة عددهم وقلة حيلتهم ونتيجة ثباتهم سيُعَدّون صادقين عند الله كما عُدّ الصحابة؛ لأن ذلك الزمن سيكون زمن انتشار كثير من الآفات والفتن والإلحاد، وسيواجه الصادقون المصاعبَ نفسها التي واجهها الصحابة ﷺ، لذا سيُعدُّون على درجة الصحابة بسبب ثباتهم. ولكن سيتخلل هذين الزمنين زمنُ فَيْجٍ أعوج يتضاءل فيه عددُ الذين حذوا حذو الصحابة وحازوا مراتبهم بصورة ظلية، وذلك بسبب الرعب من سلاطين الإسلام وشوكتهم، ونتيجة كثرة أسباب التنعُّم ولكن الزمن الأخير سيشبه الزمن الأول لأن الغُربة تعمّ الناس فيه، ولن تكون في أيديهم حيلة لمواجهة تلك البلايا إلا قوة الإيمان. لذا فإن إيمانهم يكون قويا وثابتا عند الله لدرجة أنْ لو كان الإيمان بالثريّا لنالوه وأعادوه إلى الأرض؛ أيْ ستحل بهم الزلازل ويُبتَلون وتحيط بهم فتن قاسية، ولكنهم سيثبتون ويصمدون بحيث لو صار الإيمان بالأفلاك لما تركوه.

إذًا، إن المديح بأنه لو صار الإيمان بالسماء لنالوه، يشير إلى أنهم سيأتون في زمن يكون فيه الإلحاد منتشرا في كل حدب وصوب ويزول فيه حب الله الصادقُ من القلوب بوجه عام، ولكن إيمانهم في قلوبهم يكون قويا، وسيملكون قوة عظيمة لتحمل المشاق والمعاناة في سبيل الله، وسيكونون صادقين وصامدين إلى أقصى الحدود.

لن يمنعهم خوف، ولن يجعلهم الطمع الدنيوي كسالى. والحق أن قوة الإيمان تتحقق بأن يبقى المرء ثابتا صامدا في زمن الابتلاءات من هذا النوع، وفي زمن انتشار الإلحاد.

ففي هذا الحديث إشارة إلى أن الحزب المذكور سيكون حتما في الزمن الذي

ستوجد فيه أسباب لابتلائه، وتكون الدنيا بعيدة كل البُعد عن الإيمان الحقيقي وكأنها تجردت منه نهائيا.

فملخص الكلام أن الله جلّ شأنه يقول في حقهم بأن الذين سيأتون في الزمن الأخير سيكونون عبادا خالصين وكاملين ويتصبّغون بصبغة الصحابة من حيث كمال إيمانهم وكمال إخلاصهم وكمال صدقهم وكمال استقامتهم وكمال ثباتهم وصمودهم وكمال عرفانهم، ومعرفتهم بالله تعالى. يجب أن يُفهَم جيدا أن في هذه الآية إشارة إلى زمن الكاملين الذين سيكونون في الزمن الأخير وليس إلى زمن آخر، لأنه يتبين من ظاهر كلمات الآية أيضا أن هؤلاء الكاملين سيأتون في الزمن الأخير إذ تعلن الآية: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بكل جلاء.

والأزمنة ثلاثة؛ زمن الصحابة، والزمن الوَسَطي الذي كان بين المسيح الموعود والصحابة، والزمن الأخير هو زمن المسيح الموعود ومصداق لآية: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ الذي نحن فيه الآن كما قال الشيخ المرحوم صِدِّيق حسن خان القنّوجي ثم البهوبالي - وهو مجدد الوقت بحسب رأي الشيخ البطالوي - في الصفحة ١٥٥ من كتابه "حجج الكرامة" ما معناه: إن فترة الآخرين في آخر هذه الأمة قد بدأت من الألف الثاني. وقد فُقدت آثار التقوى في بدايته، وكذلك فُقدت سطوة الإسلام المادية أيضا. تم كلامه. من المعلوم أن النبي ﷺ قد عدّ زمن الصلاح فترتين فقط؛ أولاهما زمن الصحابة الذي يُتصور أنه يمتدّ إلى وفاة آخر صحابي، ويثبُت أن ذلك كان في عصر الإمام الأعظم أبي حنيفة ؓ. وثانيهما هو الزمن الوسطي الذي يجب أن يُسمَّى "زمن أم الخبائث" من حيث كثرة البدعات، وسماه النبي ﷺ "فَيْج أعوج". ونهاية هذا الزمن الملحَق بزمن مجيء المسيح الموعود. ويبدو من الأحاديث النبوية أنه

أسوأ حالا[٨٦]. ولقد أورد البيهقي بهذا الشأن حديثا معناه أن النبي ﷺ قال بأن

بيان زيارة رسول الله ﷺ

[٨٦] **الحاشية في بيان رؤيا**: عندما أنهيتُ تسجيل الأدلة الشاملة في الرد على جريدة "نور أفشان" بأن المصداق الحقيقي للقيامة الروحانية هو نبينا ﷺ، وسجّلتُ في تلك العبارات إلى حد ما مديح النبي ﷺ - الذي يفوق البيان في الحقيقة - وأنهيتُ أيضا كتابة بعض مناقب الصحابة ﷺ ومحامدهم على سبيل المثال إثباتا لذلك، كان ذلك بتاريخ ١٨٩٢/١٠/١٧م، وحين نمتُ ليلا بعد كتابة محامد النبي ﷺ ومناقب الصحابة ﷺ أُريتُ رؤيا مباركة وطاهرة؛ فقد رأيتُ نفسي في مكانٍ واسع له غرف عريضة وواسعة وتُفرَش بفُرُشٍ فاخرة، وأنا أُسمِع في طابق علوي جماعةً كبيرةً حقائق ومعارف ربانية. ومع هذه الجماعة يجلس شيخٌ غريب لا يعتقد بي وليس من جماعتنا. ولكني أعرف ملامحه، فهو نحيف الجسم ذو لحية بيضاء فتدخّل في بياني بغير وجه حق وقال بأن هذه الأمور تدخُل في كنه البارئ تعالى، والكلام عن كنه البارئ ممنوع. فقلتُ له: يا قليل الفهم، هذه البيانات لا تمتّ لكُنْه البارئ تعالى بِصِلة بل هي معارف فاكتأبتُ كثيرا لتدخّله غير المبرر وحاولت إسكاته ولكنه لم يرتدع عن خبثه، عندها ثار غضبي وقلتُ: إن المشايخ اللئام في هذا الزمن لا يتورعون عن الفتن والخبث، وسيفضحهم الله تعالى. وقلت بعض الكلمات الأخرى أيضا من هذا القبيل ولكن لا أذكرها الآن. ثم قلت بعد ذلك: هل من أحد يُخرج هذا الشيخ من المجلس؟ فرأيت شخصا على هيئة خادمي "حامد علي" قد أمسك بالشيخ على الفور وطفق يطرده حتى أخرجه من المجلس، وأنزله عبر الدرج. عندها رفعتُ بصري فإذا بالنبي ﷺ واقف على مصطبة واسعة قرب جماعتنا. وخيِّلَ لي أيضا كأنه ﷺ يتمشّى. وبدا لي أنه عندما أُخرج الشيخ المذكور من المجلس كان النبي ﷺ واقفا على مقربة من ذلك المكان، ولكني لم أرفع حينها بصري لأراه، وحين نظرت الآن وجدتُ أن في يد النبي ﷺ كتاب "مرآة كمالات الإسلام" أي هذا الموضع من الكتاب وبدا لي أنه مطبوع. فوضع النبي ﷺ إصبعه المباركة على المكان الذي فيه ذِكْر محامده المباركة، وبيان تعليمه المقدس والمؤثر والأعلى. ووضع أصبعا أخرى حيث ذُكرت كمالات الصحابة وصدقهم ووفاؤهم. وابتسم ﷺ وقال:

"هذا لي وهذا لأصحابي"

أي هذا الثناء لي وهذا لأصحابي. ثم أُحيلت مداركي من الرؤيا إلى الإلهام واستولت عليَّ حالة الكشف وأُظهر لي بالكشف أن الله تعالى قد أبدى رضاه عن هذا المقام الذي فيه ثناؤه ﷻ. ثم تلقيتُ في ذلك إلهاما:

المشايخ والمفتين في ذلك الزمن يكونون أسوأ الناس الموجودين على وجه الأرض حينذاك. وقد ورد في "حجج الكرامة" أن هؤلاء القوم سيُصدرون فتوى التكفير ضد مهدي الله؛ أي المسيح الموعود. إن معظم المسلمين لا يعرفون أنه ثابت من الأحاديث أن فتوى التكفير ستُصدَر ضد المسيح الموعود أيضا؛ فها قد تحققت هذه النبوءة. فالفترة بيْن الزمن الأول وزمن المسيح الموعود فاسدة جدا. فيقول النبي ﷺ عن الناس في ذلك الزمن: "خير هذه الأمة أولها وآخرها؛ أولها فيهم رسولُ الله ﷺ، وآخرها فيهم عيسى بن مريم، وبين ذلك فَيْجٌ أعوج ليسوا مني ولست منهم." المراد من "فيج أعوج" هو جيش مُعْوَج، يبدو في الظاهر فوجا ولكنه ميت من حيث الروحانية.

وقد جاء في الحديث الصحيح أنه عندما نزلت الآية: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا

"هذا الثناء لي"

وكانت الساعة الثالثة والربع في ليلة الثلاثاء. ثم بعد يوم ١٨/١٠/١٨٩٢م رأيت رؤيا أخرى بتاريخ ٧/١٢/١٨٩٢م ورأيت فيها أنني صرتُ عليًّا كرّم الله وجهه؛ أي شعرت في المنام كأني هو. ومن عجائب الرؤيا أيضا أن صاحبها يشعر في بعض الأحيان كأنه شخص آخر. كذلك شعرت حينها كأني عليّ المرتضى. والوضع هو أن طائفة من الخوارج تقاوم خلافتي؛ أي تحاول تلك الفئة أن تحول دون أمر خلافتي وتثير الفتنة. عندها رأيت أن النبي ﷺ قريب مني ويقول لي شفقة وتودُّدا:

"يا عليّ دعهم وأنصارهم وزراعتهم"

ووجدتُ أن النبي ﷺ يأمرني بالصبر في وقت الفتنة هذه ويؤكد عليّ بالإعراض، ويقول: إنك على الحق، ولكن ترك مخاطبة هؤلاء الناس أفضل. والمراد من "زراعتهم" جماعةٌ من أتباع المشايخ تأثرت بتعاليمهم إذ ظلوا يُسقونها منذ مدة مديدة. ثم انحدرتْ طبيعتي إلى الإلهام وأظهر الله تعالى عليّ في الإلهام أن شخصا معارضا يقول عني:

"ذروني أقتل موسى"

أيْ دعُوني أقتل موسى؛ أي أنا العبد الضعيف. لقد رأيت هذه الرؤيا في الساعة الثالثة إلا الثلث وكان اليوم التالي هو يوم الأربعاء، **فالحمد لله على ذلك.**

يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ ووضع النبي ﷺ يده على كتف سلمان الفارسي وقال: "لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل من فارس أو رجال من فارس". فيتبين من هذا الحديث أنه سيولد في الزمن الأخير رجلٌ من أصل فارسي يكون قويَّ الإيمان لدرجةٍ لو كان الإيمان عندئذ بالثريا لناله من هناك. وقد سُمي هذا الرجل في حديث آخر باسم المهدي وقيل بأنه سيظهر من البلاد الشرقية في الزمن الأخير، وقيل بأن الدجال أيضا سيخرج في الزمن الأخير من البلاد الشرقية فيثبت بإلقاء نظرة شاملة على هذين الحديثين أن الذي سيتصدى للدجال هو هذا الرجل. ومن مقتضى سنّة الله تعالى أيضا أن البلد الذي يولَد فيه خبيث مثل الدجال، يجب أن يولَد فيه نفسه هذا الرجل الطيّبُ أيضا؛ فالطبيب عندما يأتي، يتوجه إلى المريض مباشرة. ومن الغريب جدا أن يخرج الدجال من الهند بحسب الأحاديث الصحيحة وينزل المسيح على منارة في دمشق. مما لا شك فيه أن الهند تقع شرقي المدينة المنورة. والثابت من الحديث الصحيح دون أدنى شك أن الدجال سيخرج من الشرق. ومن المشرق ستظهر رايات مهدي الله السودُ فكأنه مقدَّر منذ الأزل أن الشرق هو محلّ الفتن، وهو محل إصلاحها أيضا.

وهناك نكتة أخرى جديرة بالتذكر في هذا المقام وهي أنه كما استخدم الله جلّ شأنه قوله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ في كلمات الآية الظاهرية وأشار إلى أن الذين سيأتون متصبغين بصبغة الصحابة في الكمالات سيكونون في الزمن الأخير، كذلك أشار من خلال قوله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ وهو يساوي ١٢٧٥ – في حساب الجمّل– إلى أن الرجل الفارسي الأصل الذي هو مصداق الآية: ﴿آخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ سيكمل بلوغ نشأته الظاهرية في هذه السنة، ويحقق مماثلته مع الصحابة. فالسنة ١٢٧٥ الهجرية التي تتبين من القيمة العددية لقوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بحسب حساب الجمّل تمثّل تاريخ بلوغي وولادتي الثانية؛ أي الولادة الروحانية

التي مضى عليها ٣٤ عاما إلى يومنا هذا.

وإذا قيل إن عبارة: ﴿آخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ جاءت بصيغة الجمع فكيف يمكن إطلاقها على فرد واحد؟ فجوابه بأن النبي ﷺ نفسه أطلقها على واحد لأنه عند شرحه لهذه الآية وضع يده على كتف سلمان الفارسي وقال بأنه سيولد من أصل فارسي رجل يوشك أن يعيد الإيمان من الثريا إلى الأرض بمعنى أنه سيولَد في وقتٍ يكون فيه الناس ضعفاء وكسالى من حيث حالتهم الإيمانية بسبب تمسكهم بالأفكار الفلسفية وانتشار الإلحاد وفتور حب الله تعالى. عندها سيخلق الله تعالى الإيمان الحقيقي في قلوب الناس من جديد على يده وببركة وجوده، وكأن الإيمان المفقود سينزل من السماء مجددا. لقد جاءت أحيانًا في القرآن الكريم صيغة الجمع وهي تفيد المفرد؛ فقد دُعي إبراهيم عليه السلام "أمّة" مع أنه كان فردا واحدا. وبالإضافة إلى ذلك فقد اختِير هذا اللفظ في الآية للتفهيم أن ذلك القادم لن يبقى واحدا، بل سيتحول إلى جماعة يؤمنون بالله إيمانا صادقا، ويلاحَظ فيهم إيمان مثل إيمان الصحابة تماما.

والآن أقول إبطالا لادّعاء جريدة "نور أفشان" الذي لا أصل له، بأننا حتى لو اعتبرنا الجملة القائلة -بأن المسيح ادّعى حتما أنه هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ- صحيحةً، بغض النظر عن الإنجيل المحرَّف والمبدَّل الذي في أيدي المسيحيين حاليا، فلا قيمة لها أصلا؛ لأن الادّعاء الذي يعوزه الدليل لا يُثبت أفضلية أحد. لو لم يدّع المرء أمرًا وأنجزه على صعيد الواقع فهو أفضل بكثير من الذي يدّعي أمرًا ثم يعجز عن إثباته. إن الإنجيل نفسه يشهد بأن ادّعاء المسيح عليه السلام محل اعتراض شديد في نظر المعترض بالنظر إلى حالة الحواريين دع عنك غيرهم، ويثبت أنه عليه السلام ترك حوارييه أيضا في قبور الأهواء النفسانية. وحينما نقارن ادّعاء المسيح هذا بإعلان سيدنا خاتَم الأنبياء ﷺ نجد بينهما بُعدا شاسعا كالبُعد بين الظلمة والنور. إن ادّعاء المسيح واقع في هوّة ضيقة ومظلمة من عدم الثبوت، ولا يرافقه نورٌ. أما إعلان نبينا ﷺ فيُشرق إشراق

الشمس. كما أن جريان فيض النبي ﷺ الأبدي باستمرار - الذي إذا اتبعه أحد في هذا العصر أيضا يُبعث من القبر دون أدنى شك وتوهب له حياةٌ روحانية أيضا- يشكل برهانا ساطعا على حياة النبي ﷺ الأبدية ليس على سبيل الخيال بل على صعيد الواقع بل تظهر آثارها الصحيحة والصادقة، وتحالفه أنواعُ النصرة والبركات السماوية وتأييدات روح القدس الخارقة للعادة، ويصبح إنسانا متفردا من بين جميع الناس في العالم لدرجة أنّ الله يكلِّمه، ويكشف عليه أسراره الخاصة، ويُظهر عليه حقائقه ومعارفه، ويجلّي عليه أمارات حبه ورحمته الساطعة، ويُنزِل عليه أنواع نصرته، ويودِع فيه بركاته ويجعله مرآة ربوبيته. تجري الحكمة على لسانه وتتدفق من قلبه ينابيع نكات لطيفة، وتُكشف عليه أسرارٌ خفية، ويتجلّى الله تعالى عليه بتجلٍّ عظيم، ويقترب منه جدا؛ فيكون هذا الإنسان فوق الجميع وغالبا عليهم من حيث استجابة أدعيته وقبوله عند الله وانفتاحِ أبواب المعرفة له وانكشاف الأسرار الغيبية عليه ونزول البركات.

لذا فقد بَعثتُ أنا العبد المتواضع آلافَ الرسائل المسجلة إلى المعارضين المعروفين في آسيا وأوروبا وأميركا عن هذه الأمور، بأمر من الله وإتماما للحجة في هذا الموضوع أنه إذا كان أحد يدّعي أن الحياة الروحانية يمكن أن تُنال بغير اتّباع خاتَم الأنبياء ﷺ فليبارزني، وإلا فليأتني باحثا عن الحق ليرى البركات والآيات والمعجزات من جانبي فقط، ولكن لم يتوجّه أحد إلى هذا الأمر بالصدق وصحة النية، فأثبَتوا بتحاشيهم هذا أنهم جميعا واقعون في الظلمة. أما بعض المعاصرين من إخواننا في الدين والذين يسمّون أنفسهم مسلمين وينكرون هذا النور ولا يقبلونني ولا يأتونني بقلب صادق من أجل الامتحان بل هم مصممون على التكفير، فإن الدافع الحقيقي وراء كل ذلك هو عماهم وتعنتهم وتعصبهم الشديد. ولكن وجود مثل هؤلاء الناس في الإسلام لا يحط من شأنه، ولا يصحّ الاعتراض: لماذا لم تزُل أمراضهم الروحانية،

ولماذا لم يخرجوا من أجداثهم؟ فالجواب: لأنه إذا أوصد أحد أبواب بيته وجلس في زاوية مظلمة منه ثم لم يصله ضوء الشمس، فليس ذلك ذنب الشمس بل هو خطأ مَن فعل ذلك. إضافة إلى ذلك أنه مهما كان هؤلاء الناس محجوبين وبعيدين عن الحقيقة، لكنهم مع ذلك يعتنقون التوحيد علنا ولا يؤلِّهون إنسانا، وببركة التوحيد يجدون في أنفسهم نورا، ويوجد فيهم رمق الحياة إلى حد ما لذا لا يمكننا القول بأنهم ميّتون كليًّا، وإن كانوا في حالة خطيرة. فلو أعرض عنا أحد من المسيحيين أو الهندوس وأثار اعتراضا من هذا القبيل لكان متعنتا جدا أو جهولا. لا بد من وجود الأشواك في البستان، ولا مندوحة للورود من الأشواك، ولكن لا يُرى في طائفة معارضينا إلا أكوام الأشواك فقط. وفيما يتعلق بأقوال المسيحيين السخيفة بأن المسيح كان قيامة روحانية، وبأنهم أُحيوا بواسطة المسيح؛ فليتذكروا جيدا أن كون المسيح عليه السلام نموذجا للقيامة لا يَثبت قيد شعرة، ولم يُبعث المسيحيون بل إنهم ميّتون وراقدون في القبور الضيقة والمظلمة أكثر من الأموات الآخرين، وساقطون في هوّة الشرك. ليست فيهم روح الإيمان ولا بركة روح الإيمان، بل ليس في نصيبهم أدنى درجات التوحيد؛ وهي اجتناب عبادة الخلق، بل يعبدون إنسانا ضعيفا وعاجزا مثلهم ويحسبونه خالقا.

فليكن معلوما أن للتوحيد ثلاث درجات: الأدنى منها ألا يعبد المرء مخلوقا مثله؛ فلا يعبد حجرا ولا نارا ولا إنسانا، ولا نجما. والدرجة الثانية هي ألا يسقط على الأسباب بحيث يحسبها دخيلة دائمة في نظام الربوبية، بل يجب أن يبقى نظره مركّزا على المسبب وليس على الأسباب. ودرجة التوحيد الثالثة هي أن يعدَّ المرء وجود غير الله — ونفسَه أيضا — كالمعدوم، وذلك بعد مشاهدة تجليات الله تعالى كاملة.

فباختصار، يجب أن يعدَّ كل شيء فانيا سوى الله تعالى ذي الصفات الكاملة. والحياة الروحانية هي أن ينال المرء مراتب التوحيد الثلاث هذه. والآن تفكروا جيدا

في أن جميع ينابيع الحياة الروحانية الأبدية جاءت إلى حيزّ الوجود في العالم ببركة سيدنا محمد المصطفى ﷺ وحده. إن بعض أفراد هذه الأمة- وإن لم يكونوا أنبياء- يحظون بمكالمة الله مثل الأنبياء. وإن آيات الله البينات تظهر على أيديهم - وإن لم يكونوا رسلا - كما تظهر على أيدي الرسل وتجري في هذه الأمة أنهار الحياة متدفّقة، وليس لأحد أن يبارزها في ذلك. **هل لأحد أن يبارزني في إراءة البركات والآيات ويرُدّ إزائي على ادّعائي هذا؟**

[٨٧] *"لقد أجَلْنا فكرنا في كل حدب وصوب ولم نجد دينا مثل دين محمد ﷺ*

ما من دين يقدر على أن يُري آية، لقد أكلنا هذه الثمرة من بستان محمد ﷺ وحده

لقد جرّبنا الإسلام بأنفسنا، فأعلنّا للجميع أن يُهّبوا ويروا أنه نور على نور

حين نظرنا في الأديان الأخرى لم نجد فيها أيّ نور، فليُرنا أحد إذا كنا أخفينا الحق

لقد تعبنا من ترديد هذا الكلام مرارا وتكرارا، فقد أطلقنا سهام الدعوة في كل حدب وصوب

لم يبرز أحد للامتحان قط، مع أننا دعونا كل معارض للمبارزة

إنهم راقدون تحت ملاحف الغفلة، ولا يكادون يستفيقون مع أننا أيقظناهم مئة مرة

إنهم يحترقون جميعا في نار البُغض والضغائن، ولا يكادون يرتدعون، وقد بذلنا قصارى جهدنا لمنعهم من ذلك

تعالوا أيها الناس ففي الإسلام تجدون نور الله، فها قد أخبرناكم بما تطمئن به القلوب

إن هذه الأنوار متدفقة اليوم في شخصي أنا العبد الضعيف، فقد صبّغتُ قلبي بصبغة هذه الأنوار كلها

لقد ألحقنا أنفسنا بذات الله الحق منذ أن حظينا بهذا النور من نور النبي ﷺ

---

[٨٧] *العبارة المائلة هي ترجمة قصيدة أردية. (المترجم)*

سلام الله على المصطفى ﷺ ورحمته بغير عدّ وحساب، إذ قد اكتسبنا هذا النور منه ﷺ

إن لروحي صلة وثيقة ومستديمة بروح محمد ﷺ، لقد سقينا القلب تلك الكأس مترعة

لم نجد أفضل منه ﷺ في العالم، لا جَرَم أننا قطعنا علاقتنا نهائيا عن الآخرين

لقد صرنا محط الغضب في نظر الأغيار منذ أن شُغِفنا بعشقه ﷺ

يزعمون أن إعلاني بكوني المسيح افتراء افتريته من عندي

يسمونني كافرا وملحدا ودجالا، فكم من ألقاب سيئة لُقِّبتُ بها نتيجة مواساتي للأمة

إنني أدعو لهم بعد أن أسمع منهم الشتائم، إن رحمي هائج، وقد كظمت الغيظ

أُقسِم بوجهك يا حبيبي أحمد ﷺ بأننا من أجلك قد حملنا كل هذا الحِمل

إن كل ذرة من وجودي عامرةٌ بحبك، إذ قد بَنينا مدينة حبك في صدرنا

لقد وطئنا صفوف الأعداء بالحجة والبرهان، وها قد أنجزنا عمل السيف بالقلم

لقد أتممنا الحجة على الجميع بإراءتهم نورك، وقد أحرقنا قلوبهم جميعا في نار مضطرمة

بحبك محونا آثار وجودنا، وقد ذَرونا كل ذرّة من كياننا في سبيلك

لقد وجدنا حانَتك قِبلة العالم، فاحتسينا كأسا بعد كأس بحرص شديد

إنني أرى شأن الله الحق في شمائلك، ولقد اهتدينا إليه سبحانه وتعالى بعد الوصول إليك

إن المرء ليتخلّص من كل شَرَك نتيجة التعلق بذيلك، لذا أخضعنا رأسنا على عتباتك

أُقسِم بوحدانيتك يا حبيبي، بأني قد نسيت نفسي في حبك

والله، لقد انمحى من القلب كلّ أثرٍ للأغيار، منذ أن نقشتُ صورتك في القلب

برؤيتك رأينا تجليا غريبا للنور، وقد أحرقنا الشيطان بنورك

لقد صرنا خير الأمم بفضلك يا خير الرسل، فقد تقدّمنا إلى الأمام نتيجة تقدمك أنت

إن الملائكة كلهم أيضا - فضلا عن الناس - يتغنون في مدحك بأغنية نغنّيها

ولقد أثرنا اليوم ضجة كضجة الحشر في زقاقك يا حبيبي متضايقين بظلم القوم".

والآن أريد أن أذكر بإيجاز ثمار الإسلام[٨٨]. فليتضح أنه إذا تمسك الباحث الصادق عن الله بالإسلام على وجه كامل، ليس تكلُّفا ولا تصنُّعا بل خاض في سبل الله بصورة طبيعية بكل ما أُعطي من قوة، فالنتيجة النهائية لهذه الحالة هي أن تجليات هدى الله العليا تتوجّه إليه خارقةً كل الحُجُب وتنزِّل عليه أنواع البركات. والأوامر والعقائد التي قبِلها الإنسان من قبل إيمانًا وعلى سبيل السماع فقط تُكشف عليه في هذه المرحلة مشهودةً ومحسوسة بواسطة الكشوف الصحيحة والإلهامات اليقينية القاطعة وتُظهَر عليه دفائن الشرع والدين والأسرارُ الكامنة في الملة الحنيفة، ويُكرَم بالتنزه في ملكوت الله ليحظى بمرتبة اليقين والمعرفة الكاملة. وتوضع البركة في لسانه وبيانه وكافة أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته، ويوهب شجاعة واستقامة وهمّة خارقة للعادة. ويُعطَى مكانة عليا من انشراح الصدر، ويُبعَد كليا عن ضيق الأفق الناتج عن حُجُب البشرية، وعن الخِسة والبخل والعثار المتكرر وعبودية الشهوات ورداءة الأخلاق وظلمة النفس بكل أنواعها، ويُوهَب مكانها الأخلاق الربانية الفاضلة؛ عندها يتغير تماما ويلبس لباس الخلق الجديد، ويسمع بالله ويرى بالله، ويتحرك مع الله ويسكن مع الله. يصبح غضبه غضب الله ورحمه رحم الله. ففي هذه الدرجة تُجاب أدعيته اصطفاءً وليس ابتلاء. ويكون هذا الشخص حجة الله على الأرض وأمانه ﷻ. وفي السماء يُحتفَل بوجوده. والعطية العليا التي يُعطاها هي مكالمات الله ومخاطباته التي تنزل على قلبه باستمرار – دون أدنى شك وريب وغبار – ساطعةً مثل القمر، وتكون مصحوبة بالمتعة القوية التأثير وتُطَمئنه وتهبه الهدوء والسكينة. والفرق بين هذا الكلام والإلهام هو أن نبع الإلهام يجري دائما في المقرَّبين؛ فيتكلمون حين تُنطقهم روحُ القدس ويرون حين تُريهم روح القدس، ويسمعون حين تُسمعهم روح

---

[٨٨] *هنا تبدأ حاشية ولكننا أخرناها لطولها إلى ص ٥١٧ وجعلناها ملحقا للكتاب بإذن سيدنا أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره العزيز. (المترجم)*

القدس وتنشأ جميع إراداتهم بنفخٍ من روح القدس. الحق والحق أقول بأنهم يكونون مصداقا ظليا للآية: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٨٩] ولكن المكالمة الإلهية أمر آخر؛ وهو أن كلام الله تعالى ينزل عليهم كالوحي المتلوّ ويتلقّون أجوبة على أسئلتهم كما يجيب صديقٌ صديقَه. ولو وصفنا هذا الكلام لأمكن لنا القول بأنه اسم لتجلّي الله جلّ شأنه الذي يتجلى بواسطة ملاكه المقرَّب ويكون الهدف من وراء ذلك الإطْلاعَ على استجابة الدعاء أو على أمر جديد وخفيٍّ آخر، أو الإخبار عن أنباء مستقبلية، أو الإطلاع على مرضاة الله أو عدم رضاه ﷻ عن أمر معين، أو الرفع إلى مرتبة اليقين والمعرفة عن أحداث أخرى.

على أية حال، إن هذا الوحي صوت إلهي يظهر في صورة المكالمة والمخاطبة الإلهية ليصبِّغ صاحبه بصبغة المعرفة والطمأنينة ويستحيل بيان كيفيته أكثر من القول بأنه نداء طبيعي من الله تعالى ينشأ بتحريضه ونفخه دون أدنى تفكير من الإنسان أو تدبر أو تأمل أو تدخّل منه، ويضم في طياته تجليا ربانيا وهيبة إلهية ويشعر به المرء بكلمات لذيذة ومباركة.

في هذا المقام لا بد أن ينشأ في قلب كل باحث صادق سؤال: ماذا عليّ أن أفعل للوصول إلى هذه المرتبة العالية من مكالمة الله؟ فجوابه أن هذا وجود جديد، تودَع فيه قوى جديدة وقدرات جديدة وحياة جديدة. ومعلوم أنه لا يمكن نيل الوجود الجديد دون فناء الوجود السابق. وعندما يفنى الوجود السابق كليا نتيجة التضحية الصادقة والحقيقية التي يُرادُ منها التضحية بالنفس والكرامة والمال وغيرها من لوازم النفس، يحل محلها هذا الوجود الجديد فورا.

وإذا طُرح سؤال: ما هي علامات زوال الوجود السابق؟ فجوابه أنه عندما تنمحي الخواص والعواطف السابقة وتتولد الخواص والعواطف الجديدة ويرى المرء

[٨٩] *النجم: ٤-٥*

انقلابا عظيما في طبيعته، ويرى الحالات كلها بما فيها الحالة الأخلاقية والإيمانية والتعبدية قد تغيَّرت كليا وكأنها تصبّغت بصبغة جديدة تماما. باختصار حين ينظر إلى نفسه يجده جديدا تماما وكذلك يرى كأن الله تعالى أيضا صار جديدا بالنسبة إليه، وعند الشكر والصبر وذكْر الله يحظى بلذات جديدة لم يعلمْها من قبل، ويشعر بالبداهة أن نفسه متوكلة على ربها كليا وغير مبالية بغيره تماما، وأن وجود الله استولى على قلبه لدرجة قد صار وجود الغير في نظره كالمعدوم تماما، وبدتْ له الأسباب كلُها تافهة وحقيرة لا قيمة لها، وقد هاج فيه الصدق والوفاء بحيث عندما يتصور أيَّ مصيبة تبدو له هينة وليس ذلك فحسب بل يتمتع بكل ألم يصيبه عند حلول المصائب، فلو ظهرتْ كل هذه العلامات عندها يجب أن يُفهم أن الوجود السابق قد أصابه الموت كليا.

فعند إصابته بهذا الموت تتولد فيه قدرات عجيبة في سبيل الله، إذ أن ما يقوله الآخرون ولا يفعلونه، والسبل التي يراها الآخرون ولا يسلكونها، والأعباء التي يتفقّدها الآخرون ولا يحملونها، يُوفَّق هذا الإنسانُ لتحمل تلك الأمور الشاقة كلها. لأنه لا يحملها بقوته هو بل تعينه وتنصره قوة الله العظيمة التي تجعله أكثر رسوخا من الجبال، وتهبه قلبا وفيا. عندها تصدر منه أعمال لإظهار جلال الله تعالى، وتظهر منه أعمال الإخلاص التي لا يسع الإنسانَ أن ينجزها من تلقاء نفسه وبقوته هو. إنه ينقطع عن الأغيار وينسحب مما سوى الله تعالى كلّيا، ويرفع جميع أنواع المغايرة والفوارق بينه وبين الله. إنه يُبتلَى ويؤذَى ويواجه أنواع الامتحانات وتحل به من المصائب والمصاعب التي لو حلّت بالجبال لنسفتْها نسفا، ولو وقعت على الشمس والقمر لأظلما، ولكنه يبقى ثابتا صامدا في وجهها، ويتحمل كافة أنواع المعاناة بصدر منشرح تماما ولو سُحق بالمِهراس وجُعل كالغبار فلا يصدر من داخله إلا صوت "**إني مع الله**". عندما تبلغ حالة أحد هذه المرتبة يصبح أمره وراء الوراء بالنسبة لهذا

العالَم، ويحظى بصورة ظلية بكافة مراتب الهداية والمقامات السامية التي نالها الأنبياء والرسل من قبل، ويصبح وارثا للأنبياء والرسل ونائبا لهم. والحقيقةُ التي تُسمّى معجزة للأنبياء، تظهر فيه باسم الكرامة. والحقيقة التي تُسمّى للأنبياء عصمة، تُذكر فيه باسم المحفوظية. والحقيقة التي تُسمّى للأنبياء نبوّة، تظهر فيه في حلّة المحدَّثية. فالحقيقة تبقى هِيَ هِيَ ولكنها تُعطى أسماء مختلفة نظرا إلى ضعفها أو قوتها؛ لذا تشير ألفاظ النبي ﷺ المباركة إلى أن المحدَّث يكون نبيا من حيث القوة. ولولا انسداد باب النبوة لكان في كل محدَّث قوة وموهبة ليكون نبيا. فمن منطلق هذه القوة والموهبة يجوز حمل المحدَّث على أنه نبي؛ بمعنى أنه يجوز القول: "**المحدَّث نبي**"، حيث يقولون: "**العنب خمرٌ، نظرًا إلى القوة والاستعداد؛ ومثل هذا الحَمل شائع متعارف في عبارات القوم، وقد جرت المحاورات على ذلك، كما لا يخفى على كل ذكي عالم مطّلع على كتب الأدب والكلام والتصوف.**" وإلى هذا الحَمل أشيرَ حين اختصر الله جلّ شأنه قراءة: "وما أرسلنا من رسول ولا نبي ولا محدَّث" واكتفى في قراءة ثانية بالكلمات: "**وما أرسلنا من رسول ولا نبي**".

main book does not contain bold line for these sentences

أما السؤال متى وفي أية ظروف يستحق الذي يحظى بالمكالمة الإلهية، إفاضة الكلام الإلهي أكثر؟ فجوابه أن في الشدائد والمصائب ينزل كلام الله تعالى على أولياء الله عادة ليُطمْئنهم ويقوّيهم، وعندما يتضايقون ويتألمون ويتعذّبون كثيرا بسبب نزول الآفات والحوادث فوق طاقتهم ويبلغ حزنهم وقلقهم منتهاهما، تتجلى صفة كلام الله تعالى على قلوبهم، وتوهب لهم السكينةُ والاطمئنان بواسطة كلمات الله الطيبات.

والحق أن لتواضع الملهَم صلة قوية باشتعال نار الإلهام. فعندما يكون الحائز على شرف مكالمة الله متألما جدا ومضطرا ويصبح توجّهه مثل خيط من الحزن والتألم المتسلسل، ويخرّ تحت أشعة الربوبية بالوفاء والتضرع والصدق؛ عندها ينزل عليه شعاع

الربوبية دفعة واحدة بتجلٍّ من الربوبية، وينوّره تماما. ويظهر ذلك النور بصورة الكلام أحيانا وفي صورة الكشف أحيانا أخرى. وينوِّر القلبَ المنيبَ بنوره الرباني مثل فتيل يكون على مقربة من النار. ألا يُرى بوضوح أنه عندما تُقرَّب إلى النار فتيلةٌ مُشبعةٌ بزيتٍ نقيّ فإنها تغيّر صورتها فورا، وتأتي بشعلة ساطعة عند العودة من صحبة النار؟! فالعارف والإنسان الكامل عندما يخرّ على عتبات الله تعالى متألِّما، يكون حائزا على موهبة تامة لاستقبال مكالمة الله، وينقطع عن كل قاصٍ ودان، ويبعث في الموافقة والمصادقة - التي تجري في كل كيانه مجرى الدم- حماسا وهياجا جديدا، ويتضرع من أجل نصرة الله تعالى بروح ملؤها الألم. عندها يسمع الله تعالى له ويجيب عليه حبًّا وتودّدا، ويرحمه ويتقبل معظم أدعيته.

إنها باطلة تمامًا أفكارُ بعض المعاصرين الذين يكنّون أفكارا ملحدة، ويتّبعون الفلسفة الأوروبية ومذهب الطبيعة وينكرون إجابة الدعاء؛ حيث يقولون إن إجابة الدعاء ليست بشيء، وأن الدعاء وعدمه من أجل نيل المرام سِيّان.

فليكن معلوما أن من منن الله تعالى العظيمة على المؤمنين أن أدعيتهم تُجاب، وأن تضرعاتهم، مهما كانت تتعلق بأمور صعبة، تنال شرف القبول في معظم الأحيان. والحق أن حقيقة الولاية هي أن المرء ينال قربا ووجاهة، وتُجاب أدعيته بكثرة مقارنة مع غيره؛ لأن الولي يكون حبيب الله وعلامة الحب الخالص هي أن تُقبل ابتهالاته في معظم الحالات.

فالذي يقول بأنه لا معنى لإجابة الدعاء أكثر من أن يصل صوت الداعي إلى الله تعالى، فيعلم الله سبحانه وتعالى أن الداعي قد دعاه؛ إنما هو مستهزئ ويجهل كتاب الله ودينه جهلا تاما. فإذا كان المراد من الإجابة هو سماع الدعاء فقط وليس أكثر من ذلك، فلكل شخص أن يقول بأن دعاءه لم يُردّ؛ لأنه إذا كانت الغاية من الدعاء هي الاطلاع عليه، فمَن ذا الذي لا يعلم اللهُ تعالى دعاءه؟ فمن الواضح أن الله جلّ

شأنه بصفته العليم الخبير السميع يسمع كل شيء، ويصله صوتُ كل شخص، فما الفرق في هذه الحالة بين إجابة دعاء المؤمن وغيره بهذه الطريقة؟ وكيف يثبت القول بأنه تعالى يجيب دعوة المؤمن ولا يجيب دعوة غيره؟ ما دام المؤمن وغيره متساويين من حيث الحرمان أصلا فللكافر أيضا أن يقول بأن دعاءه قد حظي بالقبول. ومن سيحكم أنه لم يُقبل؟ ثم ما الفائدة من هذا القبول الذي لا معنى له؟ بل الحق أن دعاء المؤمن يجاب حتما. وإذا لم تكن الإجابة خيرا للمؤمن، فيُخبَر بذلك -على الأقل- باللين والحب بواسطة مكالمةٍ مليئة بالحب والتودّد.

إن الله تعالى هو مصدر الرحمة كلها، فيرحم المؤمن أكثر من غيره، ويتولاه عند كل مصيبة ويحميه. إذا كان العالم كله في جانب والمؤمن في جانب آخر، يكتب اللهُ الانتصار في نصيب المؤمن دائما، ويزيد في عمره ومدةِ عافيته. يتمنى العدو أن يهلك المؤمن وينمحي، ولكن الله تعالى يهلك العدو ويردّ عليه أدعيته، ويجيب أدعية المؤمن وإجابةً لأدعيته يُظهر الخوارق التي تترك العالم حيرانَ مشدوها.

ما هي الكرامة؟ إنها دعاء المؤمن الذي يجاب ويحقق المستحيل الذي يفوق العقل، ويترك الخلق كلَّه في حَيرة من أمره. فكيف يمكن القول إذًا بأن الدعاء لا يُقبَل؟ غبي مَن يزعم ذلك، وسفيهٌ ذلك الفيلسوف الذي يظن كذلك. إن هذا الادعاء ليس بلا دليل، بل عندي أدلة بيّنة وبراهين واضحة على ذلك، ولكن كيف يرى النور من غطى عينيه كي لا يرى النور؟

وليكن معلوما أيضا أن الإسلام الذي بيّنتُ محاسنه، ليس بالأمر الذي من أجل إثباته نذكر الماضي فقط أو نُري آثار القبور؛ إن الإسلام ليس دينا ميّتا حتى يقال بأن بركاته كلها قد انتهت على الأزمنة الخالية وانقطعت سلسلتها في المستقبل بل إن أكبر ميزة في الإسلام هي أن بركاته ترافقه دائما وإلى الأبد؛ فهو لا يوجّه إلى القصص السابقة فقط، بل يقدِّم البركات الحاضرة. إن العالم بحاجة إلى البركات

والآيات السماوية دائما، لا أن البركات وُجدت من قبل وانقطعت الآن. إن الإنسان الضعيف والعاجز الذي يُخلق كالأعمى بحاجة مستديمة إلى أن يعلم شيئا عن ملكوت السماء، وأن يَظهر شيء من علامات وجود الله الذي يؤمن به وقدرته. إن الآيات من زمنٍ سابق لا تكفي زمنا آخر؛ فالخبر ليس كالمعاينة. والمعلوم أن الأخبار تأخذ صبغة القصص بمرور الزمان، كما لو أن عالَما جديدا يبدأ بحلول كل قرن جديد، لذا فإن إله الإسلام وهو الإله الصادق -يُري الآيات لكل عالَم جديد- ويبعث على رأس كل قرن -ولا سيما القرن الذي ابتعد عن الإيمان والأمانة، ويضم في طياته أنواعا من الظلام- شخصا يقوم مقام النبي، وتظهر صورة النبي في مرآة فطرته؛ فيُري هذا الشخص -الذي ينوب مناب النبي- كمالات نبيه المتبوع بواسطة وجوده هو. ويدين جميع المعارضين بإظهار الصدق والحقيقة ويفضح أمرهم. أما إظهار الصدق فلأنهم لم يؤمنوا بنبي صادق؛ فيُثبت هذا الشخص أن ذلك النبي كان صادقا، وهذه هي آيات سماوية لصدقه. وأما بإظهار الحقيقة فإنه يحلُّ جميع عويصات دين نبيه المتبوع، ويستأصل كافة الشبهات والاعتراضات. وأما فضح الأمر فلأنه يفضح كافة حُجُب المعارضين ويُري العالَم كم هم سفهاء وغير ملمِّين بمعارف الدين وساقطين في الغفلة والجهل والظلمة، وبعيدون عن الله تعالى أيما بُعد!

إن الحائز على هذا النوع من الكمال يأتي دائما نائلا خِلعة المكالمة الإلهية، ويكون زكيا ومباركا ومستجاب الدعوات، ويُثبت بكل جلاء أن الله تعالى موجود وهو قادر وبصير وسميع وعليم ومدبّر بالإرادة، وأن الأدعية تجاب في الحقيقة، وأنّ الخوارق تظهر على أيدي أهل الله. ثم لا يقتصر الأمر على أنه يرفل بنفسه في نعمة المعرفة الإلهية، بل إنّ إيمان جميع الناس في زمنه يأخذ صبغة أخرى بوجه عام، وإنّ الخوارق التي كان الناس ينكرونها ويضحكون عليها ويرونها ضد الفلسفة والطبيعة -ولو تساهلوا كثيرا حسبوها قصصا وحكايات- لا يقبلونها عند مجيئه وظهور

العجائب منه فحسب، بل يبكون تأسُّفا وتألُّما على حالتهم السابقة ويقولون: كم كان غباوةً ما حسِبناه عقلانية! وكم كان سفاهة ما زعمناه علما وحكمة وقانون الطبيعة!

فالحاصل أنه يسقط على خلق الله كشعلة ويصبِّغ الجميع تقريبا بصبغته على قدر مواهبهم المختلفة. ومع أنه يُبتلَى في أول الأمر ويُعرَّض للمعاناة؛ ويصبُّ عليه الناس أنواع التعذيب ويقولون بحقه أقوالا شتى، ويؤذونه بشتى الطرق ويريدون ذلته، ولكن لأن البرهان الحق يكون حليفه دائما، فيتغلّب عليهم جميعا في نهاية المطاف، وتنتشر أشعة صدقه في العالم بكل قوة وشدة. وحين يرى الله تعالى أن الأرض لا تشهد على صدقه فيأمر مَن في السماء أن يُدْلوا بتلك الشهادة، فتنزل في حقه شهادة ساطعة من السماء بصورة الخوارق وإجابة الأدعية والحقائق والمعارف، وتصل إلى الصم والبكم والعميان. عندها يُجذب الكثيرون إلى الحق والصدق. ولكن طوبى للذين يقبلونه من قبل، لأنهم ينالون نصيبا من شأن الصديقين بسبب حسن ظنهم وقوة إيمانهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والآن أريد أن أقول إتماما للحجة بأن الله تعالى حين وجد هذا العصر بحسب ما قلت آنفا مظلما ووجد الدنيا غارقة في الغفلة والكفر والشرك، ورأى الإيمان والصدق والتقوى زائلا؛ أرسلني ليقيم في العالم الحقائق العلمية والعملية والأخلاقية والإيمانية من جديد، وينقذ الإسلامَ من صولات الذين يريدون أن يلحقوا ضررا بهذه الحديقة الإلهية في لباس الفلسفة والعلوم الطبيعية والإباحية والشرك والإلحاد.

فيا طلاب الحق، فكِّروا جيدا: أليس هذا هو الوقت نفسه الذي كان الإسلام فيه بحاجة إلى نصرة سماوية؟ ألم يتبين لكم إلى الآن كم من صدمات صُبَّت على الإسلام في القرن السابق أي القرن الثالث عشر، وكم من جروح لا تطاق تعرّض لها الإسلام نتيجة انتشار الضلال؟ ألم تعلموا إلى الآن ما هي الآفات التي قد أحاطت

بالإسلام؟ ألم تعرفوا إلى الآن كم من أناس هجروا الإسلام وانضموا إلى المسيحيين، وكم منهم صاروا ملحدين واتّبعوا مذهب الطبيعة؟ وإلى أيّ مدى حلّ الشرك والبدعة محلّ التوحيد والسنّة؟ وكم من كتبٍ أُلِّفت ضد الإسلام ونشرت في العالم؟

والآن فكّروا وقولوا بالله عليكم؛ ألم يكن ضروريا أن يُرسل الله تعالى شخصا على رأس هذا القرن ليتصدى للهجمات الخارجية؟ فإذا كان ذلك ضروريا فلا تردّوا نعمة الله عمدا، ولا تحيدوا عن شخص كان مجيئه على رأس هذا القرن ضروريا ومناسبا بحسب مقتضى القرن كما أخبر به النبي ﷺ منذ البداية وكتب عنه أهل الله في إلهاماتهم وكشوفهم. ارفعوا نظركم وانظروا كم من بلايا أحاطت بالإسلام، وكيف يطلق عليه الأعداء سهامهم من كل حدب وصوب، وكيف أثّر هذا السمُّ في عشرات الملايين من الناس؛ فهناك طوفان علمي وطوفان عقلي، وطوفان الفلسفة وطوفان المكائد والمؤامرات وطوفان الفسق والفجور وطوفان الطمع والجشع وطوفان الإباحية والإلحاد وطوفان الشرك والبدعة، فانظروا إلى كل هذه الطوفانات بعيون باصرة، وقدِّموا نظيرها من الأزمنة الغابرة إن كنتم على ذلك من القادرين. قولوا إيمانا، هل يوجد لذلك نظير منذ زمن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا؟ وإن لم يكن هناك نظير فاتقوا الله واستنبطوا من الأحاديث معاني مناسبة. ولا تغضوا الطرف عن الأحداث الواقعة الراهنة، فينكشف عليكم أن هذا الضلال كله هو الدجل الشديد الذي حذّر منه كل نبي، وقد وَضعت الديانةُ المسيحية والأمة المسيحية أساسه في العالم فكان ضروريا أن يأتي مجدد الوقت باسم المسيح، لأن أمة المسيح هي أساس الفساد.

ولقد كُشف عليّ أن عيسى عليه السلام أُخبر بهذه الريح المسمومة التي هبّت في العالم بسبب الأمة المسيحية، فتنشّطت روحه للنزول الروحاني وهاجت، وحين رأت أنّ أمته هي أساس الفساد، أرادت أن يكون لها نائب ومثيل في الأرض يملك طبيعة مثله تماما وكأنه هو؛ فأعطاه الله تعالى مثيلا بحسب الوعد، فنزلتْ فيه عزيمة المسيح وسيرته

وروحانيته، ورُبط بينه وبين المسيح ربطا وثيقا، وكأنهما قطعتان من أصل واحد، واتخذت توجّهات المسيح قلبَه مستقرا لها، وأرادت أن تحقِّق من خلاله مرادها. فبهذا المعنى صار وجوده وجود المسيح، ونزلت فيه إرادات المسيح المتحمسة التي عدَّ نزولها نزول المسيح في الاستعارات الإلهامية.

اعلموا أنه من أسرار المعرفة أن توجهات بعض الكمَّل تنعكس على بعض من في الأرض وتتحد أفكارهم فتنشأ بينهم علاقة بحيث يعدّون ظهور هؤلاء مثل ظهورهم. وكما تنشأ الإرادات في قلوبهم في السماء كذلك تنشأ بإذنه تعالى في قلب مَن في الأرض. والروح التي تُجعل حقيقتُها متحدة مع من في الأرض تملك قدرة لتُلقي فيه إراداتها كاملة كلما أرادت ذلك، وينقل الله تعالى تلك الإرادات من قلبٍ إلى آخر.

فباختصار، إن سنّة الله هي أن الأنبياء والأولياء السابقين ينزلون أحيانا بهذه الطريقة. وقد نزل النبي إيلياء من خلال النبي يحيى بهذه الطريقة. فهذه هي حقيقة نزول المسيح التي كُشفت علي أنا العبد الضعيف. وإن لم يرتدع أحد الآن أيضا فأنا جاهز للمباهلة. وقد أعرضتُ عنها من قبل لعلمي أن ملاعنة المسلمين لا تجوز. ولكني أُخبِرت الآن أن الذي يكفِّر مسلما ولا يتورع عن تكفير الذي يستقبل القبلة وينطق بالشهادتين ويعتقد بمعتقدات الإسلام فهو خارج من دائرة الإسلام. فقد أُمرتُ أن أباهل أئمة التكفير الذين يُسمّون مفتين ومشايخ ومحدّثين وعندهم أبناء ونساء. ولكن أولا يجب أن أشرح لهم أدلتي في خطاب مفصّل في مجلس عام، وأردّ في المجلس نفسه على اعتراضاتهم وشبهاتهم التي تنتاب قلوبهم، ثم أباهلهم بعد ذلك إن لم يرتدعوا عن التكفير. ولكن لن تكون المباهلة على أنهم يعدّونني خارجا عن اسمهم الاصطلاحي؛ أيْ "أهل السنّة والجماعة" لأني لا أبالي بذلك شيئا إذ أرى أن غير المقلد الذي يعتبر نفسه من "أهل الحديث" يسمي مقلّدي الأئمة الأربعة أهلَ

بدعةٍ وفَيْجٍ أعوج، ويعُدّهم خارجين عن طريق الصحابة، ويعدّهم مخالفين لجماعة السلف، كما يعدُّ الحنفي مثلا جميع الموحدين غير المقلدين ملحدين وخارجين عن دائرة السنّة والجماعة، فلماذا أتأسف إذا أُخرِجتُ من جماعة أهل السنّة؟ والحق أن تسمية "أهل السنة والجماعة" ليست في هذه الأيام حكرا على فرقة معينة دون غيرها، فكل واحد يعُدّ نفسه من أهل السنة بحسب زعمه ويُخرج الآخرين من هذه الدائرة.

فهذه القضية ليست ذات بال عند الله، ولكن تكفير أحد بالتسرع والاستهتار بسبب الخلاف في الأمور الجزئية واعتباره مستحقا لجهنم الأبدية، ليس في الحقيقة أمرا هيّنا وليّنا عند الله بل هو كبير. ومن الغريب حقا أن ينطق أحد بالشهادتين ويكون من أهل القبلة وموحدا ويؤمن بالله والرسول ويحبهما حبا صادقا، ويؤمن بالقرآن الكريم؛ ثم يُعدُّ بناء على اختلاف بسيط كافرا مثل اليهود والنصارى، بل أسوأ منهم أيضا. ولا يرضى ميان نذير حسين والشيخ محمد حسين البطالوي بتسميته مجرد كافر، بل يصرّان على أن يسمّى "أكفر"، أي تكون عقوبته أكبر من الخلود في جهنم. يعرف أهل العلم أنه كانت هناك اختلافات شديدة بين الصحابة ولم يسلم منها أحد سواء أكان الصِّديق أم الفاروق أو غيرهما من الصحابة، بل رُوي أن ابن عباس ﵁ مع عظمته وشأنه المعترف به بين العلماء كان يختلف مع الصحابة في خمسين مسألة من المسائل الدينية، وكان هذا الخلاف قد بلغ درجة رأى فيها ابن عباس بعض الأمور حلالا بينما كان غيره من الصحابة يراها محرمة قطعا وفسقا صريحا. إن السيدة عائشة ومعاوية رضي الله عنهما وأصحابهما كانوا يخالفون الصحابة الآخرين كليا في المعراج ورؤية البارئ تعالى، ولكن لم يكفِّر أحدٌ أحدًا. أما الآن فقد جاء زمنٌ يظن فيه المشايخ أن تكفير إخوتهم المسلمين وعدّهم من أهل الجحيم الأبدية أمرًا كشربة الماء، فقد هيِّنا كفَّروني أنا أيضا بناء على عادتهم القديمة

هذه؛ فإنني مأمور الآن بأن أطلب أئمة التكفير هؤلاء أن يباهلوني؛ أي نذير حسين الدهلوي والشيخ محمد حسين البطالوي، ومن كان على مرتبتهما وشاكلتهما. فأنشر الإعلان التالي الموجّه إلى أئمة التكفير هؤلاء بغية أداء هذا الواجب.

إعلان المباهلة

أقول لجميع المشايخ والمفتين الذين يكفّرونني بسبب اختلاف جزئي أو لسوء فهمهم بأني قد أُمرت من الله تعالى الآن أن أطلب مباهلتكم؛ وذلك بأن أُسمعكم أولا في مجلس المباهلة معتقداتي من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وإن لم ترتدعوا عن التكفير بعد ذلك أيضا فأباهلكم في المجلس نفسه. فأول المخاطبين في كلامي هو ميان نذير حسين الدهلوي، وإن أنكر فالشيخُ محمد حسين البطالوي، وإن أنكر هو أيضا فالخطاب موجَّه إلى جميع المشايخ الذين يكفّرونني ويُعَدّون زعماءَ المسلمين. وإنني أمهل هؤلاء الناس أجمعين أربعة أشهر من تاريخ اليوم وهو ١٨٩٢/١٢/١٠م. فإن لم يباهلوني إلى أربعة أشهر بحسب الشروط المذكورة آنفا ولم يرتدعوا عن تكفيري، فسوف تتم عليهم حجة الله. كنت أنوي بدايةً أن أردّ في أحد أجزاء هذا الكتاب على جميع التهم التي وجّهوها إلي وكفّروني بناء عليها، ولكن لم يُطبع ذلك الجزء إلى الآن بسبب مرض الناسخ ووقوع الحرج.

غير أنني سوف أقرأ ذلك المقال في مجلس المباهلة على أية حال، سواء أطُبع إلى ذلك الحين أم لا. ولكن يجب أن يكون معلوما أن هناك شرطا ضروريا من طرفي وهو أن أبيّن أولا خطأ ما فهمه أصحاب فتوى التكفير وأُتم الحجة عليهم بأدلة قاطعة، وإن لم يرتدعوا بعد ذلك فسوف أباهلهم في المجلس نفسه. أما كلام الله الذي نزل عليّ مؤذِنا بالمباهلة فهو التالي:

"نظر الله إليك معطّرًا. وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها. قال إني أعلم ما لا تعلمون. قالوا كتاب ممتلئٌ من الكفر والكذب. قل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين."

هذا هو إذن المباهلة الذي أُعطيتُه. وإلى جانب ذلك تلقيتُ بعض الإلهامات المبشرة أيضا، فأسجل بعضها أيضا، وهي:

"يوم يجيء الحق ويُكشَف الصدق ويخسر الخاسرون. أنت معي وأنا معك ولا يعلمها إلا المسترشدون. نردّ إليك الكرّة الثانية. ونبدّلنّك من بعد خوفك أمنا. يأتي قمر الأنبياء، وأمرك يتأتّى. يسرُّ اللهُ وجهَك ويُنير برهانك. سيولَد لك الولد ويُدنَى منك الفضل. إن نوري قريب. وقالوا أنّى لك هذا؟ قل هو الله عجيب. ولا تيأس من روح الله. اُنظرْ إلى يوسف وإقباله. قد جاء وقت الفتح، والفتح أقرب. يخرّون على المساجد، ربنا اغفر لنا إنا كنا خاطئين. لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. أردتُ أن أستخلِفَ فخلقتُ آدمَ نجيّ الأسرار. إنا خلقنا الإنسان في يوم موعود."

الكرة الثانية: أي سنجعلك غالبا مرة أخرى، قوله: "وقالوا أنّى لك هذا؟ قل هو الله عجيب"، يعني أنهم يسألونك من أين لك هذه المراتب كلها؟ فقل لهم إن أعمال الله عجيبة؛ يبوِّئ من يشاء بين مقربيه. يخرون على المساجد: أي أن الذين كُتبت لهم التوبة من المعارضين سيخرّون على مساجدهم. وقوله: "إنا خلقنا الإنسان في يوم موعود" يعني أننا خلقناه في وقت كان قد كُشف بواسطة النبي الأكرم ﷺ بأنه سيولَد في زمن كذا. وعندما يولَد يكون القوم الفلاني غالبا في العالم من حيث سلطنته وقوته. وسيكون نوع كذا وكذا من عبادة المخلوق منتشرا في الأرض. فوُلد ذلك الموعود في الزمن نفسه الذي كان زمن الصليب وعبادة عيسى. فليفهم من كان من الفاهمين قبل أن يهلك. فليتأمل في قوله ﷺ "**يكسر الصليب**" وليفكّر في "**يقتل الخنزير**" وليتدبّر "**يضع الجزية**" ليعلم أن كل هذه الأمور تنطبق على أهل الكتاب فقط دون غيرهم. ثم ما دام قد اعتُرف بأن الديانة المسيحية والحكومات المسيحية ستكون هي الأقوى والأعلى في ذلك الزمن، وقد أُشيرَ إلى الأمر نفسه في القرآن

الكريم أيضا؛ فأين مجال الدجال الافتراضي الوهمي الخيالي مع هذه القوى؟ إن هؤلاء القوم هم الذين قد أحاطوا بالأرض كلها، فلو خرج دجال آخر مقابلهم فأنّى له أن يحيط بالأرض مع وجود هؤلاء القوم؟ لا يمكن أن يدخل سيفان في غمد واحد، فأين سيكون الإنجليز حين يكون الدجال حاكما على الأرض كلها؟ وأين سيكون الروس وأين ستكون حكومات ألمانيا وفرنسا والبلاد الأوروبية الأخرى مع أن مجيء المسيح الموعود في عهد السلطنة المسيحية أمر محتوم. وما دام ضروريا للمسيح أن يجد القوى المسيحية غالبة في العالم ويرى مفاتيح كل المفاسد في أيديهم، ويكسر صليبهم ويقتل خنزيرهم ويضع الجزية بإدخالهم في الإسلام، فلكم أن تفكروا جيدا كيف يمكن قيام سلطنة الدجال الخيالي مع وجود السلطنة المسيحية؟ ولكن من الخطأ الظن أن المسيح سيأتي بالسيف المادي. إنني لأستغرب لماذا لا يفكر المشايخ في عبارة "يضع الحرب" ولماذا لا يقرأون الحديث القائل: "الأئمة من قريش"؟ فما دامت السلطنة المادية والخلافة والإمامة لا تجوز لأحد غير قرشيّ، فكيف يمكن أن يكون المسيح الموعود وهو ليس من قريش خليفةً ماديا؟ وأما القول بأنه سيبايع المهدي ويكون تابعا له وسيحمل السيف مثل العبيد بأمر منه، إنما هي أقوال غريبة وسخيفة للغاية.

أيها السادة، هداكم الله؛ إن خلافة المسيح الموعود خلافة روحانية ولا علاقة لها بحكومات الدنيا إذ قد أُعطي حكومة سماوية. ثم إن العصر الراهن ليس بالذي يمكن أن يؤمن فيه الناس بالسيف إيمانا صادقا. بل إن الجهال لا يزالون يعترضون على السيف الذي رُفع في الأزمنة الماضية دع عنك أن يُقتلوا بالسيف مجددا. نعم، هناك حاجة ماسة للسيف الروحاني، وليعملنَّ عمله ولا يستطيع أحد أن يعيقه. والآن أنهي هذه المقدمة، ولكن أمتَشِقُ فيما يلي سيفا روحانيا على الأعداء وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

(الله أكبر، ضُربت الذلة على كل مخالف)

الإعلان

إلى جميع القسس والهندوس والآريين والبراهمو والسيخ والملحدين وأتباع مذهب الطبيعة وغيرهم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. والصلاة والسلام على خير رسله وأفضل أنبيائه وسلالة أصفيائه محمدٍ المصطفى الذي يصلي عليه الله وملائكته والمؤمنون المقربون.

أما بعد، فلما كانت الأديان المذكورة في العنوان كلها تعادي في الزمن الراهن تعليم القرآن الكريم بشدة متناهية، ومعظمهم لا يعتبرون سيدنا ومولانا محمدا المصطفى خاتَم الأنبياء ﷺ على الحق ولا يعُدّون القرآن الكريم كلام الله، ويزعمون أن رسولنا الأكرم ﷺ مفتريا، ويحسبون صحيفتنا المقدسة -كتاب الله- مجموعة افتراءات. وقد مرّ زمن طويل في المناظرات والمباحثات بيننا وبينهم، ورُدّ على اعتراضاتهم كلها بالكامل، أما الاعتراضات التي تقع على أديانهم وكتبهم فقد أسمعناهم إياها مع ذكر التحديات، وقد كشفنا لهم كم هي بعيدة عن الصدق مبادئهم الدينية ومعتقداتهم وقوانينهم التي تخالف الإسلام وكم هي مدعاة للعار والشنار، ولكنهم مع ذلك لم يقبلوا الحق ولم يتورعوا عن تجاسرهم وبذاءة لسانهم، وفي نهاية المطاف كتبتُ هذا الإعلان اليوم لإتمام الحجة كاملةً وأسجل فيما يلي مضمونه بإيجاز:

فيا سادة، إن جميع أهل الأديان الذين يؤمنون بالثواب والعقاب ويوقنون ببقاء الروح وبيوم الآخرة كلهم متفقون على مقولة **أن الله موجود** -وإن كانوا يختلفون في

مئات الأمور الأخرى- ويدّعون أن الإله نفسه قد أعطاهم هذا الدين، وأن الهدي الذي في أيديهم هو منه ﷻ. ويقولون بأنهم فقط عباده الأحباء الذين يسلكون سبل مرضاته، أما الآخرون فكلهم مورد غضبه وساقطون في هوّة الضلال، وأن الله تعالى ساخط عليهم. فما دام أتباع كلّ دين يدّعون بأن سبيلهم هو سبيل مرضاة الله، وهو وحده مدار النجاة والقبول عند الله دون غيره، وأن الله تعالى لا يرضى إلا بالسلوك على سبيله، ولا يحب إلا إياهم ولا يسمع إلا لهم، ويجيب دعوتهم في أغلب الأحيان، فالحكم في القضية في غاية السهولة. نحن نتفق مع الجميع في المقولة المذكورة آنفا، وصحيح أيضا عندنا أنه لا بد أن يكون من الله تعالى تمييز واضح بين الصادق والكاذب في هذه الدنيا. ومما لا شك فيه أنه لن يحسب أحدٌ قومه أدنى من الأقوام الأخرى في التقوى والورع والتوحيد والعدل والإنصاف وغيرها من الأعمال الصالحة، فلا شك أن البتّ في الموضوع يصبح محالا في هذه الحالة. ومع أننا نقول بأنه توجد في الإسلام أمور محمودة بكمال لا نظير له وتُثبت خصوصية الإسلام، وذلك مثل التوحيد والتقوى وقواعد لحماية العفة وقوانين لحفظ الحقوق التي يتمسك بها عشرات الملايين من المسلمين عملا واعتقادا. ولا يخفى مقابل ذلك على أيّ منصف حالة معارضينا الاعتقادية والعملية. ولكن مَن سيقبل ميزات الإسلام هذه ومن سيسمع عنها ما دام التعصب حائلا دون ذلك؟ فهذا الطريق نظريّ. أما الطريق البديهي جدا الذي يفهمه الفلاحون في القرى والبدو المقيمون في البراري أيضا؛ هو أنه يجب أن نستعين في وقت التناحر والجدال الدائر حاليا بين كافة الأديان -الذي قد بلغ الآن ذروته- بالذي في سبيله يجري هذا التناحر والجدال. وما دام الله تعالى موجودا، وما دامت كل هذه الحروب تدور بشأنه فقط، فمن الأفضل أن نطلب الحكم منه.

وليتضح الآن أنني بفضل الله تعالى أعدُّ الإسلام وحده الدينَ الحق، وأرى

الأديان الأخرى باطلة وكومة كذب. وأرى أن ينابيع النور تتدفق في نفسي نتيجة اعتناقي الإسلام، وبسبب حب رسول الله ﷺ فقط نلتُ أعلى درجة من المكالمة الإلهية وإجابةِ الأدعية التي لن ينالها أحد قط إلا من كان تابعا لنبي صادق. أما الهندوس والمسيحيون وغيرهم فلن ينالوا تلك المرتبة مطلقا حتى لو هلكوا رافعين أكف الضراعة إلى آلهتهم الباطلة. وإنني لأسمع ذلك الكلام الإلهي الذي يعتقد به الآخرون على سبيل الظن فقط. وقد أُريتُ وأُخبِرت وأُفهمتُ أن الإسلام وحده هو الحق في العالم. وقد كُشف علي أنني أُعطِيتُ كل ذلك ببركة سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ. وكل ما أُعطِيته لا نظير له في الأديان الأخرى لأنها على الباطل.

والآن، إذا كان هناك باحث صادق عن الحق سواء أكان هندوسيا أو مسيحيا أو آريًّا أو يهوديا أو من البراهمو أو غيرهم فلديه فرصة مواتية ليبرز أمامي، ولو استطاع أن يبارزني في إظهار الأمور الغيبية وإجابة الأدعية؛ فأقول حلفا بالله جلّ شأنه بأني سأسلِّم له جميع ممتلكاتي غير المنقولة التي تبلغ قيمتها عشرة آلاف روبية تقريبا، أو سأطمئنه بأداء غرامة بأية طريقة يراها مقنعة له.

إن ربي الأحد ليشهد بأني لن أقصر أدنى تقصير في هذا السبيل، ولو حُكم عليّ بالموت لقبلتُه قلبا وقالبا. أقول هذا بصدق القلب وربي يعلم بأنني صادق فيما أقول. أما إذا ارتاب أحد في ذلك ولم يطمئن لاقتراحي، فله أن يقدم اقتراحا أفضل منه لأداء الغرامة، ولسوف أقبله دون عذر، وإن كنتُ كاذبا فالأفضل أن أهلك بعقوبة شديدة الوطأة، ولكن إن كنتُ صادقا فأودّ أن ينجو على يدي مَن كان من الهالكين.

فيا أيها القسس الذين تحظون بالتقدير والاحترام في قومكم؛ أناشدكم بالله أن تنتبهوا إلى هذا الأمر. إذا كانت في قلوبكم ذرة من حب ذلك الإنسان الصادق الذي اسمه عيسى المسيح، فأستحلفكم بالله أن تبارزوني. ناشدتكم أن تهبُّوا مقابلي

بالله الذي خلق المسيح من بطن مريم الصديقة، وأنزل الإنجيل وتوفَّى المسيح ولم يتركه بين الأموات، بل ألحقه بجماعته من الأحياء مثل إبراهيم وموسى ويحيى والأنبياء الآخرين، فأحياه ودعاه إليه في السماء مع الذين أُحيُوا قبله. إذا كان الحق معكم، وإذا كان المسيح إلها حقا؛ فالفتح حليفكم حتما. أما إذا لم يكن إلها، بل كان إنسانا ضعيفا وعديم الحيلة، وكان الحق مع الإسلام؛ فسيسمع الله تعالى لي وسيُظهر على يدي أمرا لن تقدروا عليه. وإن قلتم بأنكم لا تريدون المواجهة ولا توجد فيكم علامات المؤمنين، فتعالوا وانظروا أعمال الله من جانب واحد بشرط الانضمام إلى الإسلام. فلتبرزوا أمامي كلُّكم أو أحدكم ممن يُعدّ زعيمًا ويحتل مكانة مرموقة في قومكم. وإذا عجز عن المواجهة فليطلب مني آية واعدا أنه سيؤمن ويعتنق الإسلام إذا رأى أمرا يفوق قدرة البشر. ويجب أن ينشر وعده في إعلان مع شهادة مقرونة بالحلف وموقَّعة من قِبل ١٢ شخصا من المسيحيين والمسلمين والهندوس؛ أي أربعة من المسيحيين وأربعة من المسلمين وأربعة من الهندوس، وليرسل إليّ أيضا هذا الإعلان. وإذا أظهر الله تعالى أمرا عجيبا من عجائب قدرته يفوق قدرة الإنسان، فليُسلم فورا. وإن لم يُسلم فستكون الآية الثانية أنني سأدعو الله تعالى أن يُنزل على هذا الشخص في غضون سنة واحدة وبالا شديدا؛ مثل الجذام أو العمى أو الموت. وإن لم يُتقبل دعائي هذا فسأقبل بأية غرامة تُقترَح.

والشرط نفسه موجّه إلى السادة الآريين أيضا، بأنهم إذا كانوا يرون كتابهم "الفيدا" كلام الله ويزعمون كتابنا المقدس افتراء الإنسان؛ فليواجهوني، وليعلموا أنهم سيلقون خزيا كبيرا في هذه المواجهة. يوجد فيهم تجاسر الإلحاد والتحرر أكثر من غيرهم، ولكن الله تعالى سوف يُثبت لهم أنه موجود فعلا. وإن لم يبارزوا فلهم أن يروا مني آية من جانب واحد دون اللجوء إلى شروط سخيفة. ويكفي لكون آيتي من الله أن الذي رأى من الآريين آية ولم يُسلم دون تأخير، فسوف أدعو عليه. وإن لم

يُصَبْ ببلاءٍ كالجذام أو العمى أو الموت في غضون عام واحد فإنني جاهز لتحمل أية عقوبة. وللآخرين أيضا الشروط نفسها. وإن لم يتوجهوا إليّ الآن أيضا فقد تمت عليهم حجة الله تعالى.

المعلن

العبد الضعيف **غلام أحمد** من قاديان، محافظة غورداسبوره

طوبى للصادقين لأن الفتح لهم في آخر الأمر

قد يكون الذين قرأوا جريدة "نور أفشان" العدد ١٨٨٨/٥/١٠م على علم أن محررها قد نشر في العدد المذكور رسالتي التي تحتوي على نبوءة، ويعرفون أيضا إطالته عليّ لسانا سليطا وبذيئا، وكذلك استخدامه بحقي كلمات سيئة ونابية وبعيدة عن التحضر. يجب ألا نتأسف شيئا على هؤلاء القسس مبدئيا لأن الإنكار والإهانة وعداوة الحق شيمتهم منذ القِدم. ولكن ما أريدُ بيانه الآن هو ماذا كانت نتيجة النبوءة الإلهامية التي عَدَّها المحرر كيد إنسان وافتراءه، وأطال اللسان عليها كعادته، هل ثبت أنها افتراء إنسان في نهاية المطاف أم أنّ الله، ناصر الصدق، كشف صدقَها؟

فليتضح أن عبارة رسالتي التي نُشرت في جريدة "نور أفشان" بتاريخ ١٨٨٨/٥/١٠م المتضمنة نبوءة عن الميرزا أحمد بيك الهوشياربوري المنشورة في الصفحتين ٢ و ٣ من الجريدة هي كما يلي: لقد كشف الله تعالى عليّ في وحيه المقدس بأنه لو رضيت بتزويجي ابنتك الكبرى لأزال الله تعالى عنك جميع أنواع النحوسة ببركة هذا الزواج، ولَحماك من الآفات ورزقك بركة تلو بركة. وإن لم يتم هذا الزواج فإن تزويجها من شخص آخر لن يكون مباركا قط، بل سيكون مآله الألم والمعاناة والموت؛ فهناك بركة في ناحية وموت في ناحية أخرى، وهما يكفيان لاختبار صدقي أو كذبي، فلكم أن تختبروا كيفما تشاؤون. إن أقاربي لا يعرفونني ولكن الله تعالى يريد أن يكشف عليهم أعمالي.

هذه الرسالة نُشرت في جريدة "نور أفشان" العدد ١٨٨٨/٥/١٠م، وتتلخص في أنه إذا أنكحتَ ابنتك شخصا آخر فسيكون مآله موتك، وإلا ستنال البركة بدلا من الموت.

وأريد القول الآن بأنه قد عُقد قران هذه الفتاة بتاريخ ١٨٩٢/٤/٧م على شخص آخر، وتحققت النبوءة بتاريخ ١٨٩٢/٩/٣٠م؛ أي قبض الله تعالى ميرزا أحمد بيك الهوشياربوري من هذا العالم الفاني.

والآن، يجب على محرر "نور أفشان" أن يفكّر بصبر ومثابرة: هل تحقُّق النبوءة علامةُ الصادق أم الكاذب بحسب تعليم التوراة[٩٠]؟ الحق أن هذا القدر يكفي آيةً من الله للباحث عن الحق، أما من يتبع الباطل فلا تنفعه أية آية ما لم تظهر الآية الأخيرة التي اسمها جهنم. فعلى كل باحث عن الحق أن يقرأ جريدة "نور أفشان" العدد ١٨٨٨/٥/١٠م ويدين القسس بهذه النبوءة.

والآن أرى مناسبا أن أنقل هنا الإعلان المنشور بتاريخ ١٨٨٨/٧/١٠م وآمل أن ينتبه إخوتنا مسيئو الظن أيضا: هل هذه الأمور من الإنسان أم من ربّ السماء. ما زالت عندهم فرصة مواتية ليتخلَّوا عن التعنت. إن الذي يخاصم الصادق لا يخاصمه وإنما يخاصم الله. والسلام على من اتبع الهدى.

---

[٩٠] *التثنية : ١٨: ١٨*

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي

يا معين برحمتك نستعين

إعلان نبوءة قبل تحققها

"*عندما تظهر نتيجة النبوءة للعيان، سوف يتراءى تجلٍّ عجيبٌ لقدرة الله تعالى. سوف يتبين الفرق بين الصدق والكذب، فُيكرم أحدٌ ويُخزى آخر*"[٩١].

لقد نُشرت في جريدة "نور أفشان" بتاريخ ١٨٨٨/٥/١٠م رسالتي المتضمنة طلب النكاح. وقد استخدم صاحب الجريدة لسانا بذيئا جدا عند نشره الرسالة في جريدته، وقد سوّد صفحة كاملة منها بكلمات نابية وشتائم. فكم من الإجحاف أن الذين كان أنبياؤهم متزوجين من مئات النساء في وقت واحد يرون الجمع بين زوجتين أو ثلاث زوجات ذنبا كبيرا بل يعُدّونه زنًى وفعل الحرام. لا يمكن أن تبقى سلسلة كل عائلةٍ جاريةً دائما بزوجة واحدة لكل واحد منهم، بل يحدث في بعض الأحيان أن تكون إحداهن عقيما لا تقدر على الإنجاب. يتبين من هذا التحقيق أن نسل بني آدم ظل جاريا وقائما نتيجة تعدد الزوجات. ولو كان هذا التعدد ممنوعا لأوشك النسل البشري على الانقراض إلى الآن. سوف يتبين من البحوث كيف حمى الإنسانَ هذا الطريقُ المبارك، وكيف عمّر من جديد بيوتا كادت تخرب! وكم هو مفيد هذا الطريق للمحافظة على تقوى الإنسان. إن في طبيعة النساء نقصا فيما يتعلق بحاجة الرجال إليهن كما في أيام الحمل والحيض والنفاس. وهذا الطريق المبارك يسد هذا الخلل، ويعطي الرجل حقه الذي يمكن أن يطالب به من حيث طبيعته. وبالإضافة إلى ذلك يضطر الرجل للتعدد لأكثر من سبب؛ فمثلا إذا أصبحت المرأة

---

[٩١] *ترجمة بيتين أرديين. (المترجم)*

دميمة بتقدمها في السن أو نتيجة مرض، لتعطلت قوة الرجل المتعلقة بالعلاقة الزوجية. ولكن إذا صار الرجل دميم الشكل فلا ضير من ذلك على المرأة، لأن الرجل أُعطي أداة العلاقات الزوجية، وإن إشباع المرأة بيد الرجل. أما إذا كان في رجوليته نقص أو عجز، فيمكن للمرأة أن تطلب منه الطلاق بحسب حكم القرآن الكريم. ولكن إذا كان قادرا على إشباعها بشكل كامل فلا يحق لها الاعتراض على زواجه الثاني، لأن المرأة لا تستطيع أن تسد حاجاته اليومية، وبذلك يبقى حق الرجل في التعدد قائما. إن هذا الطريق ليس جائزا فقط، بل هو واجب على الأقوياء الأتقياء الورعين بطبعهم.

إن بعض معاندي الإسلام يفعلون كل ما يحلو لهم اتّباعا للنفس الأمارة، ولكن يكرهون هذا الطريق الطاهر أيما كراهية، لأنهم لا يبالون ولا يهتمّون بهذا الطريق الطيب بسبب التحرر المنتشر فيهم. وهذا مقام تأسف على المسيحيين أكثر من غيرهم، لأنهم يصبّون جام غضبهم على المسلمين بغير وجه حق غاضين الطرف عن وقائع أنبيائهم المعتَرف بنبوتهم. فمن المخجل أن الذين يقرّون أن جسم المسيح وطِينَةَ وجوده وأصله من جهة الأم هو نتيجة التعدد -إذ لم يكتفِ داود عليه السلام (جدّ المسيح) بزوجة واحدة أو اثنتين أو ثلاث، بل تزوج مئة زوجة- يرون التعدد مثل الزنى ولا يتورعون عما يقع على السيدة مريم من نتيجة مهولة لهذه الكلمة الخبيثة، ومع كل هذه الإساءة يدّعون حب المسيح أيضا.

فليكن معلوما أن التعدد لا يثبت من التوراة كلاما فقط، بل قد ختم معظم أنبياء بني إسرائيل بمن فيهم جدّ المسيح عليه السلام بعملهم أيضا على أنه ليس جائزا فقط بل مستحَبّ. فيا أيها المسيحيون الذين لا تخشون الله؛ إذا كان ضروريا للملهَم أن تكون له زوجة واحدة فقط، فهل ستؤمنون بنبي صادق مثل داود نبيا لله؟ أو هل تُخرجون مقبولا عند الله مثل سليمان من دائرة الملهَمين؟ ألا يُعَدّ العمل الذي داوم

عليه الأنبياء -الذين كان خط الإلهام الإلهي موصولا بقلوبهم دائما وكانت الأحكام المتعلقة برضا الله أو عدم رضاه تنزل عليهم كل حين وآن- ولم يمتنعوا عنه إلى آخر لحظة من حياتهم ولم يبالوا بأوامر الله شيئا؛ ذنبا مستديما بحسب زعمكم؟ هل يليق بالإله الغيور وغيرته -الذي أهلك عادا وثمود لمعصيتهم وأمطر قوم لوط بالحجارة، وأغرق فرعون مع جماعته الشريرة كلها في طوفان مهول- أن لا ينزِّل العذاب على إبراهيم ويعقوب وموسى وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء الكثيرين بعد أن وجدهم عصاةً على مدى حياتهم بسبب اقتنائهم زوجات كثيرة ومتمردين جدا، بل يحبهم ويصادقهم أكثر من ذي قبل؟ ألم يجد إلهكم شخصا آخر لينزِّل الإلهام عليه أم قد أعجبه أصحاب الزوجات الكثيرات[٩٢] فقط؟

وليكن معلوما أيضا أن الأنبياء والأصفياء أجمعين، مع زواجهم من أكثر من امرأة، قد سبقوا الجميع في القوى الروحانية والقبول عند الله، وبذلك أثبتوا للعالم كله أن السبيل لنوال حب الله لا يتمثل في عيش المرء في الدنيا كالمخنّث أو العنّين، بل إن القوي في الإيمان هو ذلك الذي يحمل عبء الأهل والأولاد أكثر من غيره، ومع كل هذه الصلات يعيش كأنه لا علاقة له بهم. إن العلاقة بين الله وعبده على شاكلة المحب والمحبوب تقتضي شيئا آخر. فما هو ذلك الشيء؟ إنها روح الإيمان التي تتولد في المؤمن وتهبه حواسَّ جديدة، فبواسطتها يسمع المؤمن كلام الله تعالى، وينال الطهارة الحقيقية والدائمة، وبسببها تتولد فيه قوى خارقة للحياة الجديدة.

الآن أتساءل: مَن مِن الذين يُسمَّون نسّاكا ورهبانا وما شابه ذلك أُعطي تلك الروح الطاهرة؟ هل توجد في أيّ قسيس هذه الروح الطاهرة أو روح القدس بتعبير آخر؟ لقد تعبنا من كثرة ما دعونا القساوسة في العالم كله ولكن لم ينبس أحد ببنت

[٩٢] يتبين من بعض الإشارات في الإنجيل أن المسيح عليه السلام أيضا كان يفكر في الزواج، ولكنه رُفع عن عمرٍ صغير، وإلا كان من المتأكد أن يتأسى بأسوة أبيه داود. منه.

شفة على ندائنا. لقد نشر بعض القساوسة في جريدة "نور أفشان" بأنهم سوف يقدمون ظرفًا مغلقا في جلسة ويجب أن نخبرهم بمضمونه بالإلهام. ولكن عندما قبلنا طلبهم هذا بشرط أن يُسلِموا بعد ذلك، لم يتوجهوا إلى هذا الأمر أيضا. لقد ختم القسس على الإلهام منذ مدة مديدة، أما الآن وقد ثبت فيض روح القدس على المسلمين فقد افتضح أمرهم حين انفضَّ الختم لذا كان لا بد أن يشعر القساوسة بألم مضاعف نتيجة إلهامنا، ألمًا نتيجة انفضاض الخاتم، وألمًا نتيجة انتقال الإلهام من مكان إلى مكان آخر.

فالحق أن السبب الحقيقي وراء استخدام جريدة "نور أفشان" لغةً قاسية، هو ذلك الألم العضال كالحمى المستعصية العلاج.

والآن، يجب أن يكون معلوما أن الرسالة التي نشرها الخصوم في جريدة "نور أفشان" بتاريخ ١٠/٥/١٨٨٨م قد كُتبت بإيعاز من الله تعالى إذ كان بعض من الكبار وأقارب المرسل إليه -الذين طُلبتْ يد ابنة أختهم- يطالبون بآية سماوية منذ مدة طويلة، وكانوا منحرفين عن جادة الإسلام ويعاندونه، ولا يزالون كذلك. فقد سُجّل طلَبُهم هذا في إعلان نُشر من قِبلهم في جريدة "جشمة نور" الصادرة في "أمرتسر" في آب/أغسطس ١٨٨٥م. إنهم لا يعادونني فقط، بل يعادون الله تعالى والرسول ﷺ أيضا. أما والد البنت فعاكف على نيل رضاهم بسبب أواصر القرابة القوية، ويخطو على خطاهم ويفديهم قلبا وقالبا، ولا يملك بنفسه أيّ خيار قط بل هو تابع لهم تماما، ويعدُّ بناته كأنهن بناتهم. وهم أيضا يفكرون بالطريقة نفسها تماما، ويعدّون أنفسهم أولياء أمره في كل صغيرة وكبيرة وكأنهم لسان حاله. فبناء على ذلك قد نشروا أمر الفتاة على دقات الطبول حتى ملؤوا جرائد المسيحيين أيضا بهذه القصة. واهًا لهذا العقل وهذه الفطنة! ما أحسن ما أدّى به حق كونه خالا! فليكن كل خال مثله!

فباختصار، إن هؤلاء القوم كانوا يحسبونني مكارا وكاذبا في ادّعائي تلقّي الإلهام، وكانوا يوجّهون إلى الإسلام والقرآن الكريم أنواع الاعتراضات، ويطلبون مني آية سماوية. فدعوت لهم مرارا واضعا هذا الهدف في الحسبان. فاستجاب الله دعائي هذا وقدّر أن يلتجئ إلي والد البنت لأمر يهمّه. وبيان ذلك أن إحدى أخوات الشخص المذكور متزوجة من ابن عمي المدعو غلام حسين. وغلام حسين غائب منذ ٢٥ عاما ومفقود الخبر منذ ذلك الحين. وأرضه التي أملك حق التصرف فيها كانت قد سُجلت في الدوائر الرسمية باسم أخت الشخص المذكور من قبل. أما الآن، وفي أثناء الإجراءات الجارية حاليا في محافظة غورداسبوره، فإن هذا الشخص الذي بعثتُ الرسالة إليه، أراد -بإذن أخته- أن يسجل تلك الأرض التي يبلغ ثمنها أربعة أو خمسة آلاف روبية باسم ابنه محمد بيك هبةً منها، فكُتبت عبارة الهبة من قِبل أخته. ولما كانت أوراق الهبة عديمة الجدوى دون موافقتي، جاءني المخاطَب في الرسالة بكمال التواضع لكي أرضى بتلك الهبة وأوقِّع على أوراقها، وكدتُ أوقّع عليها؛ إذ خطر ببالي أنه يجب أن أستخير الله تعالى كما جرت عادتي في الأمور العظام منذ مدة. فهذا ما أجبتُ عليه. ثم استخرتُ الله تعالى بناء على إصرار متواصل من قِبل المخاطَب في الرسالة. فكانت الاستخارة؛ وكأنه قد حان نزول الآية السماوية، التي أظهرها الله تعالى بهذا الأسلوب.

فقد أمرني الله تعالى أنِ اطرحْ موضوع الزواج من ابنته الكبرى، وقلْ له بأنك ستعامَل معاملة حسنة نتيجة ذلك، وسيكون هذا الزواج مباركا وآية رحمة لك وستنال نصيبا من البركات والرحمة المذكورة في إعلان ١٨٨٨/٢/٢٠م[٩٣]. ولكن لو انحرفتَ عن ذلك لكانت عاقبة الفتاة سيئة جدا. والرجل الذي تُنكح له الفتاة سوف يموت

---

[٩٣] *هذا سهو من الناسخ، والصحيح: ١٨٨٦م، (المترجم)*

في غضون سنتين ونصف، وكذلك يموت أبوها في ثلاث سنين[٩٤]، [٩٥] وتحل ببيته فُرقة وضيق ومصيبة، وسيحل بالفتاة خلال تلك المدة أيضا الكثير من المكروهات والأحزان.

وعندما ركّزتُ في تلك الأيام على الدعاء لمزيد من التفصيل والتصريح، علمتُ أنه تعالى قدّر أن قران البنت الكبرى للمخاطب في الرسالة -التي طُلبت يدها- سيُعقَد معي في نهاية المطاف بعد إزالة كل العقبات في هذا السبيل، وسيجعل اللهُ الملحدين مسلمين، وينشر الهداية في الضالين. ففي هذا الموضوع تلقيت بالعربية إلهاما نصه: **"كذّبوا بآياتنا وكانوا بها يستهزئون، فسيكفيكهم الله ويردّها إليك، لا تبديل لكلمات الله، إن ربّك فعّال لما يريد. أنت معي وأنا معك. عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا."**

فسيكفيكهم الله: أي سينصرك الله ضد أولئك الذين يعرقلون هذا الأمر، وسوف يردّ هذه الفتاة إليك في نهاية المطاف، لا أحد يقدر على تبديل كلمات الله.

وصحيح أن الحمقى والجاهلين يستخدمون لسوء طويتهم وسوء ظنهم، لسانا بذيئا في بداية الأمر، ويتفوهون بكلمات نابية، لكنهم سيندمون في النهاية نظرا إلى نصرة الله تعالى، وتكسب المديح من كل جانب بعد انكشاف الحقيقة.

وفي هذا المقام هناك اعتراض آخر لجريدة "نور أفشان" جدير بالدحض، وهو: إذا كان الإلهام من الله تعالى وكنتَ واثقا منه كل الوثوق فلماذا أخفيتَه؟ ولماذا أكّدتَ

---

[٩٤] المراد من موته في ثلاث سنين هو بدءا من يوم القران، ولكن ليس ضروريا ألا يقع له حادث قبل ذلك، بل يتبين من بعض الكشوف أن زمن الحوادث -التي لا أعرف نتيجتها- المتعلقة بالمخاطَب في الرسالة، هو قريب، والله أعلم. منه.

[٩٥] لقد مات والدها بحسب النبوءة في الشهر الرابع بعد عقد قرانها، إذ قد عُقد قِرانها في ١٨٩٢/٤/٧م ومات أبوها في "هوشيار بور" بتاريخ ١٨٩٢/٩/٣٠م. منه.

في رسالتك على إخفائه[٩٦]؟

فجوابه: أن القضية كانت قضية عائلية، وقد أُبلغ بها الذين كانت تمثّل آية لهم، وكنت موقنا أن والد الفتاة سوف يحزن بنشرها؛ لذلك اجتنبتُ كسر قلبه وإيذاءه، بل لم أُرِدْ أن ينشر هو أيضا هذا الأمر في حال إنكاره ورفضه. ومع أنني كنت مأمورا بنشره، لكني أخّرته إلى موعد آخر لحكمة، حتى نشَرَه الميرزا نظام الدين -وهو خال الفتاة، وشقيق الميرزا إمام الدين- مستشيطا غضبا وغيظا، وقد نشره على نطاق واسع؛ إذ يُقدَّر عدد المطلعين جيدا على طلب زواجي ومضمون الإلهام بعشرة آلاف من الرجال والنساء في غضون أسبوع أو أسبوعين، ولم يكتفِ بترويجه شفويا، بل نشر رسالتي في الجرائد أيضا، ثم أذاعها بين الناس، وبالنتيجة قُرئت هنا وهناك في الأسواق، وأُبلغ مضمون الرسالة إلى النساء والأطفال أيضا.

أما الآن، وقد نُشرت رسالتي في جريدة "نور أفشان" بجهد الميرزا نظام الدين، وبدأ المسيحيون يفترون بغير وجه حق بحسب طويتهم؛ فقد أصبح واجبا عليّ أن أكشف حقيقة الأمر بقلمي. فليكن واضحا على المسيئين الظن أنه ليس هناك مِحكٌّ أفضل من نبوءتي لاختبار صدقي أو كذبي. ثم إنّ هذه ليست أول مرة أنشر فيها هذه النبوءة، بل يعلم جيدا الميرزا إمام الدين والميرزا نظام الدين والآريون المحلّيون وكذلك ليكهرام الفشاوري ومئاتٌ آخرون بأنني كنتُ قد أنبأتُ قبل عدة سنين نبوءة مُجْملة عن ذلك؛ أيْ أن شخصا من أقاربنا، وهو المدعو أحمد بيك، سيموت قريبا. والآن لكل عادل أن يفهم أن تلك النبوءة كانت شعبة من هذه النبوءة الحالية، أو

[٩٦] كنت بطبيعتي أكره نشر هذا الإلهام الذي كان يدل على موت المخاطَب في الرسالة بحسب شروط معينة، بل ما كنت أميل إلى أن أخبر به المخاطَب في الرسالة، ولكنني كشفت عليه ذلك الأمر المختوم بحسن نية ومواساة صادقة نتيجة إصراره الشديد الذي أبداه شفويا ومن خلال عديد من رسائله المتواضعة جدا. ثم أذاع مضمون الإلهام هو شخصيا وأحد أقاربه الميرزا نظام الدين. منه.

قولوا إن شئتم بأن هذا تفصيلٌ، وذاك كان إجمالا. وقد ذُكر في هذه موعدٌ ومدة، ولم يُذكر ذلك في النبوءة حينها. وفي النبوءة الحالية صُرّح بالشروط، بينما كانت تلك إجمالية. فيكفي للعاقل أن النبوءة الأولى يعود تاريخها إلى زمن حين لم تبلغ البنتُ الحُلمَ، وما دامت هذه النبوءة عن الشخص نفسه الذي أُنبئ عنه قبل خمس سنوات أي في زمنٍ كانت ابنته هذه بالغة من العمر ٨ أو ٩ سنوات، أفليس الزعم أنها كانت من افتراء الإنسان حمقا وغباوة؟ والسلام على من اتبع الهدى.

(العبد الضعيف: غلام أحمد من قاديان، محافظة غورداسبوره، البنجاب) في ١٠/٧/١٨٨٨م

الرسالة إلى الشيخ محمد حسين البطالوي

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي

إلى الشيخ محمد حسين أبي سعيد البطالوي المحترم

الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى. أما بعد، فأقول متأسفا بأني لم أستطع أن أبدأ هذه الرسالة بالتحية المسنونة؛ أي: السلام عليكم، وذلك بسبب فتواك بالتكفير التي نتيجتها الحتمية أن يكون أحد الفريقين كافرا. ولكن ما دمتُ قد تلقيت إلهاما منذرا بحقك، وكذلك حكى لي بعض الإخوة المسلمين الآخرين أيضا مناماتهم بحقك التي بسببها خفتُ كثيرا أن تكون عاقبتك وخيمة، فهاج رحمي على حالتك نظرا إلى حقوق الإنسان على بني جلدته، وكذلك لأنك من أهل بلدي وجاري. وأقول حلفا بالله جلّ شأنه بأنني أرحم حالتك كثيرا، وأخاف أن تواجه عاقبةً واجهها مكذِّبو الصادقين دائما. لهذه الأسباب أحاطتني دوامة التفكير ليلا حين كنتُ أفكّر فيما يمكنني فعلُه من أجل مواساتك، فأفتاني قلبي أن أكتب إليك رسالة للدعوة إلى الحق؛ لعل الله يرحمك بسببها وينقذك من الحالة الخطيرة التي أنت فيها.

فيا عزيزي، لا تيأس من رحمة الله، فهو قادر على كل شيء وفعّالٌ لما يريد. فلو أمعنت في سوانح حياتي باحثا عن الحق فيتبين لك بأدلة قاطعة أن الله تعالى حماني دائما من نجاسة الكذب، لدرجة أن حياتي وكرامتي كانتا أحيانا في خطرٍ أمام المحاكم الإنجليزية، ولم يستطع المحامي أيضا أن يقترح شيئا إلا كذب المقال، ولكنني خاطرتُ بتوفيق من الله بحياتي وكرامتي من أجل الصدق. وفي كثير من الأحيان تكبّدتُ في الأمور المالية خسائر كبيرة من أجل الصدق فقط، وأحيانا أخرى شهدتُ على والدي وأخي خشية لله ولم أترك الحق. لقد لبثتُ عمرا في هذه القرية وفي مدينة

"بطاله"، ولكن مَن يستطيع أن يثبت بأني كذبت مرة؟ فما دمت منذ البداية تحاشيتُ الكذب على الناس لوجه الله فقط، وقد فديتُ الصدقَ بحياتي ومالي مرارا؛ فكيف أكذب على الله؟

وإن خطر ببالك أن ادّعائي هذا يعارض كتاب الله والسنّة، فأقول في جوابه بأدب إن هذه الفكرة داهمت بالَك لقلة الفهم فقط. فإذا تركتَ المجادلة والمحاربة على غرار المشايخ المزعومين ومكثتَ عندي لبضعة أيام باحثا عن الحق، فإنني آمل أن يزيل الله تعالى جميع أخطائك ويُطمئنك. وإن كنت لا تتحمل ذلك أيضا، فلتعلم أن العلاج الأخير هو الحكم السماوي فقط. لقد أُطلِعتُ على بعض الأمور عنك إجمالا، فلو وافقتَ فيمكنني أن أركز على الموضوع لبضعة أيام وأنشره في عدّة جرائد بعد الإطلاع المفصل عليها بفضل الله تعالى. ولنشرها يجب أن تأذن لي خطيا. وأكتب هذه الرسالة رحمة بك فقط، وأُرسلها إليك بعد تثبيت شهادة بعض الإخوة، وأنهيها على الدعاء: ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. آمين.

الراقم: العبد الضعيف: **غلام أحمد** من قاديان، محافظة غورداسبوره، في ١٨٩٢/١٢/٣١م

الشهود من الحضور

(١) خدا بخش، معلّم النواب المحترم (٢) عبد الكريم السيالكوتي (٣) القاضي ضياء الدين، المقيم في كوت قاضي، محافظة غوجرانواله (٤) المولوي نور الدين (٥) محمد أحسن الأمروهي (٦) شادي خان، خادم السير راجه أمر سنغ بهادر (٧) ظفر أحمد الكبورتهلوي (٨) عبد الله السنوري (٩) عبد العزيز الدهلوي (١٠) علي غوهر خان الجالندهري (١١) فضل الدين الحكيم البهيروي (١٢) الحافظ محمد الفشاوري (١٣) الحكيم محمد أشرف علي الهاشمي، الخطيب في بطاله (١٤) عبد الرحمن، ابن أخي المولوي نور الدين (١٥) محمد أكبر، المقيم في بطاله (١٦) قطب

الدين المقيم في بدوملهي.

وأنقل فيما يلي الرسالة التي بعثها الشيخ البطالوي ردًّا على رسالتي هذه مع جوابي عليها. ولكن ما دام الجواب الذي أرسلته ردًّا على رسالة الشيخ المحترم لا يشمل ردًّا على جميع هذيانه وبهتانه الذي ورد في رسالته، ومن الممكن أيضا ألا يكون قرّاء رسالته مطّلعين على حقيقة الافتراءات التي كتب فيها لخداع الناس؛ فقد رأيت من المناسب قبل نقل رسالته أن أردّ على بعض افتراءاته وتباهيه وبهتاناته، ففيما يلي أردّ عليها بأسلوب قوله وأقول[٩٧].

قوله: إنني أؤمن بصدق القرآن الكريم والكتب السابقة، وبصدق الإسلام والأديان السابقة، وبصدق نبي آخر الزمان والأنبياء الذين سبقوه، وهذا الإيمان وشروطه يستلزم أن أكذّبك.

أقول: يا أيها الشيخ المحترم، لو كنتَ تؤمن بصدق القرآن الكريم وبصدق النبي ﷺ لما كفّرتني؛ فهل معنى الإيمان بصدق القرآن الكريم والنبي ﷺ أن تكفّر شخصا – يؤمن بالله والرسول ويصلي مستقبلا القبلة ويؤمن بالشهادتين: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، ويرى أن النجاة في الإسلام وحده، وهو فداء سبيل الله ورسوله قلبا وروحا– بل تعتبره "أكفر" وتعُدّه من أهل جهنم إلى الأبد، وتلعنه وتعُدّه دجالا، وتبيح قتله وغصب ماله سرقةً وما إلى ذلك؟! أما كلماتي التي تحسبها كفرا، فجوابها موجود في هذا الكتيب، ولسوف يقرأه كل منصف بنفسه. ولقد تبيّنتْ من هذا الحديث مرتبتك من العلم والأمانة وفهمك للقرآن والأحاديث، ولا حاجة للكتابة منفصلا.

قوله: إن الكذب والخداع بالإضافة إلى المعتقدات الباطلة والمخالفة للإسلام

[٩٧] لقد أعرضتُ في الرسالة التي أرسلتها إليه من قبل عن كثير من كلامه السخيف خوف الإطالة، وأما الآن فما دام قد استعد لنشرها بنفسه فاضطررت لنشر جوابها. منه.

والأديان السابقة، صارت عادة تلازمك دائما كأنها جزء لا يتجزأ من طبيعتك.

أقول: يا أيها الشيخ المحترم، إن المتقي كريم الأصل لا يتجرأ أصلا على اتهام أخيه بالفسق والكفر مستهترا دون تحقيق كامل، وإنْ فعل فيقدِّم للناظرين دليلا قاطعا كنهار ساطع؛ فإن كنت تتحلى بكلتا الصفتين المذكورتين فأستحلفك بالله القادر ذي الجلال -الذي إذا استُحلف به النبي ﷺ أيضا كان يردّ بكل انتباه وتركيز- أن تُثبت في شخصي نوعين من الخبث كما تزعم، أولا: أنني أعاند الإسلام وكافر، وثانيا: أن الكذب من شيمتي. يقول النبي ﷺ: "أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا". ففي هذا الحديث بيّن النبي ﷺ علامة الصادق أن الصدق يغلب في رؤاه. وقد ادّعيتَ قبل قليل بأنك تؤمن بالنبي ﷺ، فإن لم تقل ذلك على سبيل النفاق بل تؤمن به ﷺ في الحقيقة وتؤمن أيضا بأنه ﷺ صادق في قوله، فتعال نمتحن بعضنا بهذه الطريقة لنرى من يثبت صدقُه على هذا المحك، ومن كان الكذب في طويته.

كذلك يقول الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٩٨]؛ أي من ميزات المؤمنين أن رؤاهم تكون صادقة أكثر من غيرهم. وقد ادّعيتَ آنفا أنك تؤمن بالقرآن الكريم، فأقول: حسنا، تعالَ نختبر بحسب القرآن الكريم من توجد فيه علامة المؤمن.

يمكن إجراء هذين الاختبارين بأن تُعقَد جلسة في بطاله أو لاهور أو أمرتسر يحضرها مَن شهدوا على رؤى الفريقين. والذي يثبُت منا "أصدق" في رؤاه، بالأدلة القطعية واليقينية؛ يُخلع على خصمه في الحال وسامُ كونه كذابا ودجالا وكافرا وأكفرَ وملعونا أو ما شابه ذلك من الصفات. وإن كنتَ عاجزا عن تقديم الأدلة على ما ذكرتَ من قبل، فأقبل منك ذلك وأعطيك مهلة ستة أشهر لتنشر في بعض الجرائد رؤاك المشتملة على أمور غيبية. أما أنا فلن أكتفي بما مضى فقط بل سأنشر مقابلك

---

[٩٨] *يونس:* ٦٥

رؤايَ أيضا بإذن الله القدير. وكما تدّعي بأنك تؤمن بالقرآن الكريم، كذلك أدّعي أنا أيضا الادّعاء نفسه بأني أؤمن بالنبي الحبيب ﷺ وبالكتاب الحبيب القرآن الكريم قلبا وروحا. وسيُعلَم من خلال هذه العلامة مَن الصادق في ادّعائه ومَن الكاذب. فلو غُلِبتُ بحسب العلامة التي بيّنها النبي ﷺ والقرآن الكريم، لكنتَ أنت الصادق ولكنتُ أنا -كما تزعم- كافرا ودجالا وملحدا وشيطانا وكذابا ومفتريا، وفي هذه الحالة تكون جميع ظنونك الفاسدة صحيحة وصوابا؛ أي أنني افتريتُ في كتابي "البراهين الأحمدية" وأكلتُ أموال الناس، وغصبتُها بوعد استجابة الدعاء، وقضيتُ حياتي في أكل الحرام. ولكن إذا أثبتت رحمة الله -التي تحالف المؤمنين والصادقين والأبرار دائما- أني صادق، فقُل بنفسك هل ستناسب كل هذه الصفات شأن مشيختك في تلك الحالة، أو هل سيكون لك مجال للفرار؟ لقد آذيتَني كثيرا، وظللتُ أصبر، ولكنك لم تخفْ ذلك القدير المطّلع على كُنهك أدنى خوف. لقد أخبرني الله تعالى بحقك وبحق أشياعك في نبوءة: "إني مهين من أراد إهانتك".

فاعلم يقينا أن الوقت قريب حين يُثبت الله تعالى كذبك في كل البهتانات، وسيلقي عليك وبال كافة أنواع الذلة والندامة التي تصيب المفترين الذين يتّهمون الآخرين. إنك تدّعي أنك تؤمن بالقرآن الكريم والنبي ﷺ، فإذا كنتَ صادقا في قولك هذا فابرُز في الميدان للامتحان لكي يحكم الله بيني وبينك، وليسودّ وجه مَن كان كاذبا ودجالا. يصعد من قلبي الآن صوت لتأييد الحق ولا أستطيع أن أَكبتَه لأنه ليس من تلقاء نفسي بل هو إلقاء من ربي ويتدفق بكل قوة، وهو: ما دمتَ قد كفّرتني وحسِبتَ الكذب خاصة طبيعتي، فإني أناشدك بالله جلّ شأنه أن تبرز لمواجهتي على الفور ليتبين -بحسب الطريقة المذكورة آنفا- مَن الكاذب والدجال والكافر بحسب القرآن الكريم وقول النبي ﷺ. وإذا تخلّف أحد منا بعد هذا التبليغ ولم يبرز في الميدان مع غلوّه الشديد وتكفيره وتكذيبه وتفسيقه وأدبر وتولّى مثل ابن

آوى، لكان مستحقا الجائزة التالية:

اللعـ١ـنة

اللعـ٢ـنة

اللعـ٣ـنة

اللعـ٤ـنة

اللعـ٥ـنة

اللعـ٦ـنة

اللعـ٧ـنة

اللعـ٨ـنة

اللعـ٩ـنة

اللعـ١٠ـنة

تلك عشرة كاملة

وهذا ما سيحكم به الله تعالى بنفسه لأنه قد وعد بغلبة المؤمن في كل الأحوال حيث يقول تعالى: ﴿لَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[٩٩]. ويقول أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[١٠٠]، ويقول أيضا: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[١٠١] أيْ يجعل بينكم وبين غيركم فرقا واضحا. وما أدراكم ما ذلك الفرق؟ إنما هو أنكم ستُعطَون نورا لن يوجد في غيركم قط؛ وهو نور الإلهام ونور إجابة الدعاء ونور كرامات الاصطفاء.

---

[٩٩] *النساء:* ١٤٢

[١٠٠] *الأنفال:* ٣٠

[١٠١] *الحديد:* ٢٩

وكيف يُعدُّ متقيا عند الله مَن لا يتخلى عن الكذب؟ وكيف يمكن أن تصدر منه الكرامات؟ فبهذه الطريقة ستنكشف حقيقتنا الخافية على الناس، وسيرون مَن يبرز في الميدان ومَن يثبت صدقه بحسب الآية: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ وبحسب الحديث القائل: "أصدقكم حديثا".

وإلى جانب ذلك هناك طريق آخر أيضا لاختبار الصادقين يخلقه الله تعالى بنفسه، وهو أن الإنسان يواجه في بعض الأحيان بلاء لا يجد سبيلا للخلاص منه والنجاح إلا بالكذب، عندها يُمتحَن فيما إذا كانت طويته مجبولة على الصدق أم على الكذب، وفيما إذا كان سيجري على لسانه الصدق في هذا الوقت الحرج أو يكذب خائفا على حياته وكرامته وماله؟ ولقد واجهتُ مثل هذه الظروف مرارا، وبيانها المفصّل يطيل في الكلام، بيد أني سأقدم **ثلاثة أمثلة** كي تنشر أنتَ أيضا مثلها مع ذكر إثباتها -وأناشدك بالله أن تنشرها- إذا كنتَ قد واجهتَ ظروفا مثلها لاختبار الصدق؛ ليُعلَم أن ذلك ليس ادّعاؤك فقط، بل لم تنقض الصدق عند الامتحان وفي وجه البلاء أيضا.

فمن جملة تلك الأحداث أن السيد الميرزا أعظم بيك اللاهوري رفع بعد وفاة والدي قضية في محكمة المحافظة ضدي وضد أخي المرحوم الميرزا غلام قادر بالتواطؤ مع الشركاء في مِلكية قاديان من أجل التصرف فيها. ومع أنني كنتُ أعرف أنه لا علاقة لهؤلاء الشركاء بتلك المِلكية، لأنها كانت قد فُقدت وضاعت في عهد السيخ ثم استعادها والدي بالإضافة إلى قرى أخرى برفع القضايا وحدَه وتجشّم نفقات وخسارة مالية قدرها قرابة ٨٠٠٠ روبية دون أن يساهم فيها هؤلاء الشركاء بملّيم واحد؛ فإني دعوت الله تعالى للنجاح حين كانت القضايا مرفوعة، فتلقيتُ إلهاما نصه: "أجيب كل دعائك إلا في شركائك". فجمعتُ بعد تلقّي هذا الإلهام أخي وأقاربي كلهم رجالا ونساء، وما زال بعضهم على قيد الحياة، وقلتُ لهم بكل وضوح

ألا يخوضوا في القضية مع الشركاء لأن ذلك يناقض مشيئة الله تعالى، ولكنهم لم يقبلوا ذلك، فخابت آمالهم في نهاية المطاف. أما أنا فقد استقمتُ مع تكبُّد خسارة آلاف الروبيات، وهذا ما يشهده جميع الناس الذين هم أعدائي الآن. ولما كانت أمور الزراعة كلها بيد أخي، حاولت تفهيمه مرارا ولكنه لم يقبل، فتكبّد خسارة في نهاية المطاف.

ومن جملتها حادث مضى عليه ١٥ أو ١٦ عاما تقريبا أو أكثر من ذلك بقليل حين أرسلت للطباعة مقالا في تأييد الإسلام ولمواجهة الآريين، إلى مطبعة شخص مسيحي اسمه "رليا رام" وقد كان محاميا أيضا ويسكن في "أمرتسر" وكان يُصدر جريدة أيضا، فأرسلتُ المقال للطبع في طردٍ صغير مفتوح من الجانبين، ووضعت فيه رسالة أيضا. ولما كانت الرسالة تحتوي على كلمات تؤيد الإسلام وتشير إلى بطلان أديان أخرى بالإضافة إلى التأكيد على طباعة المقال، فقد استشاط ذلك المسيحي غضبا بسبب الاختلاف في الدين، ووجد فرصة مواتية للهجوم كالأعداء؛ حيث أنّ وضْع رسالة منفصلة ضمن الطرد البريدي كان جريمة من حيث القانون، ولكني لم أكن أعرف ذلك وعقوبة مثل هذه الجريمة بحسب قوانين البريد غرامة قدرها خمس مئة روبية أو السجن إلى ستة أشهر. فأخبر هذا المسيحي المسؤولين في دائرة البريد كالواشين، ورفع قضية عليّ. ولكن قبل أن أعرف عن القضية شيئا كشف الله تعالى عليّ في الرؤيا بأن المحامي "رليا رام" أرسل إليّ حيّة لتلدغني، ولكني شويتُها كما يُشوى السمك وأعدتُها إليه. وأَعلمُ أنه كان في ذلك إشارة إلى أن الأسلوب الذي حكمت به المحكمة في القضية في نهاية المطاف هو مثالٌ يمكن أن يفيد المحامين.

على أية حال، طُلب مني المثول في مركز محافظة غورداسبوره، وقال جميع المحامين الذين شاورتُهم في الموضوع بأنه لا منجى دون الكذب. واقترحوا بأن أفيد بأني لم أضع الرسالة في الطرد، بل يمكن أن يكون رليا رام قد وضعها فيه، وطمأنوني أنه بهذه

الإفادة سوف يُبتّ في الأمر بناء على الشهادة، وسوف تُبرّأ ساحتك بتقديم بعض الشهود الكاذبين، وإلا فإن وضع القضية صعب جدا ولا سبيل للخلاص. فقلت للجميع بأني لا أريد أن أترك الصدق بحال من الأحوال، وليحدث ما يحدث. ثم مثلتُ في محكمةِ حاكمٍ إنجليزي في اليوم نفسه أو في اليوم التالي، كذلك مثُل مقابلي مسؤول كبير في دائرة البريد وهو محامي الادّعاء الحكومي. عندها كتب القاضي إفادتي بيده. وأول ما سألني كان: هل أنت وضعت تلك الرسالة في طردك؟ وهل هذه الرسالة وهذا الطرد منك؟ قلتُ دون أدنى تردد: نعم، هذه رسالتي وطردي أنا، وأنا الذي وضعت الرسالة في الطرد وأرسلتهما. ولكني لم أفعل ذلك بسوء النية لإلحاق خسارة برسوم الحكومة، بل لم أر مضمون الرسالة مختلفا عن مضمون المقال، إذ لم يكن فيها أمر شخصي. فبسماع هذا الكلام أمال الله تعالى قلب الحاكم الإنجليزي لصالحي. وقد صرخ ضدي المسؤول في دائرة البريد كثيرا وأثار ضجة كبيرة وألقى خطابات طويلة باللغة الإنجليزية التي لم أفهم منها شيئا، إلا أن الحاكم الإنجليزي ظل يرفض كلامه بعد كل خطاب قائلا: No, No. وحين أخرج المدّعي كل ما كان في جعبته وجُلّ أدلته، توجه الحاكم إلى كتابة الحكم، ولم يكتب إلا سطرا واحدا أو سطرا ونصف السطر بالكاد، حتى قال لي: حسنا، أسمح لك بالانصراف. عندها خرجتُ من المحكمة وشكرتُ الله تعالى المحسن الحقيقي الذي أكرمني بالفتح مقابل المسؤول الإنجليزي.

وإنني أعلم يقينا أن الله تعالى نجّاني من ذلك البلاء ببركة الصدق فقط. وكنت قد رأيت في الرؤيا من قبل بأن شخصا حرّك يده لإزالة غطاء رأسي. فقلتُ له: ما الذي أنت فاعلُه؟ عندها ترك الغطاء على رأسي وقال، لا بأس، لا بأس.

ومن جملتها مثال آخر أن ابني "سلطان أحمد" رفع قضية ضد هندوسي مدّعيا أنه بنى بيتا على أرضنا، وطلب أن يُهدم البيت. وكان الادّعاء يتضمن أمرا يخالف

الواقع، وكان إثباته من شأنه أن يؤدي إلى إبطال القضية. وفي هذه الحالة لن تلحق خسارة الأرض والقضية كلها بسلطان أحمد وحده، بل كنتُ أنا أيضا سأخسر حق الملكية. فوجد الخصوم فرصة سانحة وسجلوا اسمي شاهدا في القضية. فسافرت إلى مدينة بطاله ونزلتُ في بيت السيد بابو فتح الدين، نائب مدير مكتب البريد الكائن بقرب مديرية بطاله. وكانت القضية معروضة على قاضٍ هندوسي لم أعد أذكر اسمه، غير أنه كان أعرج. عندها جاءني المحامي الذي وكّله سلطان أحمد وقال: لقد حان المثول أمام المحكمة، فبماذا ستدلي عند المثول؟ قلت: سأقول ما هو الصدق والحق. فقال: إذًا لا داعي لمثولك أصلا، فأنا ذاهب لأسحب القضية. فأفسدتُ القضية بنفسي تمسكا بالصدق فقط، وآثرتُ قول الصدق ابتغاءً لمرضاة الله، واستخففتُ بالخسارة المالية. وهذان المثالان الأخيران أيضا ليسا بغير دليل؛ بل يشهد على أولهما الشيخ علي أحمد المحامي في غورداسبور، والسردار محمد حياة خانْ سي ايس آئي، وسيكون ملف القضية موجودا في محكمة غورداسبوره. أما الحادث الثاني فيشهد عليه بابو فتح الدين والمحامي نفسه الذي لم أعد أذكر اسمه، وكذلك القاضي الذي ذكرتُه ولعله قد نُقل الآن إلى مدينة "لدهيانه"، ولعله قد مضت على هذه القضية سبع سنوات تقريبا. وها قد تذكّرتُ أن أحد الشهود عليها هو السيد نبي بخش، محدد الأراضي الزراعية في بطاله.

فيا أيها الشيخ المحترم، إذا كان عندك أيضا مثالٌ على أنك ابتُليتَ على هذا المستوى، ورأيتَ فيه أن حياتك وكرامتك وأموالك في خطر في حال قولك الصدق، ولكنك لم تترك الحق؛ فأت بذلك الحادث بالله عليك مع ذكر الدليل القاطع عليه. وإلا فإنني أعتقد أنه ليس في جعبة معظم المشايخ في العصر الحاضر إلا الأقوال فقط، وإنما هم مستعدون ليبيعوا إيمانهم مقابل ملّيم واحد، لأن نبينا الأكرم ﷺ قد وصف علماء الزمن الأخير بأنهم شرّ مَن تحت أديم السماء. وقد اعترف المرحوم نواب

صِدِّيق حسن خانْ، الذي تعدّه مجددا، في كتابه "حجج الكرامة" أن العصر الراهن هو الزمن الأخير المشار إليه؛ لذا فإن الاعتقاد بزهد هؤلاء العلماء وتقواهم دون دليل، يستلزم تكذيب قول النبي ﷺ. لذا عليك أن تقدّم نظيرا لذلك، وإن لم تفعل لثبت أنه ليس في جعبتك إلا الادّعاء البحت بصدق المقال. والمعلوم أن مجرد الادعاء لا يُقبل بغير دليل. الله أعلم بخفايا أمورك وفيما إذا لوّثتَ نفسك بنجاسة الكذب والافتراء مرة أم لا، أو يعلمه المطّلعون على أحوالك. والذي يتمسك بالصدق عند الابتلاء ولا يتركه، يُختَم على صدقه. فإذا كنتَ تملك هذا الخاتَم فلتقدِّمه، وإلا عليك أن تخشى الله لئلا يفضحك.

ماذا عسى أن يضرني كلامك السخيف والمبني على الحسد إذ تقول عني بأني مارست مهنة الموكَّل لرفع قضايا الآخرين ومتابعتها. عليك أن ترتدع عن هذه الافتراءات إذ إنك تعرف جيدا أنني ما خُضتُ في هذه الأمور قط بحيث أتابع قضايا الآخرين في المحاكم. غير أنه صحيح أن في زمن والدي المحترم كانت هناك قضايا تتعلق بالأراضي الزراعية ترفع بواسطة المحامين، وكنت أضطر للسفر أحيانا لمتابعتها ولكن زعمك بأنها قد تكون قضايا زائفة، فتفوح منه رائحة شيطانية. وهل كل من يرفع قضية هو كاذب حتمًا؟

فيا أيها الشيخ ذا الطبيعة المعوجّة، الله أعلم في أيّ حال سيصيبك الموت. هل الذي يرفع قضية في المحكمة حفاظا على حقوقه أو لاستعادتها يضطر للكذب بالضرورة؟ كلا، بل الذي وهبه الله تعالى قوة الصدق، وهو يحب الصدق والحقّ؛ فإنه ينفر من الكذب بطبيعته، وعندما تكون هناك منفعة دنيوية تتوقف على الكذب فقط؛ فإنه يتخلى عنها. ولكن من المؤسف حقا أن آكل النجاسة يزعم أن كل إنسان يأكل النجاسة مثله. يقول الكاذبون دائما بأنهم لا يستطيعون رفع قضيةٍ في المحاكم دون اللجوء إلى الكذب. قد يكون قولهم صحيحا إذا كان صاحب القضية

لا يريد أن يخسر بحال من الأحوال، بل يريد أن يربح القضية في كل الأحوال. أما الذي يؤْثر الصدق دائما وفي كل حال، فلن يفعل ذلك أبدا. إذا كان أحد راضيا بالخسارة لنفسه، فأنّى له أن يحتاج إلى الكذب!

فليكن واضحا الآن أن الحق هو أني اضطررتُ في زمن والدي المحترم للذهاب إلى المحاكم لاستعادة بعض الحقوق المتعلقة بالأراضي الزراعية. ولكن القضايا المرفوعة من قِبل والدي المرحوم كانت بسيطة؛ كأن يمتنع بعض المزارعين من دفع بعض ما يجب عليهم دفعه، أو أنهم كانوا يقطعون الأشجار بغير إذن فكان يضطر لاستعادة الحقوق من عُمدة بعض القرى بواسطة المحاكم. وبسبب حسن الإدارة كانت شهادة محدد الأراضي الزراعية كافية في معظم الأحيان لحل كل هذه القضايا التي لم تكن معقّدة، ولم تكن هناك حاجة للجوء إلى الكذب قط، لأنه كان يُبتُّ فيها بناء على المستندات الحكومية. ولما كانت الأراضي في تلك الأيام شيئا لا يُهتم به كثيرا، فكان لا بد من تجشّم الخسارة في الزراعة دائما. وفي كثير من الأحيان كنا نتحمل الخسارة بأنفسنا مراعاة للمزارعين ذوي الدخل القليل. وكل عاقل يُدرك أن صاحب الأرض الأمين يمكن أن يعامل مزارعيه معاملة متَّقٍ وورع تماما، والمعلوم أنه لا تعارض حقيقي بين أمور الزراعة والتقوى.

ومع كل ذلك لا يسع أحدا أن يُثبت أنني خضتُ في قضيةٍ بعد والدي المحترم إلا القضية المتعلقة بالرسالة التي سبق ذكرها قبل قليل. لولا نفوري بطبيعتي من القضايا لكان بإمكاني أن أرفع القضايا بكل حرية بعد وفاة والدي التي قد مضى عليها ١٥ عاما.

ولا بد من الانتباه أيضا أن قياس هذه القضايا على قضايا التجار الأثرياء آكلي الربا عمل شخص عمِه. لا يسعني الإخفاء أن عائلتي تشتغل في الزراعة منذ عدة أجيال، ولا يزال الحال على هذا المنوال. والزارع قد يضطر لرفع القضية أحيانا لضرورة

ملحة، ولكن هذا الأمر ليس محل حرج في نظر العادل. اقرأ الأحاديث؛ إذ ورد فيها أن الموعود القادم في الزمن الأخير الذي سيخرُج فيه الحكم من أيدي قريش وتتطرق فيه الفُرقة والقلاقل إلى آل محمد ﷺ؛ سيكون من الحُرّاث. وقد أخبرني الله تعالى أني أنا هو. لقد جاء في الأحاديث النبوية بكل صراحة ووضوح أنه سيأتي في الزمن الأخير شخص يؤيِّد الدين والملة، ومن علاماته أنه سيكون حارثا. فقال النبي ﷺ بأن على كل مسلم أن يؤمن به ويؤازره. ففكّر الآن؛ أن كوني من الحرّاث علامة صدقي وليس محل نقد وتجريح. وقد أمر النبي ﷺ الإيمان به ولم يأمر برفضه.

"فلتفقأ العين السيئة التي شُغلها الشاغل البحثُ عن عيوبٍ في الحق".[١٠٢]

غير أنه لا غرابة إذا كان تورط والدك المحترم في القضايا أمرا محرجا، لأنك تعلم جيدا أنه أمضى جُلّ عمره في تولّي أمور آكلي الربا أثناء حكم الإنجليز، وقد تابَع قضايا بعض الناس بالأُجرة كيفما تسنى له، مع أنه لم يكن وكيلا ولا محاميا في نظر القانون ولو فاشلا لكنه فعل كل ذلك لملء بطنه. أما أنا فلم تكن تهمني قضايا الآخرين في شيء اللهم إلا ما يتعلق بأراضينا نحن، وكنا قد وَكّلْنا فيها أيضا أشخاصا مثل أبيك، بل أكثر منه مقدرة وموهبة. إنني أتذكر -بل لا بد أن تتذكر أنت أيضا- أن والدك أظهر أمنيته العارمة عند والدي المرحوم ليستأجره لمتابعة بعض قضاياه، وأن يمثُل في المحاكم وكيلا لنا، ولما لم يكن قادرا على متابعة القضايا المتعلقة بالأراضي، فقد اعتذر أبي عن ذلك.

قوله: لقد أنبأتَ بالإلهام بولادة ابن، أي قد كذبتَ.

أقول: إنك لا تكاد ترتدع عن سفالتك وسفاهتك. والله أعلم من أي طين خُلقت؟ ما هو الكذب في هذه النبوءة؟ إذا كنتَ تقصد أن ولدا وُلد بعد النبوءة ومات، فهل لك أن تُثبت في أيّ إلهام ورد أن ذلك الابن بالذات هو الابن الموعود؟

---

[١٠٢] *ترجمة بيت فارسي. (المترجم)*

فإذا كان الأمر كذلك فقدِّم ذلك الإلهام إن استطعت. فلتعلم أنه لا يوجد إلهام كهذا. غير أنني لو قلتُ اجتهادا مني بأنه قد يكون هذا الابن هو الابن الموعود، فهل يُثبت ذلك بطلان الإلهام؟ ألا تعلم أن الملهَم يجتهد أيضا في إلهامه أحيانا، وقد يخطئ في اجتهاده. ولكن هذا لا يحطّ من عظمة الإلهام وأهميته قط. قد يحدث مع كل إنسان مئات من المرات أن تكون رؤياه صادقة، ولكنه يخطئ في تأويلها. وإن هذا التعليم ودقيقة المعرفة هذه مذكورة في القرآن الكريم بوجه خاص، ولكن لمن له عينان تبصران! لقد اعترضتَ اليوم عليّ، وأخاف أن تعترض غدا على النبي ﷺ أيضا فتقول بأن النبي ﷺ سافر لتصديق الوحي -أي من أجل الطواف- أكثر من مئتي فرسخ، ولكن لم يتسنّ له الطواف في ذلك العام وثبت خطأه في الاجتهاد. من المؤسف حقا أنك نسيت أيضا في فرط العناد حديثا جاء فيه: "ذهب وَهَلِي". إنني أخاف عليك سوء العاقبة، فلنر إلى أين تنتهي الأمور.

إن النبوءة عن الولد حقٌّ ولسوف تتحقق حتما، وسيُخزي الله تعالى المنكرين مثلك. فيا عدو الحق؛ ما دامت كلمات النبوءات كلها تبيّن أن بعضا من الأبناء سيُتوَفَّون أيضا وأحدهم سيبلغ الكمال في الهداية من الله تعالى، فإن اعتراضك في هذه الحالة دليل بيّن على أن باطنك ممسوخ. لقد حذوتَ حذو علماء اليهود تماما، ولنر ما الذي سيحدث في مستقبل الأيام.

قوله: من هنا يدرك كل شخص أن مَن يتجرأ على الكذب على الناس، فكيف يتورع عن الكذب على الله؟

أقول: يثبت هنا أن طبيعتك لا تخلو من التهم التي روّجها والدك المحترم بنفسه عن طويتك وأوصافك الحميدة! ولعل بعض رسائله حول هذا الموضوع موجودة في

إحدى حقائبي[١٠٣].

أيها الشقي، كان عليك أن تُثبت أولا بأني كذبتُ أمام فلان أو فلان. فأتِ إن استطعتَ بنظيرٍ على ذلك مقابل ما قدَّمتُه من أمثلةٍ على تمسّكي بالصدق، وذلك حتى يكون لك بعض الحق لتنتقد شخصا ثبت صدقُه عند كل ابتلاءٍ قاسٍ وشديدٍ جدا، ولم يترك الحق من يده قط. إنني لأستغرب أيّ جنٍّ تلبّسك وأكرهك على أن تفضح نفسك بنفسك!

ولتتذكر في الأخير أن من افترائك المحض اعتبارُك نفسَك مصداقا للإلهام: "كلبٌ يموت على كلب". لم أذكر عند أحد قط بأنك مصداق هذا الإلهام.

أما ما تشكو من قسوة بعض الكلمات؛ فاعتراضك هذا أيضا في غير محله. أية جريمة ارتكبتُها إن قلتُ بعض الكلمات صدقا وحقا بحسب مقتضى حالتك ومقابل بذاءة لسانك الشديدة ومقابل تكفيرك وتسميتك إيايَ دجالا وشيطانا وكذابا؟ فإن للعمل بـ ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[١٠٤] أيضا وقتًا.

إن زعمك بأني استلمت من الناس عشرة آلاف روبية ببيع كتاب: "البراهين الأحمدية" وصرفتها بغير وجه حق، لهو مما علّمك الشيطان الذي يلازمك دائما، وإلا كيف علمتَ بأني ما كنتُ أنوي طباعة البراهين الأحمدية؟ وإذا طُبع "البراهين الأحمدية" ونُشر، ألن يكون من مقتضى حيائك أن تغرق في فنجان ماء؟ لا يُحمل كل تأخير على سوء الظن، وكنت قد أعلنتُ أيضا أن كل مستعجِل يستطيع أن

---

[١٠٣] لقد نسيتَ أياديَّ البيضاء عليك حين كنتُ أمنع والدك المحترم من فضحك. تعلم جيدا بأني لم أحبِّذ قط ذكر عيبٍ حقيقي فيك مع أن والدك كان ينوي نشره في الجرائد، فظللت أمنعه من ذلك وأسترك وأدافع عنك ولكنك رددتَ على معروفي هذا بأن اتهمتَني بالكذب بحسب طبيعتك "المباركة" مع أنني سترتُ عيوبك الحقيقية الموجودة فيك. والآن تأكدتُ أن والدك المحترم كان على حق دون شك. منه.

[١٠٤] *التحريم: ١٠*

يستعيد نقوده مني، وقد أعدتُ أيضا نقودا كثيرة. إن القرآن الكريم -الذي كان خلْقُ الله تعالى بحاجة ماسّة إليه، وكان مجموعًا في لوحٍ محفوظ منذ القِدم- قد نزل في ٢٣ عاما. أما مسيئو الظن مثلك فظلوا يقولون معترضين: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[١٠٥].

قوله: منذ أن أعلنتَ أنك المسيح الموعود لم تخل من الكذب عبارةٌ من عباراتك وخطابٌ من خطاباتك ورسالةٌ من رسائلك وتأليفٌ من تأليفاتك.

أقول: يا أيها الشيخ ذا الأعمال السوداء، ماذا أقول لك في جواب هذا الكذب العقيم؟ فالله تعالى وحده سيجيبك إذ قد تجاوزت الحدود كلها. فيا أيها الشقي، إلى متى ستعيش مع هذه التهم؟ إلى متى ستنجو من الموت في هذه الحرب التي خضتَها مع الله تعالى؟ فلو حسِبتني أنت أو غيرك كاذبا نتيجة عمهٍ فليس ذلك بالأمر الجديد، إذ إن أمثالك - أبا جهل وأبا لهب أيضا- كانا يعتبران نبي الله الصادقَ كاذبا. إن الإنسان عندما يعمى لفرط العناد يبدو له كل قولٍ من كلام الصادق كذبا. ولكن الله تعالى يرزق الصادق عاقبة حسنة ويمحو آثار الكاذب نهائيا: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[١٠٦]

قوله: لقد هربتَ من المناظرة ونشرت إعلانا محتويا على أنواع التهم والأكاذيب.

أقول: كل هذا ناتج عن أكاذيبك العقيمة التي تخرج من فمك بمقتضى طبيعتك، وإلا فالناس الذين يقرأون كتبي بإمعان يستطيعون أن يحكموا بأنفسهم هل الاتهام والكذب والهروب هو من عادتي أنا أم من عادتك أنت؟ إن لم تقم أنت بهذا النوع من الحذلقة والتجاسر فمن إذًا؟ إذ تدّعي أنك شيخ يعرف القانون من ناحية، ومن ناحية ثانية توجد في ذهنك دودة الكِبْر بمرتبتك العلمية ولكن يجب أن تعلم

---

[١٠٥] *الفرقان*: ٣٣

[١٠٦] *النحل*: ١٢٩

جيدا أن الأيام قريبة حتى يُظهِر الله تعالى بنفسه مَن منا كاذب ومفتر وذليل ومهان في نظره ﷻ. ومَن الذي يُظهر الله تعالى عزته بالتأييدات السماوية، فاصبر قليلا وترقّب.

قوله: لو كانت فيك مسحة من الرحمة أو المواساة لدعوتَني إلى بيتك فورا أو جئتَ إلى بيتي حين أظهرتُ معارضتي لإعلانك أنك المسيح الموعود.

أقول: من منعك من المجيء إليّ يا مسكين؟ هل كان على باب بيتي بوّابون منعوك من الدخول؟ وهل كنتَ في السابق تستأذن قبل أن تأتيني؟ إن والدك المحترم كان يأتيني من بطاله باذلا جهدا جهيدا كيفما اتَّفق، حتى في حالة المرض وإصابته بالحمى، فأي عائق جديد عرقل سبيلك؟ ولكن ما دمتَ غير جاهز للتخلي عن تعنتك وحسدك وخصائل الشيخ النجدي -مثل الكِبْر والنخوة- فأية مواساة أو رحمة كان بإمكاني أن أسديهما لك بدعوتك إلى بيتي؟ غير أنني رأيت الذهاب إلى بيتك خلافًا للحكمة؛ لأني كنت قد وجدت في طبيعتك مادة الكِبْر والزُّهوّ، ورأيت أنه من الحكمة أن أعطيك مسهِّلا حتى تخرج تلك المادة من داخلك قدر الإمكان كليا إن كان بالإمكان ولكني لا أرى انخفاضا في مستواها إلى الآن، لا أدري ما هي المادة العسيرة التي مُلئ بها بطنك. والله جلّ شأنه يعلم أني صبرتُ كثيرا على بذاءة لسانك. لقد أوذيتُ كثيرا وظللت أمنعك من ذلك، وأستطيع أن أصبر الآن أيضا على بذاءة لسانك وتكفيرك وتفسيقك، ولكن في بعض الأحيان أختار بعض القسوة -على غرار الكبار في السن عند تأديبهم للصغار- مقابل بذاءة لسانك، وذلك لتخرج كليا تلك المادةُ الخبيثة التي ترسخت في قلبك وتلبَّستْك كالجن نتيجة تصورك الباطل لمشيختك.

أقول صدقا وحقا، والله تعالى يعلم أني متيقن وعلى بصيرة، بأنك لست إلا بائع عظام ولا تدري قط ما العلم وما الدراية وما التفقه، وأنك بليد وغبي جدا، وليس

لك أدنى علاقة بالحقائق والمعارف. وبالإضافة إلى ذلك يلازمك بلاء آخر؛ وهو الكبر والزهو بغير حق، الذي قد أهلكك كليا. وما لم تُدرك جهلك، وما لم تخرج من ذهنك دودة العُجب؛ لا تستطيع أن تنال سعادة دنيوية ولا أخروية. إن أكبر صديق لك هو ذلك الذي يسعى جاهدا ليُثبت لك أنواع جهلك وكبرك. علامَ تزهو وتستكبر؟ ويل لهذا الكبر والزهو مع هذه الطبيعة المخجلة وهذه العقلية المنحرفة والأفكار السطحية تماما! **نعوذ بالله من هذه الجهالة والحمق وترك الحياء والسخافة والضلالة.**

إن زعمك بأني بعثتُ هذه الرسالة لإثارة الفتنة وإحداث الفُرقة بين المسلمين في بطاله، إنما هو من أوهام طبيعتك يا عزيزي. لم أبعث الرسالة لإحداث الفُرقة، بل ترحما على حالتك التي تدعو إلى الرثاء حتى لا تسقط تحت الثرى، وتدرك الحق قبل الموت. إن التفريق بين المسلمين إنما هو من شيمتك أنت. هذا هو دينك وهذا هو مذهبك الذي بسببه كفّرت مسلما وحسبته ملحدا ودجالا، وخدعتَ العلماء واستصدرتَ منهم فتاوى التكفير. ثم أحسنتَ إلى أستاذك "نذير حسين" قرب موته بأن جعلتَه يتفوه بكلمة الكفر ودمّرتَ تقواه كليا في شيخوخته. واها لبطولتك! كان "نذير حسين" بالغا أرذل العمر وفاقد القوى العقلية مثل الأطفال الصغار، فأديتَ حق التلمذة في أيامه الأخيرة من حياته، بل في حالة الاحتضار؛ إذ سوّدتَ وجهه، ولعله سيدخل القبر مع هذا السواد. إن التجاسر في حضرة الله ليس أمرا هيْنًا، فالذي يكفّر مسلما لا بد أن يتحمل عاقبةً وعدها النبي ﷺ للذين يكفّرون بغير وجه حق؛ ذلك النبي الذي كان يحب العدل والإنصاف، حتى قال ساخطا عندما شُفع عنده لسارقة: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا".

قوله: أستطيع أن أزور "قاديان" لهدف وحيد؛ ألا وهو أن أكشف على

المسلمين كذبك وافتراءك، ولكن أخاف من محاولتك إلحاق الضرر بحياتي.

أقول: لا تستطيع أن تهرب الآن بأي عذر أو تحايل. لقد قدّمتُ لك عشر لعنات، وناشدتك بالله تعالى أيضا أن تتحاكم معي لتبيان الصدق من الكذب بالأسلوب السماوي. فإن كنتَ صادقا في اعتباري كاذبا، فسوف تقوم لمواجهتي فورا بعد سماع كلامي هذا، وإلا ستبتلع اللعنات كلها وتتهرّب بأعذار واهية وسخيفة. لا أريد أن أُهلكك بل الله ﷻ هو الذي سيهلكك إن لم ترتدع، وسينقذ دينه من فتنتك هذه. ولا حاجة لمجيئك إلى قاديان، لأنك إن كنتَ جاهزا للامتحان بحسب الآية التي حددها اللهُ والرسول ﷺ، فأنا أستطيع أن آتي إلى بطاله أو أمرتسر أو لاهور، ليسودّ وجه كل من كان كاذبا.

والآن أنقل جوابا من الشيخ البطالوي المحترم

وهو التالي:

بطاله، محافظة غورداسبور، ١٨٩٣/١/١م رقم ١

بسم الله الرحمن الرحيم

ميرزا غلام أحمد الكادياني[١٠٧] المحترم، هداك الله وأعادك إلى الصراط المستقيم. سلام على من اتبع الهدى.

قرأتُ رسالتك المحررة في ١٨٩٢/١٢/٣١م باستغراب. لا أخاف تحدياتك الفارغة بل أعتبر ذلك شركا، وأقدم مقابلها الآية القرآنية: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

فيا أيها الكادياني، إنني أعدُّ القرآن والكتب السابقة والإسلام والأديان السابقة ونبيَّ الزمن الأخير والأنبياء السابقين صادقين وأؤمن بهم، فيكون لزاما عليّ بحسب مقتضى هذا الإيمان أن أعُدّك كاذبا وأُنكرك، لأن معتقداتك وتعاليمك وأخلاقك وعاداتك تخالف وتناقض الكتب السابقة والأديان السابقة والأنبياء السابقين. لذا فإن الاعتقاد بصحة تلك الكتب والأديان والأنبياء لا يصح إلا إذا اعتبرتُ معتقداتك وتعاليمك كاذبة واعتبرتك ضالا، الأمر الذي تدل عليه الآيات التالية:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ و﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ و﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ. إِذْ قَالُوا

[١٠٧] *هكذا كتبه الشيخ البطالوي والمقصود: القادياني. (المترجم)*

لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ.﴾

إن الكذب والخديعة بالإضافة إلى المعتقدات الباطلة والمخالفة للإسلام والأديان السابقة صارت صفة تلازمك حتى أصبحتْ جزءا من طبيعتك لا يتجزأ. لستُ مطلعا بالتفصيل على سوانح حياتك قبل زمن تأليف "البراهين الأحمدية"، ولكن منذ أن سلكتَ مسلك الكذب والخديعة الذي سلكته منذ زمن تأليف البراهين الأحمدية، وخاصة منذ عام ١٨٨٦م حين أنبأتَ بالإلهام بولادة الابن ونشرتَ نبوءات أخرى من هذا القبيل، ولا سيما حين أعلنت ادّعاءك في عام ١٨٩٠م بأنك المسيح الموعود؛ لم تخل من الكذب والخديعة كتابتُك أو خطابك أو تأليفك، فعلى ذلك يمكن القياس أن يكون حالك على المنوال نفسه في الزمن الذي قبله أيضا وخاصة في زمن فشلك في امتحان الوكالة وخوضك في قضاياك في المحاكم إلى سنوات طويلة.

والكل يستطيع أن يفهم من ذلك أنه كيف للمتجرئ على الكذب على الناس وخداعهم أن يمتنع عن الافتراء على الله؛ كقوله بأنه ملهَم، وتلقيه إلهاما أن فلانا سيهلك[١٠٨] إن لم يزوِّجه ابنته، وأن فلانا سيلقى عذابا إن لم يؤمن به مسيحا موعودا، وكيف يمكن أن يُعتبَر صادقا في ادّعائه الإلهامَ؟

إنك تدّعي بصدق ثلاثة آلاف إلهام من هذا القبيل، غير أنني سأومن بصدقك

[١٠٨] ملحوظة: إن هذه النبوءة كانت صادقة؛ فتحققت في ميعادها لأنها تضمنت أنه لو لم يزوّجني الميرزا أحمد بيك الهوشياربوري ابنته لمات في غضون ثلاثة أعوام من قرانها مع شخص آخر. فلم يُنكِح تلك الابنة الكبرى أي شخص إلى خمس سنوات بعد الاطلاع على هذا الإلهام، فبقي على قيد الحياة. ثم زوّجها بعد مرور خمس سنين فمات في الشهر السادس بعد قرانها في ميعاد النبوءة. إن كان ذلك من صنع الإنسان فأستحلف الشيخ البطالوي أن يأتي بنظيرٍ أظهر الله فيه صدقه، أو يخترعه من عند نفسه، وإلا فليخفْ لعنة تنزل على أعداء الحق سريعا كما تسقط الجلاميد من قمة الجبل، منه.

لو تحقق صدق ثلاثة فقط من مجموعة ثلاثة آلاف، وسأعترف بأني أخطأتُ في اعتبار معتقداتك وتعاليمك مخالفة للحق وفي اعتبارك سيئ الأخلاق وضالا. فعليك أن تُثبت ثلاثة إلهامات فقط تراها بيّنة الصدق من ثلاثة آلاف إلهام سبق ذكرها؛ مثل إلهام عن موت "ديانند سرستي" أو عن إطلاق سراح الشيخ مهر علي، أو عن عودة "دليب سنغ" فاشلا، أو عن موت حميك المستقبلي المفترض وأمثال ذلك، وأن يتم ذلك في مجلس يضم أشخاصا من الجانبين بعدد متساو بالإضافة إلى ثلاث حكّام من أديان مختلفة أو من المستقلين بوجه عام، وبذلك يمكن أن تنجح بكل سهولة.

أو أُترِكْ ثلاثة إلهامات أيضا جانبا، بل أَثبتْ إلهامك الخيالي الأخير - أنه إلهام في الحقيقة - الذي بيّنتَه مؤخرا بكل شدة وقوة في الجلسة السنوية أمام مريديك والواقعين في شراكك؛ الذين معظمهم من عامة الناس وبعضهم مغرضون من أتباع مذهب الطبيعة وبعضهم متفرجون لا علاقة لهم بالبحث عن الحقيقة.

فإذا كنتَ بطلا فاخرُج إلى الميدان، وإلا فاستحِ من هذا التعالي والغرور، لقد تحدثتَ عن هياج بحر رحمتك، وفي ذلك أيضا قمتَ بالكذب والخديعة بحسب سنّتك القديمة. ما علاقتك بالرحمة؟ إذ لا توجد فيك رحمة أصلا. إن أفعالك ونشاطاتك وكلماتك تشهد بكل جلاء أنك عديم الرحم من الدرجة القصوى وطمّاع وجانٍ ومتّبع أهواء النفس. إن لسانك وسيف الحجاج بن يوسف توأمان. إنك تذكر معارضيك والمعترضين عليك - وقد كنت تناديهم بلقب "مخدومي وأخي" وكنت تعترف بحسن نيتهم - بكلمات: عديم الحياء، والملحد، والوحش، والمُزبد، والكلب، وكلب يموت على كلب، والسافل، واللئيم، والوحشي وغيرها من الكلمات من هذا القبيل، هل هذه هي الرحمة ومواساة البشر؟

لقد أكلتَ أموال المسلمين التي تقدر بعشرة آلاف روبية بالباطل متعذرا أنها ثمن

كتاب البراهين الأحمدية وإطماعا لهم في استجابة الأدعية. أما الكتاب؛ فلا يزال مصداقا لقولهم: "في قلب الشاعر". والآملون في استجابة الأدعية لا يزالون يرنون إليك منتظرين. هل هذه هي المواساة والرحمة؟

حين كنت أحسن بك الظن على سبيل إمكانية كونك وليا، التمستُ منك مرارا أن تنزلني عندك وتُريني آثار الرحمة والبركة، ولكنك لم تقبل ذلك قط. قلتُ لك أيضا مرة بأن معارضيك ومنكريك أحسن منا حالا إذ تدعوهم بوعد الجائزة لإراءتهم آية سماوية، أما نحن الموافقون فلا تدعونا حتى دون وعدٍ بجائزة، ولكنك اكتفيت بالابتسامة ولزمت الصمت. ثم حين أعلنتَ أنك المسيح الموعود أبديتُ اختلافي معك وحاولتُ أن آتيك وأناقشك في الموضوع في جوّ وُدّي وخاص، ولكنك ظللتَ تعدني بدعوتي لهذا الغرض حتى سافرتَ إلى لدهيانه وهناك فتحت حلبة النقاش كالخصوم ولجأتَ إلى الشروط غير الصحيحة لتحاشي النقاش. ولكن حين جئتُ بيتك في لدهيانه وأكرهتُك على المناظرة تركتَ النقاش السلمي غير مكتملٍ وفتحت حلبة الخصام. ورفعتَ راية النقاش الخصامي في دلهي وبتياله ولاهور وسيالكوت وغيرها من المدن. ثم نشرتَ إعلانا مبنيا على أنواع التهم والأكاذيب متحاشيا المناظرة. وفي هذه الأثناء ألّفتَ كتاب "القرار السماوي" ولم تدخّر فيه جُهدا من حيث عدم الرحم وسوء الكلام. وكانت نتيجة هذا الإجحاف والسلوك المبني على الأنانية أن تفرّقت جماعة المسلمين؛ فانفصل الأخ عن أخيه والصديقُ عن صديقه! هل هذا هو تأثير الرحمة والمواساة؟

لو كانت فيك مِسحة من الرحمة أو المواساة لدعوتَني إلى مكانك فورا حين أبديتُ اختلافي معك في إعلانك أنك أنت المسيح، أو جئتَ إلى بيتي المتواضع (كما حدث ذلك من قبل، إذ قد جئت إلى بيتي ثلاث مرات على الأقل، وأظهرتَ الصلة بيننا) لتُثبت في هذه الحالة ادعاءك الجديد. أما الرسالة الحالية التي أرسلتَها فلا

تخلو أيضا من حبّ الذات وفساد النية. أما حبّ الذات فلكي يحسبك مريدوك صامدا في ادّعائك ومستعدا لمواجهة المعارضين. وأما فساد النية فهي أن تحدث الفُرقة بين المسلمين في "بطاله" نتيجة الجواب من الطرف الثاني بالقسوة نفسها. هذا جوابي على ادّعائك بتلقّي الإلهام والصدق والمواساة والرحمة.

والآن أردّ على طلبك "أن آتيك خائفا إلهاماتك ومناماتك وإلهامات أتباعك ومناماتهم، وأكون مطيعا لك، أو أسمح لك بنشر تلك الإلهامات أو المنامات المنذرة".

فإذا كنت تدعوني إليك لأستفسرك عن شيء عن معتقداتك الباطلة فمجيئي لهذا الغرض عبث؛ إذ لم يعد لدينا نحن المسلمين شكّ في بطلان معتقداتك الباطلة، فلا حاجة الآن ولا ضرورة للاستفسار عن أيّ شيء. أما إذا كان هناك شكٌّ أو شبهة تخالج قلبك، فلك أن تأتي إلى بيتي متى تشاء. وسنكرمك كعادتنا القديمة ونُقنعك بإذن الله. وإذا كنتَ تدعوني لتُريني آية سماوية فالمجيء إليك لهذا الغرض ليس عبثا فقط، بل ذنب ومدعاة للخسارة أيضا؛ لأن الذي كانت معتقداته تنافي الإسلام والأديان السابقة فلا يحلّ لمؤمن أن يتوقع منه آية سماوية، ولو أبدى شيئا بحذلقة أو شعوذة أو بواسطة "المسمريّة"[١٠٩] فإن الاعتماد عليه يتعارض مع الإسلام. وهذا ما اعترفتَ به أنت أيضا في إعلانك، غير أن مجيئي إليك يكون جائزا بل مدعاة للثواب إن أظهرتُ عجزك على الناس في إظهار آية سماوية، وكشفتُ للمسلمين كذبك

[١٠٩] *المسمرية: طريقةٌ منسوبة إلى الطبيب الألماني "فرانز أنطون مسمر" (Franz Anton Mesmer) (١٧٣٤-١٨١٨) تبحث في الوسائل العلمية -بعيدًا عن السحر والشعوذة- في إمكانية التأثير في عقول وأبدان الآخرين؛ إذ يرى "مسمر" أن كافة الكائنات الحية غارقة في بحر من سائل أو أثير، ويمكن لها من خلاله أن تتواصل عن طريق ما سّماه " المغناطيسية الحيوانية". وكما أن الشيء المعدني يمكن أن ينقل تأثيره المغناطيسي إلى غيره، كذلك يمكن للكائن البشري أن يركز السائل الأثيري وينقله إلى داخل جسد شخص آخر. (المترجم)*

وافتراءك، لأني أظن أنك لا تقدر على المسمريّة وغيرها أيضا. وإن سلاحك وشراك تزويرك ليس أكثر من حذلقة لسانٍ فقط. ولكنني أخشى في حال مجيئي إلى قاديان بهذا القصد أن تحاول إلحاق الضرر بحياتي- وبذلك ستُحقق إلهامك القائل بأن هذا الشخص سيموت عندما يبلغ ٥٢ عاما من عمره، والذي يشيعه فيما بينهم حواريوك وأصدقاؤك مثل ميانْ جتو بائع الحرير، وميان رجب الدين اللاهوري وغيرهما. مع أنه لا يمكن أن يكون ذلك الإلهام صادقا، لأني قد تجاوزت ٥٢ عاما من عمري، فقد وُلدتُ في ١٧ محرم ١٢٥٦ هـ والآن نحن في عام ١٣١٠ من الهجرة- أو ستحاول الإساءة إلي على الأقل. فإذا كنت تريد أن تدعوني إليك نظرا إلى هدفي هذا، فعليك أن ترفع خطرا ينتابني بتعهد خطي مسجّل في المحكمة.

وإذا كنتَ جاهزا لتحمُّل مسؤولية هذه الدعوة، فسأرسل لك مسودتها. وفي هذه الحالة سأحضر إلى قاديان وأخدمك جالسا هناك كما أخدمك هنا. وفي حال عدم قبولك الشرط المذكور، فلا أستطيع الحضور إلى قاديان.

ولقد استغربت حين طلبتَ مني الإذن لنشر إلهاماتك ومناماتك وإلهامات أتباعك ومناماتهم بحقي، وتيقنتُ بأنك كاذب في ادّعائك الإلهام؛ إذ ما معنى طلب الإذن من الآخرين لنشر الإلهام الإلهي وتبليغه[١١٠]؟ أولا، إن الإلهام الذي يتلقاه النبي أو الولي من أجل إنذار أحد يكون نشره وتبليغه هو الهدف الأهم من ذلك الإلهام،

---

[١١٠] ملحوظة: لقد تبيّن جيدا من بيان الشيخ البطالوي هذا علوّ كعبه في علم القرآن والحديث! فليعلم أن كل ملهَم من الله تعالى يتلقى الإلهامات من ثلاثة أنواع؛ منها واجبة التبليغ، والأخرى التي يُخيَّر فيها الملهَمون لإظهارها أو عدم إظهارها، ولو رأوا الحكمة في بيانها بيِّنوها وإلا أخفَوها. والنوع الثالث للإلهامات هو ذلك الذي يُمنَع الملهَمون من إظهاره. وهذا التقسيم مذكور في حديث النبي ﷺ. والإلهام قيد البحث كان من النوع الثاني، وقد خُيِّرتُ في إظهاره وعدمه. والأنبياء لا يطلبون حلّ كل شيء من الله تعالى، بل يجتهدون من عند أنفسهم أيضا في عالَم الأسباب هذا، **فتدبّر**. منه.

ولكن إذا كان ملهِمك يُلهمك إلهامات لا يجوز نشرها دون إعادة النظر والحُكم فيها، فلماذا لا تستأذن ملهِمَك بنشرها أو عدم نشرها، وتسأله أيضا هل ستواجه معضلة قانونية مثلا عند نشرك إياها؟ فيتبين من طلبك الإذن أنك تريد أن تشتمني متعذرا بالإلهام، وتنوي أن تخُطّ وتنشر كلمات تهدف إلى خَرْدِ عرضي وإحباطي وإحباط أقاربي وإيذائنا. قد نشرتَ قبل ذلك أيضا بحقي إلهامات من هذا القبيل، ومع ذلك تخاف بطش القانون وتعدُّ الحكام أقوى من ملهِمك؛ لذا لا أسمح لك بنشر الإلهام من هذا القبيل بوجه عام. غير أنني لا أمانع أيضا من أن أسمح لك أن تنشر إلهاماتك وإلهامات أتباعك بقدر ما يسمح لك القانون، وتجعل تنفيذ أمر ملهِمك الضعيف والجبان - الذي ليس هو الله حتما بل هو معلّم الملكوت[١١١] - تابعا لقانون حكام الوقت معتبرا إياه مغلوبا أمامهم. وإذا خالفتَ ذلك ستضطر للمثول أمام المحكمة، ولا زالت إلهاماتك السابقة أيضا في ذهني ولم أُلغ فكرة ملاحقتك القانونية بسببها.

لا أرى في غير محله القول بأنك إذا كنتَ تحظى بشرف المكالمة مع الله تعالى وتستطيع أن تسأله تفاصيل المجملات وتواسي البشر أيضا -كما ادّعيت في رسالتك - فلتستفسر من الله أولا- قبل تهديدي وتخويفي- إذا كان الإلهام المنذِر الذي تلقيتَه منه بحقي مبرما وحتميا أم معلَّقا؟ وكذلك هل الخوف أو العذاب الذي ذُكر فيه يمكن أن يُرفع عني إذا صرتُ تابعًا لك؟

لو أخبرك الله تعالى أنه ليس مبرما بل هو معلَّق فادعُ الله تعالى أن يوفقني

[١١١] *معلم الملكوت يعني عند البطالوي إبليس، وهو مبني على فكرة أن إبليس كان أعلم مَن في الأرض وكان معلم الملكوت. (المترجم)*

لمعرفتك ويجعلني تابعا لك[١١٢]، ويرفع عني ذلك العذاب. فهيِّجْ بحر رحمتك في ذلك واعمل بسنّة ذلك النبي الرحيم الذي رشقه قومُه بالحجارة وأدمَوه، فكان يمسح عن وجهه الدم ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون." وكذلك اعمل بسنته ﷺ حين جاءه ملك الجبال وقال بأن الله تعالى أرسلني إليك وقال: لو شئتَ لسحقتُ منكريك ومعارضيك تحت هذه الجبال. فقال ﷺ: "بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده".

وإذا أخبرك الله بأن هذا الإلهام مبرم وقطعي الوقوع، فلا تدعُني إليك بل اقصص الإلهام على أتباعك وأثبتْ عليهم نبوتك وولايتك، فإن دعوتك لي في هذه الحالة عبث، لأنه ما دعا نبي بعد وعدِ عذابٍ محتوم.

وإذا أصررتَ على تهديدك هذا فسوف يعلم الباحثون عن الحق والمنصفون أنك تخادع وتكذب في هذه الدعوة والإنذار.

وفي الأخير أخبرك بأنني إذا كنتُ صادق النية وعلى الحق في معارضتك وأناصر الإسلام، ولا أُقحم أنانيتي فيها؛ فلسوف ينصرني الله ويهديك ويوفقك لاتباع الحق والإسلام، وإلا سيهلكك بعذاب شديد. وإذا كانت نيتي فاسدة فسوف يجازيني الله عليها بنفسه، وبالتالي إن تهديدك وتخويفك عبثٌ ولغوٌ ولا سيما حين أراك كذابا، وأرى هذا الاعتقاد جزءا من الإسلام. لذا من الأفضل أن ترتدع عن التهديدات الفارغة وتتبع الحق. والخيار في يدك.

وما علينا إلا البلاغ المبين. الراقم أبو سعيد محمد حسين عفا الله عنه

لقد قُرئت هذه الرسالة في جلسة المسلمين العامة وأُعجب منظِّمو الجلسة بمضمونها ووقّعوا على مسودتها، وفيما يلي أسماء بعضهم:

---

[١١٢] الحاشية: إنما يهدي الله تعالى بدعاء ملهَم مَن لم يغلب قلبَه الزيغُ والاعوجاج، وإلا يبقى محروما من الهداية بحسب: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ *(الصف: ٦)*، منه.

(١) محمد فيض محيي الدين القادري عُفي عنه. (٢) أحمد علي عُفي عنه. (٣) محمد أعظم عُفي عنه (٤) الشيخ أمير بخش (٥) الحافظ غلام قادر (٦) نور محمد (٧) الشيخ أمير بخش (٨) نبي بخش (٩) بركت علي (١٠) محمد إسحاق بن قاضي نور أحمد (١١) فقير شيخ محمد واعظ إسلام النقشبندي مخدومي أحسني (١٢) محمد إبراهيم، إمام مسجد جامع (١٣) حكيم عطاء محمد (١٤) علي محمد (١٥) مسكين محمد أحمد الله (١٦) فقير شمس الدين (١٧) محمد علي، مدير المخفر المتقاعد (١٨) حسين بخش، محرر في المحكمة. وهناك كثيرون آخرون يربو عددهم على مئة شخص.

الرد على جواب الشيخ البطالوي

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي

الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى. أما بعد، فقد وصلتني بتاريخ ١٨٩٣/١/٤م رسالتك بالبريد المسجل. مع أن رسالتك هذه التي هي كومة من الأكاذيب والتهم والافتراءات لا تستحق أن أكتب إليك شيئا ردًّا عليها بل كان الإعراض عنها أَولى. ولكن ما دمتَ قد ذكرتَ في الصفحة ٢ و٣ منها ثلاثا من نبوءاتي، ثم حصرتَ الأمر في النهاية على النبوءة الثالثة المنشورة في جريدة "نور أفشان" عدد ١٨٨٨/٥/١٠م، وكذلك في إعلاني المنشور في ١٨٨٨/٧/١٠م. وقد أقررتَ بأنه لو ثبتت صحة هذا الإلهام لقبلتَني ملهَمًا، وستعترف أيضا بأنك أخطأت في عدِّ معتقداتي وتعليمي مخالفا للحق وفي حسباني سيء الأخلاق وضالا؛ لذا رأيت من المناسب أن أوجه أنظارك مرة أخرى إلى صدق النبوءة الإلهامية رحمة بك. كانت النبوءة تتلخص كما قلتَ في رسالتك أنه لو لم يزوّجني الميرزا أحمد بيك الهوشياربوري ابنتَه وزوّجها شخصا آخر، لمات في غضون ثلاثة أعوام من نكاحها. لم يكن بناء النبوءة على أني طلبتُ يد ابنة الميرزا أحمد بيك دون مبرر؛ فقد كان الأساس أن حزب المعارضين هذا بمن فيهم الميرزا أحمد بيك أيضا كانوا من أقاربي المقربين، ولكن كانوا يعادون الدين بشدة متناهية، وكان منهم من تجاوز الحدود كلها في العداوة بحيث كان يسب اللهَ جلّ شأنه ورسولَه ﷺ علنا، وكان دينه الإلحاد. وقد سبق أن نشر إعلانا أيضا طلبا للآية. فكان هؤلاء جميعا يحسبونني مكارا ويطلبون آية، وكانوا يضحكون على الصوم والصلاة ومعتقدات الإسلام الأخرى. فقدّر الله أن يتم حجته عليهم؛ فاختار لإراءتهم آيةً أسلوبا كان من شأنه أن يؤثر في جميع هؤلاء الأقارب الملحدين. فكل من يخشى الله تعالى يستطيع أن يعرف أن الموت والحياة ليس في يد

الإنسان، وليس بوسعه أن يُدلي بنبوءة أنيطَ فيها موت شخص بإنكاح ابنته من شخص آخر وحُدّد ميعاد الموت أيضا. فلما كانت النبوءة الإلهامية هذه تبين بجلاء أن موت الميرزا أحمد بيك وحياته مرتبطةٌ بقران ابنته بشخص غيري، فلهذا عاش الميرزا أحمد خمس سنوات ما لم يُنكحها أحدا، ثم أنكحها في ١٨٩٢/٤/٧م شخصا آخر فمات بحسب النبوءة في غضون ثلاث سنين أي في الشهر السادس من القران وذلك بتاريخ ١٨٩٢/٩/٣٠م. وكنت قد كتبتُ أيضا في الإعلان نفسه: مع أنه قد ذُكر تاريخ الموت في غضون ثلاث سنين من يوم النكاح، ولكن يبدو من كشف آخر أنه لن تمضي مدة طويلة فهذا ما حدث بالضبط؛ أي لم يطُل الفاصل الزمني بين النكاح والموت إلا ستة أشهر فقط بل أقل منها. فقد عُقد قرانها كما قلتُ من قبل بتاريخ ١٨٩٢/٤/٧م ورحل الميرزا أحمد بيك من هذه الدنيا الفانية بتاريخ ١٨٩٢/٩/٣٠م، قل الآن بشيء من خشية الله؛ هل تحققت هذه النبوءة أم لا؟

إذا انتابت قلبك شبهة أنه كيف يمكن التأكد أن النبوءة إلهامية وليست نتاج وسائل أخرى من قبيل السحر والنجوم والشعوذة والرمل وغيرها؟ فجوابه أن نبوءات المنجمين لا تحتوي على شروط تهدف إلى منفعة صاحبها الشخصية مثل: لو أنكحني فلان ابنته لعاش، وإلا لمات في غضون ثلاثة أعوام بل قبلها. فإذا سبق أن تحققت نبوءة مثلها أدلى بها منجّم أو رمّال فيجب تقديمها مع الدليل على تحققها. وبالإضافة إلى ذلك فقد قُدِّم في الإعلان المنشور، إلى جانب النبوءة، ادّعاء أيضا بأنني جئت من الله تعالى وأحظى بمكالمة الله، ومأمور من الله، وأن علامة صدقي هي هذه النبوءة. والآن، إذا كان عندك شيء من خشية الله جل شأنه فيمكنك أن تفهم أن النبوءة التي قُدّمت دليلا على كوني من الله لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كنتُ من عند الله في الحقيقة، لأنه ليس ممكنا بحال من الأحوال أن يحقق اللهُ نبوءة مفترٍ قدِّمت شاهدا صادقا على ادّعاء كاذب، لأن ذلك يُوقع خلق الله في الخطأ كما قد

عدّ الله تعالى تحقق النبوءة علامةً لصدق المدّعي الصادق إذ يقول: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾[١١٣] ويقول أيضا: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[١١٤] والمعلوم أن كلمة "رسول" عامة، وتشمل الرسول والنبي والمحدَّث. فيكفي للمسلم دليلا على كون هذه النبوءة إلهامية أنني أنبأتُ بها مقرونة بادّعاءِ كوني من الله تعالى، ثم أثبت الله صدقها. وإذا كان ممكنا عندك أن يكون أحد مفتريا فعلاً ويقول كذبا وافتراء بأنه خليفة الله ومبعوث منه ومجدد الوقت والمسيح الموعود، وآية صدقه أنه لو لم يزوِّجه فلان ابنته وأنكحها غيرَه لمات بعد قرانها في غضون ثلاث سنين بل قبلها بكثير، ثم حدث ذلك على صعيد الواقع؛ فأستحلفك بالله أن تقدم نظيرها. وإلا فلتعلم أنك ستُسأل عن هذا الإنكار والتكذيب والتكفير بعد الممات. يقول الله تعالى بكل صراحة: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[١١٥]؛ فكّر جيدا أنه ليس معناها إلا أن نبوءة المدّعي الكاذب لا تتحقق أبدا.

فيا أيها الشيخ المحترم، ما زالت عندك فرصة سانحة، فعليك أن تدرك الوقت وتفهم، واتّق يوما لن تنفعك شطارة ولا حذلقة. إذا كان بوسع منجّم أو رمّال أو قيّاف أن يتنبأ بنبوءة مقرونة بادّعاء مثلي، فأت بنظيرها وانشرها في بعض الجرائد، واعلَمْ أنك لن تقدر على ذلك قط، وسوف يهلك منجّم مثله. يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ... لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فكيف يمكن إذًا أن يكرمني الله جلّ شأنه - مع أنني كافر ومفتر ودجال وكذاب في نظركم - مقابل الأعداء، ويحقق نبوءتي تأييدا لادعائي بدلا من قطع الوتين؟ هل حدث في العالم مرةً

---

[١١٣] غافر: ٢٩

[١١٤] الجن: ٢٧ - ٢٨

[١١٥] غافر: ٢٩

أن نصر الله كاذبا ظل يفتري عليه ﷻ إحدى عشرة سنة ويقول بأن وحي الولاية والمحدَّثية من الله ينزل عليه، ولم يقطع الله منه الوتين؛ بل حقق نبوءاته وجعل أعداءه مثلك فاشلين ونادمين لا يطيقون جوابا، وأن يؤدي تكفيرك وبَذْلُك جلّ مساعيك ومنعك الناس بكل ما في وسعك إلى اشتراك ٣٢٧ من الأحبة المخلصين في الجلسة ساعين لنشر الحق بينما اشترك ٧٥ شخصا فقط في الجلسة الأولى. ماذا أقول أكثر من ذلك؟ سوف أنشر هذه الرسالة بإذن الله، ولا أرى حاجة لأعقد جلسة في "بطاله" لاختبار نبوءة إلهامية، بل أرى من المناسب أن تنشر أنت أيضا رسالتي هذه في مجلتك "إشاعة السنّة" واكتبْ أيضا ما يمنعك من القبول، وسوف يحكم المنصفون بأنفسهم في صحة عذرك أو خطئه.

أكرر وأقول بأن الله تعالى يعلم جيدا بأني صادق في ادّعائي ولستُ مفتريا ولا دجالا ولا كذابا. لم يكن عدد الكذابين والدجالين والمفترين قليلا في هذا العصر سلفا حتى يبعث الله تعالى دجالا آخر على رأس القرن - بدلا من أن يبعث مجدِّدا - ويُحدث فتنة وفسادا آخر. ولكن ماذا أفعل بالذين لا يكادون يفقهون الصدق ولا يبحثون عن الحقيقة ويسعون للتكفير فقط؟ إنني - مِن أجل هؤلاء القوم الذين لا يفقهون- حزينٌ بشدة مِثل مشرفٍ على قريبه المريض ويعاني من حزن عميق من أجله. وأدعو الله تعالى: يا إلهي القادر القدير وذا الجلال، ويا هادي؛ افتح عيون هؤلاء القوم وارزقهم بصيرة من عندك، وألهم قلوبهم الصدق والحق. وإنني على يقين بأن أدعيتي لن تذهب سُدى لأني من عنده ﷻ، وإليه أدعو. وصحيح تماما بأني إن لم أكن من عنده وكنت مفتريا، فسيهلكني بعذاب عظيم لأنه لا يُكرِم المفتريَ أبدا إكرامَه الصادقَ. لقد عرضتُ عليك نبوءةً حصرتَ فيها صدقي أو كذبي، فهي تكفي شهادة لمعرفة صدقي أو كذبي؛ لأنه ليس ممكنا قط أن ينصر الله الكذاب والمفتري. ولكني أقول إلى جانب ذلك بأن هناك نبوءتين أخريين تتعلقان بهذه

النبوءة، وقد نشرتهما في إعلاني المنشور بتاريخ ١٨٨٨/٧/١٠م، وتتلخصان في أن الله تعالى سيجعل هذه المرأة أرملة ويعيدها إليّ. والآن، انظر بعدل فلا أحد يستطيع أن يضمن حياته هو كما لا يستطيع أن يدّعي عن غيره أنه سيبقى على قيد الحياة إلى وقت كذا وكذا أو سيموت إلى وقت كذا. أما نبوءتي فلا تتضمن ادّعاء واحدا فقط بل ستة ادّعاءات.

أولا: بقائي على قيد الحياة إلى يوم النكاح. **ثانيا:** بقاء والد الفتاة على قيد الحياة حتما إلى يوم النكاح. **ثالثا:** موت والدها بعد قرانها في وقت قصير لا يبلغ ثلاث سنوات. **رابعا:** موت زوجها إلى سنتين ونصف. **خامسا:** بقاء الفتاة على قيد الحياة إلى أن أنكحها أنا. **سادسا:** زواجها مني ناقضة جميع التقاليد الخاصة بالترمل على الرغم من معارضة أقاربها الشديدة.

قلِ الآن أمانة، هل هذه الأمور كلها في قدرة الإنسان؟ ويجب أن تفكر بجدية؛ هل يمكن أن تكون هذه النبوءة من فعل إنسان في حال تحققها؟ إن لم يطمئن قلبك إلى النبوءة التي تتعلق بوالد الفتاة والتي تحققت بموته في ١٨٩٢/٩/٣٠م فعليك أن تنشر إعلانا في مجلتك "إشاعة السنّة" بحسب إقرارك بأنك ستتوب عن ظنونك الباطلة إذا تحققت أنباءٌ أخرى، وستعتبرني صادقا في ادّعائي. وإلى جانب ذلك يجب أن تقرّ أيضا بخشية الله؛ أن إحداها قد تحققت سابقا وإن لم يؤثر تحقُّقها في قلبك كثيرا فيجب أن يكون تأثيرها على الأقل أن تكفّ لسانك إلى حين ظهور عاقبة الأمور. إنّ تحقق نبوءة واحدة يجب أن يترك بعض الهيبة على الأقل في قلبك. إنك تنتظر هلاكي وأيام تعرضي للإهانة، ولكن الله تعالى يُظهر الآيات على صدق ادّعائي. وإن لم تقبل فليس في يدي حيلة تجاهك. وعليك أن تتذكر بأن الإنسان يمكن أن يُعدَّ معذورا في إنكاره في أوائل الأيام بناءً على إبهام ما، ولكنه لا يُعذَر قط بعد مشاهدته الآيات. هل تحققت هذه النبوءة صدفة فقط ولم يعلم الله عنها شيئا؟

هل تحققت هذه النبوءات صدفةً لتأييد الدجال عشوائيا دون علم الله وإرادته؟ أليس صحيحا أن نبوءة المدّعي الكاذب لا تتحقق قط؟ هذا هو تعليم القرآن الكريم والتوراة أيضا، فإن كنت تملك نصيبا من العدل والإنصاف أو فيك ذرة من التقوى، فعليك أن تكفّ لسانك. إن غضب الله أشد من غضبك بكثير. ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم. والسلام على من اتبع الهدى وما استكبر وما أبى.

العبد المتواضع: **غلام أحمد** عفا الله عنه

****

وفيما يلي أنقل رسالة حبي في الله؛ النواب سردار **محمد علي خان**، كتبها نزولا عند رغبة باحث آخر عن الحق، وإلا فإن النواب المحترم على صلة خاصة من الحب والإخلاص بي وينصر هذه الجماعة قلبا وقالبا.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الطبيب الروحاني، سيدنا ومولانا سلمه الله تعالى.

السلام عليكم، لم أستطع الرد بسبب اعتلال الصحة، أما الآن فأنا بخير والحمد لله. وآمل أن تكونوا أنتم أيضا بخير وعافية. لقد أرسلت النقود مع السيد الميرزا خدا بخش، وآمل أن يكون قد وضّح لكم الأمر كله.

منذ أن شاع ادّعاء أنكم **مثيل المسيح** أصبح كل شخص يواجه ورطة عجيبة، وإن لم يخالج بعضا من الخواصّ أيّ شك في الموضوع. أنا أيضا في ورطة منذ ذلك الحين، فأحيانا يبدو أن ادّعاءكم حقٌّ، وأحيانا أخرى تطرأ حالة من التذبذب وكأني أواجه حالة من القبض والبسط. لقد كثر القيل والقال، ولا يطمئن له قلبي؛ لأنه قد طرأت على القلب حالة غريبة حقا بسبب الأقوال المعارضة والموافقة، حتى بدأت أشك في الإسلام أيضا في بعض الأحيان. والسبب في ذلك أن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وأحتار حين لا أرى هذا الوعد متحققا. هناك مئات من الناس الذين يسعون قصارى جهدهم قلبا وقالبا ليعلموا الصراط المستقيم وليستبين الحق، وإن لم يستخيروا.

يبدو لي أن من شأن الأمور التالية أن تؤدي إلى إظهار الصدق.

أولا: لم يعد هناك عذر لعدم دعوة المعارضين للمباهلة؛ لأنه كما قلتم ردّا على المولوي عبد الحق بأن المباهلة لا تجوز ما لم تُطلَب بعد المناظرة، لأن الخلاف الحالي هو في الاجتهاد. أما الآن فلم يعد الأمر هكذا، لأن المعارضة تفاقمت كثيرا وقامت الحجة أيضا. والآن عليك أن تباهل المعارضين وتتوجه إلى الله تعالى من أجل

الاستئذان للمباهلة، ويجب أن ينحصر تأثيرها في زمن قريب لا يزيد على شهرين لأن الناس يملّون جدا من طول الميعاد. وإذا قيل بأن الذين لا يريدون أن يؤمنوا لن يؤمنوا بعد المباهلة أيضا، فقولي في ذلك بأدب هو: إن الذين لا يريدون أن يوقنوا دعْهم وشأنهم، أما المذبذبون فسيوقنون حتما. والفائدة العظمى منها أن المبايعين سوف يتقوَّون إيمانا. على أية حال، لا بد من المباهلة الآن.

ثانيا: لقد قلتَ في كتاب: "الآية السماوية" عن الاستخارة أن يكون المستخير بريئا من البُغض والحب، وإلا فإن الشيطان يتدخل فيها ويتلقى الإنسان إلقاءً بحسب أفكاره، فيجب أن يستخير الإنسان بعيدا عن كِلا الأمرين. ولكن المشكلة العويصة في الموضوع هي: أولا؛ سيكون كل شخص إما معارضا أو موافقا. فبحسب قولكم سيتلقى الموافقون إلقاءً موافقا والعكس صحيح، وكأن المدار كله يتوقف على خيال المستخير. ثانيا؛ من صفات الإنسان أنه يميل بطبيعته إلى ما يُمنع عنه. فلو لم تذكر هذا الأمر لكان بالإمكان ألا يخطر ذلك بالبال، أما الآن وقد ذُكر ذلك فلا بد أن يخطر بالبال إلى حد ما، ولسوف تعمل القوة المتخيّلة عملها حتما. ثالثا؛ ما دامت الاستخارة لفائدة المعارضين فإذا تلقَّوا إلقاءً مخالفا بسبب معارضتهم فكيف تتم الحجة عليهم؟ إذًا، فإن إمكانية الإلقاء من الشيطان موجودة في كل الأحوال؛ فالصعوبة العظمى التي تطل برأسها نتيجة الحالات الثلاث المذكورة هي: كيف يمكن أن يستخير المرء ما دامت إمكانية الإلقاء الشيطاني موجودة في كل الأحوال والبراءة من البُغض والحب مستحيلة، فكيف يمكن أن تجري الأمور على مسارها الصحيح؟ فأرجو أن تتوجّه إلى الله تعالى وتدعو بهذا الشأن أيضا أن تكون الاستخارة نزيهة من إلقاء الشيطان، وأن تنكشف الحقيقة على كل مستخير سواء أكان من الموافقين أو المعارضين، وأن لا يبقى فيها تدخّل الشيطان. ولما كانت القضية في غاية الأهمية، لذا لا بد من الاستعانة بالله لاجتناب الشيطان. ومن الغريب أيضا أن يتغلب الشيطان

على عبدٍ للرحمن. وكيف نهتدي إن لم ينصرنا الله ولم ينقذنا من إلقاء الشيطان. فلا يمكن أن يتم شيء دون نصرة الرحمن، لذا أرجو أن تدعو الله تعالى ألا يكون للشيطان أيّ دخل في الاستخارة، وليُعلَن هذا الأمر بإعلان منشور. والرجاء أن تركّزوا على طلب الإذن في غضون أسبوع أو أسبوعين، أنا أيضا جاهز للاستخارة. عندما تتلقى الإلقاء عن الأمور الثلاثة المذكورة: أي أن الاستخارة ستكون بريئة من تدخّل الشيطان وسيكون لها التأثير نفسه على المعارضين والموافقين عندها سأستخير وسأنتظر جوابك السديد إلى شهر واحد على أكثر تقدير ولا أقصد من الجوابِ الردَّ على هذه الرسالة، بل المراد هو ما يتبين لك في أمر الاستخارة بعد الدعاء والتركيز.

ثالثا: نرجو أن يحدث أمرٌ خارق للعادة لتتم الحجة على الناس.

فألتمس بكل أدب أن تتوجهوا إلى الله بشأن هذه الأمور الثلاثة؛ لأن القيل والقال قد ازداد كثيرا، مما يؤدي إلى تفاقم الشبهات يوما إثر يوم. لقد تم تقديم الأدلة والبراهين، والآن يجب الالتفات إلى جانب آخر.

"إنّ قدَمَ أهل الاستدلال من خشب، وما أوهنَ قدمًا من خشب!

لو كان اعتماد أمر الدين على الاستدلال فقط، لكان "فخر الدين الرازي" صاحب أسراره".[١١٦]

أقول لكم بكل تواضع، وأناشدكم بالله الواحد الأحد الذي خلقني وإياكم وخلق العالم كله أن تركّزوا على الدعاء بشأن الأمور الثلاثة المذكورة. وأرجو أن يتضمن الدعاء طلبا آخر أيضا وهو أن يكون الميعاد زمنا قريبا وليس بعيدا. ولما كانت الصلة بين الفريقين حساسة، والأمر يتعلق بالدين؛ فلا تحسبوا هذا الكلام بدافع الإساءة وإنما هو من أجل الاستفادة، ولما كنتُ مبايعا لكم فقد عرضتُ عليكم هذا الرجاء ليطمئن قلبي.

---

[١١٦] *ترجمة بيتين فارسيين. (المترجم)*

ولقد تذكرت بالمناسبة أمرا آخر وهو أن الكتابة سقطت الآن من الاعتبار، لأن أتباعكم سوف يعتمدون على كلامكم، والمعارضون سيعتمدون على كلام معارضيكم. أما الذين يريدون أن يحكموا بالنظر إلى كلام الفريقين بإنصاف، فهم الذين سيعانون في الحقيقة؛ فلا يسعهم الاعتماد على أيّ واحد من الفريقين، لأنهم ليسوا على علاقة وصحبة جديرة بالذكر معكم ولا مع المعارضين، لذا فهم في مواجهة الابتلاء دائما.

****

ينبغي أن تقرأ الرسالة التالية بإمعان ثلاث مرات على الأقل، ومع أنها موجَّهة إليك ظاهريا، لكن كثيرا من عباراتها تهدف إلى إزالة شبهات الآخرين، وإن كنتَ أنت المخاطَب فيها ظاهريا.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي

محبي وعزيزي، أخي في الله؛ نواب محمد علي خان المحترم سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قبل أسبوع، بل عشرة أيام، وصلتني رسالتك الكريمة. ولما كانت الرسالة تحتوي على أمور كثيرة قد استفسرتَ عنها، وكنتُ أعاني ضيق الوقت كثيرا بسبب تأليف كتاب "مرآة كمالات الإسلام" لأني أسلِّم مادته جاهزة كل يوم؛ فقد عجزت عن الرد عليها، كما أنك لم تطلب الإسراع في الجواب. فلما كنت محبا مخلصا وكان استفسارك أيضا مبنيا على حسن النية فقد خطر ببالي اليوم أن إطلاعك على بعض الأمور المفيدة لك واجب؛ لذا أكتب فيما يلي بضعة أسطر لإطلاعك على الموضوع.

صحيح أنه منذ أن ادّعيتُ أني أنا **المسيح الموعود** بأمر الله تعالى قد وقع الناس الذين لا يجدون في أنفسهم قوة على اتخاذ القرار في تذبذب وورطة غريبة. لقد قلت بأنه لا يمكن البَتُّ في الموضوع بالقيل والقال بل يجب الآن الاستعداد للمباهلة، وتقول بأنه يجب إراءة آية أيضا.

(١) قبل وصول رسالتك ببضعة أيام أذن لي الله جلّ شأنه بنفسه في المباهلة، وهذا توارد إرادتك مع إرادة الله؛ إذ نشأت في طبيعتك حركة بهذا الاتجاه. يبدو أن الحكمة في الإذن في هذا الوقت هي أن المباهلة كانت غير جائزة من قبل لأن الأمر لم يوضَّح للمعارضين كما ينبغي، فكانوا يجهلون حقيقة الأمر جهلا تاما، وما كانوا متحمسين على التكفير أيضا كما تحمسوا فيما بعد. أما الآن فقد بلغ التفهيم كماله

بعد تأليف كتاب "مرآة كمالات الإسلام". ويستطيع كل ذي فهم بسيط أيضا أن يدرك بعد قراءته بأن المعارضين مخطئون تماما في رأيهم. لذا فقد أُمرتُ أن أنشر طلب المباهلة مع كتاب "مرآة كمالات الإسلام". فسيُنشر هذا الطلب بإذن الله القدير مع الجزء الأول من الكتاب. كنت أفكر أيضا في أوائل الأيام أنه كيف تجوز مباهلة المسلمين؛ إذ أن المراد من المباهلة هو اللعان، ولعان المسلمين لا يجوز. ولكنهم ما داموا يكفّرونني الآن بإصرار شديد، والحكم الشرعي هو بأن الذي يكفّر مسلما، وهو ليس بكافر في الحقيقة، فإن ذلك الكفر يعود على المكفِّر نفسه، فبناء على ذلك أُمرتُ بأن أطلب مباهلة الذين يكفّرونني من أئمة التكفير من ذوي الأبناء والنساء.

(٢) ما قلتَ عن إظهار الآية صحيح تماما أيضا. والحق أن الناس نوعان؛ النوع الأول: أولئك الذين هم أذكياء وفطنون ويملكون قدرة على اتخاذ القرار الصائب، ويعرفون عند القيل والقال بين المتخاصمين كلاما يضم في طياته عظمة الحق وبركته ونوره، ولا يخفى عن أعينهم ما في الباطل من رائحة التكلُّف والتصنُّع. فمثلا إن الناس مثلهم لا يحتاجون لمعرفة موسى عليه السلام إلى أنْ تحوَّل أمامهم العصا إلى حيَّة. ولا يحتاجون لمعرفة عيسى عليه السلام أن يروا المفلوجين والمجذومين يُشفَون على يده. ولم يطلب أمثالهم من الصلحاء في زمن سيدنا ومولانا خاتَم النبيين ﷺ معجزة قط. فلا يسع أحدا أن يثبت أن الصحابة رضي الله عنهم آمنوا نتيجة رؤية معجزة. بل كانوا أذكياء ويملكون نور القلب؛ فعرفوا بمجرد رؤية وجه النبي ﷺ أن وجهه ليس بوجه كاذب، فعُدُّوا صدِّيقين وصالحين عند الله. لقد رأوا الحق وأعلنت قلوبهم بأنه من عند الله.

والنوع الثاني من الناس هم أولئك الذين يطلبون المعجزات والكرامات. لم يمتدحهم الله تعالى في القرآن الكريم، بل أظهر غضبه عليهم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا

يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١١٧]. ويقول أيضا: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾[١١٨]. ويقول: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ...﴾[١١٩]، ويقول لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[١٢٠].

يتبين من هذه الآيات كلها أن الكافرين كانوا يطلبون الآيات في عهد النبي ﷺ المبارك، بل كانوا يحلفون بالله أيضا بأنهم سيؤمنون، ولكنهم كانوا مورد غضب في نظر الله جلّ شأنه، إذ كانت مطالباتهم سخيفة تماما. بل يقول الله جلّ شأنه بكل وضوح بأن الذي يؤمن بعد رؤية الآيات لا يُقبَل إيمانه؛ إذ جاء في آيةٍ مذكورة آنفا: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾. وهناك آية أخرى بالمعنى نفسه تقريبا وهي: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[١٢١].

عندما أظهر الأنبياء آياتٍ في الأمم السابقة لم يؤمن بهم الناس حتى بعد مشاهدة الآيات، لأنهم كانوا قد كذّبوهم قبل رؤيتها. كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين لا يؤمنون قبل ظهور الآيات.

إن هذه الآيات كلها وغيرها الكثير، التي لم نكتبها خشية الإطالة؛ تقول متفقة بأن الذين يطلبون الآيات يكونون محط غضب الله تعالى، والذي يؤمن بعد رؤية الآية

---

[١١٧] *الأنعام:* ١١٠

[١١٨] *الأنعام:* ١٥٩

[١١٩] *يونس:* ٤٩-٥٠

[١٢٠] *الأنعام:* ٣٦

[١٢١] *الأعراف:* ١٠٢

لا يُقبَل إيمانُه. ولكن هناك اعتراضان يقعان على ذلك. أولا: لماذا يكون طلاب الآية محط غضب الله؟ فالذي يريد من أجل اطمئنانه أن يختبر شخصا إن كان من عند الله أم لا، فله الحق في الظاهر أن يطلب آية حتى لا ينخدع فيحسب المطرودَ من عند الله مقبولا عنده!

فجواب هذه الشبهة هو أن الثواب كله يترتب على الإيمان. والمراد من الإيمان هو أن يُقبَل ما كان في حُجُب الغيب بناء على القرائن المرجحة؛ بمعنى أن يتأكّد المرءُ أن أوجه الصدق غالبة على أوجه الكذب، وأن القرائن الموجودة على صدق أحدٍ أكثر بكثير من كذبه. هذا هو حد الإيمان، ولكن الذي يطلب الآيات أكثر من هذا الحد فهو فاسق عند الله، وبحقه يقول الله جل شأنه في القرآن الكريم بأن إيمانه بعد رؤية الآية لن ينفعه. يمكن للمرء أن يفهم بكل سهولة وبأدنى تدبر لماذا ينال الإنسان رضا الله تعالى نتيجة الإيمان؟ السبب في ذلك أن الأمور التي نقبلها إيمانا لا تكون مكشوفة علينا من كل الوجوه، فمثلا: المرء يؤمن بالله تعالى دون أن يراه، ويؤمن بالملائكة ولم يرهم أيضا، ويؤمن بالجنة والنار مع أنهما غائبتان عن الأنظار؛ فيؤمن نتيجة حسن الظن فقط، فيُعَدّ صادقا عند الله، وصدقه هذا يكون سببا لنجاته وإلا فواضح أن الجنة والنار والملائكة ليسوا إلا خلقا من خلائق الله، فما علاقة الإيمان بها بالنجاة؟ فإذا كان هناك شيء موجودا في الحقيقة ووجوده واضح وبديهي ثم نقرّ بوجوده، فأيّ أجرٍ نستحقه على هذا؟ فمثلا لو قلنا بأننا نؤمن بأن الشمس موجودة ونؤمن بأن الأرض والقمر أيضا موجودان ونؤمن أيضا بأن الحمير والأحصنة والبغال والثيران وأنواع الطيور موجودة في العالم، فهل نتوقع ثوابا نتيجة هذا الإيمان؟ إذن لماذا نُعَدّ عند الله مؤمنين ونستحق ثوابا عندما نؤمن بالملائكة، وعندما نؤمن بوجود الحيوانات كلها التي نراها بأم أعيننا على الأرض لا ننال مثقال ذرة من الثواب مع أن الملائكة والأشياء الأخرى أيضا خلق الله؟ فالسبب في ذلك أن الملائكة في حُجُب

الغيب، أما الأشياء الأخرى كلها فنعلمها على وجه اليقين. ولهذا السبب لن يُقبل الإيمان ممن يؤمن عند القيامة. بمعنى أنه إذا قال أحد في ذلك اليوم بعد مشاهدة تجليات الله تعالى وملائكته والجنة والنار: آمنتُ الآن، فلن يُقبَل منه. ولكن لماذا لا يُقبل؟ ذلك لأنه لن يكون هناك حجاب الغيب ليَثبت به صدقُ الإيمان.

يجب أن يُفهَم الأمر بقدر من التأمل؛ ما هو الإيمان؟ ولماذا يترتب الثواب على الإيمان؟ وآمل أنك بفضل الله تعالى وبشيء من الإمعان ستفهم بسهولة أن المراد من الإيمان بحقيقةٍ هو الاعتراف بها حين تكون بعض جوانبها خافية، فيقبل المرء تلك الحقيقة بالتفكير بدقة ونظرا إلى القرائن المرجحة قبل أن تنكشف تماما، هذا هو الإيمان الذي يترتب عليه الثواب. ومع أن الآيات تظهر دون شك على أيدي الرسل والأنبياء والأولياء الكرام عليهم السلام، ولكن السعداء الذين هم أحباء الله يؤمنون بهم بفراستهم الصحيحة قبل ظهور الآيات. أما الذين يؤمنون بعد الآيات فهم مهانون عند الله ولا قيمة لهم، بل يعلن القرآن الكريم بأعلى صوته بأن الذين لا يقبلون الحق بغير رؤية الآيات لا يؤمنون بعدها أيضا، لأنهم يكونون قد أنكروه جهرا قبل ظهور الآيات، ثم يقولون علنا بأن هذا الشخص كذاب لأنه لم يُظهِر آية. وأكبر سبب لضلالهم هو أن الله تعالى أيضا يؤخر إراءة الآيات لعباده عمدا من أجل الابتلاء، فيزداد هؤلاء الناس تكذيبا وإنكارا لدرجة أنهم يتمسّكون بآرائهم في الإنكار ويقولون بكل تحدّ بأن هذا الشخص في الحقيقة كذاب ومفتر ومكّار ومزور وليس من عند الله. فحين يتعصبون لرأيهم بكل شدة وينشرون في الدنيا رأيهم الثابت بواسطة خطاباتهم وكتاباتهم وبالجلوس في المجالس واعتلاء المنابر بأن هذا الشخص كذاب في الحقيقة؛ عندها تتوجه رحمة الله إلى إراءة آية إظهارا لمكرمة عبده الضعيف وصدقه. فعندها تظهر آية من الغيب، ولا يستفيد منها إلا الذين آمنوا من قبل وانضموا إلى أنصار الحق، أو الذين جنّبوا ألسنتهم وأقلامهم وأفكارهم الإفادات

المعارضة من قبل. أما تلك الفئة من الأشقياء الذين سبق لهم أن أبدوا آراءهم المعارضة، فلا يستطيعون الإيمان بعد رؤية الآية أيضا؛ لأنهم أشاعوا آراءهم علنا من قبل، ونشروا إعلانات وختموا على أن هذا الشخص كذاب في الحقيقة، لذا فإن الإقرار بعكس رأيهم المذاع سابقا يكون أشق عليهم من الموت، لأن ذلك يجدع أنوفهم كما يزعمون، ويثبت حمقهم على آلاف الناس إذ ادّعوا من قبل بكل قوة وشدة أن هذا الشخص كاذب وكذاب حتما، وكانوا يحلفون ويعلنون علوّ كعبهم في العقل والعلم، أما الآن فبدأوا يؤيدونه!

لقد قلتُ من قبل بأن الثواب يترتب على الإيمان حين يقبل المرء - نظرا إلى بعض القرائن - بعض الأشياء التي تكون خافية، كما ذكر الله جلّ شأنه صفة المؤمنين في القرآن الكريم بأنهم "يؤمنون بالغيب"؛ أي أنهم يؤمنون ببعض الأمور التي تكون في الغيب. لقد آمن الصحابة ﷺ بسيدنا ومولانا ﷺ دون أن يطلب أحدهم آية أو دليلا، ومع أن الآيات ظلت تمطر بعد ذلك في وقتها المناسب كالمطر الغزير وظهرت المعجزات، لكن الصحابة لم يحتاجوا إليها من أجل الإيمان، ولو حصروا الإيمان في رؤية المعجزات لما ثبت صلاحهم قيد ذرة، ولعُدُّوا من عامة الناس ولما دخلوا في عباد الله الأحباء؛ لأن الذين طلبوا آية عاتبهم الله ولم تكن عاقبتهم حسنة بل مات معظمهم في حالة عدم الإيمان.

فباختصار؛ يتبين من جميع كتب الله أن طلب الآية لم يكن عملا مباركا لأي قوم قط، بل كلّ من طلب آيةً هلك. يقول المسيح عليه السلام أيضا في الإنجيل: "جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ".

هنا سينشأ بالطبع تساؤل في ذهن كل شخص كما قلت من قبل بأنه كيف يمكن للإنسان أن يميز الحق من الباطل بغير آية؟ وإذا قبِل أن أحدا من عند الله بغير رؤية آية، فيمكن أن يخطئ في ذلك.

فجوابه كما قلتُ من قبل بأن الله تعالى قد جعل الثواب مشروطا بالإيمان في غالب الأحيان إن كان قبل رؤية الآية. ويكفي للتمييز بين الحق والباطل أن تكون في اليد بعض القرائن التي تفيد التصديق، وأن تكون كفة التصديق أرجح من كفة التكذيب؛ فمثلا آمن الصِّديق الأكبر، أبو بكر ، بالنبي دون أن يطلب أية معجزة. وحين سُئل: كيف آمنتَ؟ قال بما معناه: إن كون محمد ﷺ أمينا واضح عليّ، وإنني موقن بأنه لم يكذب على أحد من الناس قط، فكيف يكذب على الله.

كذلك رأى كل صحابيٍّ بحسب ذوقه فضائل أخلاقية أو علمية في النبيّ ﷺ وعدّوها سببا لصدقه، فآمنوا به ﷺ، ولم يطلب أحدٌ منهم آية. فقد كفاهم تمييزا بين الصادق والكاذب؛ أنه ﷺ يحتل أعلى مراتب التقوى ويحظى بالشجاعة والاستقامة في سبيل بيان مكانته، وأن التعليم الذي جاء به ﷺ أصفى وأطهر، ونور متجسد مقارنة بالتعاليم الأخرى كلها، وأنْ لا نظير له ﷺ في الأخلاق الحميدة، وهو يحتل درجة عليا من الحماس في سبيل الله، وأن الصدق يتجلّى في وجهه. فبالنظر إلى هذه الأمور تيقنوا أنه من الله تعالى في الحقيقة.

لا يظنّن أحد هنا أنه لم تظهر على يد النبي ﷺ معجزاتٌ، بل الحق أنها ظهرت على يده أكثر من أي نبيّ آخر ولكن من سنة الله أن المعجزات والآيات البيّنة تبقى خافية في البداية للتمييز بين صدق الصادقين وكذب الكاذبين. هذا الزمن يكون زمن الابتلاء؛ إذ لا تظهر فيه آية بصورة بينة ثم حين تؤمن فئة من أصحاب القلوب النزيهة لدقة نظرهم ولا يبقى إلا العوام كالأنعام، عندها تظهر الآيات إما لإتمام الحجة عليهم أو لإنزال العذاب. ولكن لا يستفيد منها إلا الذين آمنوا من قبل. وقليل يؤمنون فيما بعد، لأن قلوبهم تصبح قاسية نتيجة تكذيبهم كل يوم، ولا يريدون أن يغيروا آراءهم التي أذاعوها؛ فيصِلون جهنم في نهاية المطاف على هذا الكفر والإنكار.

أتمنى من قلبي، وأدعو الله تعالى؛ أن تفهم أنه لا بد في مفهوم الإيمان الحقيقي أن يؤمن المرء بالأمور الخافية. وعندما تنكشف حقيقة الشيء بكل جلاء أو يتبين الجزء الأكبر منه، فإن قبوله لا يدخل في الإيمان. فمثلا إن الوقت الآن هو وقت النهار، فلو قلتُ مثلا بأني أؤمن بأن الوقت الآن هو نهار وليس ليلاً فأية ميزة في إيماني هذا؟ وأيّ تفوّق يمكن أن يتحقق لي على الآخرين بسببه؟ إن أولى علامة للسعيد هي أن يفهم هذا الأمر المبارك أي ما هو المراد من الإيمان؟ لأن جميع الناس الذين ظلوا يعارضون الأنبياء منذ بدء الخليقة كانت على عقولهم غشاوة أنهم لم يدركوا حقيقة الإيمان، وزعموا أنه ليس من المناسب أن يؤمنوا ما لم تنكشف نبوة الأنبياء وتعليمهم مثل بقية الأمور المشهودة والمحسوسة. ولكن هؤلاء الحمقى لم يفكروا بأنه لا يدخل الإقرار بالأمر البين والواضح في الإيمان، لأن ذلك يكون علمًا مثل الأرقام والرياضيات وليس إيمانا. فبسبب هذه الغشاوة حُرم أبو جهل وأبو لهب وغيرهما من الإيمان في بداية الأمر، ثم حين ثبتوا على التكذيب وأصروا على الآراء المخالفة مع أن آيات صدق النبي ﷺ البينات كانت قد ظهرت، ولكنهم قالوا بأن الموت أهون من الإيمان الآن.

باختصار، إن معرفة صدق الصادق بنظرة دقيقة إنما هو فعل السعداء. أما طلب الآيات فهو طريق نحس ومن شيمة الأشقياء، وبسببها صار عشرات الملايين من الناس حطب جهنم. إن الله تعالى لا يغيّر سنّته، ولا يعدُّ من الإيمان - كما قال - إلا إيمان الذين لا يتعنّتون، ويقبلون الصادق حين يرون القرائن المرجّحة معه ويجدون فيه علامات الصدق. وإن كلام الصادق وصلاحه واستقامته ووجهه بحد ذاته يشهد على صدقه بحسب رأيهم. فطوبى للذين يُعطَون فطنةً لمعرفة الناس.

وإضافة إلى ذلك إذا كان الشخص تابعا لنبي متبوع ويؤمن بكلامه وبكتاب الله، فإن امتحانه كامتحان الأنبياء نوع من قلة الفهم، لأن الأنبياء يأتون ليُخرجوا الناس

من دين ويُدخلوهم في دين آخر، ويعيِّنوا قِبلة جديدة دون القِبلة الأولى، وينسخوا بعض الأحكام ويأتوا ببعض الأحكام الجديدة. ولكني لا أدّعي مثل هذا الانقلاب؛ إذ لا يزال الإسلام هُوَ هُوَ، والصلوات هِيَ هِيَ، وما زال الرسول الأكرم ﷺ نفسه الذي كان موجودا من قبل، وكذلك القرآن الكريم نفسه الموجود سابقا، لم نترك من الدين الأصلي شيئا حتى يستغرب أحد إلى هذا الحد.

لو نقص من الدين شيء أو زيدَ إليه حُكمٌ، والعياذ بالله، أو كانت حالتنا العملية مختلفة عن المسلمين الآخرين، لكان إعلان كوني المسيح الموعود شاقا وجديرا بالحذر. وحيث أنه ليس هنالك شيء من هذا القبيل، بل إن وجه النزاع الوحيد إنما هو حياة المسيح أو وفاته، وأما إعلاني أني المسيح الموعود فليس إلا فرعا من هذه القضية، وليس المراد من هذا الإعلان هو انقلاب عملي، ولا يؤثر في المعتقدات الإسلامية تأثيرا سلبيا؛ فهل هناك حاجة لمعجزة عظيمة أو كرامة لقبول هذا الادّعاء كما هي عادة الناس القديمة أن يطلبوها للتأكد من صدق إعلان الرسالة؟ هل يصعب على منصف يتقي الله أن يقبل مسلما أرسله الله تعالى لتأييد الإسلام، ومن أهدافه أن يكشف على الناس محاسن الإسلام ويثبت نزاهته من تهم الفلاسفة المعاصرين وغيرهم، ويوجّه المسلمين إلى حب الله ورسوله؟

لو كان إعلاني بأني أنا المسيح الموعود مصحوبا بأمور تؤثر سلبا في أحكام الشريعة ومعتقداتها، لكان الأمر مهولا دون أدنى شك، ولكن الآن يجب الانتباه إلى نقطة مهمة وهي: هل قلبتُ حقيقةً من حقائق الإسلام رأسا على عقب بسبب هذا الادعاء؟ وأيّ أمر من أوامر الإسلام زدتُ فيه أو أنقصت منه مثقال ذرة؟ غير أني استنبطت من النبوءة معنىً كشفه الله تعالى عليّ في الوقت المناسب. والقرآن الكريم يشهد على صحة هذا المعنى، وتشهد عليه الأحاديث الصحيحة أيضا. فلا أدري لماذا يثار كل هذا الشغب والضجيج؟

هنا يمكن أن يتساءل الباحث عن الحق؛ ما هي القرائن في القرآن الكريم للإيمان بادّعاء المسيح الموعود؟ لأنه لا بد من وجود القرائن للإيمان بصدق المدّعي، وخاصة في هذا العصر المليء بالزيف والزور والمكر السيئ والخيانة، والادّعاءات الباطلة الحامية الوطيس بوجه عام. يكفيني أن أقول في جواب هذا التساؤل بأن الأمور التالية هي بمنزلة العلامات والقرائن للباحث عن الحق:

(١) نبوءةٌ للنبي ﷺ قد بلغت مبلغ التواتر من حيث المعنى؛ والمراد أنها وعْدُ الله تعالى بأن يبعث على رأس كل قرن من يجدد له دينه، ويزيل منه التشويهات التي أضعفته ويعيده إلى قوته الأصلية. فكان ضروريا من منطلق هذه النبوءة أن يُبعث من الله تعالى على رأس القرن الرابع عشر أيضا شخص لإصلاح المفاسد السائدة. فبُعثت أنا العبد الضعيف في الوقت المناسب تماما. وقد شهد مئات الأولياء من قبل في إلهاماتهم أن مجدد القرن الرابع عشر سيكون المسيح الموعود. وتعلن الأحاديث الصحيحة أيضا بأعلى صوتها بأن المسيح الموعود سيظهر بعد القرن الثالث عشر. أليس إعلاني هذا في وقته ومحله المناسب تماما؟ هل يمكن أن يذهب قول رسول الله ﷺ سدى؟ لقد أثبتُّ أنه لو افترضنا جدلا أن المسيح الموعود لم يُبعث على رأس القرن الرابع عشر، لبطل العديد من نبوءات النبي ﷺ ولعُدَّ مئات الصلحاء والملهَمون كاذبين.

(٢) يجب الانتباه أيضا إلى أنه حين يُسأل علماؤنا: من الذي ادّعى سوى هذا العبد الضعيف أنه مجدد القرن الرابع عشر؟ ومن أعلن مجيئه من الله تعالى وادّعى أنه ملهَم ومبعوث من الله؟ يصابون بسكوت مطبق ولا يستطيعون أن يقدّموا شخصا ادّعى ذلك.

وليكن معلوما أيضا أن الإعلان بكون المرء "المسيح الموعود" ليس أكبر من الادعاء بكونه ملهَما ومجدِّدا من الله. من الواضح تماما أن مَن يحظى بشرف المكالمة

مع الله تعالى، وسماه الله تعالى بنفسه سواء أكان ذلك الاسم "مثيل المسيح" أم "مثيل موسى"؛ تكون كل هذه الأسماء جائزة في حقه. لا تكمن الفضيلة الحقيقية في كون الإنسان مثيلا، بل الفضيلة الحقيقية هي كونه ملهَما من الله وكونه كليم الله. فمن نال فضيلة المكالمة الإلهية وكلِّف من الله بخدمة الدين فيمكن أن يسميه الله جلّ شأنه بأي اسم بحسب مقتضى الوقت. ثم إن التسمية بحد ذاتها ليست بأمر ذي بال. فهناك كثير من المسلمين الذين يسمّون بأسماء الأنبياء مثل موسى وعيسى وداود وسليمان ويعقوب وغيرهم، وذلك تفاؤلا منهم أن يتخلّقوا بأخلاقهم. فلو أكرم الله تعالى أحدا بشرف مكالمته وأطلق عليه اسما مناسبا نظرا إلى مقتضى الحال فلِمَ يستبعدُ ذلك؟

إن تسمية مجدد هذا العصر باسم "المسيح الموعود" مبني على حكمة أن مهمة هذا المجدد العظيمة هي كسر غلبة المسيحية ودفع صولات أهلها ودحض فلسفتهم التي تعارض القرآن الكريم بالأدلة القوية، وإتمام حجة الإسلام عليهم، لأن الآفة الكبرى على الإسلام في العصر الحاضر التي لا يمكن أن تزول إلا بتأييد من الله تعالى؛ هي هجمات المسيحيين الفلسفية والمطاعن الدينية التي كان ضروريا أن يأتي لدحضها أحد من عند الله. وكما كُشف علي؛ كانت روح المسيح عليه السلام متحمسة للنزول التمثّلي نظرا إلى الافتراءات التي افتُريت عليه في هذا العصر، وكانت تتوسل إلى الله تعالى لتنزل في هذا الوقت على سبيل التمثّل. فأرسل الله تعالى مثيله في الدنيا نظرا إلى حماسها ليتحقق الوعد الذي وُعد به من قبل.

ومن الأسرار الإلهية أنه كلما تطرق الفساد إلى الشريعة بعد وفاة رسول أو نبي أو حُرِّفت تعاليمه وهداياته الحقيقية ونُسبت إليه أمور سخيفة ولاغية، وقيل افتراءً وبغير وجه حق بأن ذلك النبي هو الذي علّم كل هذا الكفر والسيئات؛ نشأ في قلب ذلك النبي تركيز شديد وحماس أشد لإزالة تلك التهم والمفاسد. عندها تقتضي روحانيته أن

يُخلق في الأرض أحد ليقوم مقامه.

والآن اسمع جيدا نكتة معرفةٍ أن المسيح ﷺ واجه حالتين طلبتْ فيهما روحانيته شخصا يقوم مقامه: أولا حين مضت ست مئة سنة على وفاته وأصر اليهود كثيرا على أنه كان مكّارا وكاذبا، والعياذ بالله، وأن ولادته كانت غير شرعية وأنه صُلب لهذا السبب. أما المسيحيون فقد غالَوا بحقه واتخذوه إلها وابن إله، وأنه ضحى بحياته على الصليب من أجل نجاة العالم. فقد طعن اليهود الأشرار بالمسيح ﷺ طعنا لاذعا ينافي مقتضى التحضر، وحسبوه ملعونا ومفتريا وكاذبا ومولودا غير شرعي، والعياذ بالله؛ وذلك بحسب العبارة الواردة في سِفر التثنية في التوراة القائلة بأن الذي يعلَّق على الصليب هو ملعون من الله. أما المسيحيون فقد أطروه مدحا واتخذوه إلها واتهموه أنه هو الذي قدَّم هذا التعليم. عندها هاجت روحانية المسيح بإعلامٍ من الله وأرادت تبرئتها من كافة تلك التهم، وطلبت من الله تعالى أن يُبعث شخص يقوم مقامه. فبُعث نبينا ﷺ الذي كان من أهداف بعثته الكثيرة أن يطهّر المسيح من كافة تلك التهم غير المبررة ويشهد على صدقه. لذلك قال المسيح بنفسه في إنجيل يوحنا: "لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، *(أي محمد ﷺ)* وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ * وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: * أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي * وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا * وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ... * وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. *ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي. (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا ١٦: ٧-١٤)

وقد جاء أيضا: "وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ

يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ. (إِنْجِيلُ لوقا: ١٤)[١٢٢]

وجاء في إنجيل لوقا: "وَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتٌ تَقُولُونَ فِيهِ: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!" (*أي باسم المسيح* عليه السلام) (إِنْجِيلُ لُوقَا ١٤)[١٢٣] إن قول المسيح: "أرسله إليكم" في العبارة المذكورة يدل بوضوح أن روحانية المسيح ستقتضي مجيئه. والجملة: "سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي" تدل على أن ذلك المقبل سينال روحانية المسيح كلها، ويكون مسيحا بحسب أحد فروع كمالاته، كما أنه موسى بحسب فرع آخر. والحق أن نبينا ﷺ يجمع في نفسه أسماء جميع الأنبياء، لأن ذلك الوجود المقدس جامع لجميع الكمالات المتفرقة. فهو موسى وعيسى وآدم وإبراهيم ويوسف ويعقوب أيضا. هذا ما أشار الله جلّ شأنه إليه في قوله: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[١٢٤]. أيْ اجمَعْ في نفسك يا رسول الله الهدايات المتفرقة كلها التي كان يجمعها كل نبي في نفسه بوجه خاص؛ فتبين من ذلك أن كمالات كل الأنبياء كانت مجتمعة في شخص النبي ﷺ. والحق أن اسم "محمد" ﷺ يشير إلى هذا الأمر، لأن معنى "محمد" هو الذي حُمد إلى أقصى الحدود. والحمد إلى أقصى الحدود لا يتصور إلا إذا اجتمعت في النبي ﷺ كمالات جميع الأنبياء المتفرقة وصفاتهم الخاصة. فهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم التي تسجيلها هنا سوف يسبب الإطالة، تدل على ذلك، بل تقول بصراحة تامة بأن شخص النبي ﷺ المقدس كان مَجمعَ الأنبياء من حيث صفاته وكمالاته؛ فوجد كل نبي صلة معه ﷺ وظن أن المبعوث المقبل سيُبعث باسمه هو. ويقول القرآن الكريم إن هذا النبي أَولى الناس بإبراهيم. وهناك حديث في صحيح البخاري يقول النبي ﷺ فيه ما مفاده بأن لي صلة متينة مع المسيح ووجودي ملحَق بوجوده. فهذا الحديث يصدق

---

[١٢٢] *هكذا ورد في الأصل بسهو الناسخ، والصحيح: إنجيل يوحنا: ١٤. (المترجم)*

[١٢٣] *هكذا ورد في الأصل بسهو الناسخ، والصحيح: إنجيل لوقا: ١٣. (المترجم)*

[١٢٤] *الأنعام: ٩١*

كلام المسيح حيث قال بأن ذلك النبي سيأتي باسمي. فهذا ما حدث؛ أي حين جاء مسيحنا ﷺ فقد أكملَ جميع مهمات المسيح الناصري غير المكتملة وشهد على صدقه، وبرّأه من كافة التهم التي ألصقها به اليهود والنصارى، وأسعد روحَ المسيح. هذا كان حماس روح المسيح للمرة الأولى الذي بلغ منتهى مرامه ببعثة سيدنا ومسيحنا خاتم الأنبياء ﷺ، فالحمد لله.

ثم هاجت روحانية المسيح للمرة الثانية حين استولت صفة الدجل على النصارى بوجه أتم وأكمل، ففعلوا حسبما ورد أن الدجال سيدّعي النبوة والألوهية. أما ادعاؤهم النبوة؛ فبأنهم تدخلوا في كلام الله من عند أنفسهم ودوّنوا قواعد وقاموا بالنسخ والترميم الذي كان من مهمة نبي، فأبقوا حُكما أرادوه واخترعوا من عندهم معتقدات وطرق عبادة وتدخّلوا بلا قيود ولا حدود ودون مبرر، وكأن وحي الله تعالى قد نزل عليهم في هذه الأمور. إذًا، فإن التدخل غير المبرر في كتب الله إنما هو ادّعاء النبوة بتعبير آخر. أما ادعاء الألوهية؛ فقد أراد فلاسفتهم أن يسيطروا على أمور الألوهية كلها بأية طريقة، كما تشهد أفكارهم على إرادتهم هذه بأنهم عاكفون ليل نهار على أن يتمكّنوا من إنزال المطر، وأن يخلقوا الأولاد أيضا بوضع النطفة في رحم المرأة بواسطة آلة ما. ويعتقدون أن قدر الله ليس بشيء يُذكر، بل إنّ فشلنا نتيجة خطئنا في التخطيط يُعَدُّ قدرا. وكل ما يُنسب إلى الله تعالى في هذا العالم سببه عائد إلى أن الناس في قديم الزمان لم يعرفوا أسبابا طبيعية لكل شيء، فسمَّوا حدود جهدهم إلها وقدرا إلهيا. أما الآن؛ فحين تصبح سلسلة العلل الطبيعية معلومة لدى الناس كليا، ستزول كل هذه الأفكار الواهية تلقائيا.

فيجب الانتباه؛ أليست أقوال فلاسفة أوروبا وأميركا هذه ادعاءً للألوهية؟ وبناء على ذلك يسعون دائما أن يحيا الأموات أيضا بطريقة ما، وإن فريقًا من الفلاسفة النصارى في أميركا عاكفون على هذه التجارب. وقد بدأوا بإنزال المطر ويريدون أن

يقدّم الناس طلبا إلى الحكومة لإنزال المطر في مزرعة معينة بدلا من أن يدعو الله تعالى لهذا الغرض أو يصلّوا صلاة الاستسقاء. أما في أوروبا فالمحاولات جارية ليبتكروا عملية استقرار النطفة في الرحم، وليخلقوا ذكرا إذا أرادوا وأنثى إذا شاءوا، وأن يضعوا نطفة رجل في رحم امرأة بواسطة جهاز معين ويجعلوها بذلك حُبلى. انظروا الآن؛ أليست هذه محاولة السيطرة على الألوهية؟ لقد ورد في الأحاديث أن الدجال سيدّعي النبوة أولا ثم يدّعي الألوهية، ولكن لو استنبطنا من ذلك أنه سيدَّعي النبوة لبضعة أيام أولا ثم يدعي الألوهية فهذا المعنى باطل بالبداهة؛ لأن الذي يدّعي النبوة يلزمه أن يقرّ بوجود الله ويعلن أيضا أن وحي الله ينزل عليه، وأن يقرأ على الناس كلام الله الذي نزل عليه من الله، وعليه أن يكوّن أمة تؤمن به نبيا وتعتبر كتابه كتاب الله.

والآن يجب الانتباه؛ كيف يمكن لمدَّعٍ مثله أن يدّعي الألوهية أمام الأمة نفسها؟ لأنه يمكن أن يقول هؤلاء الناس بكل سهولة بأنك مفتر كبير إذ كنتَ تقرّ بوجود الله من قبل وكنت تقرأ علينا كلام الله، والآن ترفض ذلك وتدّعي الألوهية بنفسك. فما دام كذبك ثابتا بإقرارك أنت، فأنّى لنا أن نصدّق ادعاءك الثاني؟ إن الذي اعترف بوجود الله من قبل وعدَّ نفسه عبدا وظلّ ينشر إلهاماته الكثيرة بين الناس إلى سنين عديدة على أنها من كلام الله، كيف يمكن أنْ يُعدّ إلها منحرفا عن كافة إقراراته؟ ومن سيؤمن بكذاب مثله؟ إذًا، فالمعنى الذي ذهب إليه العلماء المعاصرون فاسد تماما؛ والمعنى الصحيح هو أن المراد من ادعاء النبوة هو التدخل في أمور النبوة، والمراد من ادعاء الألوهية هو التدخل في أمور الألوهية كما يقوم المسيحيون بكل هذه التصرفات اليوم. إن فئة منهم تعدّل الإنجيل وكأنهم أنبياء تنزل عليهم الآيات. وفئة أخرى تتدخل في أمور الألوهية وكأنهم يريدون أن يسيطروا على الألوهية كليا.

فلباب القول؛ إن دجل المسيحيين في هذا العصر قد بلغ منتهاه، وقد أهرقوا

لتثبيته الأموال كالماء، وتركوا تأثيرا سلبيا على عشرات الملايين من خلق الله بواسطة الخطابات والكتابات والأموال والنساء والأغاني واللهو واللعب وبتسمية أنفسهم أطباء. فقد أثّروا في كل بلد ومن كل جانب وبكل أسلوب. وقد نُشِرَ ما يقارب ستين مليون كتاب بهدف ترويج الظاهرة السيئة لعبادة عيسى. ففي هذا العصر هاجت روحانية عيسى مرة أخرى وأرادتْ أن ينزل إلى الدنيا على طريق التمثّل. وعندما تولّدت فيه رغبة شديدة للنزول التمثّلي، أرسل الله تعالى في هذا الزمن بحسب إرادته شخصا هو نموذجُ روحانيته لاستئصال الدجال. فقد سُمّي هذا النموذج مسيحا موعودا متصبغا بصبغة المسيح عليه السلام لأن الحقيقة العيسوية قد حلّت فيه؛ بمعنى أن الحقيقة العيسوية قد اتحدت معه وخُلق هو بمقتضى روحانية المسيح، فقد انعكست فيه الحقيقة العيسوية كما تنعكس الأشكال في المرآة. ولما كان هذا النموذج قد ظهر بحسب مقتضى روحانية المسيح عليه السلام، لذا سُمّي باسم عيسى؛ لأن روحانية عيسى طلبت من الله القادر عزّ اسمه نتيجة حماسها مثيلا لها، واقتضت أن يودَع هذا المثيل حقيقة عيسى لينزل هذا المثيل، فكان كذلك. ففي هذا البيان ردٌّ أيضا على شبهة أنه لماذا اختُصّ المسيح دون غيره بالنزول، وما قيل بأن موسى سينزل أو إبراهيم أو داود سينزلان؛ لأنه قد تبين هنا بكل جلاء أن نزول المسيح فقط كان ضروريا بالنظر إلى الفتن الحالية؛ لأن أمة المسيح هي التي فسدت وفي قومه انتشر الدجل، لذا فإن الهياج في روحانية المسيح كان هو الأنسب. وهذه هي المعرفة الدقيقة التي كُشفت عليّ بالكشف، وكُشف أيضا بأنه كان من المقدر أن يعود إلى العالم الفسادُ والشرك والظلم بعد مرور فترة الخير والصلاح وغلبة التوحيد. وسيأكل البعض غيره كالديدان، ويسود الجهل بشدة متناهية وسيُعبَد المسيح مرة أخرى وسينتشر جهل اتخاذ المخلوقات آلهةً بمنتهى الشدة. وكل هذه المفاسد ستنتشر في الدنيا في الجزء الأخير من الزمن الأخير بواسطة الديانة المسيحية. عندها تهيج

روحانية المسيح بشدة متناهية وتقتضي نزولها بالجلال. فتنزل بصورة المثيل الجلالي وينتهي ذلك الزمن. عندها تكون النهاية وتُطوى صفحة الدنيا. فتبين من ذلك أنه كان مقدرا لروحانية المسيح أن تنزل إلى الدنيا ثلاث مرات نتيجة تصرفات أمة المسيح غير اللائقة.

وفي هذا المقام هناك نقطة أخرى جديرة بالانتباه وهي أن روحانية نبينا الأكرم ﷺ أيضا ظلت تنزل دائما عند غلبة المفاسد الداخلية في الإسلام. وظلت الحقيقة المحمدية تتجلى دائما من خلال متّبِع كامل. وأما أحاديث رسول الله ﷺ عن ولادة **المهدي** وقوله: إن اسمه سيكون كاسمي، وخُلقه كخُلقي فإنها، إن صحّت، تشير إلى نزول تلك الروحانية نفسها، ولكن هذا النزول لا ينحصر في شخص معين، إذ قد خلا مئات من الناس الذين كانت الحقيقة المحمدية متحققة فيهم وسُمّوا عند الله "محمد" أو "أحمد" بصورة ظلية. ولكن لأن أمة النبي ﷺ المرحومة ظلت محفوظة بفضل الله تعالى من المفاسد التي واجهتها أمة عيسى عليه السلام، ولا يزال في هذه الأمة آلاف الصلحاء والأتقياء الراغبين عن الدنيا الدنية، ويدوّي في المساجد صوت التوحيد خمس مرات يوميا بحيث تصل موجات التوحيد المحمدي إلى عنان السماء، فمتى كان لروحانية النبي ﷺ أن تهيج لهذا؟ كما هاجت روح المسيح عليه السلام بسبب مواعظ المسيحيين المسيئة وأعمالهم المنفِّرة وتعليماتهم المشركة وتدخّلهم غير المبرر في النبوة وإشراكهم بالله؟ لم يكن ممكنا أن يحدث هذا الهياج في هذا الزمن في روح موسى عليه السلام أيضا من أجل أمته لأنها قد هلكت الآن ولم يبق من ذريتهم على وجه الأرض إلا بضع مئات من الآلاف، وينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، وهم غارقون في الأفكار الدنيوية وساقطون من الأنظار. ولكن عدد الأمة المسيحية يربو على أربع مئة مليون وينشرون أفكارهم الدجالية بكل شدة وقوة. ويرسّخون مكائدهم الشيطانية في القلوب بشتى الأساليب. منهم من يتجوّل

كالوعاظ، وبعضهم يتغنون بالأغاني كالمطربين، ومنهم مَن يُلقون على مسامع الناس قصائد عن التثليث كالشعراء، وبعضهم يشيعون أفكارهم كالرهبان، وفيهم من أخذوا على عاتقهم خدمة ترجمة إنجيلهم المحرّف إلى لغات مختلفة، كما أنهم يؤلّفون الكتب ضد الإسلام في شتى اللغات ويوزّعونها على الناس، وبعضهم يرسِّخون في أذهان الناس صورة الإسلام المشوهة من خلال المسرحيات. وفي هذه الأعمال يبذلون عشرات الملايين من أموالهم. ومنهم من يكوّنون جيشًا ويسمونه جيش الخلاص ويتجولون في بلاد مختلفة. كما أنّ نشاطاتهم الأخرى التي يقوم بها رجالهم ونساؤهم قد ألحقت أضرارا فادحة بعشرات الملايين من عباد الله. لقد بلغ السيل الزبى بكل معنى الكلمة وطفح الكيل تماما، لذا كان ضروريا أن تهيج روحانية المسيح عليه السلام في هذا الزمن وتقتضي نزول مثيلها المتحد مع حقيقتها؛ فهذه علامة كبيرة لمعرفة صدقي ولكن للذين يفقهون. ويجب أن ينتبه بوجه خاص إلى هذه النكتة اللطيفة الصوفية المسلمون المتعودون على طلب البركات من القبور والذين يعتقدون أن روحانية نبي أو ولي مات من قبل يمكن أن تتحد أحيانا مع رجل من رجال الله الأحياء، حيث يقولون: إن الولي الفلاني على قدم موسى والولي الفلاني على قدم إبراهيم، أو يقولون إنه محمديّ المشرب أو إبراهيميّ المشرب.

(٣) وعلامة صدقي الثالثة هي أن بعض أهل الله قد أنبأوا بمجيئي قبل الموعد بعدة سنين، حتى صرّحوا بتفاصيل اسمي ومسكني وعمري أيضا، وقد كتبتُ ذلك في كتابي: "الآية السماوية".

(٤) وعلامة صدقي الرابعة هي أنني بعثتُ نحو ١٢٠٠٠ رسالة وإعلانا إلى أهل الأديان الأخرى وخاصة إلى القساوسة الذين لم أترك على ما أظن ولا قسيسا معروفا في أوروبا وأميركا والهند دون أن أرسل إليه رسالة بالبريد المسجل ودعوتهم فيها للمبارزة في البركات الإلهامية، ولكن رعب الحق استولى عليهم جميعا. ولكن المشايخ

من قومنا الذين يطعنون في هذه الدعوة إنما يأكلون نجاسة الكذب. وقد بُشّرتُ بالقطع واليقين بأنه إذا بارزني أحد من أهل الأديان المعارضة فسأكون أنا الغالب عليه، أما هو فسيواجه الخزي والذلة. أما الذين يسمون أنفسهم مسلمين ويشكّون في أمري فلماذا لا يحثّون أحدا من القساوسة المعاصرين على مبارزتي؟ فليقولوا لقسيس أو بانديت بأن هذا الشخص مفترٍ في الحقيقة فلا ضير في مواجهته ونحن نضمن لك ذلك، ثم الله تعالى سيحكم في الأمر. وأنا راضٍ أن أسلّم لهذا القس أو البانديت - إن ثبت كذبي - جلّ عقاراتي التي أملكها في هذا العالم وحزتُها وراثةً من أراضٍ وغيرها، ولكن إذا ثبت كذبه هو فلا أطلب منه إلا أن يُسلم. ولقد جزمتُ ذلك في قلبي وقلتُ من الأعماق وأقول حلفا بالله جلّ شأنه بأني جاهز لهذه المواجهة، ومستعد لنشر إعلان أيضا، بل قد نشرت ١٢٠٠٠ إعلانا سابقا، وتعبتُ من كثرة دعوتهم ولكن لم يبرز أحد من الbانديتات أو القساوسة بحسن النية. أيّ دليل أقوى على صدقي من أني جاهز لهذه المواجهة كل حين وآن. وإن لم يدّع أحد من القساوسة أو البانديتات إراءة آية مقابلي فليس عليه سوى أن ينشر في الجرائد بأنه جاهز لرؤية آية خارقة من جانب واحد، وأنه إذا ظهر أمر خارق للعادة ولم يستطع مواجهته فسيُسلم فورا، وإنني أقبل هذا الاقتراح أيضا. فليسعَ المسلمون في ذلك وليختبروا الذي يسمونه كافرا وملحدا ودجالا مقابل قسيس من القساوسة ويكتفوا بالتفرج على المواجهة.

(٥) علامة صدقي الخامسة هي أنني أُخبرتُ بأني غالب على المسلمين الآخرين في العلوم الكشفية والإلهامية؛ فعلى ملهَميهم أن يبرزوا مقابلي، ولو غلبوني في التأييد السماوي والبركة السماوية والآيات السماوية فليذبحوني بأي سكين شاؤوا، ولا مانع عندي في ذلك. وإن لم يكونوا قادرين على المواجهة فعلى أصحاب فتاوى التكفير الذين هم مخاطَبون في إلهامي والذين تلقيت إلهاما لأخاطبهم أن يعترفوا خطيا

وينشروا بأنهم سيقبلون ادّعائي دون توقف وتردد إن رأوا أمرا خارقا للعادة. إنني جاهز لذلك أيضا وإن معي ربي. ولكني أُمرتُ أن أقوم بهذه المواجهة مع أئمة الكفر فقط، وأباهلهم وحدهم وأقوم بهذه المبارزة معهم فقط إن شاؤوا. وليكن معلوما أنهم لن يخرجوا للمواجهة لأن قلوبهم مذعورة برعب الصدق، وإنهم يعرفون ظلمهم واعتداءهم جيدا، فلن يباهلوا قط. ولكني سأنشر قريبا إعلانا بأسمائهم في كتابي "دافع الوساوس".

أما عامة الناس الذين ليسوا أئمة ولا علماء، ولم يُصدروا الفتوى، فقد أُمرتُ فيهم أن يمكثوا في صحبتي إن كانوا يريدون أن يروا الخوارق. والله تعالى غنيٌّ فلا يبالي بأحد ما لم ير فيه التذلل والتواضع. أما أنا العبد المتواضع فلن يضيعني ﷻ، وسيتم حجته على الدنيا. ولن يمضي وقت طويل حتى يُري آياته. ولكن مباركون أولئك الذين آمنوا قبل ظهورها، فهم عباد الله الأحباء وهم الصادقون الذين ليست فيهم شائبة من الخديعة. الذين يطلبون الآيات فسيعضّون على أيديهم بحسرة على أنهم لم ينالوا رضا الله تعالى الذي ناله أولئك الذين آمنوا بناء على القرائن ولم يطلبوا آية.

فجدير بالذكر أن الله تعالى لن يترك جماعته دون أن يثبت صدقها؛ فيقول، كما هو مسجل في البراهين الأحمدية: "جاء نذيرٌ في الدنيا، فأنكروه أهلها وما قبلوه، ولكن الله يقبله، ويُظهر صدقه بصولٍ قويٍّ شديدٍ صول بعد صولٍ."

أي إن الخزي والهوان مقدَّر للذين أنكروا وللمستعدّين للإنكار، فإنهم لم يفكروا بأنه لو كان هذا افتراء الإنسان لهلك منذ زمن طويل، لأن الله تعالى يعادي المفتري بما لا يعادي غيره في العالم. إن هؤلاء الحمقى لا يفكرون؛ هل يمكن أن توجد مثل هذه الاستقامة والشجاعة في كاذب؟ إن هؤلاء الجهلة لا يدرون أن الذي يتكلم من الملاذ الغيبي هو الوحيد الذي يحق له أن يتسم كلامه بالشوكة والهيبة؛ فهو وحده يتحلى بشجاعة ليواجه وحده العالم كله. فانتظروا موقنين أن الأيام قادمة، بل هي

قريبة حين يسودّ وجه الكاذب وستعلو البشاشة وجوه الأصدقاء. فمن هو الصديق؟ هو الذي آمن بي قبل رؤية الآيات، والذي ضحَّى بنفسه وماله وكرامته وكأنه رأى آلاف الآيات، هؤلاء هم لي، وهم جماعتي الذين وجدوني وحيدا فنصروني، ووجدوني حزينا فواسَوني وتأدّبوا كالمعارف مع أنهم ما كانوا من المعارف، رحمهم الله تعالى. فلو آمن أحد بحقيقة مكشوفة بعد رؤية الآيات فما لي وله، وأيّ أجر سيناله؟ وما مكانته عند الله؟ لم يؤمن بي حقيقةً إلا من رآني بنظرة ثاقبة واهتم بكلامي بفراسة وتمحص أحوالي، وسمع كلامي وأمعن النظر فيه، ثم شرح الله صدره بهذا القدر من القرائن وصار معي. إن الذي معي هو ذلك الذي يترك مرضاته من أجل مرضاتي، ويتخذني حَكما في اتباع نفسه أو التخلي عنها من أجلي، ويسلك سبيلي، ويفنى في طاعتي وينسلخ من الأنانية.

أقول متأوّها بأن الذين يطلبون الآيات المكشوفة لا ينالون عند الله ألقابا جديرة بالإشادة ومراتب جديرة بالمكرمة التي سينالها الصادقون الذين عرفوا السرّ المكنون بأن عبدا كان خافيا تحت رداءِ الله جلّ جلاله فاشتمّوا رائحته. ما ميزة الإنسان في أن يرى أميرا في جيشه بجاهه وجلاله ثم يسلّم عليه؟ إن صاحب الكمال هو الذي يجد ذلك الأمير في لباس الشحاذين ثم يعرفه. ولكن ليس بوسعي أن أهب هذه الفطنة لأحد، بل يهبها الوحيد ﷻ لمن يشاء. ومن أحبّه أعطاه فِراسة الإيمان؛ فبهذه الأمور ينال المهتدون الهداية، وبهذه الأمور نفسها يزداد اعوجاجًا أولئك الذين اعوجّت قلوبهم من قبل.

أعلمُ أني قد كتبت ما فيه الكفاية في موضوع الآيات. وإن الله يشهد أن قرابة ثلاثة آلاف أمر أو أكثر مما يفوق قدرة البشر قد صدر منه تعالى من أجلي، ولن يُغلَق هذا الباب في المستقبل أيضا. إن ذكر ميعادٍ أدنى لتحقق هذه الآيات بعيد عن الأدب والله غنيّ حميد. حين كان كفار مكة يسألون النبي ﷺ: متى ستظهر الآيات؟

فلم يردّ عليهم الله تعالى قط بأنها ستظهر بتاريخ كذا وكذا، لأن هذا السؤال كان مبنيا على الإساءة وبدافع التجاسر أصلا. إن الإنسان يهدر سنين طويلة في انتظار أمور الدنيا الدنية التي لا حقيقة لها، وللتقدّم لامتحان واحد يجهّز نفسه إلى عدة سنوات، ويبدأ ببناء بنايات لا تكتمل إلى عدة سنوات، ويزرع في بستانه غراسا لا بد من الانتظار الطويل قبل أن يأكل ثمارها، فلماذا يستعجل في أمر الله؟ لا سبب وراء ذلك إلا أنه يحسب الدين لهوا ولعبا. إن الإنسان يطلب آية من الله ولكن لا يجزم في قلبه أيّة تضحية سيقدم في سبيله بعد رؤية الآية، وإلى أيّ مدى سيهجر الدنيا، وإلى أيّ مدى سيتبع عبد الله المبعوث منه، بل يأخذ الغافلُ الآيةَ مأخذ اللهو والهزل. لقد طلب الحواريون من المسيح آية أن تنزل عليهم مائدة لكي تزول بعض شبهاتهم عنه، فيقول الله تعالى في القرآن الكريم على لسان المسيح ما معناه: قل لهم بأني سأُري هذه الآية، ولكنه إذا لم يؤمن بي أحدكم بعد ذلك كما هو حق الإيمان فسأعذبه عذابا لم أعذّبه أحدا من قبل، فتاب الحواريون عن طلب الآية بسماع هذا الكلام.

يقول الله تعالى بأنه كلما أنزل عذابا على قوم فإنما أنزله بعد إراءة الآيات كما يقول في عدة آيات من القرآن الكريم بأن نزول الآيات إنما هو تمهيد لنزول العذاب. والسبب في ذلك أن الذي يطلب الآية يتحتم عليه أن يتخلى عن حب الدنيا دفعة واحدة بعد رؤية الآية، ويلبس لباس الزهاد ويرى عظمة الله تعالى وهيبته ويؤدي حقهما. لكن لما كان الإنسان الغافل لا يستطيع أن يكون مطيعا إلى هذه الدرجة، لذا فإن رؤية الآيات بالشروط تصبح وبالا عليه لأن حجة الله تقوم بعد الآية لذا فلو قصّر بعد ذلك في الطاعة الكاملة لأحاط به غضب الله ولمحا أثره.

أما سؤالك الثالث فيتعلق بالاستخارة التي هي استخبار في الحقيقة. فليكن واضحا عليك أن المشاكل التي ذكرتها لا وجود لها في الاستخارة. لا أقصد مما قلتُ في إحدى العبارات إلا أنه يجب أن يستخير المرء حين لا تكون عواطف الحب

والعداوة هائجة لسبب ما؛ فمثلا إذا كان يعادي شخصا ونام في حالة الغضب والعداوة ورأى عدوه هذا في صورة كلب أو خنزير أو في صورة سَبُع فسيزعم أن ذلك الشخص كلب أو خنزير عند الله في الحقيقة ولكن زعمه هذا باطل لأنه إذا رأى في المنام عدوه عند ثورة العداوة فإنه يراه في معظم الأحيان بصورة السباع أو الحيات، ومن الخطأ الاستنتاج من ذلك بأن ذلك الشخص سيئ في الحقيقة. بل لأنه كان مثل السباع بحسب رأي صاحب المنام وفهمه، لذا قد رآه في منامه كالسباع.

فما أقصده هو أن صاحب المنام يجب أن يكون خاليا من الأهواء النفسانية وهادئ البال ويستخير بقلب ميّال إلى الحق ولإظهار الحق فقط. لا أستطيع أن أعِد بأن يرى كل شخص- سواء أكان صالحا أم طالحا- مناما حتما، ولكن أستطيع أن أقول عنك بالذات بأنك لو استخرتَ إلى أربعين يوما بحسب الشروط المذكورة في كتاب: "القرار السماوي" متوجها إلى الحق، فلسوف أدعو لك. حبذا لو استخرتَ أمامي ليكون تركيزي على الموضوع أكثر. وهذا ليس صعبا عليك إذ يسافر الناس لفريضة الحج والحج نفلا أيضا، ولكن في حالتك هذه تنال الثواب أكثر من الحج نفلا، وفي الغفلة خسارة وخطورة لأن الجماعة سماويةٌ والأمرَ أمرُ الله.

إن الرؤيا الصادقة تُظهر آثار صدقها بنفسها، وتلقي بتأثير النور في القلب، وتخترق القلب مثل المسمار الحديدي، فيقبلها القلبُ ويستولي نورها وهيبتها على كل ذرة من الكيان. فإذا انصرفتَ إلى هذا الأمر بحضوري وبحسب توجيهي وتعليماتي فإنني أعِدك بأني سوف أسعى من أجلك كثيرا لأن ظني فيك حسن جدا، وأرجو من الله تعالى ألا يضيعك بل يزيدك رشدا وسعادة. لقد أخذتُ كثيرا من وقتك لذا أنهي الموضوع هنا. والسلام على من اتبع الهدى.

لقد تبين بعد إعادة قراءة رسالتك أن هناك أمرا يحتاج إلى مزيد من التفصيل وهو طلبُك أن أدعوَ لتكون استخارة كل شخص بريئة من تدخّل الشيطان. فيا عزيزي إنه

مما يخالف سنن الله الطبيعية أن يعطّل الشياطين عن أعمالهم المخصصة لهم. يقول الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٢٥]. أي عندما يريد الرسول أو النبي شيئا نتيجة حماسه القلبي، فإن الشيطان يتدخّل فيه. ولكن الوحي المتلو بما فيه من الشوكة والهيبة والنور التام؛ ينسخ هذا التدخّل ويُري مشيئة الله تعالى صافية ونزيهة. وهذه إشارة إلى أن الأفكار التي تنشأ في قلب نبي والخواطر التي تخطر بباله، إنما هي وحي كلها في الحقيقة، ويشهد على ذلك القرآن الكريم حيث يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١٢٦]. ولكن وحي القرآن الكريم يمتاز امتيازا كليا عن أي وحي آخر ينزل من الله تعالى بالمعنى فقط. وإن أقوال النبي كلها تدخل في عداد الوحي غير المتلو، لأن بركة روح القدس ونوره يخالف النبي دائما ويكون كل قول من أقواله مليئا ببركته، وتوضع في كلامه تلك البركة بروح القدس. فكل كلام يتفوه به النبي نتيجة التركيز التام وفكره الكامل يكون وحيا دون شك، والأحاديث كلها تدخل في عداد هذا الوحي الذي يسمَّى الوحي غير المتلو.

يقول الله تعالى في الآية المذكورة آنفا بأن الشيطان يتدخل في بعض الأحيان في هذا الوحي الأدنى درجة أي في الحديث، وذلك حين تتمنى نفس النبي شيئا فيخطئ النبي في الاجتهاد. وإن خطأ النبي في الاجتهاد إنما هو خطأ الوحي في الحقيقة، لأن النبي لا يخلو من الوحي في حال من الأحوال، بل تفنى نفسه ويكون في يد الله تعالى كأداة. فلما كان كل ما يصدر عن لسانه وحيا، فكلما أخطأ في الاجتهاد عُدَّ خطأ في الوحي وليس في الاجتهاد. يقول الله تعالى في القرآن الكريم ردّا على ذلك بأن

---

[١٢٥] *الحج: ٥٣*

[١٢٦] *النجم: ٤-٥*

وحي النبي- الذي يمكن أن نسميه الاجتهاد أيضا بتعبير آخر- يختلط بمس الشيطان وذلك حين يتمنى النبي أن يحدث كذا وكذا، ففي ذلك الحين تخطر بباله فكرةٌ بحسب ذلك، فيعقد العزم على الثبات عليها عندها ينبّه الوحيُ الأكبر الذي هو كلام الله والوحي المتلو والمهيمنُ النبيَّ على هذا الخطأ فورا.. إن الوحي المتلو يكون نزيها تماما عن تدخّل الشيطان لأن فيه هيبة وشوكة عظيمة ونورا عظيما، وهو قول ثقيل وشديد النزول أيضا، وإن أشعته القوية تحرق الشيطان؛ لذا يفر منه الشيطان فرارا ولا يسعه أن يقربه، ويحظى هذا الوحي بحماية كاملة من الملائكة. أما الوحي غير المتلو، الذي يدخل فيه اجتهاد النبي أيضا، فليست فيه تلك القوة. لذا فإن الشيطان يتدخل أحيانا في اجتهاد نبي أو رسول عند التمنّي الذي ينشأ على سبيل الندرة في الاجتهاد، ولكن الوحي المتلو ينسخ هذا التدخل. فلهذا السبب قد حدث في اجتهادات الأنبياء أيضا خطأ أحيانا، ولكنه أُزيل فيما بعد.

فملخص الكلام أنه ما دام في قانون الله الطبيعي أن تدخّل الشيطان بحسب تصريح القرآن في أحد أنواع وحي النبي والرسول أي الوحي غير المتلو ممكن، فكيف يحق لأحد أن يطلب التبديل في هذا القانون؟ وإضافة إلى ذلك فإنّ صدق المنام وصفاءه يعتمد على حسن الطوية والصدق وطهارة صاحبه الباطنية؛ هذا هو قانون الطبيعة منذ القِدم الذي وصلَنا بواسطة رسوله ﷺ، وهو أنه لا بد للرؤى الصادقة من أن يكون صاحبها في حالة اليقظة صادقا دائما ومستقيما لوجه الله. ومما لا شك فيه أن الذي يسلك على هذا القانون ويعوّد قلبه على الصدق والسلوك المستقيم تماما فستكون رؤاه صادقة. يقول الله جلّ شأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[١٢٧] أي الذي يطهر نفسه من الأفكار والنيات الباطلة، ومن الأعمال والمعتقدات الباطلة؛ يتحرر من ربقة الشيطان، وسيكون بريئا في الآخرة من العقوبات الأخروية، ولن يتغلب عليه

[١٢٧] *الشمس:* ١٠

الشيطان. ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[١٢٨] أي يا أيها الشيطان لن تغلب عبادي الذين يسلكون مسالك مرضاتي. فما لم يخرّ الإنسان على عتبات الله متخليا عن كل أنواع الاعوجاج والأفكار الفاسدة والطرق السخيفة، كان له انسجام مع عادةٍ من عادات الشيطان، وبسبب هذا الانسجام يتوجه الشيطان إليه ويسعى إليه. وما دام الحال على هذا المنوال فأية خطوة أستطيع أن أتخذها خلافَ نواميس الله في الطبيعة حتى يبتعد الشيطان عن منامه؟ ومن سلك مسالك الرحمانية ابتعد عنه الشيطان تلقائيا.

وإذا طُرح سؤال أنه ما دام الموضوع ليس في مأمن من تدخّل الشيطان بوجه تام، فكيف يمكن لنا أن نثق بأن رؤانا من الرحمن؟ أليس ممكنا أن نعُدّ الرؤيا من الرحمن وهي في الحقيقة من الشيطان، والعكس صحيح؟

وجواب هذه الشبهة هو أن الرؤيا من الرحمن تُعلَم تلقائيا من خلال شوكتها وبركتها وعظمتها ونورها. فالشيء الذي ينبع من النبع الطاهر ترافقه الطهارة والرائحة الزكية، والذي يخرج من الماء النجس تتبين نجاسته وتفوح منه رائحة كريهة فورا. إن مَثل الرؤى من الله كمَثل رسالة مقدسة لا تصحبها الأفكار المُشتتة، وتملك قوة مؤثِّرة وتنجذب إليها القلوب وتشهد الروح أنها من الله تعالى، لأن عظمتها وشوكتها تخترق القلب كمسمار حديدي. وكثيرا ما يحدث أن يرى شخصا رؤيا صادقة ويُري الله تعالى أحدا من جُلسائه الرؤيا نفسها أو ما شابهها، ليجعل الأخير شاهدا عليها، فتحرز تلك الرؤيا قوةً برؤيا أخرى. لذا من الأفضل لك أن تجعل أحدا من أصدقائك الأتقياء رفيق الرؤيا، وتطلب منه إذا رأى شيئا أن يخبرك خطيا، كذلك عليك أيضا أن تخبره خطيا. ففي هذه الحالة يُتوقّع أنه إذا رأى كل منكما رؤيا صادقة، أن يكون كثير من أجزائهما مشترك لدرجة تثير الاستغراب.

---

[١٢٨] *الحجر: ٤٣*

ليتك استطعتَ أن تفعل ذلك بالمكث عندي، ففي هذه الحالة آمل بشدة أن تظهر أعجوبة من عجائب قدرة الله. إن حالتي لعجيبة حقا؛ حيث تأتي عليّ أيامٌ تنزل فيها الإلهامات كالمطر الغزير وتتحقق بعض الأنباء في دقيقة واحدة، ويتحقق بعضها الآخر بعد مدة مديدة. إن الجليس لا يُحرم، ويرى حتما من تأييد الله ما يكفي لنظرته الدقيقة. ففي هذه الأيام أرى بالتواتر أن أمرا ما يكاد يحدث، ولكن لا أستطيع القول جزما هل هو قريب أم بعيد، غير أن هناك استعدادا في السماء لكي يدين الله ذوي الظنون السيئة ويخزيهم. قلما يمضي ليل أو نهار لا أُطَمأن فيه. وفي أثناء كتابة هذه الرسالة تلقيتُ إلهاما نصه: **"يجيء الحقُ ويكشف الصدق ويخسر الخاسرون. يأتي قمر الأنبياء وأمرك يتأتّى. إن ربك فعّال لما يريد"**. ويخسر الخاسرون: أي الذين واجهوا الخسارة بسبب سوء الظن سيواجهون خسارة الخزي والهوان أيضا. ولكن لا أدري متى سيحدث ذلك. والذي يستعجل لا يبالي به الله مثقال ذرة، فهو غني وليس بحاجة إلى أحد، ويُتِمّ أعماله بحسب مقتضى الحق والحكمة، ويبتلي كل شخص ثم يُري تأييده بعد ذلك. لو ظهرت الآيات في البداية لما بقي فرقٌ بين إيمان الصحابة الكبار وأهل البيت وإيمان غيرهم. إن الله تعالى يؤخر قليلا إراءةَ الآيات لإظهار كرامة أحبائه، لكي يتبين للناس أن عباد الله الخواص لا يحتاجون إلى الآيات، ولكي تظهر فراستهم وبُعدُ نظرهم على الجميع، ولا يبقى عند أحد أدنى شك في مرتبتهم السامية.

لقد ارتد عن المسيح في بداية الأمر ٧٢ شخصا من أتباعه نتيجة سوء الظن أنه لم يُرِهم آية. وثبت اثنا عشر منهم ثم ارتد أحد هؤلاء الاثني عشر أيضا. أما الذين ثبتوا وصمدوا فقد رأوا في النهاية آيات كثيرة وعُدُّوا عند الله من الصادقين.

أقول لك مرة أخرى بأنك لو مكثتَ في صحبتي لأربعين يوما لكنتُ موقنا بأن قربي سوف يؤثِّر فيك، وإن كنتُ لا أستطيع التعهد، ولكن يشهد قلبي على أنه

سوف يظهر أمر يجذبك إلى اليقين. وإنني لأرى أن شيئا ما سيحدث قريبا، ولكن الله تعالى يريد أن يجعل الناس حزبين اثنين حاليا بحسب سنته القديمة: حزب من الذين يأتونني ببركة حسن الظن، وحزب آخر يبتعدون عني وبالا على سوء الظن.

ولقد قرأت بيانك متأسفا حيث قلتَ بأن الحُكم بمجرد الكلام محال. فأوجّه أنظارك بالحب والتودد والرحمة واللطف بأن معظم الأمور في الدنيا يُبتُّ فيها بالقيل والقال فحسب، حتى إن المحكمة تحكم بكل قناعة بشنق أحدٍ بناء على إثباتات مبنية على الأقوال فقط، كما يمكنها أن تبرّئ ساحة أحدٍ من تهمة سفك الدم لعدم الإثبات بالأقوال. ويُبَتّ في جميع القضايا بناء على إثبات الوقائع أو عدم إثباتها، ولا يُطلَب من أحد الفريقين أن يُري آية سماوية حتى يُحكم لصالحه، أو ستُرفض القضية إذا ظهرت مِن المدّعَى عليه كرامة. بل لو جعل المدّعي من الإبرة حيَّةً أو حوّل الورق إلى حمامة تطير في المحكمة دون إثبات الوقائع، فلن يحكم أيّ قاض لصالحه بناء على ذلك فقط ما لم يُثبت صحة ادّعائه وما لم تُمحَّص الوقائع جيدا. فلما كان تمحيص الوقائع وتقصّيها ضروريا وأقول بأن إعلاناتي كلها ثابتة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ونبوءات الأولياء السابقين، أما معارضيَّ الذين يريدون أن ينزِّلوا المسيح الأصلي إلى العالم مرة أخرى نتيجة التأويلات المنافية لبيان القرآن، فلا يقتصر الأمر فقط على أن مسؤولية عدم الإثبات تقع عليهم، بل إن هذا الخيال المحال يعارض نصوص القرآن الكريم البينة أيما معارضة، وإنّ كل جانب منه يضم في طياته من المفاسد والمساوئ لدرجة لا يسع أحدا - إذا ألقى عليه نظرة شاملة - عدمُ اعتبارها بديهية البطلان. فكيف يمكن عدّ كل الحقائق والمعارف والأدلة والبراهين التي أقدمها مجرد قيلٍ وقالٍ لا جدوى منه؟ إن القرآن الكريم الذي هو المعجزة العظيمة ويفوق المعجزات كلها؛ هو أيضا نوع من القيل والقال ظاهريا.

لا شك أن الأدلة العقلية ضرورية بالدرجة الأولى ولا قيمة للآيات بدونها.

فليكن معلوما أن الإثباتات التي بناء عليها يُدان المدّعَى عليه في المحاكم بعقوبة الموت، لا تفوق الإثباتات التي عندي من القرآن الكريم والأحاديث وأقوال الأكابر من السلف والأولياء الكرام، ولكن الشرط هو الإمعان فيها وسماعها مني.

لقد سجلتُ تلك الأدلة بكل جلاء في كتابي: "مرآة كمالات الإسلام" وبينتُ بكل وضوح كم هم بعيدون عن مشيئة كلام الله تعالى مَن يهدرون أعمارهم وأوقاتهم منتظرين عودة المسيح عليه السلام إلى العالم بجسده المادي! وكيف أحاطت بهم المفاسد من كل حدب وصوب! لقد أثبتُّ في ذلك الكتاب أن ذكر **المسيح الموعود** موجود في القرآن الكريم، وكذلك ذكر الدجال. ولكن الأسلوب الذي جاء به هذا الذكر في القرآن الكريم إنما يصح فقط إذا أُريدَ بالمسيح الموعود مثيلُ المسيح الذي يولَد في هذه الأمة، وكذلك أُريد من الدجال فئة معينة علما أن من معاني الدجال؛ الفئة أو الحزب أيضا. مما لا شك فيه أن معارضينا اختاروا لأنفسهم خطأ مُهينا ومشينا ومخزيا جدا، وكأنهم تركوا القرآن والحديث جانبا، ومع ذلك لا يكادون يتنبّهون على خطئهم بسبب بلاهتهم البالغة منتهاها، ويعتزون بأفكارهم السطحية والسخيفة. ولكن الوقت الذي سيُخجلهم يقترب رويدا رويدا.

لا أدري ما هو التأثير الذي ستتركه رسالتي في قلبك، ولكني طرحت أمامك الوضع الصحيح. اللقاء ضروري جدا. أود أن تحضر الاجتماع بتاريخ ١٨٩٢/١٢/٢٧م كيفما اتّفق لك، وسيكون ذلك مفيدا جدا لك بإذن الله. السفر الذي يختاره المرء لوجه الله يُعَدّ عبادة عند الله.

والآن أنهي بهذا الدعاء: أيدكم الله من عنده ورحمكم في الدنيا والآخرة. والسلام.

العبد الضعيف

غلام أحمد من قاديان، محافظة غورداسبوره (١٨٩٢/١٢/١٠م)

"لقد سُمِّيت ابن مريم لأني أُعطيتُ نورا للأمة المسيحية

إنني منوَّر مثل القمر، وأسطع مثل الشمس، فالذين ينكرونني عميان.

يا أيها الطلاب اسمعوا صوتا صادرا من الغيب: إن هناك حاجة لمصلح، لأن المفاسد بارزة في كل مكان

إني صادق وجئت من الله بالآيات، وقد فُتحت عليَّ مئات أبواب العلم والهداية

السماء تمطر الآيات والأرض تنادي، الوقتَ الوقتَ، لقد هبّت هاتان الشاهدتان لتصديقي." [١٢٩]

[١٢٩] ترجمة أبيات فارسية. (المترجم)

التبليغ

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد ونصلي

إلى أصحاب الزوايا والمتنسكين المبتدعين والزهاد والمتصوفين من البنجاب والهند وبلاد العرب وفارس وتركيا ومصر وإيران وتركستان وغيرها

لقد ذكر أحد أصدقائي المخلصين وحِبّي في الله المولوي عبد الكريم السيالكوتي في مجلس بتاريخ ١٨٩٣/١/١١م ضرورةَ توجيه رسالة مع هذا الكتاب "دافع الوساوس" إلى المتنسكين والمرشدين الغارقين في البدعات ليل نهار السالكين مسلكا يخالف كتاب الله تماما الجاهلين هذه الجماعة التي أسّسها الله تعالى بيده دعوةً لهم وإتماما للحجة عليهم. فأعجبتني جدا هذه الفكرة التي قدمها المولوي المحترم، فرأيت أنه أقرب إلى الحكمة وفقا لرأيه أن أكتب رسالة منفصلة إلى المتنسكين الذين ابتعدوا كثيرا عن الشرع والدين المتين، وإن كنتُ قد أوردتُ سلفا في هذا الكتاب بإيجاز ذكر المتنسكين المعاصرين ضمن ذكر علماء الهند والبنجاب. وكنتُ أنوي أن أكتب هذه الرسالة بالأردية ولكن علمتُ الليلة من بعض الإشارات الإلهامية أنه يجب أن أكتبها بالعربية، وأُلهمتُ أيضا أنهم لن يتأثروا إلا قليلا، إلا أن الحجة ستتم عليهم. وقد تكون الحكمة في الكتابة بالعربية أنّ الذين يدّعون التنسك والتصوف ولم يتوجهوا إلى تعلّم القرآن ودراسة العربية؛ بسبب شدة حجُب الغفلة وانعدام علاقة الحب بالدين، كاذبون في ادعائهم ولا يستحقون الخطاب، لأنهم لو كانوا يكنّون الحب لله جلَّ شأنه ولرسوله ﷺ لبذلوا الجهد حتما لتعلُّم اللغة التي نزل فيها كلام الله المحبوب والحكيم. ولو نظر الله إليهم برحمة لوفّقهم حتما لفهم كلامه المقدس. ولو كانوا يحبون القرآن الكريم حبا صادقا لنبذوا زوايا المرشدين وراء ظهورهم، ولتبرأوا كليا ممن

بايعوهم، ولتعلّموا القرآن الكريم قبل كل شيء ولتعلّموا اللغة التي بها نزل القرآن الكريم. فيكفي دليلا على كونهم ناقصي الدين وعلى نفاقهم أنهم لم يقدروا القرآن الكريم كما هو حقّه، ولم يحبوه كما هو حقه، وبذلك ظهر نفاقهم. من الجدير بالانتباه أن هناك كثيرا من القسس الإنجليز الذين تعلّموا العربية مندفعين بحماس العداوة، بعد أن بلغوا من العمر خمسين عاما، واطّلعوا على معاني القرآن الكريم. ويكفي دليلا على خداع من يدعي التنسك أنه يدّعي حبّ القرآن بل يحب أن يُدعى مرشدا وشيخا ولا توجد فيه أمارات المحبين وهو محروم تماما من معاني القرآن الكريم وحقائقه. كل محب صادق يشتاق إلى تعلّم لغة حبيبه، فالذي يدّعي حبّ الله ولكنه مُعرض عن تعلّم لغة القرآن هو ليس محبّا صادقا، أو قولوا إن شئتم بأنه لا يخلو من حالتين؛ إما أنه يعرض عمدا عن تعلّم معاني القرآن وتعلّم لغته؛ وقد بيّنت آنفا حالة هذا الشِقِّ وقلتُ بأن هذا الفتور لا يليق بأهل الله، بل الحق أن أهل الله يحبون القرآن حبا جمّا، والمحب لا يستغني عن حبيبه بأي حال، وببركة الحب الكامل يسهل عليهم تعلّم لغة القرآن وتسهل عليهم سبل تحصيل العلم التي تشقّ على الآخرين. ولما كان الفتور شعبة من شعب النفاق لذا لا يصدر من أهل الله هذا النفاق والكسل والتهاون لأن القرآن الكريم يكون روحهم، فأنّى لهم أن ينفصلوا عن روحهم؟ والحق أن الذي لا يدرك معاني القرآن الكريم مع ادّعاء كونه من أهل الله وليس مطّلعا على حقائقه ومعارفه فهو لا يحب القرآن بل هو شيطان مستهزئ. لو كانت رحمة الله الأزلية حليفته لما تركته محروما من هذه الثروة العظمى. فلا دليل على كونه مخذولا ومردودا أكبر من ألا يكون في نصيبه هذا القدر من العلم أيضا مع وجوده في هذا العالم وتسمية نفسه مسلما، وأن يجهل معاني القرآن الكريم وعلومه الضرورية ومعارفه الإعجازية. والشق الثاني هو أن هذا الشخص يكون غبيا وبليدا جدا وأقرب ما يكون إلى البهائم والحيوانات، ولم يجد إلا نزرا يسيرا جدا من القوى

الإنسانية والذاكرة وقوة التفكير، لذا لا يقدر على معرفة لغة القرآن. فإن شخصا مثله لا يقدر على أن ينال حظا من الولاية ودرجة قرب الله السامية، والذين يحسبون هذا الشخص وليا ليسوا أقل من الوحوش والحمير؛ لأنهم لحمقهم الشديد لم يصلوا إلى مرتبة يعلمون فيها أن الذي لم يحظَ بنعمة هي مدار الإيمان فكيف له أن يحظى بالنعم الأخرى. أما إذا ظهرت منه كرامة أخرى فهي استدراج لا كرامة. ولا يمكن أن يحدث بأيّ حال أن يكون مدّعي الولاية محروما من أدنى القوى البشرية أيضا، لأن سنة الله جارية على أن الذين يُكرمهم الله بإنعامات قربه ينالون حظا وافرا من الكمالات البشرية أيضا. فيبدو أن هذه هي الحكمة إذ أشار الله ﷻ إلى كتابة الرسالة بالعربية، لأن الذين هم محرومون من لغة القرآن ومعارفه نتيجة التقاعس والغفلة أو بسبب البلادة والغباوة لا يستحقون أن يخاطَبوا كأناس مُكرَمين بل إنهم نتيجة غفلتهم وجهلهم الدائم خَتموا وصادقوا على أنهم لا يكنّون أدنى حب للقرآن الكريم ولا يسلكون مسلك الإسلام في الحقيقة، بل هم تائهون في سبل أخرى. وإن كانوا حائزين على أيّ نوع من الذوق فلا يمكن أن تعترف روحهم بأنهم حازوه بواسطة القرآن الكريم؛ لأنه ليست لهم أدنى علاقة بالقرآن الكريم ولا يعملون به قط، كما لا يمكن أن تعترف روحهم أنهم اجتازوا مرحلة نتيجة الحب الكامل للنبي ﷺ؛ لأنهم لما لم يحبّوا القرآن حبّا كاملا فأنّى لهم أن يحبوا رسول الله ﷺ حبا كاملا؛ لأن عظمة الرسول الله ﷺ تتبين بواسطة القرآن الكريم، فمن لم يدرس القرآن لم ير النبي ﷺ قط. باختصار، لم يكن هؤلاء قادرين على الحب بناء على هذه الأسباب وكان نفاقهم واضحا تماما. لذا رأيتُ توجيه الرسالة إليهم غير ضروري. ومما يثير العجب أن مريدي هؤلاء الناس لا يفكرون قط أن أول فضل وكمال للوليّ هو أن يُعطَى علم القرآن لأنه هو مقتدانا وهادينا ومرشدنا نحن المسلمين، فإذا كنا جاهلين به متجاهلينه فالموت والهلاك يواجهنا في كل خطوة. ومن لم يُكرمه الله بتزويده بعلم

كلامه المقدس وإطلاعه على حقائقه ومعارفه فأيّ لطف آخر منه ﷻ يمكن أن يحظى به هذا الشقي؟ مع أنه ﷻ يقول بنفسه بأن الذي أُكرِمُه بطهارة حقيقية أفتح عليه أبواب علوم القرآن الكريم. ويقول ﷻ أيضا أنه يعطي علم القرآن مَن يشاء، ومن أُعطي القرآن فقد أُعطي ما لا يعادله شيء. إنني على يقين أن كل مسلم صادق سيوافق بياني هذا، إلا الذي هو واقع في الشرك وهو محروم كليا من حب القرآن الحقيقي والشغف الصادق به. والآن أكتب الرسالة العربية في الصفحات التالية وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم[١٣٠]

إلى مشايخ الهند ومتصوفة أفغانستان ومصر وغيرها من الممالك

الحمد لله الذي غلبت رحمته على غضبه في كل ما فعل وقضى، وسبقت أنواره على كُل ليل اكْفَهَرَّ وسجى. هو الله الذي يأتي منه فوج اليسر مع كُلّ عسرٍ عرا. يدعو إلى رحمته كل ورقٍ يوجدُ على الأشجار، وكل برقٍ يبرق في الأحجار، وكُل اختلاف ترون في الليل والنهار، وكل ما في الأرض والسماء.

ومن آيات رحمته أنه أرسل الرسل، وبعث النُّذُرَ، وأسّس عماراتِ الهدى. ومن آيات رحمته العظيمة.. البدر الذي طلع من أم القُرى، في ليلة اسودت ذوائبها العظمى، فرفع الظلمات كلها، ووضع سراجًا منيرا أمام كل عين ترى. ما عندنا لفظٌ نشكر به على مننه الكبرى. أيقظ العالمين كلهم، ونفى عن النائمين الكَرى. تلقى كلّ هَمٍّ وغمٍّ للدين بطيب النفس لما انبرى، وسنَّ بذلَ النفسِ لله لكل من يطلب المولى. فنى في الله.. وسعى لله.. ودعا إلى الله.. وطهّرَ الأرض حق طهارتها، فيا عجبا للفتى! رب.. اجْزِ منا هذا الرسولَ الكريم خير ما تجزي أحدا من الورى. وتَوفَّنا في زمرته، واحشرنا في أمته، واسقنا من عينه، واجعلها لنا السُقْيا. واجعله لنا الشفيع المشفع في الأولى والأخرى. رب.. فتقبل منا هذا الدعاء، وآوِنا هذا الذَّرى. رَبِّ.. يا

[١٣٠] *من هنا يبدأ النص العربي الذي كتبه المسيح الموعود عليه السلام بنفسه والذي يستمر إلى صفحة ٣٥٨ . (الناشر)*

ربِّ.. صَلِّ وسلّم وبارك على ذلك النبي الرؤوف الرحيم، وعلى كُل من أحبه وأطاع أمره واتبع الهدى.

أمّا بعد.. فاعلموا أيها الفقراء والزهاد.. ومشائخَ الهند وغيرها من البلاد.. الذين وقعوا في البدعات والفساد، أنني أُمرت أن أبلغكم أحكام الدين، وأذكّركم ما نسيتم من أسرار الشرع المتين. وقد ألهمني ربي في أمركم وقال: إنهم ينادَون من مكان بعيد. ويفعل ربي ما يشاء، وهو القاهر فوق القاهرين.

يا قوم.. اتقوا الله.. ولا تتبعوا أهواء قوم مبتدعين، واتّبعوا الرسول النبيّ الأمي الذي هو رحمة للعالمين. واعلموا.. يا إخوان.. أني أُرسلت محدَّثا من الله إليكم، وإلى كل من في الأرض، فاتقوه ولا تحتقروا المرسلين. واجتنِبوا الرجس من البدعات، وإياكم والمحدَثاتِ، وكونوا عباد الله الصالحين.

يا قوم.. إنّي عبد الله.. مَنّ عليّ برحمة من عنده، وعلّمني من لدنه علم الأولين. وأَرْسلني على رأس هذه المائة، لأنذر قومًا ما أنذر آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. هو ناداني وقال قل لعبادي: إنني أمرت وأنا أوّل المؤمنين. وسماني باسم يناسب اسم قوم.. أرسلت لإفحامهم وإلزامهم.. وهم قوم المتنصّرين، الذين علَوا في الأرض، واستضعفوا أهل الحق، وزينوا الباطل ليدحضوا به الحق، وكانوا قومًا مسرفين. وأهلكوا كثيرًا من الناس بتلبيساتهم، وجمحوا في جهلاتهم، وقلّبوا للإسلام أمورًا، وجذبوا الناس إلى خزعبلاتهم، وجاءوا بسحر مبين. فنظر الله إلى قلوبهم، فوجدهم غالين دجالين ضالين مضلين. قد أفسدوا طرقهم كلها، وبغوا أمام الرب، وأرادوا أن يفسدوا أقوامًا آخرين. يلحَسون المذاهب كما يلحَس الثور خضرة الحقل، ويريدون علوًّا وفسادا، وليسوا من الخاشعين. فتَن الناسَ فهمُهم ودرايتهم، وكبُر سرّ غوايتهم، وكانوا في علوم الدنيا وصنائعها من المستبصرين. أوقدوا من المفاسد نارًا، وأجرَوا من الفتن أنهارًا، ومكروا مكرًا كُبَّارًا، وبلغوا مقدارًا لن تجدوا مثله في مكائد المتقدمين. أجمعوا همتهم لاستيصال الإسلام، واستدرّوا لِقحتهم لتأليف قلوب اللئام، وأدخلوا أيديهم في

قلوب المسلمين. وكان العلماء كمفلس في أعين أعيانهم، أو كمضغة تحت أسنانهم، وكان قومنا سُخْرة المستهزئين. فأراد الله أن يفصل بين النور والظلمة، ويحكُم بين الرجس والقدس، ويمن على المستضعفين. ورأى فتنتهم بلاءً عظيمًا على الإسلام، ورأى أيّامهم كليالٍ مخوفةٍ من الإظلام، ووجدهم في الفتن قومًا عالين. ما كان فتنة مثل هذا من يوم خلق آدم إلى يومنا هذا.. بل إلى يوم الدين. ومع ذلك تملكوا وعلوا في الأرض، وأثمروا وأكثروا، وأملأوا الأرض كثرة، وزادوا هيبة وشوكة، وبارك الله في أموالهم وأولادهم، وعلومهم وفنونهم وصنائعهم، وأعانَهم في إراداتهم وأفكارهم وأنظارهم، وفتح عليهم أبواب كُلّ شيء.. ابتلاءً من عنده.. فعمُوا وصمّوا وكانوا من المُعْجبين.

وأزاغ الله قلوب علمائنا وفقرائنا، وأطفأ نور قلوبهم حتى عادوا إلى الجهالة التي أُخرجوا منها بما كانوا يفسدون في الأرض، وما كانوا من المصلحين. ففنوا في الأهواء، واستكانوا في الآراء، ووهنوا وكسِلوا، وذرّت ريح الجهل ترابهم، وسُلبت قواهم كلّها فصاروا كالميّتين.

ونظر الربّ إلى أمرائنا فوجدهم المسرفين الغافلين، المعرضين عن التقوى والحق، والظالمين العادين. فباعد بينهم وبين شهواتهم، وباعدهم عن الأملاك التي ارتبطت قلوبهم بها، وأخرج من أيديهم أكثر أملاكهم وأراضيهم، وتبّر كلّ ما كانوا عليها كالعاكفين. وقشِفت الوجوه من آفات الجوع والبؤس، وخمدت نار المتموّلين، وقُصِمَتْ عظامهم، وحُطِمَتْ سهامهم، ليعلموا لِيامُهم أنّهم كانوا من المتمرّدين.

وأحاطت شصية المتنصّرين وشَرَكُ سُراتِهم مِن سَمَكِ البحر إلى سِماك السماء، وجرت فُلْكُهم في بحر الإضلال مواخرَ، ووقعت رَجْفةٌ من عظمة شأنهم على كُلّ ما في الأرض.. فخرّوا لهم ساجدين. وما بقي من عشّ ولا كنّ ولا وكر إلا دخلت فيه أيدي الصيادين. ونقلوا خُطواتهم إلى الاعتداء.. حتى نظروا في صحف الرسل ففسّروها برأيهم، وزادوا فيها أشياء، ونقصوا منها، كأنّهم الأنبياء ومن المرسلين. ثم

مالوا إلى ملكوت الله وأفعال الألوهية.. فدخلوا في أمور ما كان لهم أن يدخلوا فيها، وفرحوا بتدابيرهم، وحسبوا أنفسهم قادرين على كل شيء كأنهم إله العالمين. واستغنوا وعتَوا عتوًّا كبيرًا، وقطعوا بكبرهم وكفرهم وأنانيتهم آذانَ دهريّين. فهذا هو المراد من ادّعاء النبوّة وادعاء الألوهية، فليفهم من كان من الفَهِمين. وفسدت الأرض بفسادهم، وسارع الناس إلى زينتهم ورشادهم ولمعان فِرْصادهم، وثريدهم وجنّتهم وآرادهم، إلا ما شاء الله.. يحفظ من يشاء.. وهو خير الحافظين. وهاج طوفان عظيم على أعمال الناس وعقائدهم، وطهارتهم وتقواهم، ونيّاتهم وخطراتهم، وأفعالهم وأقوالهم، وأبصارهم وآذانهم، ودينهم وإيمانهم، وأخلاقهم وسنن إحسانهم، ومروّتهم ورَثاثهم، وأبنائهم وإخوانهم، وبناتهم ونسوانهم، وزهدهم وعرفانهم، وأيديهم ولسانهم، وهبّت ريح الفساد من كل طرف، وأحاطت الظلمة على كلّ جهة، وزلزلت الخلق زلزالا شديدًا، وطارت حواسهم، وكانوا كالمبهوتين. وكانوا لا يدرون أَعذابٌ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربّهم رحما، وكانوا لِسرّ الغيب منتظرين. وانشقت فُلْكُهم في بحر الزيغان، وهاجت الأمواج من كل طرف، وكادوا أن يكونوا من المغرقين.

فناداني ربّي من السماء.. أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا، وقم وأنذر فإنّك من المأمورين، لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. إنا جعلناك المسيح بن مريم، لأتِمّ حجّتي على قوم متنصّرين. قل هذا فضل ربّي، وإنّي أجرِّد نفسي من ضروب الخطاب، وأمرتُ من الله وأنا أوّل المؤمنين. إنه يرى الأوقات ويعلم مصالحها، وإن من شيء إلا عنده خزائنه. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. قل أتعجبون من فعل الله؟ قل هو الله أعجب العجيبين! يرفع من يشاء، ويضع من يشاء، ويُعزّ من يشاء، ويذل من يشاء، ويجتبي إليه من يشاء، لا يُسأل عمّا يفعل وهم من المسئولين. قل الحمد لله الذي أذهب عني الحزن، وأعطاني ما لم يعط أحد من العالمين. وقالوا كتابٌ ممتلئ من الكفر والكذب. قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. وادع

عبادي إلى الحق، وبشّرهم بأيّام الله، وادعهم إلى كتاب مبين. إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، والله معهم حيثما كانوا.. إن كانوا في بيعتهم من الصادقين. قل إن كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله، ويجعل لكم نورًا، ويجعل لكم فرقانًا، ويجعلكم من المنصورين. إن الله مع الذين اتقَوا، وإن الله مع المحسنين.

هذا ما ألهمني ربّي.. في وقتي هذا ومن قبل.. ينعم على من يشاء وهو خير المنعمين. وإنّ له عبادًا من الأولياء يسمّون في السماء تسمية الأنبياء بما كانوا يشابهونهم في جوهرهم وطبعهم، وبما كانوا يأخذون نورًا من أنوارهم، وكانوا على خُلقهم مخلوقين. فيجعلهم الله وارثهم، ويدعوهم بأسماء مورثيهم، وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين. وللأرواح مناسبات بالأرواح لا يُدْرى دقائقها، فالذين تناسبوا يُعَدّون كنفس واحدة، ويطلق أسماء بعضهم على بعض، وكذلك جرت سنة الله، وذلك أمرٌ لا يخفى على العارفين. إن الله وتر يحب الوتر، ولأجل ذلك قد استمرت سنّته أنه يرسل بعض الأولياء على قدم بعض الأنبياء، فمن بعث على قدم نبيّ يسمّى في الملأ الأعلى باسم ذلك النبي الأمين، ويُنزل الله عليه سرَّ روحه، وحقيقة جوهره، وصفاء سيرته، وشأن شمائله، ويوحّد جوهره بجوهره، وطبيعته بطبيعته، واسمه باسمه، ويجعل إراداته في إراداته، وتوجهاته في توجهاته، وأغراضه في أغراضه، ويجعلهما كالمرايا المتقابلة في الإنارة والاستنارة، كأنّهما شيءٌ واحدٌ.. وذلك سرّ التوحيد في أرواح الطيّبين. فهذا هو السرّ الذي سمّاني الله برعايته **المسيح الموعود**، فتفكروا في السرّ ولا تكونوا من المستعجلين. ما كان الله أن يرسل نبيّا بعد نبيّنا **خاتم النبيّين**، وما كان أن يُحدث سلسلة النبوة ثانيًا بعد انقطاعها، وينسخ بعض أحكام القرآن، ويزيد عليها، ويُخلف وعده، وينسى إكماله الفرقان، ويُحدث الفتن في الدين المتين.

ألا تقرؤون في أحاديث المصطفى.. سلّم الله عليه وصلّى.. أن المسيح يكون أحدًا من أمته، ويتبع جميع أحكام ملّته، ويصلّي مع المصلّين. وقد ملئ القرآن من آياتٍ تشهد كلها على أن المسيح ابن مريم قد تُوفِّي، ولحق بإخوانه إبراهيم وموسى، وأخبر

بوفاته رسول الله ﷺ وهو أصدق المخبرين. ألا تقرؤون في القرآن: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾،[١٣١] ﴿فلمّا توفيتني﴾؟[١٣٢] ألا تقرؤون: ﴿ما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾؟[١٣٣] ألا تقرؤون في صحيح الإمام البخاري: متوفيك: مُميتك؟ فما بقي بعد هذه الشهادات محل شك للمشككين. وبأيّ حديث تؤمنون بعد آيات رب العالمين؟ ألا ترون أنه ﷺ قال في علامات المسيح وفي بيان وقت ظهوره إنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير؟ فاعلموا أنّه ﷺ أشار إلى أنه يأتي في وقت يُعبَد الصليب فيه، ويؤكل الخنزير بكثرة، ويكون لعبدة الصليب غلبة في الأرضين. فيأتي ويكسر غلبتهم، ويدقّ صليبهم، ويهدم عماراتِهم، ويخرّب مرتفعاتهم بالحجج والبراهين.

أيها الناس! اذكروا شأن المصطفى.. عليه سلام رب السماوات العلى.. واقرؤوا كتب المتنصّرين، وانظروا صولتهم على عرض سيد الورى، فلا تُطرُوا ابن مريم، ولا تعينوا النصارى يا وُلْدَ المسلمين. ألرسولنا الموت والحياة لعيسى؟ تلك إذًا قسمة ضيزى! ما لكم لا ترجون وقارًا لسيّد السيّدين؟ أتجادلونني بأحاديث ورد فيها أن المسيح سينزل، وتنسون أحاديث أخرى، وتأخذون شقا وتتركون شقا آخر، وتذرون طريق المحققين؟ ولا يغرّنكم اسم "ابن مريم" في أقوال خير الورى، إن هو إلا فتنة من الله ليعلم المصيبين منكم وليعلم المخطين، وليجزي الله الصابرين الظانين بأنفسهم ظن الخير، ويجعل الرجس على المعتدين. وقد خلت سننه كمثل هذا، فليتفتش من كان من المتفتّشين.

لقد كان في **إيليا** وقصة نزوله نظيرٌ شافٍ للطالبين. فاقرؤوا الإنجيل وتدبّروا في آياته بنظرٍ عميقٍ أمين. إذ قالت اليهود: يا عيسى.. كيف تزعم أنّك أنت المسيح..

---

[١٣١] *سورة آل عمران:٥٦* .

[١٣٢] سورة *المائدة:١١٨* .

[١٣٣] *سورة آل عمران:١٤٥* .

وقد وجب أن يأتي إيليا قبله كما ورد في صحف النبيّين؟ قال: قد جاءكم إيليا فلم تعرفوه، وأشار إلى **يحيى** وقال: هذا هو إيليا إن كنتم موقنين. قالوا: إنك أنت مُفترٍ.. أتنحتُ معنى منكرًا؟ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. قال: يا قوم.. ما افتريتُ على الله، لكنكم لا تفهمون أسرار كتب المرسلين.

تلك قضيةٌ قضاها عيسى نبي الله، وفي ذلك عبرة للمسلمين. ما كان نزول بشرٍ من السماء من سنن الله، وإن كان فأتوا بنظير من قرون خالية إن كنتم من المهتدين. وما كان فينا من واقع إلا خلا له نظير من قبل، وإليه أشار الله وهو أصدق الصادقين ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾[١٣٤]. وقد مضت سنة الأوّلين. خصمان تخالفا في رأيهما.. فأحدهما متمسك بنظير مثله، والآخر لا نظير عنده أصلا.. فأي الخصيمَين أقرب إلى الصدق؟ انظروا بأعين المنصفين.

يا أيها الناس، التُّقى التُّقى.. النُّهى النُّهى.. ولا تتبعوا أهواء فيج أعوج، واذكروا ما قال المصطفى. لقد جئتكم حكمًا عدلا للقضايا وجب فصلها، فاقبلوا شهادتي، إني أوتيت علمًا ما لم تؤتوه وما يؤتى. وإن كنتم في شك من أمري فتعالوا ليفتح الله بيننا وبينكم، وهو الرب الأقدر الأقوى. إنه مع الصادقين.. يسمع ويرى. وبشرني في وقتي هذا، وقال: يا عيسى سأُريك آياتي الكبرى. فأيّ نهج الفصل أهدى من هذا إن كنتم تطلبون الهُدى؟ وقد جئت حين سجَى الدجى، وغابت الحق من الوَجى، وكانت تلك الأيّام أيّام الوباء. قد هلكت فيه أمم كثيرة، وكان الإسلام نِضْوَ سُرًى، ما كان له من موئل ومأوى، كخابط ليلةٍ ليلاءَ، وكان الطالبون كذي مجاعة جَوِيِ الحشا، مشتمل على الطَّوى. فأوحى إليَّ ربّي ما أوحى. فنهضتُ ملبّيا للنداء، فأنبأني ربّي مما سيأتي وما مضى. وصافاني ونجّاني من كل هم وبلاء، وبشرني بغلبتي على كل من خالف وأبى. وأوحى إليّ بأنني غالبٌ على كل خصيم أعمى. وقال: إني مهين

[١٣٤] *سورة الأحزاب:* ٦٣

من أراد إهانتك، وأحسنَ إلي بآلاءِ لا تعد ولا تحصى. وقال: إني معك حيثما كنتَ، وإنّي ناصرك، وإنّي بُدُّك اللازم وعَضُدُك الأقوى. وأمرني أن أدعو الخلق إلى الفرقان ودين خير الورى، الذي سن التبليغ وحث على الجهد وحمل الأذى. لستُ بنبيّ، ولكن محدَّث الله وكليم الله لأجدد دين المصطفى. وقد بعثني على رأس المائة، وعلّمني من لدنه علوم الهدى. وإن كنتم تشكون في أمري، وتحسبون أنكم على حق في مخالفتي، وتظنون قربتكم أعظم من قربتي، فها أنا قائم في موطن المقابلة لرؤية آيات صدقكم وإراءة برهاني على الاصطفاء. وأعزم عليكم بالله الذي هو خالق الأرض والسماء، أن لا تمهلوني طرفة عين، وجاهدوا لهزيمتي حق جهادكم، واستفتحوا لأنفسكم من الله الأعلى. وحرام عليكم أن تتقاعسوا وتستأخروا ولا تبرزوا في مكان سُوى. واجتمعوا عليّ كلكم وارمُوا كل سهام من قوس واحد، فستعلمون من هلك ومن حفظه الله تعالى وأبقى. وإن تقبلوني فالله يبارككم، ويجعلكم مثمرين مباركين آمنين، ويردّ إليكم أيّامكم الأولى، وتسكنون في أمان الله، ويتوب إليكم ربكم ويرضى، وكل سوء يتحوّل عنكم ويتناهى.

يا قوم، إنّي لستُ كافرًا كما يفشي ويفتري عليّ علماء السوء، وما افتريت شيئًا على ربّي، وما أقول لكم من عند نفسي، وقد خاب من افترى. وإني أعتقد من صميم قلبي أنّ للعالم صانعًا قديمًا واحدًا قادرًا كريمًا مقتدرًا على كل ما ظهر واختفى.

وأعتقد أنّ لله ملائكةً مقربين، لكل واحد منهم مقام معلوم، لا ينزل أحدٌ من مقامه ولا يرقى. ونزولهم الذي قد جاء في القرآن ليس كنزول الإنسان من الأعلى إلى الأسفل، ولا صعودهم كصعود الناس من الأسفل إلى الأعلى، لأن في نزول الإنسان تحولا من المكان، ورائحةً من شِقّ الأنفس واللغوب، ولا يمسّهم لغبٌ ولا شقّ، ولا يتطرّق إليهم تغيّر، فلا تقيسوا نزولهم وصعودهم بأشياء أخرى، بل نزولهم وصعودهم بصبغ نزول الله وصعوده من العرش إلى السماء الدنيا، لأن الله أدخل وجودهم في

الإيمانيات، وقال: ﴿ما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[١٣٥]، فآمنوا بنزولهم وصعودهم ولا تدخلوا في كنههما، ذلك خيرٌ وأقرب للتقوى. وقد وصفهم الله بالقائمين والساجدين والصافّين والمسبحين والثابتين في مقامات معلومة، وجعل هذه الصفات لهم دائمة غير منفكّةٍ، وخصّهم بها؛ فكيف يجوز أن يترك الملائكة سجودهم وقيامهم، ويقصموا صفوفهم، ويذروا تسبيحهم وتقديسهم، ويتنزّلوا من مقاماتهم، ويهبطوا الأرض، ويُخلوا السماواتِ العُلى؟ بل هم يتحركون حال كونهم مستقرين في مقاماتهم، كالملك الذي على العرش استوى. وتعلمون أن الله ينزل إلى السماءِ في آخر كل ليل، ولا يقال إنه يترك العرش ثم يصعد إليه في أوقاتٍ أخرى، فكذلك الملائكة الذين كانوا في صبغة صفات ربهم، كمثل انصباغ الظلّ بصبغة أصله، لا نعرف حقيقتها ونؤمن بها. كيف نشبّه أحوالهم بأحوال إنسان نعرف حقيقة صفاته، وحدود خواصه، وسكناته وحركاته، وقد منعنا الله من هذا وقال: ﴿ما يعلم جنود ربك إلا هو﴾، فاتقوا الله يا أرباب النُهى.

ونعتقد.. كما كشف الله علينا.. أن عيسى ابن مريم قد تُوفِّي ولحق بإخوانه النبيّين الصالحين، ورفع إلى مكان كان فيه يحيى.

ونعتقد أن رسولنا خير الرسل، وأفضل المرسلين، وخاتم النبيين، وأفضل من كل من يأتي وخلا. هو سلكني بنفسه المباركة، وربّاني بيده الطاهرة المُطهرة، وأراني عظمته وملكوته، وعرّفني بأسراره العُليا.

ونعتقد أن كل آية القرآن بحر موّاج، مملوّ من دقائق الهدى. وباطل ما يعارضه ويخالف بيانه من قصصٍ وعلوم الدنيا والعقبى.

ونعتقد أن الجنّة حق، والنار حق، وحشر الأجساد حق، ومعجزات الأنبياء حق.

---

[١٣٥] *سورة المدثر:* ٣٢

ونعتقد أن النجاة في الإسلام واتباع نبينا سيّد الورى. وكل ما هو خلاف الإسلام فنحن بريّون منها، ونؤمن بكل ما جاء به رسولنا ﷺ وإن لم نعلم حقيقته العُليا. ومن قال فينا خلاف ذلك فقد كذب علينا وافترى. فاتقوا الله ولا تصدّقوا أقوال كل ضَنينٍ مَهين.. سعى إليّ كتِنِّينٍ، ومال إلى إكفاري بفَيلولةِ رأيه، واتّبع الهوى. واعلموا أن الإسلام ديني، وعلى التوحيد يقيني، وما ضل قلبي وما غوى. ومن ترك القُرآن واتّبع قياسًا.. فهو كرجل افتُرِس افتراسًا.. ووقع في الوِهاد المهلكة، وهلك وفنى. والله يعلم إني عاشق الإسلام، وفداء حضرة خير الأنام، و**غلام أحمد المصطفى**.

حُبّب إلي منذ صبوت إلى الشباب، وقادني التوفيق إلى تأليف الكتاب، أن أدعو المخالفين إلى دين الله الأجلى. فأرسلتُ إلى كل مخالف كتابًا، ودعوت إلى الإسلام شيخًا وشابًا، ووعدت أن أري الآياتِ طُلابًا، ووعدتُ لهم نَشَبًا كثيرًا إن عجزت جوابًا. فشاهت الوجوه وَأْبًا، وما جاء أحدٌ وما أتى. ولم يجيبوا النداءَ، ولا فاهوا بيضاءَ ولا سوداء، وما ركض أحد منهم وما دنا.

فهذه آيةٌ من آيات صدقي وسدادي لقوم يتفكرون. من عرفني فقد صدقني، ومن لم يعرفني فلم يصدقني، ومن جاهد في أمر يكشف الله ذلك الأمر عليه، فطوبى لقلوب هم يجاهدون. لن يُحرَز جَنى العود بالقعود، ولا يملِك فتيلا من لا يؤثر سبيلا، والذين يطلبون فهم يجدون.

فيا قوم.. لا تكفروني بغير عرفان، ولا تكذبوني بغير سلطان، ولا توسعوني سبّا، ولا توجعوني عتبًا، ولا تدخلوا في غيب الله، ولا تصروا على ما لا تعلمون. عسى أن تكفروا رجلا وهو مؤمن عند الله، وعسى أن تفسّقوا أحدًا وهو صالحٌ عنده، والله يرى قلوب عباده وأنتم لا تُبصرون. يا قوم.. إن كنت على باطل فالله كاف لإزعاجي، وإن كنت على حق فأخاف أن تؤخذوا بما تعتدون.

يا متصوفي الهند.. إن أهل الصلاح منكم قدر قليلٌ، وأكثركم مبتدعون. وفيكم الذين مالوا إلى الرهبانية، وتركوا ما أُمروا به، ولا يخافون الله ولا يبالون. وإذا قاموا إلى

الصلاة قاموا كسالى، وإلى رياضات البراهمة يسارعون. ويُدمون سنابك سوابقهم، ويعقِرون مناسم رواسمهم، ويحسَبون أنهم يُحسنون. يقولون آمنا بالقرآن، ولا يؤمنون به، ويقولون نتبع السُنن، ولا يتبعونها، وهم إلى طرق الغي منقلبون.

إن الذين وجدوا الحق فهم قومٌ يقطعون تعلق الأشياء مع وجود تعلقها، ويتبتّلون إلى الله بنهج كأنه لا عرس لهم ولا غرس، ولا عنس لهم ولا فرس، ويؤثرون الله على كل ولدٍ وأهل ومالٍ، فهم الموفَّقون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون.

ومنكم من أخلد إلى الإباحة، واتبع النفس في جذباتها، وفَلَى مجاهلَ الهلاك والمَنون. وأضاع أساوِدَه وزاده ومِزْوَدَه، ونسي منازله ومناهله، وأغضب ربه، وقصفت الريح فُلْكَه، ودخل في الذين هم مغرقون. ألا يرى أن استصحاب الزاد من أصول المعاش والمعاد، وقد سنح له إِرْبُه إليها في الدنيا، ولا يمل فيها من كسب المال ومن كل ما يحجّون. فسوف يعلم لما يشرع في القُلْعة أنه يرحل بأيد صفر إلى دار دائمة الرُّجون.

ومنهم من أخلط عملا صالحًا بغير صالح، ومزج الكفر بالإيمان، وركب اليقين بالظنون، فأجمع على الجنوح إلى هوى النفس، ووقع من شاطئ المرسى في بحر الظلم والرُّكون، وأوقع نفسه في مسالك الهُلْك، وبَوادي التبار، وفعل بنفسه ما لا يفعله المجنون.

يا حسرة عليهم! أحدثوا في الدين أشياء، وتبع كل منهم ما شاء، أُف لهم ولما يبدعون. وكم من بدعة ألزموا طائرها في عنقهم وهم بمفسادها فرحون. يحافظون على بدعات البراهمة، وشعار الكفرة الفجرة، وأخذوا كل طريقٍ من طرقهم، من قبيل إلقاء التوجه، وإجراء القلب، والعكوف على القبور وطوافها والسجدات لأهلها، وهم بها يفخرون. وما كان عبادتهم إلا تصوّر صور مشايخهم في الصلاة وخارجها، وبالله هم يشركون. ويفضّلون طرائقهم وطاغوتهم على النبي ﷺ، ويقولون: إنّا ما رأينا النبي، وما

نعلم القرآن، إنْ نبينا إلا شيخنا، وملفوظاته قُرآننا، وإنا لمصيبون. يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضا، ولهم عذابٌ أليم بما كانوا يكذبون. تراهم عاري الجِلدة من لباس التقوى وصدق الإقدام، وبادي الجُرْدة من شعار الإسلام، وفي عيشتهم ووجوههم علمٌ على ما يكتمون. جوّهم مزمهرّ، ودَجْنُهم مكفهرّ، وفهمهم كالدواب، وزهدهم كملامح السراب، وهم يحسبون أنهم عارفون. تبًّا لِعيشتهم.. هم ثعالب في المعاملات، وذياب عند المخاصمات، يفرحون بعطاء الناس، وهم عند المنع وترك الخدمة يعبِسون. يأوون إلى وَفْر، ويُعرضون من يد صفر، ويشتكون.

يحسبون أنهم صاحب دهاءٍ، وما هم إلا كإناء خالٍ من ماء، ويُسَرّون بهذيان المبطِرين المطرين ولا يفهمون. والسبيل إلى سَبْرهم وتقدير معارفهم وحِبْرهم ونور قلوبهم سهلٌ هيّن.. وهو أن يُعرَض القرآن الكريم عليهم ويُسألون. فإن الفرقان مملوٌّ من عجائب الأسرار ودقائقها ولطائفها، ولكن لا يمسه إلا المطهرون، ولا يستنبط سِرّه، ولا يطّلع على غموض معانيه إلا الذي أصابه حظٌّ من صبغة الله، فطوبى للذين يُصْبغون. وهم قوم شغفهم الله حبًّا، وطهّرهم نفسًا، وزكّاهم وجلّاهم، ورفعهم إليه، فهم في ذكر حِبّهم دائمون. جُذبوا إلى الحق بكل قلوبهم، وفنوا في ذكر محبوبهم، وبذلوا روحهم، وقضوا نحبهم، وصاروا بكل وجودهم لله، وهم عن أنفسهم منقطعون. ما بقي تحت ردائهم إلا الله، تحسبهم باقين موجودين وهم فانون. جرّدوا سيوفًا حديدة على أنفسهم سفاكين، وانسلخوا منها كما ينسلخ الحيّة من جلدها، ويرى الله صدقهم ووفاءهم، وهم عن أعين الناس غائبون. أعجبَ الملائكة سِلْمُهم وإسلامهم، وثباتهم وتعلقهم بحِبّهم، وجهال الناس عليهم يضحكون. يؤذونهم ببهتانات، ويكفرونهم بمفتريات، ولا يعلم سرهم إلا الله، وهم تحت قبابه مستورون.

والذين آثروا الحياة الدنيا واطمأنوا بها، وفسقوا وأفاحوا دم التقوى، وقَفَوا ما لم يكن لهم به علم، فسيعلمون أي منقلب ينقلبون. يخافون الخلق ولا يخافون الله، وهم

على أنفسهم شاهدون. منَعهم شمم أنوفهم وعظمة عمائمهم من قبول الحق، فأعرضوا عن داعي الله وهم يعلمون. كل أحد منهم يُسحِت السُّنّةَ ويبري، ويدعو البدعات ويقري، ويقول: انظروا زهدي وفقري، ولا يدرون شيئًا ويحسبون أنهم واصلون. وينظرون إلى الخلق، وإلى الله لا ينظرون. لا يرون غارات الرزايا على الإسلام، ويعكِفون على أهوائهم كعكوف المشركين على الأصنام ولا يبالون. عفت دار الدين وهم غافلون، وغاض در الإسلام وهم نائمون، وبار سعر الشرع وهم يستبشرون.

لا يدرون نار العشق وحرارة الذكر وقبس الفكر، غير التضحي واصطلاء الجمر، ويحبون أن يُحمَدوا بما لا يفعلون. يراءون أنهم نِضْو مجاهدات، وهم عاري المطا من لباس تقاة، ويذكرون تهجداتهم وهم للفرائض تاركون. لا نصيب لهم من كلام رب غفورٍ، ولا من خبرٍ مأثورٍ، وبأشعار الشعراء يتذاكرون. صبّت على الإسلام مصائب ونوازل وهم غافلون. لا يواسون مقدار ذرة وفي الشهوات هم مستغرقون. وإني أراهم كمازح بالشريعة الغراء، ومستهزئ بأحاديث إمام الورى. يؤثرون أبيات الشعراء على آيات كلام الله، وبها يفرحون ويرقصون، ويسمعون القرآن فلا يبكون ولا يتضرعون. قوم خرجوا من طريق الاهتداء، وآثروا الظلمة على الضياء، يدبّون في الليلة الليلاء، كالناقة العشواء، ما لهم حافٌّ ولا رافٌّ، ويذهبون أين يشاءون.

ووالله إني أرى نفوسهم قد فسدت، وشابهت أرضًا خربةً، وبالحشائش الخبيثة ملئت، يزحَفون كزحف البهائم ولا يستقيمون. الإفراط عادتهم، والاعتساف سيرتهم، وآثار البراهمة الضالة مبلغ عرفانهم، وأشعار الشعراء وقود وجدهم وغذاء جنانهم. تركوا ربهم والتصقوا بالدنيا، وجعل الله على قلوبهم أكنّة فهم لا يفقهون. صنعوا لأنفسهم مآزر من أصحاب القبور، وأضاعوا بركات ذَرى الرب الغفور، ويفسقون ولا ينتهون. تركوا مِلِكًا داخ البلاد، واتبعوا كل حقير لا يملك الزاد. وما ظلموا الله ولكن أنفسهم يظلمون. افتتنوا بإطراء المادحين، وأهلكهم إغضاء المسامحين، ولم يقتبسوا نورًا من

القرآن، وفي وادي الشعراء يهيمون. يريدون غسل المريدين من أدناس الذنوب، وهم متلطخون بأنواع العيوب، ولا يعلمون. أيها الغِمْر الجاهل.. قُمْ أوّلا لغسل قلبك، ثم انهض لغسل أخيك بأيد مطهرة، ولا تقل للناس ما لا تفعل فيضحكون. وكيف تغسل بدن إخوانك وإن بدنك قد اتسخ، ودرنه قد رسخ، وأنت لا تنتهج مهجة الاهتداء فكيف هم ينتهجون؟

وإن كنتم في ريب مما أمرتُ به فتأهبوا للنضال، واستعِدّوا لإراءة آيات الكمال وصدق الحال، من الله ذي الجلال، وإنا نحن لإراءتها مستعدون. اعلموا أن الولاية كلها في إجابات الدعاء، ولا معنى للولاية إلا القبولية في حضرة الكبرياء. فالمضمارَ المضمار، وإن تؤثروا الفرار، فأنتم كاذبون.

تعالوا يدخلكم الله في رياض الأمن، ولا تفرحوا بخَضراءِ الدِّمَنِ، وأنتم تعلمون. يدعوكم الله إلى الخير فما لكم لا تلبّون؟ ويوقظكم واعظٌ منكم فما لكم تتناعسون؟ ويجذبكم يد الغيب فلم.. يا قوم.. تتقاعسون؟ قد جاءكم أنباء الله فلم تتناسون؟ وقد جاء الحق وزهق الباطل وأنتم تمارون. وقد تجلت لكم الآيات وأنتم تعامون. ألا ترون أن الأرض قد زلزلت، وأن الفتن قد أحاطت، وأن القلوب قد ماتت، وكل داهية على الإسلام نزلت، وكل آفة اندلفت عليه وغلبت، واستيقظ الأعداء وأنتم تنامون؟

أرى البدعات في كل قولكم وفعلكم، وفي كل عمل تعملون، وفي الأجداث التي ترفعون، وفي ثيابكم التي تصبغون، وفي الأشعار التي تنشدون، وفي الوَخْد الذي تمشون، وفي القصص التي تقصّون بالفخر وتتكبرون، وفي لحيتكم التي تطيلون أو تحلقون، وفي طيوركم التي تصطادون. ما لكم لا تستعبرون على غفلتكم ولا تتندّمون؟ ما لكم لا تخافون الله ولا ترتاعون ولا تلتاعون؟ ونسيتم يومكم الذي فيه إلى الله ترجعون. وأرى الفساد في أعينكم التي إلى الدنيا تمدّون، وتحملقون حملقةَ البازي المطِلّ وعلى جيفتها تقعون، وفي لُسْنكم التي تُحِدّونها على الإخوان وتطيلون،

وكالصّل تُنَضْنِضُونَ ولا تكفّون، وفي آرائكم التي تُسقطون فيها ولا تصيبون. ولا تميّزون الفائق من المائق وتخلطون. وعلى بادرة الظن تسبّون وتغتابون. وبولايتكم تفتخرون، وعند الدعوة للمقابلة تولّون الدبر وتنهزمون، ثم لا تخجلون.. بل على فيوضكم تُساجلون. وإني أعلم أنكم جمادٌ محضٌ، ما دناكم روح الله وإنكم ميّتون. وإن كنتم على شيء فما منعكم أن تتجاولوا في الميدان وتتراسلوا، وفي المضمار تتبارَوا وفي حلقة السوابق تتبارزوا، كما أنكم تدعون؟ فإن بارزتم.. فتجدون مَطْلَعي عليكم أسرعَ من ارتداد طَرْفكم إليكم، ويخزيكم الله خزيًا مؤلمًا وتُغْلَبون.

إني جئت لإعلاء كلمة الإسلام وأنتم تخالفون، وأريد أن أجدّد دين الله وأنتم تزاحمون. ألا ترون أن الإسلام عاد غريبًا، وورد عليه ما لم يره الرّاءون، ولا رواه الرّاوون؟ ما لكم لا تأخذكم الرجفة من هذا ولا تتألّمون؟ وما لكم لا تغيرون على هذا ولا تشتعلون؟ أأنتم رجال أم مخنّثون أيها الجاهلون؟ ألا ترون أن الفتن قد تعاظمت، وأن ظلماتها قد عمّت وأحاطت، وأن الأرض ألقت ما فيها وتخلّت، وأن البدعات قد ثَرَّتْ وكثرت، وأن تعاليم القرآن قد رُفعت، والنفوس إلى الأرض أخلدت، وإلى الدنيا مالت، وتغطّت الآراء تحت البدعات وفي الأهواء أفرطت، وكل قوم أفسدت طريقها وضلّت، فما بقي بعد ذلك ما ينتظره المنتظرون؟

وإني.. والله.. من عنده، ودعوت الناس من أمره، فليختبر المختبرون. وإني أضع أمام العلماء والمشائخ لعنةً وبركة، فليأخذوا منهما ما شاءوا، وليميلوا إلى ما يميلون.

أما اللعنة فللذين يكذّبونني باتباع الظنّ، ويكفرونني رجمًا بالغيب، ولا يعلمون الحقيقة ولا يتدبّرون. ولا يطلبون منّي ما يشفي صدورهم ولا يحضرونني ليشاهدوا الآيات ولينجوا من الشبهات، كما يفعل المتقون. ألا إنهم هم الذين شقُوا في الدنيا والآخرة، وعليهم لعنة الله بما يكفرون المسلمين بغير علم وبما كانوا يظنّون ظنّ السوء وبما كانوا يستعجلون.

وأما البركة.. فللذين يسمعون كلامي، ويرون آياتي، ويظنّون بأنفسهم خيرًا، ويقبلون الحق ولا يستكبرون. فأولئك هم الذين سعدوا في الدنيا والآخرة، وقاموا لطلب الحق فهم يطلبون. لا يمشون مكبّين على وجوههم، ويسألون عند كل شبهة لينجوا منها، ولا يصرّون على الباطل ولا يغفلون. فعليهم صلوات الله ورحمته وبركاته وهم مرحومون.

يا أيها الناس.. اسألوني إن كنتم تشكّون. وادعوا لله تضرعًا وخفية، واستكشِفوا منه يكشف عليكم، ولا تقعدوا مع الذين يخوضون بشرّ من عند أنفسهم، ولا يتبعون سبيل الرشد، ولا يطلبون الحق وهم مستكبرون.

يا أيها الناس.. إن نزول المسيح كان أمرًا غيبيًا، فالله أبدى غيبه كيفما شاء، فلا تجادلوا في غيب الله، ولا تتعدوا حدودكم وأنتم تعلمون. وإن كنتم في شك مما قلت وادعيت لنفسي.. فاقصدوا قريتي، والبثوا أيامًا في صحبتي، يكشف الله عليكم ما في قربتي، ويحكُم فيما كنتم فيه تختلفون.

وإن استطعتم.. فتعالوا لإراءة آيات صدقكم ورؤية صدقي، وأجمِعوا عليّ خيلَكم ورَجِلَكم وإخوانكم المبتدعين، وأحياءَكم القبوريّين، وادعوا عليّ ولا تُمهِلون. فإن كانت لكم الغلبة فاذبحوني بأي سكّين تشاءون. واعلموا أن الله مخزيكم، ولا يؤيد إلا عبده، ولا يعلي إلا دينه، ويهلككم أيها المفسدون. إن الله لا يرضى لعباده الكفر والشرك والبدعة، وأعداؤه هم المذبوحون. إنه معي، وقد أخبرني من سرِّ نزول المسيح وعُمِّيَ عليكم، وكان هذا فتنة من الله، يخفي ما يشاء ويبدي، وكذلك سنته في أنباء الغيب، فويل للذين يحاجّون في غيوب الله، كأنهم كانوا عليها محيطين، وكانوا على كل خفاياها مطلعين، ولا يحذرون.

أيها الناس.. كل شجر يعرف بأثماره، فستعرفونني بأثماري، فلِمَ تشاجرون؟ وكُفُّوا ألسنتكم من الإكفار، وأيديكم من الإضرار، واتقوا سخط الله القهار، وادعوا الله كشف هذه الأسرار، فسوف تُخبَرون. إني أدعوكم إلى أمر فيه ثمرة خيركم وعلاج

مَيرِكم، وهو أن يجاهد كل أحد منكم، ويسأل الله تعالى أن يريه رؤيا كاشفًا لحقيقة الحال، أو يلهمه إلهامًا يليق للاستدلال، والله قادر على كل شيء، فيعطيكم إذ أنتم بكل قلبكم تسألون. فقوموا في أواخر الليالي وتوضّأوا، ثم صلُّوا ركعاتٍ وابكوا وتضرعوا، وصلوا على النبي الكريم وسلموا، ثم استغفروا لأنفسكم واستخبروا، وداوموا على هذا أربعين يومًا ولا تسأموا، فستجدون من الله أمرًا يقودكم إلى الحق، وتنجَّون من الشبهات، كما ينجى الصالحون. فما لكم لا تقتدون سنن الصلحاء، ولا تنتهجون مهجّة الأتقياء، وتحبّون أن تفسّقوا وتكفروا إخوانكم بغير علم، فتؤخذون عند الله وتحاسَبون؟ أتحسبون الإكفار هيّنًا، وهو عند الله عظيم، ما لكم لا تتقون الله ولا تتفكرون؟

يا أيها الناس.. توبوا توبوا، قبل أن تغلق أبواب التوبة وأنتم تنظرون. يا أيها الناس.. اجتنبوا مجالس قومٍ متصوفةٍ يقولون: إنا نحن لجِشْتِيّون، وإنا نحن لقادريّون. يأتونكم في جلود النعاج وهم ذياب مفترسون. تروهم أذنًا للأغاريدِ، والمعرضين عن سنن النبي الوحيد، وأكثرهم فاسقون. قرِموا لِقينات غَيداءَ، ودَعُّوا الشريعة الغراء، وخلعوا رَسَنَهم واتبعُوا الأهواء، فهم عليها منتكسون. ما لهم من علم من معارف القرآن، وما مسّت قريحتهم دقائق الفرقان، ويحسبون أنهم إلى قصوى المطالب فائزون. وإذا قيل لهم: اتبعوا داعي الله.. قالوا: لا نعلم ما الداعي، وإنا نحن الراشدون المرشدون. وإذا دُعوا إلى الله وسنن رسوله ﷺ لَوَّوا رؤوسهم استكبارًا، واتخذوا نُذُرَ الله هُزْءةً وبهم يستهزئون. ويقولون إن المحدثيّة وشرف مكالمات الله وشرف رسالته ليس بشيء، ولو شئنا لجعلنا أدنى مريدينا بالغ هذا المقام، ولكنّا لمِثل هذه الأمور كارهون. ختم الله على قلوبهم، فهم لا ينظرون إلى الحق ولا يقصدونه ولا يَيجِلون، ويحتقرون الذي أرسله الله إلى عباده، ويقولون: قد أنبأنا الله: إنه كافر كذّاب، ويصرّون على قولهم وهم يكذبون. ويقولون: إن البركات كلّها منوطة بالبيعة، وما لهذا الرجل شرف

بيعة شيخ من المشايخ. وما بيعتهم إلا كصفقة المغبون، وإنْ قولهم إلا كذبٌ نَحَتَه الصوّاغون.

يا حسرةً عليهم! ألا يعلمون أن المسيح ينزل من السماء بجميع علومه، ولا يأخذ شيئا من الأرض، ما لهم لا يشعرون؟ ألا يعلمون أن الذين يُرْسَلون من لدن ربهم لا يحتاجون إلى بيعة أحد، وهم من ربهم يتعلّمون، وكل علم منه يأخذون.. به يبصرون، وبه يسمعون، وبه ينطقون؟ يسكن فيهم رُوح الله، فهم بروحه يتكلّمون، وبه ينوِّرون كُلَّ مَن سلِم نظمُ فطرته، وبه يفيضون. وبه يُطلعون على كنوز العلم، ويقيمون حجّة الله على كل من لجّ بإنكار الحق وجحوده، ومن الله يُنصرون. يُودِع الله صدورهم معارف القرآن، ويُظهرهم على نوادر وقائع الزمان، ويعطيهم شيئًا ما لا يعطى غيرهم، وهم من غيرهم يميَّزون. ويهب لهم مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدهم، وهم بعناياته يخصصون. وأنى لكم هذا الفضل أيها المتمردون المكذبون؟ وإن كان في بيعتكم وبيعة مشايخكم أثر.. فأرُوني فيها هذا الأثر أيها الكاذبون. وإن كان في صحبتكم وصحبتهم فيض.. فما لي لا أرى ذلك الفيض.. أأنتم تثبتون؟ قد هلكتم وأهلكتم جِبلا كثيرًا أيها المفترون. ما لكم.. ما نفع الناس بيعتكم، وما أنتم منه منتفعون؟ وما مجلسكم إلا حلقة ملتحمة، ونظّارة مزدحمة، وما يُقرأ القرآن في مجالسكم، بل بالأشعار تتلاعبون. والذين يبايعونكم ما أرى فيهم حُب الله وحُب رسوله لما لا أراهم متناهين من الفسق والمعصية، بل إلى المعاصي يسعون ويسارعون. ويركَنون من الله إلى غير ركين، ويعبدون القبور ويستعصمون بغير مكين، وينتكسون على جيفة الدنيا، فهم مالئون منها البطون. يكلَفون بها لغباوتهم، ويكلَبون عليها لشقاوتهم، وهم فيها يعتدون. لا يعلمون من القرآن دقيقة، ولا يقرؤونه، ولا يتزودون للآخرة شيئًا، ولم يزالوا لدنياهم يعانون.

يا أيها الناس! توبوا توبوا، فإن الأيام قد كملت، وساعة الله قد اقتربت. فطوبى لعين أمعنت ورأت، وطوبى لأذن أصغت وسمعت، وطوبى لقدم إلى الحق نهضت وسارعت، وطوبى لقوم هم يقبلون الحق ولا يعرضون.

أيها المسلمون.. جعلكم الله مسلمين.. اعلموا أني من الله، وكفى بالله شهيدًا، واعلموا أنه ينصرني، ويؤيدني، ويعلمني، ويلهمني، وأعطاني من معارف لا يعلمها أحد إلا بتعليمه، فما لكم لا تقبلون ولا تمتحنون؟

أيها الناس.. ادنوا مني ولا تتحولوا، وافتحوا أعينكم ولا تغضّوا، وادخلوا في أمان الله ولا تبعدوا، وتَطهّروا عن الحقد والشَّنَآن ولا تلطّخوا، وتَجلّدوا إلى التوبة ولا تستأخروا، ولا تُفرِطوا في سوء الظن واتقوا واجتنبوا، واستعينوا بالصبر والصلاة وجاهدوا، ولا تعجَلوا ألا لا تعجَلوا، وادعوا الله متضرعين، واطرحوا بين يدي ربكم، واسألوه حقيقتي وحقيقة أمري بكل قلبكم، وبكل توجهكم، وبكل عزيمتكم، وبصدق همتكم، يكشف الأمر عليكم وتُجابوا.

ارفقوا أيها الناس.. ارفقوا، ولا تَغلُوا في سبّكم ولا تعتدوا، واتقوا إنكار عجائب الله التي أُخْفيت من أعينكم ولا تجأروا، وارحموا على أنفسكم ولا تظلموا، أيها المستعجلون.

يا مشائخ الهند، إن كنتم تحسبون أنفسكم شيئا فما لكم لا تبارزونني ولا تقاومون؟ وإني أراكم في غلوائكم سادرين، وسادلين ثوب الخيلاء ومعجبين، وأهلككم المادحون المطرئون. تعالوا ندع الرب الجليل، ونتحامى القال والقيل، ونطلب من الله البرهان والدليل، ونسأل الله أن يفتح بيننا وبينكم ليتبين الحق ويهلك الهالكون. وإني.. والله.. أتيقن فيكم أنكم الثعالب وتستأسدون، وبُغْثانٌ وتستنسرون، وكذلكم في أمري تظنون. فتعالوا نجعل الله حَكَمًا بيننا وبينكم، ليكرم الله الصادقين ويخسر المبطلون. فإن كان لكم نصيب من نعمتي التي أنعم الله عليّ.. فبارزوا على ندائي، وواجهوا تلقائي، وابتدروا ولا تُمهِلون.

ووالله.. ما أرى فيكم نفسًا من الصلحاء.. إلا كالشعرة البيضاء في اللِّمّة السوداء.. وأراكم أنكم أضللتم عباد الله، وعقرتم ناقة الإسلام وتعقِرون. وقد أرسلني ربي لأعرّفكم طرقا تسلكونها، وأعمالا تعملونها، وأخلاقًا تتهذبون بها، فأجيبوني: أتقبلون دعوتي أو تردون؟ ما لكم لا تنظرون إلى الإسلام ومصائبها، وإلى آفات جديدة وغرائبها، ولا تواسون أيها الغافلون؟ هذا وقت جمع ضلالةَ كل تَنوفة، وسلالةَ كل مَخوفة، وأتى الزمان بعجائبِ فتنٍ وعلومٍ أُطروفةٍ، يُعرَف فيها علامات الوقاح كامرأة مطروقة يقبلها الأحداث ويستملحون.

أيها الناس.. جئتكم في وقت كادت الشمس تغرب فيه وتجِب، وضياء الإسلام يستتر ويحتجب. فما لكم لا ترون الأوقات، وما تقبلون النور الذي نزل في وقته، وفي أنباء الرسول تشكون؟ ما لكم قد جمدتم وناقتكم قعَدت وأرنفت بأذنيها، ونفسكم لغِبت وسقطت على ساقيها، وما بقي لكم حس ولا حركة ولا أنتم تتنفسون؟ أأنتم نائمون أو ميتون؟ ما لكم لا تسمعون ولا تجيبون؟ أتحبون الحياة الدنيا ولا تذكرون موت آبائكم ولا تخافون؟ يا حسرة على شُفوفكم في الدّين، وتشوّفِكم أجسامَكم بالتسمين، وخُلوِّكم من مواساة الإسلام والعلم واليقين ومما تدّعون. ألا ترون ريحًا مطوِّحة عن طرق الصواب، وفتنًا مبرحة لأولي الألباب؟ ألا ترون رأس المائة التي كنتم تنتظرونها؟ ألا ترون أظلال الظلام، واقتحام جيش اللئام، فلم لا تستيقظون؟ ألا ترون أن الإسلام صار كاليتيم المزْءود، وهمم المسلمين كالنِّضْو المجهود، وخوف الله كالمتاع المفقود، وعلم القرآن كالحي الموءود؟ ترونه، ثم تتجاهلون؟!

أيها الناس! امتحِضوا حَزْمَكم في الأفكار، وديانتكم في الأنظار، ولا تحيدوا من الله البار، ولا تردّوا نعمة الله التي جاءت في وقتها، ولا تولوا وأنتم معرضون. وإن تسمعوا قولي، وتلتفتوا إلى مواعظي، وإلى الوصايا التي أنا موصيكم اليوم، فالله يرضى عنكم، ويثمركم ويكثركم، وينزل بركاته عليكم، ويجعل بركة في أولادكم وذرياتكم، وزروعكم وتجاراتكم، وعماراتكم وإماراتكم، ويحييكم حياة طيبة، فتدخلون في أمان

الله وتحت ظله تعيشون. وإن لم تنتهوا من شروركم، ولم تضعوا حُكم الله على نحوركم، فتؤخذون بذنوبكم، وتأكلكم نار عيوبكم، ويجعلكم الله قصصًا للآخرين، وعبرة للناظرين، ويذرّيكم ويزعجكم، فتبقى طلولكم وأنتم تفنون. ويجرّد الله وراءكم سيفه، ويسلط عليكم من يؤذيكم، ويضرب عليكم الذلة، ومن كل مقام تُطردون.

إن الله يريد أن يؤيد دينه، وينصر عبده. أفهذا إسلامكم.. أنكم على خلافه واقفون؟ أتستطيعون إزعاج شجرة غرسها الرب الكريم؟ أبالله تحاربون؟ رَبِّ.. ما أرعبَ إقدامَك! إذا نزلتَ لنصرة قوم فهم الغالبون. رَبِّ.. ما أقطعَ حسامَك! إذا جردته على حزبٍ فهم المقطوعون. إن الله تجلى بألبسة جديدة، فقوموا له أيها الغافلون. وإن تغافلتم وأعرضتم فسوف تذكرون وتتندمون. انظروا إلى أقوام قبلكم، عصوا الله.. فضربهم على سيماهم، وأخذهم بالبأساء والضراء، وأبادهم بالآفات وأنواع البلاء، وما أنتم خير منهم، وما ضعف الله وما لغِب وما استكان، فما لكم لا تتقون جلال الله ولا ترتعدون؟

وما قلنا فيكم إلا شيئًا قليلا، وسدلنا على كثير من مخازيكم، وآثرنا التغاضي على الملام، لعلكم تشكرون في أنفسكم وتتوبون.

إلى مشايخ العرب وصلحائهم

السلام عليكم، أيّها الأتقياءُ الأصفياء، من العَرب العُرَباء. السلام عليكم، يا أهلَ أرض النبوّة وجيرانَ بيتِ الله العظمى. أنتم خير أُمم الإسلام وخير حزب الله الأعلى. ما كان لقومٍ أن يبلغ شأنكم. قد زِدتم شرفًا ومجدًا ومَنْزلا. وكافيكم من فخر أن الله افتتح وحيه من آدم وختم على نبي كان منكم ومن أرضكم وَطنًا ومأوًى ومولدا. وما أدراكم مَنْ ذلك النبي! محمد المصطفى، سيّد الأصفياء وفخر الأنبياء، وخاتَم الرّسل وإمام الورى. قد ثبت إحسانه على كُلِّ من دَبّ على رِجْلين ومشى. وقد أدرك وحيُه كُلَّ فائتٍ من رموزٍ ومعانٍ ونِكاتٍ عُلَى. وأحيا دينُه كلّ ما كان ميّتًا مِن معارف الحقّ وسنن الهدى. اللّهم فصَلِّ وسلّم وبارِكْ عليه بعدد كل ما في الأرض من القطرات والذرات والأحياء والأموات، وبعددِ كلّ ما في السماواتِ، وبعدد كل ما ظهر واختفى، وبلِّغْه منا سلامًا يملأ أرجاء السماء. طوبى لقومٍ يحمل نِيرَ محمدٍ ﷺ على رَقبته، وطوبى لقلب أفضى إليه وخالطه وفي حُبّه فنى.

يا سُكّانَ أرض أَوطأته قدمُ المصطفى.. رحمكم الله ورضي عنكم وأرضى.. إن ظني فيكم جليل، وفي روحي للقائكم غليل، يا عباد الله. وإني أحِنّ إلى عِيان بلادِكم، وبركاتِ سوادكم، لأزور موطئ أقدام خير الورى، وأجعل كُحْلَ عيني تلك الثرى، ولأزور صلاحها وصلحاءها، ومعالمها وعلماءها، وتقرّ عيني برؤية أوليائها، ومشاهدها الكُبرى. فأسأل الله تعالى أن يرزقني رؤية ثراكم، ويسّرني بمرآكم، بعنايته العظمى.

يا إخوان.. إني أحبّكم، وأُحبّ بلادكم، وأحب رمل طرقكم وأحجار سكككم، وأوثركم على كل ما في الدنيا.

يا أكباد العرب.. قد خصّكم الله ببركاتٍ أثيرةٍ، ومزايا كثيرةٍ، ومراحمه الكُبرى. فيكم بيت الله التي بورك بها أُمّ القُرى، وفيكم روضة النبي المبارك الذي أشاع التوحيد في أقطار العالم وأظهر جلال الله وجلّى. وكان منكم قوم نصروا الله ورسوله بكل القلب، وبكُلّ الروح، وبكُلّ النُهى. وبذلوا أموالهم وأنفسهم لإشاعة دين الله وكتابه الأزكى. فأنتم المخصوصون بتلك الفضائل، ومن لم يكرمكم فقد جار واعتدى.

يا إخوانِ.. إني أكتب إليكم مكتوبي هذا بكبدٍ مرضوضةٍ، ودموع مفضوضةٍ، فاسمعوا قولي، جزاكم الله خير الجزاء.

إني امرؤٌ ربّاني الله برحمة من عنده، وأنعم علي بإنعامٍ تامٍ، وما أَلَتَني من شيء، وجعلني من المكلَّمين الملهَمين. وعلّمني من لدنه عِلْما، وهداني مسالك مرضاتِه، وسِككَ تُقاته، وكشف عليّ أسراره العُليا. فطورًا أَيّدني بالمكالمات التي لا غبار عليها ولا شبهة فيها ولا خفاء، وتارةً نَوّرني بنور الكشوف التي تشبه الضحى.

ومن أعظم المنن أنه جعلني لهذا العصر ولهذا الزمانِ إمامًا وخليفةً، وبعثني على رأس هذه المائةِ مجدّدا، لأخرج الناس إلى النور من الدُّجى، وأنقُلهم من طرق الغَيّ والفساد إلى صراط التقوى. وأعطاني ما يَشْفي النفوس، وينفي اللَّبْسَ المحسوس، ويكشف عن الخَلق الغُمّى.

إنه وجد هذا العصر أسيرًا في مشكلات ومخنوقًا من معضلاتٍ، وهالكًا تحت بدعات، وسَيّئات وظلمات، فأراد أن ينجّي أهله من تلك الآفات وأنواع البلاء. وإنه رأى فساد قسِّيسين وفلاسفةِ النصارى قد بلغ من العمارات إلى الفلواتِ، ومن النيّات إلى عمل السيّئات، ومن سطح الأرضين إلى الجبال الشامخات، ورأى أنهم عتَوا عتوًّا كبيرًا، وبَلّغوا أمرهم في غلوّهم إلى الانتهاء. ورأى الرب المجيد أنه ابتُلي كثيرٌ من الخلق بدقائق فتنهم، ولطائف ذكائهم، وغرابة دهائهم، وسحرِ علومهم، وطلسم فنونهم، وخديعتهم العظمى. ورأى أنهم ينهبون دين الناسِ وإيمانهم، ويسحرون قلوب

الناس وأبصارهم وآذانهم، ويَفلُون المعالم والمجاهل لإضلال الورى، ويُرُون بسحرهم الظُلمةَ كالسنا، وخرج بتحريكاتهم قوم من الهنود يسمون أنفسهم "آريا"، ويقولون لا نؤمن بكتابٍ إلا بوَيْدِنا، الذي أُنزل في ابتداء الدنيا. وما في ويدهم إلا تعليمُ عبادة الشمس والقمر والنجوم والنار والماء والهواء، وإنْ كانت نساؤهم لم يلدن لهم أبناءً فيأمرهم وَيْدُهم أن يؤذنوا أزواجهم لارتكاب الزنا، ويَذْرَؤُوا لأنفسهم أولادًا من هذا الطريق، وداوموا لنجاتهم على هذا العملِ أبدا. ويسمى هذا العمل بلسانهم بـ"نيوك"، ويحسبونه عملا مقدّسا. فهذه شريعتهم وأحكام كتابهم، ومع ذلك يُعضِلون قومَهم أن يُسْلِموا، ويسبّون خير البرية شرًّا وخُبثا. ويصرّون على السبّ والشتم والتوهين، ويؤلّفون في رد الإسلام كُتبا، وما ردّهم إلا مجموعة الافتراء. وهذه المفاسد كلها قد حدثت من قسّيسين، وزُلزلت الأرضُ زلزالا شديدا، فالله خيرٌ حافظًا وخير مَأْزِرا.

ومن الآية المباركة العظيمةِ أنه إذا وجد فساد المتنصّرين ورآهم أنهم يصدّون عن الدين صُدودا، ورأى أنهم يؤذون رسول الله ويحتقرونه، ويُطرون ابن مريم إطراءً كبيرًا، فاشتد غضبه غيرةً من عنده، وناداني وقال: (**إني جاعلك عيسى ابن مريم**)، وكان الله على كل شيء مُقْتدرا. **فأنا غَيْرةُ الله** التي فارت في وقتها، لكي يعلم الذين غَلَوا في عيسى أن عيسى ما تفرّد كتفرّد الله، وأن الله قادر على أن يجعل عيسى واحدًا من أُمة نبيه، وكان هذا وعدًا مفعولا.

يا إخوان.. هذا هو الأمر الذي أخفاه الله من أعين القرون الأولى، وجلى تفاصيله في وقتنا هذا، يخفي ما يشاء ويبدي، وقد خلت مثله فيما مضى.

وفي اختيار هذا الطور الأخفى مصلحتان عظيمتان رآهما الله لعباده أنسبَ وأَولى. أما الأُولى فهي أن هذا النبأ كان من أنباء غيبية، وكان زمان ظهوره بعيدًا جدا، وكان الله يعلم أنه لا يظهره إلا بعد انقضاء أزمنة طويلة، وعصور مديدة، وارتحال كثير من الأمم من هذه الدنيا، وكان يعلم أنه لا فائدة للأولين في تصريح هذا النبأ المجمل

وتفاصيله العظمى، وكان يعلم أنهم يموتون كلهم قبل ظهور ذلك النبأ وما يجديهم تفاصيله نفعا. فأراد أن يعطيهم ثواب الإيمان بعوض ما فات منهم ويهب لهم بعد إيمانهم أجرا حسنا. فترك تفاصيل هذا النبأ في وحيه واختار إجمالا لطيفا مبهَما كالمعمَّى. وجعل هذا الإجمال متحليا بالاستعارات، ومصبوغا من المجازات والكنايات، وأبعدَ من الأفهام والدرايات والقياسات، ليبلوهم أيهم يتبع أمرا. فآمنوا فرضي الله عنهم وجزاهم خير الجزاء، لأنهم أحسنوا الظن في الله ورسوله، وآمنوا بما لم يعرفوا حقيقته ولم يدركوا ماهيته أصلا.

وأما الثانية.. فإنه أراد - جل اسمه - ليبتلي الآخرين كما ابتلى الأولين، ليغفر لهم ذنوبهم ويهيّئ لهم عند إيمانهم رشدا. وكانوا يعملون السيّئات من قبل وأضاعوا فيها قرونا وحُقُبا. وغلبت عليهم الشهوات حتى لم يملكوا أنفسهم، وحصدوا زروعها في الأهواء، وشابهوا صعيدًا جُرُزا. فأظهر الله ذلك النبأ المجمل المستور خلاف زعمهم ليبتليهم به رشدا وعلما وفهما، وليعطي المؤمنين كِفْلَين من رحمته ويجعل لهم لرضائه سببا. وكان هذا كله ابتلاءً من عنده ليميز المؤمنين المخلصين من غيرهم، ويتوب عليهم فضلا ورحما، وليُخزي عقول الذين استكبروا في أنفسهم واتخذوا عبد الله وتبليغه سُخْرة وهُزُوا. وكذلك أمر الله، إذا شاء ابتلاءَ قوم مذنب.. فربما يلبس عليهم نبأً موعودًا، ويقلب عقولهم وأفهامهم، فلا يفهمون سرَّ وعد الله ولا موعدا، ليذيقهم سوء ما عملوا من قبل ويجعلهم من الذين عادَوا عبدًا صادقا، وزادوا حَيفًا وشَططا. فينكّر تأويل النبأ في أعينهم فيحسبونه شيئًا فَرِيًّا مختلَقا. وما يحلّقون إلى حيث يحلّق ذو النهى، ولا يرون الإشاراتِ المطويّة في ذلك النبأ الأخفى، ولا يخافون فتنة الله التي تصيب المجرمين خاصّة ويجادلون كالأعمى. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون بنوع من الابتلاء؟ وقد خلت سنن الله في مثل ذلك، وفيها عبرة لكل قلب يخاف ويخشى.

فاعتبروا يا أولي الأبصار.. واسألوا أهل الذكر إن كان الأمر عليكم مشتبها. أعجِبتم أن أتتكم سنة الأولين قبلا؟ أعجبتم أن أرسل الله إليكم حكما كاشفا لسر هذا النبأ، فنضا الحكم عن وجه النبأ سترا؟ أهذا في أعينكم أمر منكر، ونسيتم ما قيل لكم إن المسيح يأتي إليكم **حَكَمًا عَدْلا**؟ فما لكم لا تقبلون قول حَكَمكم.. أتنسون ما قال النبي ﷺ وأوصى؟ وإن تحسبون أنكم على صدق وحق.. فلولا تأتون عليه بنظير من قبل.. وقد قال الله إن لسننه نظائر في الأمم الأولى. أتعرفون بشرا رفع إلى السماء ثم نزل بعد قرون كما تظنون في عيسى؟ ووالله إن هذا خارج من سنن الله ولن تجدوا من مثله في كتب الله أثرا. وقد قرأتم في الصحاح أن المسيح لحق بميتين من إخوانه، واتخذ مقامًا عند أخيه يحيى. وقد وعد الله للذين تُوُفّوا مسلمين أنهم لا يُردّون إلى الدنيا، ويمكثون في دار السعادة أبدا. وقال النبي ﷺ إني أُخبرت أني أعيش نصف ما عاش عيسى، وفي ذلك دليل على وفاة المسيح لمن كان له قلب أو يمعن النظر وهو يرى. فليحكم أهل الحديث بما جاء من النبي ﷺ في الصحاح، ولا يجادلوا بأحاديث نزوله قبل أن يثبتوا صعوده بجسمه إلى السماوات العلى. ولو شاء الله لفتح آذانهم، وبصّر أعينهم، وفهّم قلوبهم، ولكن ليبلوهم فيما آتاهم، وليخزي الله من أراد خزيه في الدنيا والعقبى. ولو أن أهل الحديث آمنوا واتقوا لكفّر الله عنهم سيئاتهم وكتبهم في الصادقين، ولكن بخلوا واستعجلوا، واختاروا لأنفسهم عوجا، واتبعوا أقدام السفهاء الذين خلوا من قبل، ونسوا كل ما ذُكّروا به، وطلبوا لِدنياهم مرفقا. فلا يضرون الله شيئا من مكائدهم، وإن كانوا ليزيلوا من كيدهم جبلا. ولا تحسَبُنّهم بمفازة مِن أخذ الله، ولا تحسبوا عداوة الحق أمرا هينا. والله يتم وعده وينصر عبده، فإن جنحوا للسلم فهو خير لهم، وإن عتَوا فسيريهم الله ذلا وخزيا.

وقد أتممت عليهم حجتي، وقرأت عليهم براهين صدقي، فما نظروا من الإنصاف نظرا. ألا يرون أن الله أخبر من وفاة المسيح في مقامات شتى؟ والقرآن كله مملوّ من

ذلك، ولا تجد فيه لإثبات حياته حرفا أو لفظا. وهناك قول المسيح في القرآن: ﴿وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلمَّا توفَّيتَني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم﴾[١٣٦]. فانظر كيف يثبت من ههنا أن المسيح توفي وخلا. ولو كان نزول المسيح ومجيئه مقدرًا ثانيا لذكر المسيح في قوله شهادتين ولقال مع قوله: كنت عليهم شهيدًا وأكون عليهم شهيدا مرة أخرى.. وما حصر في الشهادة الأولى. وقال الله تعالى: ﴿فيها تحيون﴾،[١٣٧] فخصص حياة الناس بالأرض كما خصص موتهم بالثرى. أتتركون كلام الله وشهادة نبيه وتتبعون أقوالا أخر؟ بئس للظالمين بدلا!

أيها الناس.. قد أعثرني الله على هذا السر وعلّمني ما لم تعلموا، وأرسلني إليكم حكما عدلا، لأكشف عليكم ما كان عليكم مستترا. فلا تماروا ولا تجادلوا، وتدبروا في قوله: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾، واقرؤوا هذه الآية إلى قوله: ﴿يوم القيامة﴾ ثم أَمعِنوا النظر يا أولي النهى! وانظروا كيف افتتح الله من وفاة المسيح، وذكر كل واقعة بترتيب طبعي تتعلق بعيسى، حتى اختتمها على يوم القيامة، ولم يذكر من نزول المسيح في هذه السلسلة شيئًا، وما أحدث في هذا الأمر ذكرا. وما كان نزوله عند الله إلا نزول إراداته وتوجهاته على المظهر الذي قام مقامه وقرب به استعدادًا ودنا. فلَوّنه بلونه، وصَبّغه بصبغه، حتى صار المظهر مستغرقًا مغمورًا في معنى الاتّحاد، وشابه عينَ أصلِه في القُوى، وتقاربت مداركه بمداركه، وأخلاقه بأخلاقه، وجوهره بجوهره، وطبيعته بطبيعته، حتى صارا كشيء واحدٍ، وكان اسمهما واحدًا في الملأ الأعلى.

وإن اشتقتَ أن تكتنه حقيقةَ هذا السرّ، وتطلّع على أسبابه على وجهٍ أظهرَ وأَجْلَى، فأَصْغِ أبيّن لك ما علّمني ربي في هذا الأمر من أسرار الهدى. وهي أن الله

---

[١٣٦] *سورة المائدة:* ١١٨

[١٣٧] *سورة الأعراف:* ٢٦

وجد في هذا الزمان غلبة المتنصّرين وضلالاتهم إلى الانتهاء، ورأى أنهم ضلّوا وأَضلّوا خَلقًا كثيرًا، ونَجّسوا الأرضَ بشركهم وكفرهم، وأكثروا فيها الفسادَ، وأشاعوا في الناس كذبهم، وفريتهم وتلبيساتهم، وفتحوا أبواب المعاصي والهوى. ففارت غيرة الله تعالى عند رؤية هذه الفتنةِ العُظمى. فأنبأ الرَّبّ الغيور كَلِمتَه ونبيَّه مِن فتن أُمّته ومما أفسدوا في الأرض ومما يصنعون صُنْعا. وكان هذا الإخبار من سنن الله ولن تجد لسنن الله تَحوّلا ولا تبديلا. ولما سمع المسيح أن أُمته أهلكَتْ أهل الأرض وأرادت أن يستفزّهم جميعًا، وبَغتْ أمام ربِّها بغيًا كبيرا، فكثر كربه وقلقه حسرةً على أُمّته، وأخذه حزن ووَجدٌ كمثل الذي يهمّه إغاثة الملهوفين أو يجب عليه إعانة المظلومين، واستدعى من الله نائبا، وقضى أن يكون نائبه متحدًا بحقيقته ومتشابهًا بجوهره، ومقيمًا في مقام جوارحه لإتمام مراداته، ومظهرًا لظهور إراداته، فصرف لهذه المنْية عِنان التوجه إلى الثرى. فاقتضى تدبير الحق أن يهب له نائبًا تنطبع فيه صورتُه المثاليةُ كما تنطبع في الحياض صُور النجوم من السماوات العُلى. فأنا النائب الذي أرسلني الله في زمان غلبة التنصّرِ غيرةً من عنده، وإراحةً لروح المسيحِ، ورأفةً بعامة خَلقه، وترحّمًا على حال الورى. فجئت من الله لأكسر الصليب الذي أُعلِيَ شأنُه، وأقتل الخنزير فلا يُحيا بعده أبدا. واختارني ربي لميقاته، إن ربي لا يُخلف ميعاده ولا ينقض عهدا. وقد كان وعده إرسالَ المسيح عند تطاول فتنة الصليب وغلبة الضلالات العيسائيةِ، وإن كنتم في شك مما قلنا فتدبّروا في قول نبيه.. أعني قوله: "يكسر الصليب"، يا أرباب النُهى. وافتحوا أعينكم وانظروا نظرًا غامضًا إلى زمانكم وإلى قومٍ جاءوا بفتن عظيمة، ثم اشهدوا لله.. هل أتى وقت قدومِ كاسر الصليب أو ما أتى؟

والله، إني قد أُرسِلتُ من ربي، ونُفِث في روعي من روع المسيح، وجُعلتُ وعاءً لإراداته وتوجهاته، حتى امتلأت نفسي ونسمتي بها، وانخرطتُ في سلك وجوده، حتى تراءى شَبَحُ رُوحِه في نفسي، وأُشْرِبتُ في قلبي وجودَه، وبرِق منه بارقٌ فتلقّتْه

روحي أتم تلقٍّ، ولصقت بوجوده أشدَّ مما يُخيل، كأني هو، وغِبت من نفسي، وظهر المسيح في مرآتي وتجلّى، حتى تخيّلتُ أن قلبي وكبدي وعروقي وأوتاري ممتلئة من وجوده، ووجودي هذا قطعة من جوهر وجوده، وكان هذا فعل ربي تبارك وتعالى. وكان هو في أوّل أمري قريبًا مني كالبحر من القاربِ، ثم دنا فتدلى، فكان مني بمنزلة الماء في القربة، وتموج في جسدي روحه، فصرتُ كشيء لا يُرَى. ووجدته كقَنْدٍ اختلط بماءٍ لا يتميز أحدهما من الآخر، وأدركتُ بحاسة روحي أنه اتّحد بوجودي، وصرت في نفسه ملتفًّا، وصرنا كشيء واحدٍ، يقع عليه اسم واحدٍ، وغابت طينتي في طينته العُليا. هذا ما عُلّمنا من رَبِّنا، فاقضِ ما أنت قاض، واتق الله، ولا تُخلِد إلى أهواء الدنيا.

وأما الكلام الكُلّي في هذا المقام، فهو أن للأنبياء الذين ارتحلوا إلى حظيرة القُدس تدلّياتٍ إلى الأرض في كل بُرهةٍ من أزمنةٍ يُهيج الله تقاريبها فيها، فإذا جاء وقت التدلّي صرف الله أعينهم إلى الدنيا، فيجدون فيها فسادًا وظلمًا، ويرون الأرض قد مُلئت شرًّا وزورًا، وشركا وكفرًا، فإذا ظهر لأحد منهم أن تلك الشرور والمفاسد من بغي أمّته، فيضطر روحه اضطرارًا شديدًا، ويدعو الله أن يُنزله على الأرض ليهيئ لهم من وعظه رشدا. فيخلق له الله نائبا يشابهه في جوهره، وينزل روحه بتنزيل انعكاسي على وجود ذلك النائب، ويرث النائب اسمه وعلمه، فيعمل على وفق إراداته عملا. فهذا هو المراد من نزول إيليا في كتب الأوّلين، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور نبينا محمد ﷺ في المهدي خُلقًا وسيرة. وما من محدَّث إلا له نصيبٌ من تدلّيات الأنبياء، قليلا كان أو كثيرًا. ومن تجرَّدَ عن وسخ التعصّبات فلا يتردّد في هذا، ويجد السّنة والكتاب مبيّنَينِ لها.

أيها الأعزةُ.. إن حضرة الله تعالى حضرةٌ عجيبةٌ، وفي أفعال الله أسرارٌ غريبةٌ، لا يبلغ فهم الإنسان إلى دقائقها أصلا. فمن تلك الأسرار تمثُّل الملائكة والجنِّ، ومنها

حقيقة نزول المسيح التي دقّ فهمُها وعسُر اكتناهُها على أكثر الناس، فلا يفهمون الحقيقة، ولا أرى في فطرتهم إلا غضبا. والأصل الكاشف في ذلك كلام الله تعالى، فانظروا إلى القرآن الكريم كيف يبيّن معنى النزول في آياته العظمى. وتدبروا في قوله تعالى: ﴿وأنزلْنا الحديد﴾[١٣٨]، وفي قوله عز اسمه: ﴿قد أنزلْنا عليكم لباسًا﴾،[١٣٩] وفي قوله جل شأنه: ﴿وأنزلَ لكم من الأنعام﴾،[١٤٠] وفي قوله جلت قدرته: ﴿وما ننزّله إلا بقدرٍ معلوم﴾،[١٤١] وفي أقواله الأخرى. وأنتم تعلمون أن هذه الأشياء لا تنزل من السماء بل تحدث وتتولّد في الأرض وفي طبقات الثرى. وإن أمعنتم النظر في كتاب الله تعالى فيكشف عليكم أن حقيقة نزول المسيح من هذه الأقسام الذي ذكرناه ههنا، فتدبروا في قولنا وأمعنوا نظرا. وما ينبغي أن يكون اختلاف في كلام الله تعالى، ولن تجدوا في معارفه تناقضا.

والقول الجامع المهيمن الذي يهدي إلى الحق، ويحكم بيننا وبين قومنا آيةٌ جليلة من سورة "الطارق" تُذكّر سِرًّا غفلوا منه أهلُ الهوى.. أعني قوله تعالى: ﴿والسماءِ ذات الرجع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كيدًا﴾[١٤٢]. فاعلموا أيها الأعزّة أن هذه الآية بحر مَوّاجٌ من تلك الأسرار، ما أحاطتها فكر من الأفكار، وما مسّتها مُدرِكةُ الورى. وفَهّمني ربي أسرار هذه الآية واختصّني بها، وتفصيله أن الله تعالى أشار في هذه الآية إلى أن السماء مجموعة مؤثرات والأرض مجموعةُ متأثرات، وينزل الأمرُ من السماء إلى الأرض، فتلقَّتْه الأرضُ

---

[١٣٨] *سورة الحديد:٢٦*

[١٣٩] *سورة الأعراف:٢٧*

[١٤٠] *سورة الزمر:٧*

[١٤١] *سورة الحجر:٢٢*

[١٤٢] *سورة الطارق: ١٢ - ١٧*

بالقبول ولا تأبى. وفي هذا إشارةٌ إلى أن كل ما في السماء من الشمس والقمر والنجوم والملائكة وأرواح المقدسين من الرسل والنبيين والصديقين وغيرهم من المؤمنين.. يلقي أثره على ما في الأرض بمناسباتٍ قَضَتْ حكمةُ القُدس رعايتَها. فالسماء تتوجه إلى الأرض بأقسامٍ غير متناهية من النزول والرجع، والأرض تتقبلها بالانصداع والإيواء بأقسامٍ لا تعدّ ولا تُحصى. فمن أقسام نتائج هذا الرجع والصدع أشياء تحدث في طبقات الأرض كالفضة والذهب والحديد وجواهرات نفيسة وأشياء أخرى. ومن أقسامه الزروع والأشجار والنباتات والثمار والعيون والأنهار وكل ما تتصدع عنه الثرى. ومن أقسامه جمال وحميرٌ وأفراس وكل دابةٍ تدب على الأرض وكل طير يطير في الهواء. ومن أقسامه الإنسان الذي خلق في أحسنِ تقويم وفُضّل على كل من دبّ ومشى. ومن أقسامه الوحي والنبوة والرسالة والعقل والفطانة والشرافة والنجابة والسفاهة والجهل والحمق والرذالة وترك الحياء. ومن أقسامه نزول أرواح الأنبياء والرسل نزولا انعكاسيًّا على كل من يناسب فطرتهم ويشابه جوهرهم وخلقتهم في الخلق والصدق والصفاء. ومن ههنا ظهر أن تأثيرات النجوم ثابتة متحققة منصوصةٌ، ولا يشك فيها إلا الجاهل الغبي البليد الذي لا ينظر في القرآن ويجادل كالأعمى. وهذا الرجع والصدع جارٍ في السماوات والأرض من يومٍ خلقهما الله وقال ﴿ائتِيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾.[١٤٣] فمالت السماء إلى الأرض كالذكر إلى الأُنثى، ولأجل ذلك اختار الرب الكريم لفظ الرجع للسماء، ولفظ الصدع للأرض، إشارة إلى أنهما تجتمعان دائما كاجتماع الذكور والإناث، ولا تأبى إحداهما من الأخرى ولا تطغى. فتأثيرات السماء تنزل ثم تنزل، والأرض تقبلها ثم

---

[١٤٣] *سورة فصلت:* ١٢

تقبل، ولا تنقطع هذه السلسلة الدوريّة طرفةَ عين، ولولا ذلك لفسدت الأرض وما فيها.

وقال الله تعالى في أوّل هذه الآية: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾،[١٤٤] وقال بعد ذلك: ﴿والسمآء ذات الرجع﴾، فما أدراك أنه في جمع ذكر الرجعين إلى ما أومى؟ فاعلم أنه أشار إلى أن عَود الإنسان بالبعث بعد الموت في قدرة الله تعالى، كما أنه يعيد أرواح المقدسين بإعادات انعكاسية من السماء التي هي ذات الرجع، إلى الأرض التي هي ذات الصدع ومولد كل من يحيا. وهذه نكتة عظيمة لطيفة عُضَّ عليها بنواجذك، وخُذْها بقوة، هداك الله خير الهدى. هذا سِرّ النزول الذي فيه يختلفون، أمر من عنده ليقضي أمرًا قدر وقضى.

واعلموا أن لله تعالى عند ذكر أنباء الغيب ألسنة شتّى. فتارة ينبئ في ألفاظ مصرّحة للحقائق المقصودة، ويُري سقياها ومرتَعَها، ويبدي ما قصد وعنى. وتارة ينطق بلسان التجوز والاستعارة، ليُخفي الأمر ويبتلي الناس بها. وقد جرت عادته وسنته أنه يختار الإخفاء والكتم في واقعات قضت حكمته إخفاءها، ويخلق الأهواء، فتُحشَر الآراء إلى جهات أخرى. وإذا أراد إخفاء صورة نفس واقعة فربما يري في تلك المواضع الواقعةَ الكبيرة صغيرةً مهونة، والواقعة الصغيرة المسنونة كبيرة نادرة، والواقعة المبشرة مخوّفة، والواقعة المخوفة مبشرة. فهذه أربعة أقسام من الواقعات من سنن الله كما مضى.

أما الواقعة الكبيرة العظيمة التي أراد الله أن يريها صغيرة حقيرة فنظيرها في القرآن واقعة بدر لمن يتدبر ويرى. فإن الله قلّل أعداء الإسلام ببدر في منام رسوله ليذهب الروع عن قلوب المسلمين، ويقضي ما أراد من القضاء.

---

[١٤٤] *سورة الطارق: ٩*

وأما الواقعة التي أراد الله أن يريها كبيرة نادرة فنظيرها في القرآن بشارة مدد الملائكة كي تقرّ قلوب المؤمنين، ولا تأخذهم خيفة في ذلك المأوى. فإنه تعالى وعد في القرآن للمؤمنين وبشرهم بأنه يُمِدُّهم بخمسة آلاف من الملائكة، وما جعل هذا العدد الكثير إلا لهم بشرى، لأن فردا من الملائكة يقدر بإذن ربه على أن يجعل عالي الأرض سافلها، فما كان حاجة إلى خمسة آلاف بل إلى خمسة، ولكن الله شاء أن يريهم نصرة عظيمة، فاختار لفظًا يُفهَم من ظاهره كثرة الممدين، وأراد ما أراد من المعنى. ثم نبه المؤمنين بعد فتح بدر أن عِدّة الملائكة ما كانت محمولة على ظاهر ألفاظها، بل كانت مؤوَّلة بتأويل يعلمه الله بعلمه الأرفع والأعلى. وفعل كذلك.. لتطمئن قلوبهم بهذه البشرى، ويزيدهم حسن الظن والرجاء.

وأما الواقعة المبشرة التي أراد الله أن يريها مخوفة، فنظيرها في القرآن واقعة رؤيا إبراهيم بارك الله عليه وصلى. إنه تعالى لما أراد أن يتوب عليه ويزيده في مدارج قربه ويجعله خليله المجتبى.. أراه في الرؤيا بطريق التمثل كأنه يذبح ولده العزيز قربانًا لله الأعلى. وما كان تأويله إلا ذبح الكبش لا ذبح الولد، ولكن خشي إبراهيم عليه السلام ترك الظاهر فقام مسارعا لطاعة الأمر، ولذبح الولد سعَى. وما كانت هذه الواقعة مبنية على الظاهر الذي رأى، ولو كان كذلك للزم أن يقدر إبراهيم على ذبح ابنه كما رآه في الرؤيا ولكن ما قدر على ذبحه، فثبت أن هذه الواقعة كان له تأويل آخر ما فهم إبراهيم عليه السلام، وكيف يفهم عبد شيئًا ما أراد الله تفهيمه، بل أراد أن يسبل عليه سترا؟ وأنت تعلم أن كذب الرؤيا ممتنع في وحي الأنبياء. فاعلم أن ذبح الابن في حلم إبراهيم ما كان إلا بسبيل التجوز والاستعارة ليخوفه الله رحمة من عنده، ويري الخَلْقَ إخلاصه وطاعته للمولى، وليبتلي إبراهيم في صدقه ووفائه، وانقياده لربه، فما لبث إبراهيم إلا أن تَلَّ الولد العزيز للجبين ليذبحه. رب فارحَمْ علينا بنبيك وإبراهيم الذي وفّى.. الذي رأى بركاتك ولقي خيرا وفَلْجا.

ويشابه هذه الواقعة واقعة الدجال، فإنها جُعلت مخوِّفةً مهيبة، وشُدِّد فيها ومُلِئَ الرعب فيها، وأُعلي أمرها إلى الانتهاء، وما هي إلا سلسلة مُلتئِمة من هِممٍ دجالية، وما فيها من الألوهية رائحة، ولا من صفات الله نصيب، إن هي إلا سلسلة الفتن والمكايد ودعوات الضلالة، ابتلاءً من الله الأغنى. وكيف يمكن أن يحدث شريك البارئ، ويتصرف في ملكوت السماوات والأرض، وتكون معه جنة ونار، وجميع خزائن الأرض، ويطيع أمره سحاب السماء وماء البحر وشمس الفَلك، ويحيي ويميت؟ سبحانه لا شريك له.. تقدس وتعالى. كلا.. بل هي استعارة لطيفة مخبرة من وجود قوم يعلُون في الأرض ومن كل حدب ينسِلون. وهم قوم النصارى الذين لهم سابقة في التلبيس وعجائب الصنع، وعمروا الأرض أكثر مما عمرت من قبل، وترون في أعمالهم الخوارق كأنهم يسحرون. أخَذ الخَلْقَ حيرة من إيجاداتهم، ونوادر صناعاتهم، وأضلوا خلقا كثيرا مما يصنعون ومما يمكرون. أحاطت تلبيساتهم على الأرض، ونجّسوا وجهها، وأخلطوا الباطل بالحق، ويَدْع ون الناس إلى الشرك والإباحة والدهرية، وكذلك يفعلون. وكيف يمكن أن يحدث الدجال من قوم اليهود وقد ضربت الذلّة والمسكنة عليهم إلى يوم القيامة، فهم لا يملكون الأمر أبدا ولا يغلبون. ألا تقرؤون وعد الله.. أعني قوله: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾.[١٤٥] ألا تتفكرون؟ ألا تتدبّرون في القرآن كيف وضع كل غير الله تحت أقدامنا وبشرنا بعلو كلمة التوحيد إلى يوم القيامة، فكيف يزيغ قلوبكم وتؤمنون بما يعارض القرآن وتلحدون؟ أيجعل الله لذاته شريكا في آخر الزمان ولو إلى أيام معدودات؟ ألا ساء ما تحكمون!

---

[١٤٥] *سورة آل عمران:* ٥٦

وأما الواقعة المسنونة المعلومة التي أراد الله أن يُريه[١٤٦]* غريبة نادرة فنظيره * في القرآن واقعة حلم فرعون، إذ قال: ﴿إني أرى سبعَ بقرات سِمانٍ يأكلهن سبعٌ عِجافٌ وسبعَ سنبلاتٍ خضرٍ وأُخرَ يابساتٍ يا أيها الملأ أفتُوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبُرون﴾،[١٤٧] وكذلك رؤيا يوسف عليه السلام ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾.[١٤٨] فهذه النظائر حاكمة بيننا وبين قومنا، وبيانٌ شافٍ فيما كانوا فيه يختلفون. ويشابهها واقعة نزول المسيح.. أخفاها الله كما أخفى هذه الواقعات بالاستعارات، فافهموا إن كنتم تفهمون. ما كان من سنن الله أن يَكشِط أنباءه في كل وقت وزمان، بل ربما يبتلي عباده في بعض الأزمنة، ويكتم أنباءه ويومي إلى أسرار وهم لا يشعرون.

وأما الواقعة التي هي غريبة نادرة، وأراد الله أن يريها مفهومة معلومة، فنظيرها في القرآن ما أخبر الله تعالى من آلاء الجنة وأنهارها، وألبانها وأشجارها وثمارها، ولحوم طير مما يعرفونه الخلق ويشتهون. يخفي ما يشاء ويبدي.. وفي كل فعله مصالح وحكم وابتلاءات، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظواهر الشريعة وقشورها، وهم عن لبوبها غافلون. وإذا كُشف عليهم مِن سرٍّ فتزدري أعينهم ويظنون ظن السوء ويكفرون.

وقالوا كيف تواردت أمةٌ على خطأ، وكيف نظن أنهم أخطأوا كلهم وأنتم المصيبون؟ يا حسرة عليهم! لم لا يعلمون أن الله غالب على أمره، فإذا أراد أن يخبئ شيئا فلا يفهمه الفَهِمون. ويقرؤون سُنَنَه في القرآن ثم يغفلون. ألا يعلمون أن الله قد يخفي أمرًا على المقربين من الأنبياء فهم بإخفائه يبتلون؟ وما كان لأمة أن تسبق

[١٤٦] *كذا ورد في الأصل*

[١٤٧] *سورة يوسف:٤٤*

[١٤٨] *سورة يوسف:٥*

الأنبياء في فهمها، وما كان الله أن يترك قومًا بغير ابتلاء، ﴿أحسِب الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون﴾.[١٤٩] إن الله يبتلي كل أمة بأنبائه الغيبية، وقد ابتلى الفاروق وأمثاله، أ أنتم منهم تزيدون؟ ما لكم لا تخافون ابتلاء الله ولا تخشون؟ لعل نبأ نزول المسيح يكون فتنة لكم، ما لكم لا تتقون؟ أ أنتم أسلم فهمًا من الذين خلوا من قبل، أم لكم براءة من فتن الله، ما لكم لا تتفكرون؟ وقد مضت ابتلاءات قبل هذا، فطوبى لقوم يفتحون الأبصار ويعتبرون.

وقالوا كيف نؤمن بهذا المسيح وقد بشر لنا أنه ينزل عند منارة دمشق، وأنه يقتل الدجال، ويحارب الأعداء فهم يهزمون. وكذلك ينتضون حججا مغشوشة، ولقد ضل فهمهم فهم مخطئون. ألا يعلمون أن المسيح الموعود يضع الحرب؟ ألا يقرؤون الصحيح للبخاري أو ينسون؟ ومن أين نُبُّوا أن المسيح ينزل بدمشق التي هي قاعدة الشام، وبأي دليل يوقنون؟ أَسارَ معهم رسول الله ﷺ إلى دمشق، وأراهم منارة وموضع نزول، أو أراهم صورتها في شِقّة من قرطاس، فهم يعرفونها ولا ينكرون؟ أو هي مصرٌ أفضلُ من الحرمين ولها فضيلة على قرى أخرى ويسكن فيها الطيبون؟

وما يغُرّنّهم ما جاء في أحاديث نبينا ﷺ لفظُ دمشق، فإن له مفهوما عاما، وهو مشتمل على معان كما يعرفها العارفون. فمنها اسم البلدة، ومنها اسم سيد قوم من نسل كنعان، ومنها ناقة وجمل، ومنها رجل سريع العمل باليدين، ومنها معان أخرى. فما الحق الخاص للمعنى الذي يصرون عليه وعن غيره يعرضون؟

وكذلك لفظ المنارة التي[١٥٠] جاء في الحديث.. فإنه يعنى به موضع نور، وقد يطلق على علَمٍ يُهتدى به. فهذه إشارة إلى أن المسيح الآتي يُعرَف بأنوار تسبق دعواه،

---

[١٤٩] *سورة العنكبوت:* ٣

[١٥٠] *سهو، والصحيح: الذي.*

فهي تكون له كعلم به يهتدون. ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾.[١٥١] فكما أن السراج يعرف بإنارته كذلك المسيحُ يعرف بمنارته.

وما ثبت وجود منارةٍ في شرقي دمشق على عهد رسول الله ﷺ، وما أومأ إليه إذا لارتاب المبطلون، بل هي استعارات مسنونات يعرفها الذين أوتوا العلم، وما يجادل فيها إلا الظالمون. أفلا يدّبرون سنن الله أم جاءهم ما لم يأت من قبل فهم له منكرون؟ وأي سر كان في تخصيص بلدة دمشق ومنارتها؟ فبيّنوا لنا إن كنتم تتبعون أسرار الله ولا تلحدون. أتعجبون من هذه الاستعارة ولا تعلمون أن الاستعارات حُلل كلام الأنبياء، فهم في حلل ينطقون؟ اذكروا قول إبراهيم عليه السلام.. أعني قوله: "غَيِّرْ عَتَبَةَ بابك"، ثم انظروا إلى إسماعيل عليه السلام كيف فهم إشارة أبيه. أفهم من العتبة عتبةً أو زوجة؟ فتفكروا أيها المسلمون. وانظروا إلى الفاروق رضي الله عنه كيف فهم من كسر الباب موته، لا كسر الباب حقيقةً؟ وإن شئتم فاقرؤوا حديث حذيفة في الصحيح للبخاري لعلكم تهتدون.

وقالوا إن المسيح الموعود لا يجيء إلا في وقت خروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وما نرى أحدا منهم خارجا، فكيف يجوز أن يستقدم المسيح وهم يستأخرون؟ أما الجواب، فاعلموا.. أرشدكم الله تعالى.. إن هذان لاسمان لقوم تفرّق شعبهم في زماننا هذا آخرِ الزمان وهم في وصف متشاركون. وهم قوم الروس وقوم البراطنة وإخوانهم، والدجال فيهم فَيجُ قسيسين ودعاةُ الإنجيل الذين يخلطون الباطل بالحق ويدجلون. واعتدى[١٥٢] لهم الهند متكأ، وحقت كلمة نبينا ﷺ أنهم يخرجون من بلاد المشرق، فهم من مشرق الهند خارجون. ولو كان الدجال غير ما قلنا، وكذلك

---

[١٥١] *سورة الأحزاب: ٤٧*

[١٥٢] *سهو، والصحيح: أعتدتْ.*

كان قوم يأجوج ومأجوج غير هذا القوم، للزم الاختلاف والتناقض في كلام نبي الله ﷺ. وأيم الله إن كلام نبينا منزه عن ذلك، ولكنكم أنتم عن الحق مبعدون.

ألا تقرؤون في أصح الكتب بعد كتاب الله أن المسيح يكسر الصليب؟ ففي هذا إشارة بيّنة إلى أن المسيح يأتي في وقت قوم يعظّمون الصليب.. ألا تفهمون؟ وقد تبين أنهم أعداء الحق، وفي أهوائهم يعمهون. وقد تبين أنهم ملكوا مشارق الأرض ومغاربها ومن كل حدب ينسِلون. وقد تبينت خياناتهم في الدين وفتنهم في الشريعة، وفي كل ما يصنعون. أترون لدجالكم المفروض في أذهانكم سعةَ موطئِ قدم في الأرض ما دام فيها هؤلاء؟ فالعجب من عقلكم! من أين تنحتون دجالا غير علماء هذا القوم، وعلى أي أرض إيّاه تسلّطون؟ ألا تعلمون أن المسيح لا يجيء إلا في وقت عبدة الصليب، فأنى تؤفَكون؟ ألا ترون أن الله تعالى مكّن هذه الأقوام في أكثر الأرض وأرسل السماء عليهم مدرارًا، وآتاهم من كل شيء سببا، وأعانهم في كل ما يكسبون؟ فكيف يمكن معهم غيرهم الذي تظنون أنه يملك الأرض كلها؟ يا عجبا لفهمكم! أ أنتم مستيقظون أم نائمون؟ أنسيتم أنكم قد أقررتم أن المسيح يأتي لكسر الصليب؟ فإذا كان الدجال محيطًا على الأرض كلها، فأنى يكون من الصليب وملوكه أثر معه.. ألا تعقلون؟ ألا تعلمون أن هذان نقيضان فكيف يجتمعان في وقت واحد أيها الغافلون؟ وإن زعمتم أن الدجال يكون قاهرا فوق أرض الله كلها غير الحرمين، فأي مكان يبقى لغلبة الصليب وأهل الصليب، أ أنتم تثبتونه أو تشهدون؟ ما لكم لا تفهمون التناقض؟ وأفضَى بعض أقوالكم إلى بعض يخالفها، ودجلتم في أقوال رسول ﷺ ثم أنتم على صدقكم تحلفون. وتُضِلّون الذين ضعفوا قلبًا ولُبًّا وعقلا، وتزيّنون باطلكم في أعينهم، وتزيدون على أقوال الله ورسوله وتنقصون. لن تستطيعوا أن ترفعوا هذه الاختلافات، أو توفّقوا وتطبّقوا ولو حرصتم، ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا، فلا تميلوا كل الميل إلى الباطل وأنتم تعلمون. وإن تقبلوا الحق وتتقوا فإن الله

يتوب عليكم، ويغفر لكم ما قد سلف. فليتدبر أهل الحديث في هذا. ومن لم يهتد بعد ما هدي فأولئك هم الفاسقون.

أيها الناس.. قد جاءت علامات آخر الزمان فلِمَ في مجيء المسيح تشكّون؟ تعالوا أتل عليكم بعضها لعلكم ترشدون. فمنها أن نار الفتن والضلالات قد حشرت الناس من المشرق إلى المغرب، وفي ذلك ذكرى لقوم يتقون. وأتى الإبليس من بين أيدي الناس، ومن خلفهم وعن شمائلهم، وأُبسِلوا بما كسبوا، وما عصم من فتنة الله إلا من رحم، وحال بينهم وبين إيمانهم موج الضلالات فهم مغرقون. وكثير منهم ازدادوا كفرا وعداوة بعد ما ارتدوا واعتدوا فيما يفترون. وجاهَدوا حق جهادهم أن يطفئوا نور الإسلام، فما اسطاعوا أن يضروه، وما استطاعوا أن يظهروه، ولمسوا كتاب الله فوجدوه مُلئت حججا بينة ونورا فرجعوا وهم خائبون. وإنه لكبير في أعين الذين يجادلون ظلمًا وعُلُوًّا ولكن الظالمين لا يخافون الله ولا يتركون دنياهم ولا يتقون. وذهب الله بنور قلوبهم وبصارة أعينهم بما فسقوا.. وتركهم في ظلمات فهم لا يبصرون. قلوبهم غُلْف، وأعينهم كالمرايا التي ما بقي صفاء فيها، ولا يعلمون إلا الأكل والشرب، وتركوا الله الوحيد، وهم على أندادهم عاكفون. كثرت فتنتهم، وزادت على المسلمين محنهم، وكلَّ يوم في ترعرُعٍ شجرتهُم، وفي تموّجٍ رَيعُهم وزيادتهم، وتَراءَوا من كل صَقْعة وفي دنياهم يزيدون. وترى الإسلام كقُفّةٍ ما لها من ثمرة، وأقفّتْ دجاجته وما بقي من بيضة، فليبك الباكون. ضاعت الأمانة وموضعها، ومُحِيَ أثر الديانة ورُفع شَرْجَعها، ووئد العلم وخلا العالمون، وبقي العلماء كتنانين، لا يعلمون الديانة ولا الدين، وإلى الأهواء يأفَدون. والذين سموا أنفسهم مسلمين أكثرهم أمام ربهم يفسقون. ويشربون الخمر ويزنون، ويظلمون الناس وفي الشهادات يكذبون. وارتدعوا عن الطاعات، ولا يرفعون يدا إلى الصدقات، وإلى المنكرات هم باسطون. وهذه الآفات كلها نزلت عليهم بعد ما نزلت علوم المغرب في قلوبهم، وحُرّية التنصّر في بلادهم، فهم إليهم يُحْشَرون. وهذا

هو النبأ الذي قد بيّنه رسول الله ﷺ وأنتم تقرؤونه في صحيح البخاري أو تسمعون. فانظروا إلى فتن العلوم المغربية.. كيف تحشر الأحداث إلى المغرب.. وانظروا كيف صدّق الله نبأ رسوله أيها المؤمنون.

واعلموا أن المراد من النار نار الفتن التي جاءت من المغرب، وأحرقت أثواب التقوى. فتارة توعدت السفهاء من لهبها، وأخرى زينت في أعينهم نورها، وراودتهم عن أنفسهم، فهم بها مفتونون. فلا تفهموا من هذه الأنباء مدلولها الظاهر، ولا تعرضوا عما تشاهدون. واعلموا أن لكلمات رسول الله ﷺ شأنا أرفع وأعلى، ولا يفهمها إلا الذي رزقه الله رزقًا حسنا من المعارف، وأعطاه قلبًا يفهم، وعينًا تبصر، وأذنا تسمع، فهو على بصيرة من ربه، ولا يلقاها إلا الذين ما بقي لهم عين ولا أثر وهم يفنون في رسول الله ﷺ بحيث يصير وجودهم منخلعا عن أحكامه، وبأحكام وجود النبي ينصبغون. فأولئك الذين يُملأ صدورهم من علم النبي، ويؤتون حظا من أنواره، ومن عينه يشربون. ويعطى لهم نصيب من صرافة العصمة والحكمة، ويسقون من كأس مزاجها من تسنيم، ويزكّون بجلال الله وسلطانه، وبحفظهم[١٥٣] يحفظون. ثم يرثهم السعيد الذي يستمع كلامهم بحسن الظن والقبول، ويتبعهم ويلزمهم، ويؤثر نفسهم لكسر سورة نفسه، ويغيب فيهم بمحبته، فيخرج كالدر المكنون. والحمد لله الذي جعلني منهم، فليمتحن الممتحنون.

لقد جئتهم بالحكمة والبصيرة من ربي، ولأبيّن لهم بعض الذي كانوا فيه يختلفون. وفرّقوا الإسلام وجعلوا أهله شيعا، وبعضهم على بعض يصولون ويكفرون. فالآن نناديهم في عَراء، فهل منهم مبارزون؟ وقد دعوناهم إلى المقاومة فهم عنها معرضون.

---

[١٥٣] *سهو، والصحيح: وبحفظه.*

أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون. أم يحسبون أن الله لا يميز بين الخبيث والطيّب.. ما لهم كيف يتفكرون؟ وإني أفوض أمري إلى الله، وأصفح عنهم فسوف يعلمون.

ومن علامات آخر الزمان التي أخبر الله تعالى منها في القرآن واقعات نادرة تشاهدونها في هذا الزمان وتجدون. وقد بيّن لنا علاماته وقال: إذا الجبال سيِّرت، وإذا البحار فجِّرت، وإذا العِشار عطِّلت، وإذا النفوس زوِّجت، وإذا الصحف نُشرت. إذا زلزلت الأرض... الآية، وإذا الأرض مُدّت، وألقت ما فيها وتخلَّتْ، وإذا الكواكب انتثرت، وإذا الوحوش حُشرت. وفي كل ذلك أنباء آخر الزمان لقوم يتفكرون.

أما تسيير الجبال فقد رأيتم بأعينكم أن الجبال كيف سيّرت وأزيلت من مواضعها وخيامُها هدِّمت، وقُنونها لاقتِ الوِهاد وصفوفُها تقوضت، تمشون على مناكبها وتأفَدون.

وأما تفجير البحار فقد رأيتم أن الله بعث قوما فجّروا البحار وأجرَوا الأنهار وهم على تفجيرها مداومون. وأحاطوا على دقائق علم تفجير الأنهار وأفاضوها على كل واد غير ذي زرع، ليعمروا الأرض ويدفعوا بلايا القحط من أهلها وكذلك يعملون، لينتفعوا من الأرض حق الانتفاع فهم منتفعون.

وأما تعطيل العشار فهو إشارة إلى وابور البر الذي عطّل العِشار والقِلاص فلا يُسعى عليها، والخلق على الوابور يركبون. ويحملون عليه أوزارهم وأثقالهم، وكطيِّ الأرض من مُلك إلى ملك يصلون. ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. جعل الله على قلوبهم أكنة أن يفقهوا أسراره، وفي آذانهم وقرا فهم لا يسمعون. وإذا وجدوا صنعة من صنائع الناس.. ولو من أيدي الكفرة.. يأخذونها لينتفعوا بها، وإذا رأوا صنعة رحمة من الله فيردّون.

وأما تزويج النفوس فهو على أنحاء.. منها إشارة إلى التلغراف الذي يُمِدّ الناس في كل ساعة العسرة، ويأتي بأخبار أعزّة كانوا بأقصى الأرض، فينبئ من حالاتهم قبل

أن يقوم المستفسر من مقامه، ويُدير بين المشرقي والمغربي سؤالا وجوابا كأنهم ملاقون. ويخبر المضطرين بأسرع ساعة من أحوال أشخاص هم في أمرهم مشفقون. فلا شك أنه يزوّج نفسَين من مكانين بعيدَين، فيكلم بعضهم بالبعض كأنه لا حجاب بينهم وكأنهم متقاربون.

ومنها إشارة إلى أمن طرق البحر والبر ورفع الحرج، فيسير الناس من بلاد إلى بلاد ولا يخافون. ولا شك أن في هذا الزمان زادت تعلقات البلاد بالبلاد، وتعارف الناس بالناس فهم في كل يوم يزوَّجون. وزوّج الله التجار بالتجار، وأهل الثغور بأهل الثغور، وأهل الحرفة بأهل الحرفة، فهم في جلب النفع ودفع الضرر متشاركون. وفي كل نعمة وسرور، ولباس وطعام وحبور، متعاونون. ويُجلَب كل شيء من خِطّة إلى خطة، فانظر كيف زوّج الناس كأنهم في قاربٍ واحدٍ جالسون.

ومن أسباب هذا التزويج سير الناس في وابور البر والبحر، فهم في تلك الأسفار يتعارفون. ومن أسبابه مكتوبات قد أُحسنت طرق إرسالها، فترى أنها ترسل إلى أقاصي الأرض وأرجائها، وإن أمعنت النظر فتعجبك كثرة إرسالها، ولن تجد نظيرها في أول الزمان، وكذلك تعجبك كثرة المسافرين والتجارين. فتلك وسائل تزويج الناس وتعارفهم، ما كان منها أثر من قبل وإني أنشدتُكم الله.. أرأيتم مثلها قبل هذا أو كنتم في كتب تقرؤون؟

وأما نشر الصحف فهو إشارة إلى وسائلها التي هي المطابع، كما ترى أن الله بعث قومًا أوجدوا آلات الطبع، فكأين مِن مطبع يوجد في الهند وغيره من البلاد. ذلك فعل الله لينصرنا في أمرنا، وليشيع ديننا وكتبنا، ويبلغ معارفنا إلى كل قومٍ لعلهم يستمعون إليه ولعلهم يرشدون.

وأما زلزلة الأرض وإلقاؤها ما فيها فهي إشارة إلى انقلاب عظيم ترونه بأعينكم، وإيماء إلى ظهور علوم الأرض وبدائعها وصنائعها، وبدعاتها وسيئاتها، ومكايدها وخدعاتها، وكل ما يصنعون.

وأما انتشار الكواكب فهو إشارة إلى فتن العلماء وذهاب المتقين منهم، كما أنكم ترون أن آثار العلم قد امتَحتْ وعفَتْ. والذين كانوا أوتوا العلم فبعضهم ماتوا وبعضهم عمُوا وصمّوا، ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا، وكثير منهم فاسقون، والله بصير بما يعملون.

وأما حشر الوحوش فهو إشارة إلى كثرة الجاهلين الفاسقين، وذهاب الديانة والتقوى، فترون بأعينكم كيف نزَح بِيرُ الصلاح وأصبح ماؤه غورا، وأكثر الخَلق يسعون إلى الشر وفي أمور الدين يُدهِنون. إذا رأوا شرًّا فيأخذونه، وإذا رأوا خيرًا فهم على أعقابهم ينقلبون. ينظرون إلى صنائع الكفرة بنظر الحب، وعن صنع الله يعرضون.

أيها الناس.. انظروا إلى آلاء الله.. كيف جدّد زمنكم، وأبدعَ هيئةَ دهركم، وأترعَ فيه عجائب ما رأتها أعين آبائكم ولا أجدادكم، وأنتم بها تُترَفون. وعلّم أهلَ أروبا صنعةَ وابور البرّ إهداءً لكم ولعشيرتكم لعلكم تشكرون. انظروا إليها كيف تجري بأمره في البراري والعمران، تركبونها ليلا ونهارا، وتذهبون بغير تعب إلى ما تشاءون. وكذلك فهّم أهلَ المغرب صنائع دون ذلك من آلات الحرث والحرب، والعمارات والطحن واللبوس، وأنواع أدوات جر الثقيل، وما يتعلق بتزيينات المدن والمنازل وتسهيل مهماتها، فأنتم ترغبون فيها وتستعملون. وتجدون في كل شهر وسنة من إيجادات غريبة نادرة، لم تر عينكم مثلها، فمنها ما يُمِدُّكم في عيشتكم، وتنجيكم من شِقّ الأنفس، كصناديق طاقة الكبريت التي بها توقدون، وكزيت الغاز الذي منه مصابيحكم تنيرون. ومنها صنائع هي زينة بيوتكم، فتأخذونها وأنتم مستبشرون.

فانظروا وتفكروا.. إن الله ربكم الرب الكريم الذي أعطاكم من كل نوادر الأرض وأملأ بيوتكم منها، فكيف تعجبون من نزول نوادر السماء وتستبعدون؟ وتسرّون بأشياء دنياكم التي هي أيام معدودات، ولا تنظرون إلى زاد عقباكم ولا تبالون. وكيف تعجبون من نزول المسيح وأيام الفضل الروحاني، وأنتم ترون عجائب فضل الله قد تجلت لإراحة أجسامكم بصور جديدة، وحلل نادرة، ما تجدون مثلها في أيّام آبائكم. أ فتؤمنون بعجائب الكفار وبفعل الله تكفرون؟ وتيئسون من قدرة الله، ومن قدرة الخلق لا تيئسون؟ ما لكم لا تعرفون أفعال الله النادرة ببعض أفعاله التي تعرفونها وتشاهدون؟ أ كنتم مطلعين من قبل على هذه النوادر التي ظهرت في زمانكم من وابور البر والتلغراف وصنائع أخرى. كانت هي كلها مكتوبة في القرآن ولكنكم كنتم لا تفهمون، وكذلك ما فهمتم سر نزول المسيح من غرارتكم، وقد كان مكتوبا في كتاب الله. وما كان لبشر أن يفهم شيئا قبل تفهيم الله، ولو كان النبيون.

والعجب كل العجب منكم أنكم لا تظهرون كراهة في قبول صناعات جديدة مفيدة لأجسامكم، ولكن إذا دعوتكم إلى صنع الله الذي أتقن كل شيء، ورأيتموه في أعينكم غريبا نادرا، فأظهرتم كراهة وسخطة، وأبيتم وأنتم تعلمون.

أيها الناس.. ما جئت بأمر منكر، وقد شهد الله على صدقي، ورأيتم بعض آياتي، ووجدتم ذكر زمني في كتاب الله الذي به تؤمنون. والله نكّر الأمر في أعينكم ليبتلي علمكم وتقواكم، فاغترّت فتنتُه وأنتم غافلون. أيها الإخوان! خذوا كتاب الله بأيديكم ثم تدبروا فيه.. هل جاء وقت آخر الزمان أو في مجيئه حقب وقرون؟ إنكم تعلمون أن المسيح يأتي في آخر الزمان، وقد رأيتم بأعينكم علاماته، وشاهدتم النوادر الأرضية التي جعلها القرآن الكريم من آثار الزمن المتأخر، وأنتم منها تنتفعون. فما

لكم لا تؤمنون بالنوادر السماوية التي تدل عليها الآية الكريمة.. أعني بذلك قوله تعالى: ﴿إذا السماء كُشطتْ﴾،[١٥٤] وتُخلدون إلى الأرض ومن آلاء السماء تبعدون؟

وقد بشر الرب الكريم في هذا الأمر بشارة أخرى بقوله: ﴿وإنا له لحافظون﴾[١٥٥] ولكن تنسون بشارات ربكم وفي آياته تُلحدون.

اعلموا أيها الأعزة.. أن السماء والأرض كانتا رَتْقًا ففتَقهما الله، فكُشطت السماء بأمره وصدعت، ونزلت نوادر وخرجت، ليبتلي الله عباده إلى أيّ جهةٍ يميلون. وتقدمت نوادر الأرض على نوادر السماء، فاغتر الناس بصنائعها وعجائب علومها وغرائب فنونها، وكادوا يهلكون. فنظر الرب الكريم إلى الأرض ورآها مملوءة من المهلكات، ومترَعة من المفسدات، ورأى الخلق مفتونا بنوادرها، ورأى المتنصرين أنهم ضلوا ويُضِلّون، ورأى فلاسفتهم اختلبوا الناس بعلومهم ونوادر فنونهم، فوقعت تلك العلوم في قلوب الأحداث بموقع عظيم كأنهم سُحروا فجذبوا إلى الشهوات واستيفاء اللذات، والتحقوا بالبهائم والحشرات، وعصوا ربهم وأبويهم وأكابرهم، وأُشربوا في قلوبهم الحرّية، وغلبت عليهم الخلاعة والمجون. فأراد الله أن يحفظ عزة كتابه ودين طلابه، من فتن تلك النوادر كما وعد في قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. فأنجز وعده، وأيد عبده، فضلا منه ورحمة، وأوحى إليّ أن أقوم بالإنذار، وأنزل معي نوادر النكات والعلوم والتأييدات من السماء، ليكسر بها نوادرَ المتنصرين وصليبهم، ويحتقر أدبهم وأديبهم، ويدحض حجتَهم، ويفحم بعيدهم وقريبهم. فمظهر نوادرِ الأرض وفتنِها هو الذي سمي بالدجال المعهود، ومظهر نوادر السماء وأنوارِها هو الذي سمي بالمسيح الموعود. خصمانِ تقابلا في زمن واحد، فليستمع المستمعون.

---

[١٥٤] *سورة التكوير*: ١٢.

[١٥٥] *سورة الحجر*: ١٠.

فالآية الأولى من آيات صدقي أني أرسلت في وقت هذه الفتن التي قد أشار كتاب الله إليها. فأنزلني ربي من السماء كما أخرج الفتن من الأرض، وتكلم في استعارات وأيّدني كما أُيّد الصادقون. انظروا إلى الأيام التي كانت قبلكم من اليوم التي خلق الله فيه الإنسان.. هل شاعت وغلبت مثل هذه الفتن العظيمة على وجه الأرض؟ أو هل سمع نظيرها ونظير نوادرها في شيع الأولين؟ فما لكم لا تتفكرون؟ أما ترون كيف تُرَدّ آيات الله بأقوال الفلاسفة وتستهزأ بها، وتكتب في ردها ألوف من كتب، هل سمعتم مثلها من قبل أيها المؤرخون؟ هل سمعتم من قبلُ توهينَ الرسول الكريم وسَبَّه وطعنًا في دينه، والضحك عليه، كما أنكم في هذا الزمان تسمعون؟ أو هل سمع أحد من الأولين ازدراء كتاب الله واحتقار رسوله بألفاظ شنيعة مؤلمة كما تسمعها آذانكم؟ فلم تعجبون من رحمة الله في هذا الطوفان أيها النائمون؟ ألا ترون كيف يسخرون منكم ومن دينكم؟ سخِر الله منهم وأصمّهم وأعماهم فهم لا يُبصرون.

أيها الأعزة.. هل أتى زمان على أحد كما أتى عليكم؟ سمعتم من أهل الكتاب أذًى كثيرا وسبقوا في الافتراء والسبّ والإيذاء، وصُبّت على الإسلام مصائب. ترتَع الحمير في مرعى الخيل، وترتَع الكلاب على الغِيل بشدة الميل، فأي زمان بعد ذلك تنتظرون؟

ومن آيات صدقي أنه تعالى وفّقني باتباع رسوله واقتداء نبيه ﷺ، فما رأيت أثرا من آثار النبي ﷺ إلا قفوته، ولا جبلا من جبال المشكلات إلا علوته، وألحقني ربي بالذين هم ينعمون.

ومن آيات صدقي أنه أظهرني على كثير من أمور الغيب، وهو لا يظهر على غيبه أحدا إلا الذين هم يرسلون.

ومن آيات صدقي أنه يجيب دعواتي، ويتولى حاجاتي، ويبارك في أفعالي وكلماتي، ويوالي من والاني، ويعادي من عاداني، وينبئني مما يكتمون. وإنه سمع كثيرا من بكائي، ورفعني إذا خررت أمامه، وأجاب أدعيةً لا أستطيع إحصاءها، وأحسن مثواي ومنّ علي بآلاءٍ ليست لي ألفاظ لبيانها، وأتمَّ عليّ رحمته في الدنيا والآخرة، وجعلني من الذين ينصرون. وخاطبني وقال: "يا أحمدي، أنت مرادي ومعي. أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي. فحان أن تُعان وتُعرف بين الناس. أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق". فكلّمني بكلمات لو كانت لي الدنيا كلها ما أسرّني كما أسرّتني هذه الكلمات المحبوبة. فروحي فداءُ سبيله، هو وليي في الدنيا والآخرة. ما أصابني ظمأ ولا نصب ولا مخمصة إلا أتاني لنصرتي، وأرى آلاءه واردةً تترا عليّ كالذين لا يستحسرون.

ومن آيات صدقي أنه أعطاني علم القرآن، وأخبرني من دقائق الفرقان، الذي لا يمسّه إلا المطهّرون.

ومن آيات صدقي أنه أدبني فأحسن تأديبي، وجعَل مشربي الصبرَ والرضاء والموافقة لربي والاتباع لرسولي. وأودع في فطرتي رموز العرفان، وجعلني عارفا لمصالح الأمور ومفاسدها، وأدخلني في الذين هم منفردون.

يا مشايخ العرب وأصفياء الحرمين.. هذه هي الأخبار والمواعظ التي عرضتها على علماء الهند، ونبّهتهم فلم ينتبهوا، ووعظت فلم يتعظوا، وأيقظت فلم يستيقظوا، ووقعوا في ظنون الجاهلية، وهمّوا بتكفيري وتكذيبي، وأخذوا بتلابيبي، وهم على قولهم يصرّون. وقد أتممت عليهم حجتي، وابتلج عليهم صباح صدقي، وجحدوا بدعوتي واستيقنتها أنفسهم وهم بلسانهم منكرون. وإني أرى قلوبهم وَجِلةً، وفي مهجتهم حسرة وكربة، وتراءى لهم الحق وهم يتجاهلون. وأرى أنهم قد تفرقوا وكانوا في أمري أزواجا شتّى، فبعضهم صدقني وهم ضعفاؤهم وأتقياؤهم، وبعضهم كذبني وأعرض

وازدراني في عينه كبرًا وقلًى، وهم الذين يستكبرون. وإني أرى المصدقين أنهم يزيدون، وأرى المكذبين أنهم ينقصون، ويأتي الأرض ربي ينقصها من أطرافها، ويفهّم القلوب، ويفتح العيون، ويزيل الظنون. والذين يأتونني بتوسم الأتقياء فهم يعرفونني ويبايعون. يشحّذ بصيرة تقواهم فهم لا يتردّدون.

وقد أنبأني ربي أني كسفينة نوح للخلق، فمن أتاني ودخل في البيعة فقد نجا من الضيعة، فطوبى لقوم هم ينجون. وما آمر الناس إلا بالقرآن، وإلى القرآن، وإلى طاعة الرب الذي إليه يرجعون. إن الله قد رأى في قلوب الناس، وجوارح الناس، وأعين الناس، وآذان الناس، ونيّات الناس، ذنوبًا وآثامًا وإجرامًا، ورآهم ملوَّثين بأنواع المعاصي والخطيات، فأقام عبدًا من عباده لدعوتهم إلى لبّ الدين وحقيقة الشريعة التي ما ذاق الناس طعمها، فهم منها مهجورون.

أيها الإخوان من العرب ومن مصر وبلاد الشام وغيرها.. إني لما رأيت أن هذه النعمة نعمة عظيمة، ومائدة نازلة من السماء، وآية كريمة من الله ذي العطاء، فلم تطب نفسي أن لا أشارككم فيها، ورأيت التبليغ حقا واجبا، ودينا لازمًا لا يسقط بدون الأداء، فها أنا قد قلت لكم ما تَبدّى لي من ربي، وأنتظر كيف تجيبون.

ووالله إني مأمور من الله الذي أرسل نبينا وسيدنا محمدا المصطفى ﷺ لهداية كافة الناس. وأعلم من الله أنه لا يضيعني، وقد خلع علي من حلل الولاية، وسقاني من كأسها، وأعطاني ما يعطى المقربون. وأرى بركاتِه نازلةً على أنفاسي، وعلى قلبي ولساني، وعلى فهمي وبياني، وعلى جدران بيتي وعتبة بابي وأُسْكُفّتِها، فهل أنتم تقبلون؟ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. وإني متوكل على ربي، وأفوض أمري إلى الله، وأدعو الله أن يصفي خَلقه من خبث الأهواء، ويلهمهم فعلَ الخيرات وقبولَ نداء أهل الاجتباء،

وينجيهم في الدنيا والآخرة من سوء الخزي وجهد البلاء، ويُلحقهم بالذين هم صادقون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي يهب الإيمان، ويفتح الآذان، وينوّر العيون، ويزيل الظنون.

تتمة البيان..

في ذكر بعض السوانح

ومنن اللّه المنان

أيها الإخوان، قد أُلقيَ ببالي، من بعد ما نمّقتُ مكتوبي وأتممت مقالي، أن أكشف القِناع عن بعض سوانحي وسوانح آبائي، لتعلموا ما أسبغ الله عليّ من العطاء، وربّاني من أيدي المنن والآلاء، ولكي يحصل لكم بصيرة تامّة في أموري ومهامي، ويتضح وينكشف عليكم مسكني ومستقري ومقامي، ولعل الله يقلب قلوبكم وتأتونني مسترشدين، أو تراسلونني وتسألون.

فاعلموا.. أيدكم الله.. أن آبائي كانوا الفارسيين أصلا ومن سادة القوم وأمرائهم. ثم قادهم قضاء الرحمن إلى بلدة "سمرقند"، فلبثوا فيه برهة من الزمان، والله يعلم بما لبثوا، ولا علم لي إلا ما أُنبئتُ من صحفهم التي كانوا يكتبون. ثم بدا لهم أن يسيروا إلى أرض الهند، فسافروا من وطنهم، وانحدروا إلى بعض أضلاع منها يقال لها "فنجاب"، ووجدوا في بعض نواحها أرضا طيبة مُخصبةً، صالحة الهواء عذبة الماء، فألقَوا بها عصا التَّسْيار، ونزلوا فيها بِنيّة الاستقرار، وكانوا متغربين في نفر من قومهم.. منهم السادة ومنهم الخادمون. فآواهم الله في تلك الأرض، وبوّأهم مبوّأ عزة، ومكّنهم. فعمروا فيها قرية، وسموها: "إسلام بور" (المعروف بقاديان)، ذلك بأنهم أرادوا أن يُسكنوها جماعة المسلمين من أعزتهم، ليكون بعضهم لبعض ظهيرا، ولعلهم يحفظون أنفسهم من الأعداء، وإذا أصابهم البغي ينتصرون. وسكنوها وتملكوا، وأثمروا وبوركوا، وكان هذه الواقعة في أيام دولة الملوك الجغتائية، الذين كانوا

من أقوام الجيل، وكان زمام الحكومة إذ ذاك بيد اقتدار الملك الذي كان اسمه "بابر"، وكان من الذين يكرمون الشرفاء ويعظمون. فأعزّهم وأكرمهم، وأعطاهم قرى كثيرة، وجعلهم من أمراء هذه الديار وأهل الأرضين، وعظماء الحراثين وزعمائهم، ومن الذين يتملكون.

فرَقُوا في مدارج الإقبال، وزادوا أموالا وأراضي وإمارةً، وكانوا.. مع إماراتهم وثروتهم.. يتقون الله، وفي سبل الخير يسلكون. وفي أيّام إمارتهم تَهَلَّلَ وجه الإسلام في رعاياهم وأقوامهم، وكانوا أتقياء، وكانت الأمم لهم يخضعون. وكانوا يرغبون في الصالحات، وفعل الخيرات، ويمسكون بكتاب الله، وينصرون دين الله، وإلى نوائب الحق يَأفَدون.

وبعد ذلك الأيام.. قُلِّب أمر سلطنة الإسلام، وتطرق الاختلال والضعف فيها، ليصيب الذين أجرموا من الملوك صغار من عند الله، وعذاب شديد بما كانوا نسوا حدود الله، وبما كانوا يعتدون. فصاروا طرائقَ قِدَدًا.. يبغي بعضهم على بعض، ويقتلون أنفسهم ويفسدون. وتركوا كل رشدٍ وصلاح، ومالوا إلى ما يباين الورع، وكانوا في أعمالهم يعتدون. ولم يبق فيهم من يتعاشر بالمعروف، ويرحم على الضعيف المؤوف، بل عاقب بعضهم بعضًا بالسيوف، وأرادوا أن يأكلوا شركاءهم، ويستأصلوا إخوانَهم، وأكابرهم وآباءهم، وكانوا من بعدهم كالذين لا شريك لهم في الملك وهم متوحدون. وأكثرهم كانوا يعملون السيئات، ويستوفون دقائق الشهوات، ويتركون فرائض الله وحدوده، وإلى شرك الأهواء يُوفِضون ثم لا يُقصِرون. وفرحوا بما عندهم من الدنيا، واستقرأوا طرقا منكرة، وأخذوا سبلا منقلة، وطاغوا وزاغوا، وانتهى أمرهم إلى فساد ذات البين، فسقطوا من الزين في الشين، فغيِّر زمانهم، وقلِّب دهرهم، ذلك بأن الله لا يرضى أن يرث أرضه الفاسقون. وكان بعضهم كمثل الذين ارتدوا من دين الإسلام، وخلعوا عنهم رداء أسوة خير الأنام، وكانوا لا يعرفون نعماء الله ولا

يشكرون. فغضب الله عليهم، ومزق ملكهم، وجعله عضينَ، وبعث أقوامًا كانوا يبسطون أيديهم إلى ممالكهم ويقتسمون.

وكان ذلك الزمن زمان طوائف الملوك، وكانوا إلى ثغورهم يحكمون. وكان آبائي منهم، يأمرون على ثغرهم، وكالملوك على قراهم يقتدرون. وكان يُرفَع إليهم ما وقع في رعاياهم، فكانوا يحكمون كيف يشاءون، ولا يخافون إلا الله ولا يستجيزون أحدا ولا يستأذنون.

ثم نُقل صلحاء آبائي إلى جوار رحمة الله، وخلَف من بعدهم قوم أضاعوا الصالحات المسنونات، وما رعَوها حق رعايتها، ووقعوا في البدعات والرسوم وما تَعافَوها، وكانوا لدنياهم يلتاعون. وكذلك هبّت الريح في تلك الأيام على جميع أمراء المسلمين وطوائف ملوكهم، وغفلوا من الانقياد إلى الله والإخبات له، وعصوا أحكام القرآن، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وكانوا يراءون ولا يخلصون.

ونظر الله إليهم فوجدهم كأجساد لا أرواح فيها، ورآهم أنهم انتكسوا على الدنيا وكانوا مما سواها يستوحشون. وكانوا يشفقون على مهمات دنياهم وعلى الدين لا يشفقون. وتلطخوا بقاذورات النشأة الأولى، وغفلوا عن النشأة الثانية، فما طلبوها وما كانوا يطلبون. فاقتضت حكمة الله تعالى لينبههم، وأراد أن ينزع الملك منهم، ويؤتي قومًا من عبدة الأوثان كانوا يسمون أنفسهم "خالصة"، وكانوا أميّين لا يعلمون شيئا ولا يعقلون. فأهاج الله تقريبات عجيبة لنصرتهم وإقبالهم، وإزعاج شجرة المسلمين وحطمهم، ليعلموا أنهم فسقوا أمام ربهم وأنهم ظالمون.

فقام "الخالصة" بجميع الجهد والهمة ليستأصلوا المسلمين، ويصفو ملكهم لهم، وأعانهم الله عونًا عجيبًا، فكانوا في كل موطن يغلبون. ففي هذه الأيام صبت على آبائي حوادث ونوازل، واستولى "الخالصة" على بلادهم وجاسوا ديارهم، وغصبوا ملكهم ورياستهم واستخلصوها من أيديهم، ونهبوا أموالهم وخرّبوا عماراتهم، وفرّقوا

أجيالهم، وأحرقوا دار كتبهم، وأُحرق فيها زهاء خمسمائة مجلدات كتاب الله الفرقان، وكان المسلمون ينظرون إليها ويبكون. واتخذوا مساجدهم معابد أصنامهم، وقتلوا كثيرًا منّا بحسامهم، وجعلوا أعزّتنا أذلة. حتى إذا بلغت الكربة منتهاها، وأحاطت الهموم على آبائي، وضاقت الأرض عليهم بما رحبت، وأُخرجوا من دار رياستهم، في نفر من إخوانهم وعبيدهم وخدمهم، فكانوا في كل أرض يتيهون. وأظهر الكفرة في بلادهم شعائر الكفر، ومحوا آثار الإسلام وجعلوها غثاءً، وقلبوا الأمور كلها وكذلك كانوا يفعلون. فأصابت المسلمين في هذه الأيام مصيبة عظيمة، وداهية عامة، وما كان لأحد أن يؤذن في مسجد، أو يقرأ القرآن جهرًا، أو يُدخِل أحدًا من الهنود في دين الله، أو يذبح بقرة، وكان الجزاء في كل هذه الأمور القتل والنهب، وإن خُفِّف فتقطيع الأيدي والأرجل، وإن رُحِمَ عليه فالحبس الشديد حتى يموت في السجن ظمأً ومخمصةً وهم يشهدون.

وكان المسلمون مظلومين مجروحين مغصوبين مضروبين كل الأيام، وما كان لهم محيص ولا مناص، ولا مخلّص ولا راحم، وكانوا من كل باب يُطْرَدون. وكانوا يبنون بيتًا ولا يبيتون فيها، ويكسبون أموالا ولا ينتفعون منها ولا يحظون. وكانوا من كل جهة شُنّت الغارات عليهم ويُنهَبون. وكانوا تارة يُحبَسون، وتارة يُقتَلون، وأخرى إلى السبي يذهبون. وكانوا يزرعون بجهد مُهجتهم ولا يأكلون مما زرعوا شيئا ولا يدَّخرون. صُيّرت المدن خَرِبة، والطرق مَخوفة، والزروع معدومة، والأموال مفقودة، والمساجد موحشة، والعلوم موءودة، وكان المسلمون في أعينهم كالجراد وفي الازدراء يزيدون. وكان طائفة منهم يهاجرون إلى بلاد أخرى ويتركون بيوتهم ومساكنهم، وعلى جناح التعجيل يرحلون. وأكثرهم كانوا كالمقيدين بأيدي الكفرة، وكانت الفجرة كالأفاعي يصولون على المؤمنين ويلقَفون.

فتاب المسلمون إلى ربهم، وطرحوا بين يدي مولاهم الكريم، وكانوا في المساجد

يخرون على المساجد، ويدعون عليهم، ولكشف هذا الرجز يتضرعون. وقد قتل ألوف منهم بما أذّنوا وصلّوا، وذبحوا بقرة أو عقروا، وما كان لهم حكَم ليرفعوا قضاياهم إليه، ولا كهف ليبكوا على بابه، فكانوا في كل وقت إلى ربهم يرجعون. وأوذوا وعذبوا وكادت أن تزهق أنفسهم وهم يندُبون ويرثُون. وزلزلوا زلزالا شديدا، وقتِّلوا تقتيلا شنيعًا، وبُدّدوا تبديدًا، حتى صعد إلى العرش عويل اليتامى، ونياح الأرامل، وضجيج الضَّعَفة، وارتعدت الأرض تحت أقدام الكفرة، وأخذت المقربون أذيال رحمة الله وهم يشفعون.

فلما اجتمعت أدعية الضعفاء والمضطرين في حضرة الله تعالى، ولحقت بها توجهات المقربين، وتواطأت الأسباب من كل جهة وطرف، ورأى الله تعالى أن المسلمين أصيبوا في مالهم، وأنفسهم وعيالهم، وأعراضهم ورحالهم، وعقائدهم وأعمالهم، ورأى أن المصيبة قد بلغت انتهاءها، فنظر نظر التحنن والترحم إلى المذنبين، وادّكرَ قومَه الذين هم عباده المنتخبون، الذين إذا استغفروا متندمين فيُغفرون، وإذا استنزلوا الرحمة باكين فيُرحمون، وإذا استغاثوا متضرعين فيُنصرون، وإذا خروا ساجدين عند حدوث نازلة يسعى الله إليهم ويؤيَّدون، وإذا جاءوا توّابين فيُقبَلون. وأجيبت الدعوات، وسمعت التضرعات، واشتد غضب الله على "الخالصة" وقضى بهلاكهم وهم غافلون.

فلما حان وقت هلاكهم أغرى الله بينهم العداوة والبغضاء، يقتل بعضهم بعضًا، فكانوا كالسباع يفترسون أعزّتهم ويسفكون. وأراد كل واحد منهم أن يقطع دابر أخيه، وأسرّوا في أنفسهم استيصال شركائهم، وقالوا لو قتلنا هؤلاء فبعدهم إنا لنحن الحاكمون. فسلّوا سيوفهم على آبائهم وأعمامهم، وإخوانهم وأبنائهم، فقُضِي الأمر في أيام معدودات، وأذاقهم الله ما كانوا يستباحون. وهم في تلك الأيام تفرقوا وصاروا شيعا، وجعلوا يفسدون في الأرض ويقطعون الطريق، ويصولون على المسافرين

كالسباع، وبإدلال الدولة الفانية يستكبرون. وما كان لهم علمٌ ليتهذّبوا، ولا قلب ليفهموا، ولا آذان ليسمعوا، ولا أعين ليبصروا، وكانوا كالوحوش البرية، فوَذَرُوا الآخرة وألغوها، وكانوا يقعون على الآجلة كالكلب على الجيفة أو يزيدون. فما بقي من مهجّة ولا شِعب إلا شغَبوا عليها، وما رأوا من أموال إلا نهبوها، وكان سفك دماء المسلمين عندهم أخفَّ من قتل بعوضة، وكانوا على قتلهم يحرصون. وكانوا كذابين غدارين، لا يرقبون إلَّهم، ولا يرعون حلفهم، وينقضون العهود، وينكثون الأيمان ولا يتقون.

فأراد الله أن يأسو جروح المسلمين، ويفكّ رقبتهم من نير الظالمين، وينقذهم من سجن الفرعونيين، ويمنّ على الذين كانوا يُستضعفون. فدعا قومًا من أقصى الأرض، فنسَلوا إلى دُويرتهم الخربة، ينقصونها من أطرافها، وجاءوا بأفواج كرارة مبشرة بنجاح وفتح، ونزلوا بعراء بلدة اسمها: "فيروز بور"، وكان المسلمون بِرَيّا قدومهم يفرحون. فما كان "للخالصة" الدنيّة أن يقاوموهم أو يحاربوهم، وألقى الله عليهم الفشل، كأنّ الدم عُصِرَ من أبدانهم، فواجهوا إلى بيوتهم وهم يُهزَمون. وألقى الله في قلوبهم رعبا عجيبا، وهيج البلابل في صدورهم، وأضرم في أحشائهم جمرة حب الحياة، فولوا الدبر كالخناثى وهم يبكون. وعاقبتْهم فِتْية قوم كان عون الله معهم، وسقطوا على وجوههم المسودة الدميمة كالشهب، فكثير منهم قُتلوا، وكثير غرقوا في اليم، وكثير شابهوا الأموات وهم يهربون. وهربت الحواس من بطون دماغهم، كأنه خدرت أعضاؤهم كلها أو هم مفلوجون. وأقرّ الله أعين المسلمين برؤية رايات أنصارهم، ودُقّقت "الخالصة" على وجه الأرض كالعروق الصغار المنتسجة على سطح جلد البعوضة، وتَراءَوا كالمغشي عليه من الموت، وتيقنوا أنهم سيوبقون. وكان المسلمون يدعون لقاتلي "الخالصة" قائلين: جُزيتم خيرًا، ووقيتم ضَيرًا، إنكم محسنونا، وإن كفرنا فإنا ظالمون. فمحا الله بأيديهم اسم "الخالصة" من تحت السماء، واستأصلهم من

أرضهم، ورفع مؤونتهم من خلقه، فما ترى منهم من أثر، كأن الأرض ابتلعتهم، فيا للعجيبة أيها الناظرون!

والآن نقص عليكم قليلا من حالات هذا القوم الذي جعله الله للمسلمين أواصِرَ رحمه، وأرسلهم لنا كالناصر الحارد، أو المغنَم البارد، ليجزي المؤذين الملطّين جزاء أعمالهم، ويؤمِّن قوما كانوا يخوفون. وإني أرى أن أذكرهم بتذكرة مميزة على حدة، منزهة من مشاركة ذكر "الخالصة"، إكراما لنعمة الله تعالى، لعل الله يجعلنا من الذين يعظمون نعماءه ويشكرون، ولأتّبع سبيل السيد ﷺ الذي سنّ الشكر للناس وقال: من لم يشكر الناس فلم يشكر الله، ونستكفي به الافتنانَ بإطراء في مدح، أو إغضاء عند قدح، ولا نقول إلا الحق، فليشهد الشاهدون.

ذكر الدولة البرطانية

وقيصرة الهند

جزاها الله عنا خير الجزاء

اعلموا أيها الإخوان.. أننا قد نجونا من أيدي الظالمين، في ظل دولة هذه المليكة التي نمّقْنا اسمها في العنوان، التي نضَرنا في حكومتها كنضارة الأرض في أيام التَّهْتان. هي أعزّ من الزَّبّاءِ بملكها وملكوتها، اللهم بارك لنا وجودها وجودها، واحفَظْ مُلكها من مكائد الروس ومما يصنعون. قد رأينا منها الإحسان الكثير، والعيش النضير، فإن فرّطنا في جنبها فقد فرطنا في جنب الله، وإن شر الدواب عند الله الأشرار الذين يؤذون المحسنين، ويُتْبِعون المريحين، فالله يضع الفأس على أشجار حياتهم فهم يُقطعون.

أيها الناس.. إنا كنا قبل عهد دولة هذه المليكة المكرمة مخذولين مطرودين من كل طرف، لا نعرف سكنا، ولا نملك مسكنا، وكانت "الخالصة" يخطفون أموالنا خطفة الباشقِ، ثم يمرُقون مروقَ السهم الراشق وينسِلون. وكنا كالذين في المعامي والموامي يُستفردون، ومِن لظى الغربة يتأججون. فنجانا الله من هذه البلايا كلها، وأعاننا بقوم ذي الوجه البدري، واللون الدري، فعادت بقدومهم أيام رَوحنا وريحاننا، ورأينا بهم شكل أوطاننا وإخواننا، وأيدوا ونصروا وقاموا لإيطاننا، فدخلنا بعد عُمرٍ في الذين يروَّحون. وظهَرنا برؤية راياتهم ظهور الشمس بالصباح، وتقوينا بعناياتهم تقوي الأجسام بالأرواح، وودَّعْنا بقدومهم أبا غمرة وأبا عمرة، كان قد أضرم في أحشائنا الجمرة، وصرنا من الذين يعيشون بأرغد عيش، وبنوم الأَمَنةِ ينامون.

وأول ما لَقِفْنا من آلائهم، وثقِفنا من نعمائهم، هو الأمن والنجاة من تطاول اللّيام وظلم عبدة الأصنام، فإنهم آمنونا من كل خوف، وجبروا بالنا، وأزالوا بلبالنا،

فدخلنا الجنة بعد ما كنا من الذين هم يعذَّبون. وصرنا في هذا العهد المبارك من أرباب البضاعة، وأولي المكسبة بالصناعة، ومن الذين يتنعمون. وأما في عهد "الخالصة" فكانت تجاراتنا عرضة للمخاطرات، وزروعنا طُعمة للغارات، وصناعاتنا غير فاضلة الأقوات، ومع ذلك محدودة الأوقات، وكان انسلاكنا في أعوان رياستهم وعمّالهم وعَمَلتهم وحفدتهم، تمهيدا للغرامات، وإرهاصًا لأنواع التبعة والعقوبات. وكنا كشيء يقلّب في يوم مائة مرة، ما ندري أين نكون غدا، أفي الأحياء أو في الذين يُشغَبون ثم يُقتلون.

فالحمد لله الذي بدَّلَنا من بعد خوفنا أمنا، وأعطانا مليكة رحيمة كريمة، ما نرى في عمالها سطوة المتحكمين، ونَضْنضة اللادغين العاضّين، بل هم على الضعفاء يرحمون. ونحن تحت ظلهم نقتحم الأخطار، ونخوض الغِمار لندرك الأوطار، ومع ذلك كنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وإن اتفق أن تركنا البيوت عورة، وفارقنا الديار فجأة، ما كان أن يمسّنا من سوءٍ، بل كُنا في أمن من كل حرامي وسارق كأنه لم نَرُمْ وَجارَنا، ولا ظعنّا عن الفِنا وجارِنا، فكيف لا نشكر أيها الغافلون؟

إنهم أعطونا حرية تامة في إشاعة الدين، وتأليف الكتب وإقامة البراهين، والوعظ ودعوة الخلق إلى الإسلام، وفي الصوم والصلاة، والحج والزكاة. وأكثر قضايا الشريعة إلى الشريعة يردّون، ويستفتون من علماء الإسلام في معاملات المسلمين ولا يعتدون. ويفتشون عند كل حكم وقضاء، وفصل وإمضاء، ولا يستعجلون. وإذا حضر محاكماتهم المسلمان يرغّبونهم في شورى المسلمين، ويعظونهم ليقبلوا حَكَمًا حَكَمًا من أهلهما، وإذا قبلوا فيفرحون. وظهرت في أيامهم علوم الإسلام، وسنن خير الأنام ﷺ، ولا ينكرها إلا المتعصبون. وكم من مدارس عمروها، وأشاعوا أنواعَ الفنون، وأخرجوا كل ما كان كالمدفون. ورتّبوا فيها قواعد الامتحان، ليكرم الطالب أو يهان. ولا شك أنهم أحسنوا ضوابط التعليم، وأكملوا طرق التفهيم، وملكوا في هذا الأمر

كلَّ زَنْدةٍ متعسّرة الاقتداح، وكلَّ قَلعةٍ مستصعبة الافتتاح، ومع ذلك مؤونة هذا التعليم قليلة، وأيامها معدودة، وفوائدها جليلة، فليغبط الغابطون.

ولعمري إن هذا القوم قوم أرسله الله لنا ولخيرنا، أبادوا من أبادنا، وقلدوا بالنعم أجيادنا، ووجب علينا شكرهم بالقلب واللسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فليتلقه المسلمون بالإجلال والإعظام، ويحملوا نير طاعتهم على كاهل المبَرّة والإكرام، ومن عصاهم منا أو خرج عليهم أو حاربهم فأولئك الذين اعتدوا حدود الله ورسوله، وأولئك هم الجاهلون. وحرامٌ على المؤمنين تحديفهم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم، وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنة أن يعصي في المعروف ملِكا يحفَظ عرضَه وماله، ويتحامى أهلَه وعياله، ويُفشي الإحسان، ويُذهب الأحزان، وينشئ الاستحسان، فخذوا الفتوى أيها المستفتون. فأذنوا بحكم الله ولا تميلوا إلى جذبات النفس، ولا تأذنوا بآراء العلماء الذين يفتون بغير علم فيَضلون ويُضلون. إننا لقد عاينّا آلاءً كثيرة ونعماءَ كبيرة من قيصرة الهند، فكيف ننساها ونكفر بها، وإن الله لا يرضى لعباده أن يكفروا وهم منعمون. لا ريب في أن القيصرة أحد جناحي المسلمين، وحافظة آثار الإسلام، ومن الذين هم يحسنون. وُجودها لنا بركة، وَجودها لنا مُزْنة، ليست على أذيتنا براضية، وقد عصمها الله من ظلم وتغاضٍ، آوت أقوامًا متفرقة في ذيلٍ فضفاضٍ، كل حزب بعنايتها فرحون.

وأما فساد قسيسين وتطاولهم وهبوب سمومهم، وشيوع ضلالات الفلاسفة وانتشار علومهم، فليس فيها دخل هذه المليكة مثقال ذرة، وهذه الدولة برية من الظن بحمايتها، بل هذه نتائج حرية قد أُعطي لكل قوم نصيب تام منها، وما أعطى قانون القيصرة حقا زايدا للقسيسين على المسلمين، بل سواهما في ذلك، فلِمَ يرتاب المرتابون؟ ومن فهم أن القسيسين شعبة من شعب هذه الدولة وأنهم يعظون بأمر القيصرة فقد ضل ضلالا بعيدًا، وصار من الذين يظلمون.

أتمنع القيصرة من إشاعة دين الإسلام؟ وكأيّن من قومها.. ومن نواح دار دولتها.. أسلموا، وأُسّس المساجد فيها وعمرت، فما لكم لا تفهمون؟ وعناياتها ليست مختصة بقوم دون قوم، ذلك ظن الذين يقنَعون على خيالات سطحية، وهم عن حقيقة الأمر غافلون. انظروا إلى آثار فيضها! كيف أقامت في كل بلدة أندية الإفادة، فمنها أندية الأدب، ومنها أندية سياسة المدن، ووشّحتْها بشورى الحكماء والعقلاء، وأجرت من العلوم أنهارًا، وفتحت للطلباء مدارس، وهمّنت لفقرائهم درهما ودينارًا، وأعانتهم إدرارًا، وطالما داومت على ذلك، فاشكروا لها أيها المسلمون، وادعوا الله أن يديم عز هذه المليكة الكريمة، وينصرها على الروس المنحوس، ويُدخلها في الذين آمنوا بالله ورسوله، ويعطيها خير الكونين، ويجعلها من الذين أُوتوا حظ الدارين ويسعدون.

يا قيصرة الهند.. وُقيتِ التَّلَفَ، وأُنسيتِ كلَّ رُزْءِ سلَف، قد بذلتِ في إقامة الأمن جهد المستطيع، ووسّعت الحرية غاية التوسيع، ونجيت المسلمين من هموم ناصبة، وأخرجت لهم أصداف درر ناضبة، ورأينا منك راحة القلوب، وقرة الأعين وتوديع الكروب، فواهًا لك لو كنت من الذين يُسلِمون.

جزاك الله عنا خير الجزاء، وأعطاك ما في قلبك من التمني. لا ينسى نعماءك ذرية المسلمين، ولا يمحى اسمك عن دفاتر الفُرقانيين. ينقطع الزمان ولا ينقطع ذكر مآثرك، فطوبى لك أيتها المحسنة إلى الذين كانوا يُقمَعون.

أيتها المليكة المكرمة.. إني فكرت في نفسي في كمالاتك، فوجدتك أنك حاذقة.. يمر رأيك في شعاب المعضلات مرَّ السحاب، وتزِفّ مداركُك في الغامضات كزفّ العقاب، ولك يد طولى في استنباط الدقائق، ومآثر غراء في تفتيش الحقائق، وأنت بفضل الله من الذين يصيبون في استقراء المسالك ولا يُخطُون. أنت يا مليكة، تستشفّين كل جوهر نقي، وتستنبطين دقائق المِعْدِلة بفكر دقيق وذهن ذكي، وإن لك في هذه اللياقة مآثرَ حلوَ المذاقة، مليحَ السياقة، ويحمدك المحمودون. فالآن قد أُلقيَ في بالي، بعد تصور كمالاتك وحسن صفاتك، التي تضوعت ريحها في العالم،

أن أخبرك من أمر عظيم، ليرتفع به قدرك عند رب كريم. وما أذكره إلا بفورة إخلاصي، لأن إخلاصي قد اقتضى أن أدعوك إلى خيرك، ولا أُلغي لوازم شكرك، وإنما الأعمال بالنيات، وبصدق النية يعرف المخلصون. وما كان لمخلص أن يستشعر أمرا فيه خير محسنه، بل يستعرض متاعه له ولا يكون من الذين يكتمون.

أيتها المليكة الكريمة الجليلة.. أعجبني أنك مع كمال فضلك، وعلمك وفراستك، تنكرين لدين الإسلام، ولا تُمعِنين فيه بعيون التي تمعنين بها في الأمور العظام. قد رأيت في ليلٍ دجى، والآن لاحت الشمس.. فما لك لا تَرَينَ في الضحى؟

أيتها الجليلة، اعلمي - أيدك الله - أن دين الإسلام مجمع الأنوار، ومنبع الأنهار، وحديقة الأثمار، وما من دين إلا هو شعبته، فانظري إلى حِبره وسِبره وجنّته، وكُوني من الذين يُرزقون منه رزقًا رغدًا ويرتعون. وإن هذا الدين حي مجمع البركات، ومظهر الآيات، يأمر بالطيبات، وينهى عن الخبيثات، ومن قال خلاف ذلك أو أبان فقد مان، ونعوذ بالله من الذين يفترون. فبما إخفائهم الحق وإيوائهم الباطل لعنهم الله ونزع من صدورهم أنوار الفطرة، فنسُوا حظهم منها، وفرحوا بالتعصبات وما يصنعون.

أيتها المليكة.. إن هذا القرآن يطهّر الصدور، ويلقي فيها النور، ويُري الحبور الروحاني والسرور، ومن تبعه فسيجد نورا وجده النبيون. ولا يلقى أنواره إلا الذين لا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فسادا، ويأتونه راغبا في أنواره، فأولئك الذين تفتح أعينهم، وتُزكّى أنفسهم، فإذا هم مبصرون. وإني بفضل الله من الذين أعطاهم الله من أنوار الفرقان، وأصابهم من أتم حظوظ القرآن، فأنار قلبي ووجدتْ نفسي هداها، كما يجد الواصلون. ثم بعد ذلك أرسلني ربي لدعوة الخلق، وآتاني من آيات بينة، لأدعو خلقه إلى دينه، فطوبى للذين يقبلونني ويذكرون الموت، أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون.

أيتها المليكة الكريمة.. قد كان عليك فضل الله في آلاء الدنيا فضلا كبيرا، فارغبي الآن في ملك الآخرة، وتوبي واقنتي لرب وحيد، لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، وكبّريه تكبيرا. أتتخذون من دونه آلهة لا يخلُقون شيئا وهم يُخلقون؟ وإن كنت في شك من الإسلام فها أنا قائم لإراءة آيات صدقه. وهو معي في كل حالي، إذا دعوته يجيبني، وإذا ناديته يلبيني، وإذا استعنته ينصرني، وأنا أعلم أنه في كل موطن يعينني ولا يضيعني. فهل لك رغبة في رؤية آياتي، وعيان صدقي وسدادي، خوفا من يوم التنادي؟

يا قيصرة، توبي توبي، واسمعي اسمعي! بارك الله في مالك، وكُلِّ ما لك، وكنت من الذين يرحمون. فإن ظهر كذبي عند الامتحان، فوالله إني راضٍ أن أُقتَل أو أُصلَب أو تُقطَع أيدي وأرجلي، وأُلحَق بالذين يُذبحون. وإن ظهر صدقي فما أسأل أجرًا منك، إلا رجوعك إلى الذي خلقك، وربّاك وأعزك، وآتاك كل ما سألت. فاسمعي دعوتي، يا مليكة الممالك العظيمة وقيصرةَ الهند، ولا تكوني من الذين يشمئز قلوبهم عند ذكر الحق ويعرضون.

أيتها القيصرة الكريمة الجليلة - أذهب الله أحزانك، وأطال عمرك وعمر فلذِ كبدك، وعافاك وحفظك من شر الأعداء والحسداء - إني كتبت هذه الوصايا خالصا لله رحما عليك وعلى عقباك، وأدعو لك بركات الليل وبركات النهار، وبركات الدولة وبركات المضمار.

يا مليكة الأرض.. أسلِمي تسلَمين.. أسلمي متَّعك الله إلى يوم التنادي، وسلِمت وحُفظت من الأعادي، ويحفظك من الله الحافظون.

أيتها المليكة الكريمة.. أنا امرؤ جذبه الله تعالى من الدنيا إلى الآخرة، وما أسأله من هذه الدنيا إلا رغيفين وكوزة ماءٍ، وصرف قلبي من أهواءٍ، لا أريد علوًّا ولا مزية في الدنيا ولا زينتها، وأريد أن أكون بالذين يُبسط لهم سُرُر في الجنة ومن نعمائها يُرزقون، وفي رياض حظيرة القدس يرتَعون.

أيتها المليكة.. أنا أحد من المسلمين، رزقني الله عرفانه، وأعطاني نوره وضياءه ولمعانه، وأظهر عليّ ملكوت السماوات وحَبّبها إلى بالي، وأراني ملك الأرض وكرّهه إلى قلبي وصرف عنه خيالي، فاليوم هو في أعيني كجيفة أو أَنتَنَ منها، وكذا كل زينة الحياة الدنيا والمال والبنون.

وفي آخر كلامي أنصح لك يا قيصرة، خالصًا لله.. وهو أن المسلمين عضدك الخاص، ولهم في مُلكك خصوصية تفهمينها، فانظري إلى المسلمين بنظر خاص، وأقرِّي أعينهم، وألّفي بين قلوبهم، واجعلي أكثرهم من الذين يقرّبون. التفضيل.. التفضيل! التخصيص.. التخصيص! وفي هذه بركات ومصالح. أَرْضيهم فإنك وردتِ أرضهم، وداريهم فإنك نزلتِ بدارهم، وآتاك الله ملكهم الذي أمروا فيه قريبًا من ألف سنة مما تعدون. فاشكري ربك وتصدقي عليهم، فإن الله يحب الذين يتصدقون. الملك لله، يؤتي من يشاء، وينزع ممن يشاء، ويطيل أيام الذين يشكرون.

أيتها المليكة المكرمة.. لا شك أن قلوب مسلمي الهند معك، ولا أستنشق منهم ريح الفساد، وما أرى فيهم نار العناد، وإنهم رجلك وخيلك، المستعدون لفداء النفس وأداء شرائط الانقياد، والحاملون لك جميع شدائد القُنن والوِهاد، بل هم أول خدمكِ في مواطن الإقدام والانبراء، وجوارحك في مواضع الفصل والإمضاء. إشارتك لهم حكم، وطاعتك لهم غنم. لن تَرَي منهم غدرا ولا عذرا. ولكنهم يا قيصرة الهند قومٌ كان لهم شأن، وكانت فيهم سرر وتيجان، وكانوا يحكمون على عبدة الصنم كالرعاة على الغنم، فقلّب أيامهم من سوء أعمالهم، وظُلموا من أيدي "الخالصة" وإخوانهم، وكانوا يستشرفون وقت حكومتك كاستشراف الصائمين هلال العيد، ويرقُبون عنايتك رُقْبَة الحبلى ولادة الابن السعيد، وكانوا بقدومك يستفتحون. وقد مضت عليهم أيام كانوا في حُللِ إمارات، وبعصيٍّ اختيارات، فيلوعهم في بعض الأوقات ادّكارُ هذه الدرجات، فإن قلع العادات من المشكلات. وما قلت لك إلا نصحًا وإنما الأعمال بالنيات.

ووالله إن الخير كله في إكرامهم، وردِّ عزتهم إليهم ببعض المناصب والعطيات، وما أرى خيرًا في حيل استيصالهم وقتلِهم كالحيات، وما كان لنفس أن تموت أو تنفى من الأرض إلا بحكم رب السماوات. فأشفقي عليهم أيتها المليكة الكريمة المشفقة – أحسن الله إليك – واعفي عني إن رأيت مرارة قولي، فإن الحق لا يخلو من المرارة، والعفو من كرام الناس مأمول.

إني أرى المسلمين قد مسّهم البؤس والافتقار، وما بقي في بيوت ذرية الأمراء إلا اللَّبِن والأحجار. سقطت العمائم عن الرؤوس، وما بقي للرهن غير الأباريق والكؤوس. كانوا في وقت ذوي حواشٍ وغواشٍ، ومتاعٍ وقماش، واليوم لا أرى حفدتَهم إلا جوارحهم، وأراهم من تقلب الأيام كالسكارى، وما هم بسكارى، ولكن غشِيهم من الغم ما يغشى الناس عند ازدياد الاعتياص، وانسدادِ طرقِ المناص. وإني أرى أنك كريمة جليلة، ومثلك لا يوجد في الملوك. وقد وهبك الله حَزامةً وانبعاثًا، تواسين رعاياك بالتعب الشديد ولا تطيعين راحة إلا حثاثا، وتستغرقين أوقاتك في تفقد الرعايا وفكر مصالحهم، وتختارين النصب لعل الخلق يستريحون. وظني أنك قد قلت لنائبيك في الهند أن يفضّلوا شرفاء المسلمين على غيرهم، وينظروا إليهم بإعزازٍ خاصٍ، ويقربوهم بخصوصية، ولكن النائبين سوَّوا الأمر، وما رعوا مصلحة إعزاز المسلمين حق رعايتها، بل ما خطر ببالهم أن ينظروا إلى أطمارهم ويسعفون.

هذا ما قلت شيئًا من حال مسلمي الهند، وأما عبدة الأصنام الذين يقولون إننا "هندو" و"آرية"، فهم قوم أنفدوا أعمارهم كالعبيد والحفدة، ومرت عليهم قرون وهم كمجهول لا يعرف، أو نكرة لا تتعرف. وتعرفين أيتها المليكة الجليلة أنهم مسلوبة الطاقات، ومطرودة الفلوات من دهر طويل. جلودهم قد وُسمت، وجنودهم قد حُسمت، وزمام نفوسهم قد ضُفر، وظهر عزمهم قد كُسر، فيمشون إلى ما سيقوا ولا يعتذرون، ولا يريدون عزة، وفي قلوبهم جُبن الغِلْمة، فهم لا يبسُلون. والسر في ذلك أنهم من حُقُب متلاحقة مطيّةُ خدمة، لا أهل حكومة، ومعتاد فقر ومسألة، لا

من أهل عزة ودولة. انتابت الملوك عليهم من غير قومهم فهم به معتادون. مَثل المسلمين كمثل ماء لا يجري إلا إلى أرضٍ غورٍ ذات حطوط، ومثل عبدة الأحجار كقوم لوط، أو كحمير احتجتِ لسَوقها إلى سوط، أو عصا مخروط. تلك عظام نخرة، وهم قوم كانوا عرجوا ويعرجون.

هذا ما رأيت، فقلت نصحا لله، وإخلاصا في حضرتك، والأمر إليك، وإنا تابعون.

الخاتمة

في بعض الحالات الخاصة التي هي مفيدة للمستطلعين، الذين يتمنون زيادة المعرفة في سوانحي وسوانح آبائي وسوانح بعض إخواني في الدين

الحمد لله الذي جعل العلماء الروحانيين المحدَّثين وَرَثةَ النبيين، وأدبهم فأحسن تأديبهم، وأزال كدوراتهم كلها، وجعلهم كالماء المعين. وعلّمهم فصفّى علومهم، وعرّفهم فأتمّ معارفهم، وبلّغهم إلى منارات حق اليقين. ووفّقهم فدَقَّ لوازم التوفيق في نيّاتهم وأعمالهم، وأفعالهم وأقوالهم، حتّى تَزَكّوا وتَراءَوا كسبيكة الذهب بلمع مبين. وشرح صدورهم، وأكمل نورهم، وجعل وجهه حبورهم وسرورهم، وجعلهم من غيره منقطعين. ورفع مقامهم، وثبّت أقدامهم، ونوّر أفهامهم، وطهّر فراستهم وإلهامهم، وأعطى جواهر السيوف أقلامهم، ولمعات الدر كلامهم، وآمنهم من كل خوف، وأعطاهم من كل شيء، فتبارك الله أكرم المعطين.

والصلاة والسلام على السيد الكريم الجليل الطيب، خاتم الأنبياء وفخر المرسلين، الذي سبق الأولين والآخرين في الاهتداء، والاصطفاء والاجتباء، والترحم على عباد الله، حتى سمي ببعض أسماء رب العالمين. لا شرف إلا وهو الأول فيه، ولا خير إلا وهو الدال عليه، ولا هداية إلا وهو منبعها، ومن ابتغى الهدى ممن سواه فهو من الهالكين.

أما **بعد**.. فأرى أيها الإخوان أن أفصل لكم قليلا من بعض حالاتي الخاصة، وحالات آبائي، لتزدادوا معرفة وبصيرةً، وما توفيقي إلا بالله الذي أنطقني من روحه، هو ربي ومحسني ومعلمي، وهو الذي نورني بأنوار اليقين.

فاعلموا يا إخوان أن اسمي **غلام أحمد**، واسم أبي غلام مرتضى، واسم أبيه عطا محمد، وكان عطا محمد ابن گُل محمد، وگُل محمد ابن فيض محمد، وفيض محمد ابن محمد قائم، ومحمد قائم ابن محمد أسلم، ومحمد أسلم ابن محمد دلاور، ومحمد دلاور ابن إله دين، وإله دين ابن جعفر بيگ، وجعفر بيگ ابن محمد بيگ، ومحمد بيگ ابن عبد الباقي، وعبد الباقي ابن محمد سلطان، ومحمد سلطان ابن ميرزا هادي بيگ المورث الأعلى. فذلك اسمي وهذه أسماء آبائي، غفر الله لنا ولهم وهو أرحم الراحمين.

وإن استطلعتم علاماتٍ لا بد منها في إيصال المكاتيب إليّ.. فاكتبوا هكذا على لفافة مكتوبكم.. أعني بذلك: قاديان.. ضلع كورداسبوره .. قسمة أمرتسر.. ملك فنجاب من ممالك هند، واكتبوا عليه اسمي: "ميرزا غلام أحمد قادياني"، يصلني إن شاء الله تعالى، وهو خير الموصلين.

والآن أبين لكم من بعض واقعات أرى في تبيينها خيرا وبركة، وتفهيم ما لا تعلمون بعلم اليقين.

فاعلموا أيها السّادة أنّ آبائي -كما ذكرت فيما مر -كانوا من عظماء الحراثين، وكانت صناعتهم الفلاحة، وكانوا من أهل الإمارة والقرى والأرضين. وكانوا من أكرمِ جرثومة، وأطهرِ أَرومة، ذوي فضل ووجاهة، وسَيدودة ونباهة، بُناة المجد وأرباب الجد ومن المقبولين. وكانوا في زوايا هذه الأرض خبايا وبقايا من الأمراء الصالحين. وبعضهم كان من مشاهير المشايخ ونادرة الدهر في التزام دقائق العفة وأنواع الصالحات، وصاحب الأوقات، المشهود بالكرامات والآيات وخرق العادات، ومن المتعبدين المنقطعين. وكانوا في هذه الأرض ثاوين في الكفرة الفجرة، فصُبّت عليهم ما صبت، وقد ذكرناها من قبل للناظرين. وكنا ذرية ضعفاء من بعدهم ومن المستضعفين.

ولما مكر "الخالصة" مكرهم، وأخرجوا آباءنا من ديارهم، توفي جدي في الغربة، وسمعت أنه مات وهو من المسمومين. وبقي أبي يتيما غريبا مسافرا خاوِيَ الوفاض، بادِيَ الإنفاض، مضروبَ النوازل كالملمّ في الليل المدلهمّ، يجوب طرقات البلاد مثل الهائم ما يدري ما الشمال ولا اليمين. وكان شغل أبي في تلك الأيام مكابدة صعوبة الأسفار أو مطالعة الأسفار، وسمعت منه – غفر الله له – مرارا أنه كان يقول: كل ما قرأت قرأته في أيام المصائب والغربة والتباعد من الدار. وكان يقول مرارا إني جربت الخاص والعام كما يجرب الحائر الوحيد، ورأيت مَكارهَ كنتُ منها أَحيد، وكان من المزؤودين. فكان أبي طالما سار كمستهام ليس له قيام، لأنه كان أُخرجَ من أرض الآباء، وصُدّ عن الانكفاء، وكان عرضة لنزوات الظالمين وإعنات المؤذين وغِيل المغتالين وسلبِ السالبين، وطُعمةً للمغيرين وأسيرًا في أكف الضائمين. ثم بعد تراخي الأمد وتلاقي الكَمَد، قصَد "كشميرَ" يستقري أسباب المعاش، لعل الله يدرأ بلاءه، ويدفع داءه، ويأتي قضاؤه بأيام الاطْرِغْشاش، ويكون من المطعمين.

وقد اتفق في تلك الأيام أن ربي ألبسني خلعة الوجود، ونقلني من زوايا الكتم إلى مناظر الشهود، وصرت على مسقط رأسي من الساجدين. وكانت هذه هي الأيام التي بدل الله أبي من بعد خوفه أمنا، ومن بعد عسره يسرا، وصار من المنعمين. وأوى له الوالي، ورقّ قلبه لمصيبته ومِن غِيَرِ الليالي، فلما كلّمه ورأى الوالي ما أعطاه الله من العلم والعقل والطبع العالي، شهد توسّمه بأنه من أبهى اللآلي، فصبا إلى الإسعاف والاختصاص، والتسليك في زمرة الخواص، وقال: لا تخف، إنك اليوم من أعواننا المكرمين. وكذلك مكّن الله أبي وحبّبه إلى أعينهم، ووهب له عزة وقبولا وميسرة، ونظر إليه إنعامًا ومياسرة، وكان هذا فضل الله ورحمته وهو أرحم الراحمين.

وسمعت أمي تقول لي مرارًا: إن أيامنا بُدّلت من يوم ولادتك، وكنا من قبل في شدائد ومصائب، وذا أنواع كروبٍ ومحنٍ، فجاءنا كل خير بمجيئك، وأنت من المباركين.

وكان أبي يعرج من مرتبة إلى أخرى، ومن عالية إلى عليا، حتى عرج إلى معارج الإقبال، وخلع الله عليه من خُلَعِ الإكرام والإجلال، وما ألَتَه من شيء، وصار من المتمولين.

ثم غلب عليه تذكار الوطن، والحنين إلى المسارح المهجورة والعطن، فقوّض خيام الغربة والغيبة، وأسرجَ جواد الأَوبة إلى الأهل والعشيرة، ورجع سالمًا غانمًا إلى العِترة بنضرةٍ وخضرةٍ ومتاعٍ وأثاثٍ، رحيبَ الباع، خصيب الرِّباع. وكان ذلك فعل الله الذي أذهب عنّا حزننا، وأماط شَجننا، ومَنّ علينا، وتولى وتكفل وأحسن إلينا، وهو خير المحسنين.

ثم عزم أبي على أن يسبر بختِه في الزراعات، لينجو من السفر المبرِّح، والبين المطوِّح من الأهل والبنين والبنات، فاستحسن لنفسه اتخاذ الضياع، والتصدي للازدراع، فأحمدَ بفضل الله معيشتُه، واسترغدَ فيها عيشتُه، ورُدّ عليه قليل من القرى، التي غُصبت من الآباء في زمن خلا. وقواه الله بعد ضعف المريرة، وبارك الله له في أشياء كانت من قبل نَكِدَ الحظيرة. وكل ذلك كان من فضل الله ورحمته، وإن خفي على المحجوبين، ليتم قول رسوله ﷺ إن **الموعود** الآتي يكون من الحارثين.

هذا قليل من سوانح أيام ولادتي وصغر سني. ولما ترعرعتُ ووضعتُ قدمي في الشباب، قرأتُ قليلا من الفارسية، ونبذة من رسائل الصرف والنحو وعدة من علوم تعميقية، وشيئًا يسيرًا من كتب الطب. وكان أبي عَرّافًا حاذقًا، وكانت له يد طولى في هذا الفن، فعلمني من بعض كتب هذه الصناعة، وأطال القول في الترغيب لكسب الكمال فيها، فقرأت ما شاء الله، ثم لم أجد قلبي إليه من الراغبين. وكذلك لم يتفق

لي التوغل في علم الحديث والأصول والفقه إلا كطلّ من الوَبْل، وما وجدتُ بالي مائلا إلى أن أشمّر عن ساق الجد لتحصل تلك العلوم، وأستحصل ظواهر إسنادها، أو أقيم كالمحدثين سلسلة الأسانيد لكتب الحديث.

وكنت أحب زمرة الروحانيين. وكنت أجد قلبي مائلا إلى **القرآن** ودقائقها ونكاتها ومعارفها. وكان القرآن قد شغفني حبا، ورأيت أنه يعطيني من أنواع المعارف وأصناف الأثمار لا مقطوعة ولا ممنوعة، ورأيت أنه يقوي الإيمان ويزيد في اليقين.

ووالله إنه **دُرّة يتيمة**. ظاهره نور، وباطنه نور، وفوقه نور، وتحته نور، وفي كل لفظه وكلمته نور. جنّة روحانية، ذُلِّلتْ قُطوفها تذليلا، وتجري من تحته الأنهار. كل ثمرة السعادة توجد فيه، وكل قبس يُقتبس منه، ومن دونه خَرْطُ القَتاد. موارد فيضه سائغة، فطوبى للشاربين. وقد قُذف في قلبي أنوار منه ما كان لي أن أستحصلها بطريق آخر.

ووالله لولا القرآن ما كان لي لطف حياتي. رأيتُ حسنه أزيد من مائة ألف يوسف، فملت إليه أشد ميلي، وأُشْرِبَ هو في قلبي. هو رباني كما يربى الجنين. وله في قلبي أثر عجيب، وحسنه يراودني عن نفسي. وإني أدركت بالكشف أن حظيرة القدس تسقى بماء القرآن. وهو بحر مواج من ماء الحياة، من شرب منه فهو يحيا بل يكون من المحيين. ووالله إني أرى وجهه أحسن من كل شيء. وجه أُفرِغَ في قالب الجمال، وأُلبس من الحسن حلّةَ الكمال. وإني أجده كجميل رشيق القد، أسيلِ الخد، أُعطيَ له نصيب كامل من تناسب الأعضاء، وأُسبغت عليه كل ملاحة بالاستيفاء، وكل نور وكل نوع الضياء. وضيئٌ.. أعطي له حظ تام من كل ما ينبغي في المحبوبين من الاعتدالات المرضية، والملاحات المتخطفة، كمثل حَوَرِ العيون، وبَلَجِ الحواجب، ولَهَبِ الخدود، وهَيَف الخصور، وشَنَب الثغور، وفَلَجِ المباسم، وشمم

الأنوف، وسَقَمِ الجفون، وتَرَفِ البنان، والطُّرر المزينة، وكل ما يُصبي القلوبَ ويسرّ الأعين ويُستملح في الحسين.

ومن دونه كل ما يوجد من الكتب، فهي نَسَمة خِداجٍ، أو كمضغة مسقَطة غيرِ دِماج، إن كانت عين فلا أنف، وإن كان أنف فلا عين، وترى وجوهها مكروهة مسنونة ملوَّحة. ومثلها كمثل امرأة إذا كُشف برقعها وقناعها عن وجهها فإذا هي كريهة المنظر جدا، قد رُمي جفنُها بالعَمَش، وخَدّها بالنَمَش، وذوائبها بالجَلَح، ودُررها بالقَلَح، وورِدُها بالبُهار، ومِسكها بالبُخار، وبدرها بالمُحاق، وقمرها بالانشقاق، وشعاعُها بالظلام، وقوتها بالشيب التام. فهي كجيفة متعفنة، نَتِنةٍ مُنتنة، تؤذي شامّة الناس، وتستأصل سرور الأعين، يتباكَون أهلُها لافتضاحهم، ويتمنى النظيفون أن يدسّوها في تراب، أو يذبّون عن أنفسهم إلى أسفل السافلين.

فالحمد لله ثم الحمد لله أنه أنالني حظًا وافرًا من أنواره، وأزال إملاقي من درره، وأشبع بطني من أثماره، ومنح بي من النعم الظاهرة والباطنة، وجعلني من المجذوبين. وكنت شابًا وقد شختُ، وما استفتحت بابًا إلا فتحت، وما سألت من نعمة إلا أعطيت، وما استكشفت من أمرٍ إلا كشفت، وما ابتهلت في دعاءٍ إلا أجيبت، وكل ذلك من حبي بالقرآن، وحبّ سيدي وإمامي سيد المرسلين، اللهم صل وسلم عليه بعدد نجوم السماوات وذرات الأرضين. ومن أجل هذا الحب الذي كان في فطرتي، كان الله معي من أول أمري، حين ولدت وحين كنت ضريعا عند ظِئْري، وحين كنت أقرأ في المتعلمين.

وقد حُبِّبَ إلي منذ دنوت العشرين أن أنصر الدين، وأجادل البراهمة والقسيسين. وقد ألفت في هذه المناظرات مصنفات عديدة، ومؤلفات مفيدة، منها كتابي: "**البراهين**". كتاب نادر ما نُسج على منواله في أيام خالية، فليقرأه من كان من المرتابين. قد سللت فيه صوارم الحجج القطعية على أقوال الملحدين، ورميت بشهبها

الشياطين المبطلين. قد خفض هام كل معاند بذلك السيف المسلول، وتبيّنت فضيحتهم بين أرباب المنقول والمعقول، وبين المنصفين. فيه دقائق العلوم وشواردها، والإلهامات الطيبة الصحيحة والكشوف الجليلة ومواردها، ومن كل ما يجلّي درر معارف الدين المتين. ولي كتب أخرى تشابهه في الكمال، منها: الكحل، والتوضيح، والإزالة، وفتح الإسلام، وكتاب آخر سبق كلها ألفته في هذه الأيام، اسمه: "دافع الوساوس"، هو نافع جدًا للذين يريدون أن يروا حسن الإسلام، ويكفّون أفواه المخالفين.

تلك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفها، ويقبَلني ويصدّق دعوتي، إلا ذريةَ البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون.

ولما بلغت أشد عمري وبلغت أربعين سنة، جاءتني نسيم الوحي بِرَيَّا عناياتِ ربي، ليزيد معرفتي ويقيني، ويرتفع حجبي وأكون من المستيقنين. فأول ما فتح عليّ بابه هو الرؤيا الصالحة، فكنت لا أرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وإني رأيت في تلك الأيام رؤيا صالحة صادقة قريبًا من ألفين أو أكثر من ذلك.. منها محفوظة في حافظتي وكثير منها نسيتها، ولعل الله يكررها في وقت آخر ونحن من الآملين.

ورأيت في غُلَواء شبابي وعند دواعي التصابي، كأني دخلتُ في مكان وفيه حفدتي وخدمي، فقلتُ: طهّروا فراشي، فإن وقتي قد جاء. ثم استيقظتُ وخشيت على نفسي وذهب وَهْلي إلى أنني من المائتين.

ورأيت ذات ليلة وأنا غلام حديث السن كأني في بيت لطيف نظيف، يُذكَر فيها رسول الله ﷺ. فقلتُ: أيها الناس، أين رسول الله ﷺ؟ فأشاروا إلى حجرة، فدخلت مع الداخلين. فبشّ بي حين وافيته، وحيّاني بأحسن ما حييتُه، وما أنسى حسنه وجماله وملاحته وتحننه إلى يومي هذا. شغفني حبًا وجذبني بوجه حسين. قال: ما هذا بيمينك يا أحمد؟ فنظرت فإذا كتاب بيدي اليمنى، وخطر بقلبي أنه من

مصنفاتي، قلتُ: يا رسول الله.. كتاب من مصنفاتي. قال: ما اسم كتابك؟ فنظرت إلى الكتاب مرة أخرى وأنا كالمتحيرين، فوجدته يشابه كتابًا كان في دار كتبي واسمه: "قطبي". قلت: يا رسول الله، اسمه قطبي. قال: أرِني كتابك القطبي. فلما أخذه ومسّته يده إذا هي ثمرة لطيفة تسرّ الناظرين. فشققها كما يشقق الثمر، فخرج منها عسل مصفى كماء مَعينٍ. ورأيت بَلّةَ العسل على يده اليمنى من البنان إلى المرفق، كان العسل يتقاطر منها.. وكأنه يريني إياه ليجعلني من المتعجبين. ثم أُلقي في قلبي أن عند أُسْكُفّة البيت ميّت قدر الله إحياءه بهذه الثمرة، وقدّر أن يكون النبي ﷺ من المحيين. فبينما أنا في ذلك الخيال فإذا الميّتُ جاءني حيا وهو يسعى وقام وراء ظهري، وفيه ضعف كأنه من الجائعين. فنظر النبي ﷺ إلي متبسما، وجعل الثمرة قطعات وأكل قطعة منها، وآتاني كل ما بقي، والعسل يجري من القطعات كلها، وقال: يا أحمد.. أعطه قطعةً من هذه ليأكل ويتقوى. فأعطيته، فأخذ يأكل على مقامه كالحريصين. ثم رأيتُ أن كُرسي النبي ﷺ قد رُفع حتى قرب من السقف، ورأيته فإذا وجهه يتلألأُ كأن الشمس والقمر ذُرّتا عليه، وكنت أنظر إليه وعبراتي جارية ذوقًا ووجدًا، ثم استيقظت وأنا من الباكين.

فألقى الله في قلبي أن الميّت هو الإسلام، وسيُحييه الله على يدي بفيوض روحانية من رسول الله ﷺ، وما يدريكم لعل الوقت قريب، فكونوا من المنتظرين. وفي هذه الرؤيا رباني رسول الله ﷺ بيده وكلامه وأنواره وهدية أثماره. فأنا تلميذه بلا واسطة بيني وبينه، وكذلك شأن المحدَّثين.

وكنت ذات يوم فرغت من فريضة المساء وسننها، وأنا مستيقظ ما أخذني نوم ولا سنة وما كنت من النائمين. فبينما أنا كذلك إذا سمعت صوت صَكٍّ الباب. فنظرت فإذا المِدَكُّون يأتونني مسارعين. فإذا دنَوا مني عرفتُ أنهم خمسة مباركة.. أعني عليًّا مع ابنيه وزوجته الزهراء وسيد المرسلين. اللهم صل وسلم عليه وآله إلى يوم الدين. ورأيت

أن الزهراء وضعتْ رأسي على فخذها ونظرتْ بنظراتِ تحنن كنتُ أعرف في وجهها. ففهمتُ في نفسي أن لي نسبة بالحسين وأشابهه في بعض صفاته وسوانحه، والله يعلم وهو أعلم العالمين. ورأيتُ أن عليًّا ﷺ يريني كتابًا ويقول هذا تفسير القرآن.. أنا ألفته، وأمرني ربي أن أعطيك. فبسطتُ إليه يدي وأخذتُه. وكان رسول الله ﷺ يرى ويسمع ولا يتكلم كأنه حزين لأجل بعض أحزاني، ورأيته فإذا الوجه هو الوجه الذي رأيتُ من قبل، أنارت البيت من نوره، فسبحان الله خالق النور والنورانيين.

وكنت ذات ليلة أكتب شيئا فنمت بين ذلك، فرأيت رسول الله ﷺ ووجهه كالبدر التام، فدنا مني كأنه يريد أن يعانقني فكان من المعانقين. ورأيت أن الأنوار قد سطعت من وجهه ونزلت عليّ، كنت أراها كالأنوار المحسوسة حتى أيَقَنتُ أني أدركها بالحس لا ببصر الروح. وما رأيتُ أنه انفصل مني بعد المعانقة، وما رأيتُ أنه كان ذاهبا كالذاهبين.

ثم بعد تلك الأيام، فُتحت عليّ أبواب الإلهام، وخاطبني ربي وقال:

"يا أحمد، بارك الله فيك. الرحمن علّم القرآن، لتنذر قومًا ما أُنذرَ آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قُلْ إني أُمرتُ وأنا أول المؤمنين. يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. إنك اليوم لدينا مكين أمين. أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تعان وتعرف بين الناس. ويعلمك الله من عنده. تقيم الشريعة وتحيي الدين. إنا جعلناك المسيح بن مريم. والله يعصمك من عنده ولو لم يعصمك الناس. والله ينصرك ولو لم ينصرك الناس. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. يا أحمدي أنت مرادي ومعي. أنت وجيهٌ في حضرتي. اخترتك لنفسي. قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبِبْكم الله ويغفِرْ لكم ذنوبكم ويرحَمْ عليكم وهو أرحم الراحمين."

هذه نبذة من إلهاماتي، ومن جملتها إلهام: "إنا جعلناك المسيح بن مريم." **والله** قد كنت أعلم من أيام مديدة أنني جُعِلت المسيح ابن مريم، وأني نازلٌ في منزله، ولكن أَخفيته نظرًا إلى تأويله، بل ما بدلت عقيدتي وكنت عليها من المستمسكين. وتوقفت في الإظهار عشر سنين، وما استعجلتُ وما بادرتُ وما أخبرتُ حِبًّا ولا عدوّا ولا أحدًا من الحاضرين. وإن كنتم في شك فاسألوا علماء الهند كم مضت من مدة على إلهامي: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾، أو اقرؤوا "**البراهين**".

وكنت أنتظر الخِيَرة والرضاء وأمر الله تعالى حتى تكرر ذلك الإلهام، ورُفع الظلام، وتواتر الإعلام، وبلغ إلى عدة يعلمها رب العالمين. وخوطبت للإظهار بقوله: (فاصْدَعْ بما تؤمر)، وظهرت علامات تعرفها حاسة الأولياء وعقل أرباب الاصطفاء، وجُلّي الصبح، وأكّد الأمر، وشرح الصدر، واطمأن الجنان، وأفتى القلب، وتبين أنه وحي الله لا تلبيس الشياطين.

ثم ما اكتفيت بهذا بل عرضته على الكتاب والسنة، ودعوت الله أن يؤيدني، فدقّق الله نظري فيهما وجعلني من المؤيَّدين. وظهر عليّ بالنصوص البينة، القرآنية والحديثية، أن المسيح بن مريم عليه السلام قد تُوفي ولحِق بإخوانه من النبيين.

وكنت أعلم أن وفاة المسيح حق ثابت بالنصوص البيّنة القطعية، القرآنية والحديثية، وأعلم أن إلهامي لا غبار عليه ولا تلبيس ولا تخليط، ومع ذلك كان يقيني بأن اعتقاد المسلمين في نزول المسيح حق لا شبهة فيه ولا ريب، فعسُر عليّ تطبيقهما وكنت من المتحيرين. فما قنعت بالنصوص فقط، لأني وجدت في الأحاديث رائحة قليلة يسيرة من دُخْن الاختلاف بظاهر النظر، وإن كانت الدلائل القوية القاطعة معنا وبأيدينا، وكان القرآن معنا كله، بل ابتغيت معرفة تامةً نقية بيضاء التي يتلألأ كل شق من شقوقها وتبلّغ إلى الحق اليقين.

فتضرعتُ في حضرة الله تعالى، وطرحت بين يديه متمنيًا لكشف سر النزول وكشف حقيقة الدجال، لأعلمه علم اليقين وأرى به عين اليقين، فتوجهت عنايته لتعليمي وتفهيمي، وأُلهِمتُ وعُلِّمتُ من لدنه أن النزول في أصل مفهومه حق، ولكن ما فهم المسلمون حقيقته، لأن الله تعالى أراد إخفاءه، فغلب قضاؤه ومكره وابتلاؤه على الأفهام، فصرَف وجوههم عن الحقيقة الروحانية إلى الخيالات الجسمانية، فكانوا بها من القانعين. وبقي هذا الخبر مكتومًا مستورًا كالحَبّ في السنبلة، قرنا بعد قرن، حتى جاء زماننا، واغترب الإسلام، وكثرت الآثام، وغلبت ملة عبدة الصليب، فصالوا على المسلمين بالافتراء والمين، وأحلُّوا سَفْكَ عُشّاقٍ كانوا كصيد الحرَمين. فصُبّت علينا مصائب كنا لا نستطيع إحصاءها، وضاقت الأرض علينا، وتورمت مُقلتنا باستشراف الناصرين. فأراد الله أن يأتي بصبح الصداقة، ويعين طلاب الحقيقة، من الأعالي والأداني، بنَضْوِ الوِشاح عن مخدَّرة المعاني، ويشفي صدور المؤمنين. وكنا أحق بها وأهلها لأنا رأينا بأعيننا إطراء المسيح وازدراء المصطفى، ودعوة الناس إلى ألوهيّة ابن مريم وسبِّ خير الورى ﷺ، وسمعنا السبّ مع الشرك والمين، وأُحرقنا بالنارَين. فكشف الله الحقيقة علينا، لتكون النار علينا بردًا وسلامًا، وكان حقا على الله نصر المضطرين. فأخبرني ربي أن النزول روحاني لا جسماني، وقد مضى نظيره في سنن الأولين. وإن الله لا يبدل سنته ولا عاداته، ولا يكلف نفسًا إلا وسعها، وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين.

والسر في ذلك أن للأنبياء، عند هبِّ الأهوية المهلكة وابتداع المسالك الشاغرة، تدلّياتٍ وتنزلات إلى هذا العالم، فإذا جاء وقتُ تدلّي نبي ونزوله بمجيء فتنة تؤذيه، يطلب من ربه محط أنواره، ومظهر إرادته وأنظاره، ووارث روحانيته، ليكون هذا المظهر له من المنشطين. فيعدّ له ربه عبدًا من عباده، ويلقي إراداته في قلبه، فيكون هذا العبد أشدَّ مناسبة وأقربَ جوهرًا من ذلك النبي، ويشابهه من حيث الهوية

المبعوثية مشابهةً تامةً كاملة كأنّه هو، ويكمل ما تَزيَّفَ في قومه المخذولين. وذلك سر عظيم من الأسرار السماوية، ما يفهمه عقول سطحية، ولا يلقّاها إلا الذين أوتوا العلم من عند الله، وما كان لعين لاقت الاعتلال أن تجتلي الهلال، فطوبى للمبصرين.

وقد جرت عادة الله تعالى على أنه لا يكشف قناع الأخبار الآتية من كل جهة إلا في وقتها، ويبقي قبل الوقت بعض إغماضات ومعان مطوية ومستورة مكتومة، ابتلاء للذين يجدون زمان ظهورها، فيفضّ الختم في زمانهم، ليهينهم أو يكرمهم بامتحانهم، وقد مضت سنته في فتنة المسلمين. ولا يرفع الأمان من ذلك،[١٥٦] لأن الأمر المقصود يبقى على حاله، مع قرائنه القوية وصفاء زلاله، فلا يتطرق الاختلال إليه، وإنما يجدد الله حلل ظهوره في أعين الناس، ليرى من يعقِد حَبْكَ النطاق للرحلة من خريبته كانوا آباؤه فيه ساكنين. والحق أن كل ظن فاسد ينشأ من سوء الفهم، وأما وعد الله فهو يظهر بلا خلاف، والله لا يخلف الميعاد. وكم مِن وعود أسنى لنا ثم أنجزَ لنا كما وعد وهو خير المنجزين. ولعمري، إن السفهاء لم يحفظوا كلام الله كله

---

[١٥٦] الأصل المحكم والخفير الأعظم في طرق المكاشفات الذي هو كقانون عاصم من سوء الفهم في تفسير النبوات الواقعة في هذا العالم العنصري علم تأويل الأحاديث الذي يعطى للصديقين. ولا يجوز صرفُ أمرٍ كشفي عن التأويلات المصرحة في هذا العلم إلا عند قيام قرينة قوية موصلة إلى اليقين، لأن هذا العلم إنما جُعل بمنزلة لغةٍ كاشفة لأسرار المكاشفات، أُحكمتْ قواعدها وفُرض اتباعها للمؤمنين. فكما أن اللغات المستعملة الجارية على الألسنة قاضية لحل التنازعات اللغوية في العالم السفلي وحجة قاطعة للمتكلمين، كذلك علم تأويل الأحاديث وقواعده التي رتبها لسان الأزل حكم مسلم لقضاء التنازعات الكشفية، ومن أبى هذا الحكم فقد جار جورا عظيما وهو من الظالمين. مثلا إذا احتذيت حذاء في رؤياك فلا يجوز لك عند تأويله أن تعني من الحذاء ما يُعنى في لغات هذا العالم السفلي، بل يجب عليك أن ترجع إلى لغة وضعها الله لذلك العلم الروحاني، فتؤول الحذاء زوجةً أو وُسْعةَ معاش. فخُذْ هذا السر فإنه ينجيك من آفات المخطئين. منه.

في أذهانهم، وآمنوا ببعض الآيات وكفروا ببعضها، وجعلوا القرآن والحديث عِضينَ. وأراهم أسارى في سلاسل الاختلافات والتشاجرات، ولو أنهم تفكروا للتطبيق لفتح الله عليهم بابا من أبواب المعرفة، ولكن غضوا وتركوا القرآن مهجورا، فطبع الله على قلوبهم وتركهم ضالين.

أما الدجال فاسمعوا أبين لكم حقيقته من صفاء إلهامي وزلالي، وهو حجة قاطعة ثقّفت للمخالفين تثقيف العوالي، خذوه ولا تكونوا ناسين أو متناسين.

أيها الأعزة! قد كشف علي أن وحدة الدجال ليست وحدة شخصية، بل وحدة نوعية، بمعنى اتحاد الآراء في نوع الدجالية، كما يدل عليه لفظ الدجال، وإن في هذا الاسم آياتٍ للمتفكرين. فالمراد من لفظ الدجال سلسلة ملتئمة من هم دجالية، بعضها ظهير للبعض، كأنها بنيان مرصوص من لَبِنٍ متحدة القالب، كل لبنة تشارك ما يليها في لونها وقوامها ومقدارها واستحكامها، وأُدخلت بعضها في بعض، وأشيدت من خارجها بالطين، أو كركبٍ ردِف بعضهم بعضا، وهم - ممتطين شِمِلّةً مُشمعِلّة - يُرَون من شدة سرعتها رجلا واحدا في أعين الناظرين. ونظيره في القرآن خبر الدخان، فإنه كان سلسلة خيالات متفرقة من شدة الجوع، وسمي بشيء واحد وقيل ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾[١٥٧] وهذا سر لا يعرفها إلا العرّافة، وما يُطلّ عليه فهمُ الغبِيّين.

وقد جرت عادة الناس، عربا وعجما، أنهم إذا رأوا كيفية وحدانية في أفراد فيُنزلونها في منزل الواحد، نحو أدوية مختلفة، فإذا خُلط بعضها ببعض، ودُقّ وسُحق وحصل لها مزاج واحد، وأثر واحد، فما عليك من ذنب إن قلت إنه شيء واحد حصل من العجين.

---

[١٥٧] *سورة الدخان: ١١*

وأنت تعلم أن الناس إذا اجتمعوا في أرض وألقوا فيها مراسي السكون، وحصل لهم نظام تمدني وتعلقَ بعضهم بالبعض تعلقا مستحكما، وتحققَ النسب والإضافات غير قابلة الانفكاك والزوال، واستقرّوا وما أرادوا أن يرتحلوا منها إلى أرض من الأرضين، فإن شئت تسمي مجموعتهم: "بلدة"، وتجري على جماعتهم أحكام الواحد، وما هو واحد في الحقيقة، وما أنت من الملومين. وإن اتفق أنهم جاءوك للقائك فإن شئت قلت: "جاءني البلد"، وذكرتهم كما يذكر الفرد الواحد، وما يعترض عليك إلا جاهل أو الذي كان من المتجاهلين. فكما أن الأماكن يطلق عليها اسم الواحد مع أنها ليست بواحدة، كذلك لا يخفى على القرائح السليمة، والذين لهم حظ من أساليب لسان العرب ولطائف استعاراتهم، أن أذيال هذه الاستعارات مبسوطة ممتدة جدًا، وليست محدودة في مورد خاص، فانظر حتى يأتيك اليقين.

وعجبت لقوم يزعمون في الدجال أنه رجل من الرجال، ويقولون إنه كان في زمن رسول الله ﷺ وهو إلى الآن من الموجودين. أُفٍّ لهم ولوهنِ رأيهم.. كيف يحكمون! ألا يعلمون أن رسول الله ﷺ قال: أقسم بالله، ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ. يعني بذلك أن الناس كلهم يموتون إلى مضي المائة، وما يكون فرد من الباقين. فما لهم يقرؤون "البخاري" و"المسلم" ثم يضلون المسلمين؟

أيها الأعزة، إن في هذا الاعتقاد مصيبتان عظيمتان قد أزجتا كثيرا من الناس إلى نيران الكفران، ومنعتاهم من مرتع الجِنان، فلا تخطوا صراطكم ولا تكونوا من المتخطين. أُولاهما المصيبة التي قد ذكرت من استلزام تكذيب قول النبي ﷺ الذي أكده بالقسم، فإياكم وسوء الأدب وكونوا من المتأدبين. لا تقدِّموا بين يدي الله ورسوله، ولا تعصوا بعد ما بين لكم رسول الله ﷺ، واعلموا أنه صادق صدوق ما

ينطق عن الهوى.. إن هو إلا وحي يوحى. فاخفضوا جناح الذل، ولا تأبوا قول رسول الله ﷺ إن كنتم صالحين.

والمصيبة الثانية ظاهرة لا حاجة لها إلى البيان. ألا ترون إلى الفرقان وتعليم الرحمن.. كيف أقام الناس على توحيد عظيم ونهاهم عن سَنَنِ المشركين؟ فتفكروا في قلوبكم.. كيف يمكن أن يخرج الدجال كما تزعمون، ويحيي الأموات ويري الآيات، ويسخر السحاب والشمس والقمر والبحار، وكان أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون؟ أهذا ما عُلّمتم من القرآن؟ أهذا تعليم الفرقان؟ أهذا الذي سُفك له دماءُ سراة العرب وعظائمِ القريش ببدرٍ وفي كل مصافّ، وهضَمهم المسلمون هَضْمَ مِتلاف؟ اشهدوا ولا تكونوا من الكاتمين. كيف ينسخ تعليم القرآن وينبذ كالقشر، ويفيء المَنْشَرُ المطْوِيّ إلى النشر، ويجيء الدجال المفاجئ لتضليل نوع البشر؟ لم تخرجون من خُلَع الصداقة وتنسون يوم الحشر؟ وتفسدون في الأرض بعد إصلاحها، اتقوا الله ولا تكونوا من المعتدين. أيمكن أن السيّد الذي كسر الأصنام بالعصا، وإذا سُئل أغير الله قادر قال لا، أهو يعلّمكم أمورا خلاف القرآن الكريم وخلاف التوحيد العظيم؟ كلا.. إنه أغير من كل غيور لله وتوحيده، فلا تفتروا عليه عَضِيهة ولا تكونوا فريسة الشياطين.

هذان بلاءان في اعتقادكم، ومصيبتان على دينكم وتوحيدكم، وصلاحكم وسدادكم. وأمّا المعنى الذي بيّنت، ولتعليمه تحزمت، فكله خير لا محذور فيه، ولا رائحة من شرك ولا من تكذيب النبي ﷺ، بل هو أقر للعين، وفيه نجاة من الثقلين، فاقبلوه وكونوا من الشاكرين.

وكيف تظنون في الذي هو في زعمكم من أبناء الغِيد، وتفوّقَ مِن رَأْدٍ ضعيفة لا من الشيطان المريد، أنه يتقوى كالشياطين، ويشابه في بعض الأغاريد، بل يكون أزيد منهم ويصلب كالحديد. ويكون له جسم لا يسع إلا في سبعين باعًا. تفكروا يا

ذرية الحُرَّينِ! أيجوز أن يتعطل الله في وقت خروجه، ويقدر الدجال على كل أمر وكل ضيم. وتصير تحت أمره شمس وقمر ونار وماء وجنةٌ وخزائن الأرض وقطعة كل غيم. ويطوف على كل الأرض في ساعة، ويدخل المشارق والمغارب تحت لواء الطاعة، ويضع الفأس على رأس الناس، ويجعلهم شِقَّين ثم يحييهم مرة أخرى، ويري الخلق كذب آية الفرقان: ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾،[١٥٨] ويكون على كل شيء من الفعالين؟ يسحق التوحيد تحت أرجله وكان به من المستهزئين؟ سبحان ربنا عما يصفون، والحمد لله رب العالمين.

أيها الناس.. إن تحت هذا النبأ سرٌّ، وفهم السر برٌّ، فاقبلوه بوجه طليق وكونوا مسعدين. يرحم الله عليكم وهو أرحم الراحمين.

أيها الأعزة، هي العقيدة التي علّمني الله من عنده وثبّتني عليها، فما استصوبه بعض الغبِيّين، وما استجادوا قولي هذا وارتابوا واستنكروا واستعجلوا في إكفاري، وما أحاطوا على بِطانتي ولا ظِهارتي ولا سِراري، ونحتوا بهتانات وأكفروا وجاءوا بمفتريات كالشياطين، ليفرُط بتلك المروش إليّ ذم، أو يلحقني وَصْمٌ، وليختلبوا القلوب بمزخرفاتهم، وأتراءى في أعين الناس من الكافرين. ورأيت نفوسهم قد ثعَطت وثلَطت، وقرِحت وتعفنت مِن حقد وغل، وصاروا من الذين يُصعِرون ويُصلِقون، ويؤذون الناس بحُمَةِ نطقهم، وينضنضون لُسْنَهم كصِلٍّ، وما بقي فيهم من حبّ ولا لبّ، كأنهم في غيابة جُبّ، ومن المغرقين.

أيها الأعزة، إني دعوت قومي ليلا ونهارا، فلم يزدهم دُعائي إلا فرارًا، ثم إني دعوتهم جهارًا، ثم إني أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسرارا، فقلتُ استغفروا ربكم واستخيروا واستخبروا، وادعوا الله في أمري يمددكم بإلهامات ويُظهر عليكم أخبارًا،

---

[١٥٨] *سورة الزمر: ٤٣*

فما سمعوا كلمتي، وأعرضوا عتوًّا واستكبارًا، ورضوا بأن يكونوا لإخوانهم مكفرين. وما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بأحاديث شاهدة على ذلك إن كنتم صادقين. وهم يدرسون كتاب الله ويجدون فيه كل ما قلتُ لهم، ويقرؤون الصحاح ويجدون فيها ما أظهرتُ عليهم، ولكن ختم الله على قلوبهم وكانوا قوما عمين.

ولستُ أرى أن الأحاديث كلّها موضوعة على التحقيق، بل بعضها مبنية على التلفيق، ومع ذلك فيها اختلافات كثيرة، ومنافاة كبيرة، ولأجل ذلك افترقت الأمة، وتشاجرت الملة، فمنهم حنبلي وشافعي، ومالكي وحنفي، وحزب المتشيّعين. ولا شك أن التعليم كان واحدا، ولكن اختلفت الأحزاب بعد ذلك، فترون كل حزب بما لديهم فرحين. وكل فرقة بنى لمذهبه قلعة، ولا يريد أن يخرج منها ولو وجد أحسن منها صورة، وكانوا لعَماسِ إخوانهم متحصنين. فأرسلني الله لأستخلص الصياصي، وأستدني القاصي، وأُنذر العاصي، ويرتفع الاختلاف ويكون القرآن مالِكَ النواصي، وقِبلةَ الدين. فلما جئتهم أكفروني وكذبوني ورموني ببهتانات وإفك مبين. وإني أرى علمهم مخسولا، وجِيْدَ تناصُفِهم مغلولا، وصُنْعَ عُذْراتهم مطلولا، وأرى صورهم كالممسوخين.

وقد بعثني الله فيهم حكما فما عرفوني وحسبوني من الملحدين. آذوني بحصائد ألسنتهم، ورأيت منهم ظلمًا وهضمًا كثيرًا، وقلّبوا لي الأمور، وأرادوا أن يتخطفوني من الأرض، ولكن عصمني الله من شرورهم وهو خير العاصمين. ورأيت كل أحد منهم مارًّا في عَشْواه، وتاركًا سبيل رسول الله ﷺ وهداه، فقلت: أيها الحسداء الجهلاء.. أسأتم فيما صنعتم، وحرَنتم فيما ظننتم. تجلِدون للاجتلاد، وأنا تحت أتراس الله حافظِ العباد، ولن تستطيعوا أن تضروني ولو أمحشَ الحقد جلودكم، وسوّد الغيظ خدودكم. يا حسرة عليكم! ما أرى فيكم المتضرع الخائف، خرِف التَّمْر وبقي

خرائفُ. وما أرى فيكم رائحة الحياة.. إن أنتم إلا كالأموات، وإن أنتم إلا كمذعوفين.

وأيمُ اللهِ.. لطالما قلت لهم: ألا لا ترِدوا مخاوفَ الإكفار، فإنها مقاحم الأخطار وفلوات التبار. تعالوا أَنْفِ ما رابكم، وأستسلّ كل سهمٍ نابَكم، فما كفّوا ألسنتهم، وما جاءوني كتقيّ أمين.

ثم قلت: أيها العلماء، أرُوني نصوص كتاب الله لأوافقكم، وأروني أثر رسوله ﷺ لأرافقكم، فإني ما أجد في كتاب الله وآثار رسوله ﷺ إلا موت المسيح بن مريم، فأروني خلاف ذلك إن زعمتموني من الكاذبين. وإن كنتم على بيّنة من عند ربكم.. فلم لا تأتونني بسلطان مبين؟ وإن شئتم أن تختبروني فتعالوا عاينوا آيات صدقي أو أروني شيئا من آياتكم. فإن بدا كذب فمي.. فمزّقوا أدمي، وأريقوا دمي، وإن غلبتُ وظهر صدق قولي، فإليكم من حولي. واتقوا الله ولا تعتدوا أمام ربكم في العصيان، فإن عينه على طرق الإنسان، وهو يرى كل خطواتكم، ويعلم دقائق خطراتكم، فما لكم لا تخافونه؟ قد نزل الله في عرائكم فقوموا له قانتين.

الإيمان نور البشرية، ونور الإيمان عرفان، ومن فقدهما فهو دودة لا إنسان. من عرف السر فقد عرف البر، فقوموا وتجسسوا اللُّبّ الذي هو باطن الباطن ومعنى المعنى ونور النور، ولا تفرحوا بالقشور. الحياة الحياة! البصارة البصارة! ولا تكونوا كالميتين. هذا ما قلت لهم، وفوضت أمري إلى الله. هو ربي، وجيدي تحت نيره، وأعلم أنه لا يخذلني ولا يضيعني، ولا يجعلني من التائهين.

والآن أيها الأعزة.. أبيّن لكم بعض حلمي ومكاشفاتي، **رأيت** فيها رسول الله ﷺ بعد ما رأيته في مستطرَف الأيام، فجعلني كالعِرْدام، وأعدّني للاصْلِخْمام، لأحارب الفراعنة والظالمين.

أيها السادة.. إني رأيته مرات، بعد ما وجدت منه بركات وثمرات، فالآن أبيّن بعضها لكم لعلكم تتفكرون في أمري، ولعلكم تنظرون إليّ بعين المبصرين. فإن القوم فرّوا مني كثور الوحش، وتركوا شِطاط الإنسانية وحِزامتها، وكانوا كجذوة ملتهبة، وقاموا بفَديدٍ سَبُعِيٍّ وطبعٍ قِذَمٍّ كوَجينٍ. وأرَوني سُهوكةَ ريّاهم، وسهومةَ محيّاهم، واتفقوا على إيذائي وازدرائي ببغي وطغيان، وسابقوا في الافتراء كفرسَي رهان، لكي لا يكونوا في إخوانهم من المقرَعين. فلما رأيت أرضهم قَفْرًا، وسماءهم مصحِية، أعرضت وجئت حضرتكم بمائي المعِين.

أيها الأعزة والسادة.. جئناكم راغبين في خيركم بهدية فيها لبن أثداء الأمهات الروحانية، فتعالوا لشربه وأتوني ممتثلين. والآن أبين الرؤيا إراحةً للسامعين.

أيها الكرام.. **رأيت** في المنام كأني في حلقة ملتحمة، ورفقة مزدحمة، وأبين بعض المعارف بجأش متين، ولسان مبين للحاضرين. ورأيت أن المكان رَبع لطيف نظيف، ينفي التَّرَحَ رؤيتُه، ويسرّ الناظرين هيئته، وكنت أخال أنه مكاني، فحبذا هو من مكان، رأيت فيه سيد المرسلين ﷺ. ورأيت عندي رجلا من العلماء.. لا بل من السفهاء.. جاثيا على ركبته، ينكر علي لغباوته، ويكلب علي اللجاج لشقاوته، ورأيته كالحاسدين.

فاشتد غضبي وقلتُ: تعسًا لهؤلاء العلماء.. إنهم من أعداء الدين. فقلت: هل من امرئ يخرجه من هذا المقام، كإخراج الأشرار واللئام، ويطهر المكان من هذا القرين الضنين؟ فقام رجل من خدامي، وهَمّ بإخراجه من أمام عيني ومقامي، ليؤمنني من ذلك الطنّين. فرأيت أنه أخذه وجعل يدفعه ويذُبّه ويذأَطه من المكان، وله رطيط وكرب وفزع مع الاردمان، حتى أُخرج فأصبح من الغائبين.

فرفعت نظري فإذا حِذَتَنا رسول الله ﷺ قائم، وكأنه كان يرى كل ما وقع بيننا مواريا عيانَه. فأخذني هيبة من رؤيته، ونهضت أستقري مكانا يناسب شأنه، وقمتُ

كالخادمين. فإذا دنوت منه ﷺ ونظرت إلى وجهه، فإذا وجهٌ قد رأيته من قبل.. ما رأيت وجهًا أحسن منه في الدنيا، فهو خاتم الحسينين والجميلين، كما أنه خاتم النبيين والمرسلين. ورأيت في يده كتابًا فإذا هو كتابي "**المرآة**"، الذي صنّفته بعد "البراهين". وكان قد وضع إصبعًا على محل فيه مدحُه، وإصبعًا على محل فيه مدح أصحابه، وقد قيّد لَحْظَه بهما وهو يتبسم ويقول: **هذا لي، وهذا لأصحابي**، وكان ينظر إليه كالقارئين. ثم انحدرت طبيعتي إلى الإلهام، فأشار الرب الكريم إلى مقام من مقامات "**المرآة**"، **وقال: "هذا الثناء لي"**. ثم استيقظت، فالحمد لله رب العالمين.

ورأيت في منام آخر كأني صرت عليًا ابن أبي طالب ﷺ، والناس يتنازعونني في خلافتي، وكنت فيهم كالذي يُضام ويُمتهَن ويغشاه أدران الظنون وهو من المبرّئين. فنظر النبي ﷺ إلي.. وكنت أخال نفسي أنني منه بمنزلة الأبناء وهو من آبائي المكرمين. فقال وهو متحنن: **"يا علي..دَعْهم وأنصارهم وزراعتهم"**. فعلمت في نفسي أنه يوصيني بصرف الوجه من العلماء وترك تذكرهم والإعراض عنهم وقطع الطمع والحنين من إصلاح هؤلاء المفسدين. فإنهم لا يقبلون الإصلاح، فصرف الوقت في نصحهم في حكم إضاعة الوقت، وطمعُ قبول الحق منهم كطمع العطاء من الضنين. **ورأيت** أنه يحبّني ويصدّقني، ويرحم عليّ، ويشير إلي أن عُكّازته معي وهو من الناصرين.

ورأيتني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو، ولم يبق لي إرادة ولا خطرة ولا عمل من جهة نفسي، وصِرت كإناء منثلم بل كشيء تأبَّطَه شيءٌ آخر وأخفاه في نفسه حتى ما بقي منه أثر ولا رائحة وصار كالمفقودين. وأعني بعين الله رجوع الظل إلى أصله وغيبوبته فيه، كما يجري مثل هذه الحالات في بعض الأوقات على المحبين.

وتفصيل ذلك أن الله إذا أراد شيئًا من نظام الخير جعلني من تجلياته الذاتية بمنزلة مشيّته وعلمه وجوارحه وتوحيده وتفريده، لإتمام مراده وتكميل مواعيده، كما جرت

عادته بالأبدال والأقطاب والصديقين. فرأيت أن روحه أحاط علي واستوى على جسمي، ولفّني في ضمن وجوده حتى ما بقي مني ذرة وكنت من الغائبين. ونظرتُ إلى جسدي فإذا جوارحي جوارحه، وعيني عينه، وأذني أذنه، ولساني لسانه. أخذني ربي واستوفاني وأكد الاستيفاء حتى كنت من الفانين. ووجدت قدرته وقوته تفور في نفسي، وألوهيته تتموج في روحي، وضُرِبت حول قلبي سرادقات الحضرة، ودقق نفسي سلطانُ الجبروت، فما بقيتُ وما بقي إرادتي ولا مُناي، وانهدمت عمارة نفسي كلها، وتراءت عمارات رب العالمين. وانمحت أطلال وجودي، وعفت بقايا أنانيتي، وما بقيت ذرة من هويتي، والألوهية غلبت عليّ غلبة شديدةً تامةً، وجُذِبتُ إليها من شعر رأسي إلى أظفار أرجلي، فكنت لُبًّا بلا قشور، ودُهنًا بغير ثُفْل وبذور، وبُوعِدَ بيني وبين نفسي، فكنت كشيء لا يُرى، أو كقطرة رجعت إلى البحر، فستره البحر بردائه وكان تحت أمواج اليم كالمستورين.

فكنت في هذه الحالة لا أدري ما كنتُ من قبل وما كان وجودي، وكانت الألوهية نفذت في عروقي وأوتاري وأجزاء أعصابي، ورأيت وجودي كالمنهوبين. وكان الله استخدم جميع جوارحي، وملَكها بقوة لا يمكن زيادة عليها، فكنت من أخذه وتناوله كأني لم أكن من الكائنين. وكنت أتيقن أن جوارحي ليست جوارحي، بل جوارح الله تعالى، وكنت أتخيل أني انعدمت بكل وجودي، وانسخلت من كل هويتي، والآن لا منازع ولا شريك ولا قابض يزاحم. دخل ربي على وجودي، وكان كل غضبي وحلمي، وحلوي ومرّي، وحركتي وسكوني له ومنه، وصرت من نفسي كالخالين.

وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول: إنا نريد نظامًا جديدًا.. سماءً جديدة وأرضًا جديدة. فخلقتُ السماوات والأرض أولا بصورة إجمالية لا تفريق فيها ولا ترتيب، ثم فرقتها ورتّبتها بوضع هو مراد الحق، وكنت أجد نفسي على خلقها كالقادرين. ثم

خلقت السماء الدنيا وقلت: إنا زَيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح. ثم قلت: الآن نخلق الإنسان من سلالة من طين.

ثم انحدرتُ من الكشف إلى الإلهام فجرى على لساني: "أردتُ أن أستخلف فخلَقتُ آدم، إنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وكنا كذلك خالقين".

وألقي في قلبي أن الله إذا أراد أن يخلق آدم فيخلق السماوات والأرض في ستة أيام ويخلق كل ما لا بد منه في السماء والأرضين. ثم في آخر اليوم السادس يخلق آدم، وكذلك جرت عادته في الأولين والآخرين.

وألقي في قلبي أن هذا الخلق الذي رأيته إشارة إلى تأييدات سماوية وأرضية، وجعلِ الأسباب موافقة للمطلوب، وخلقِ كل فطرة مناسبة مستعدةً للحوق بالصالحين الطيبين. وألقي في بالي أن الله ينادي كل فطرة صالحة من السماء ويقول: كوني على عُدّة لنصرة عبدي وارحلوا إليه مسارعين. ورأيت ذلك في ربيع الثاني سنة ١٣٠٩**هـ**. فتبارك الله أصدق الموحين.

ولا نعني بهذه الواقعة كما يعنى في كتب أصحاب وحدة الوجود، وما نعني بذلك ما هو مذهب الحلوليين، بل هذه الواقعة توافق حديث النبي ﷺ، أعني بذلك حديث البخاري في بيان مرتبة قرب النوافل لعباد الله الصالحين.

أيها الأعزة.. الآن أقص عليكم من بعض **واقعات** غيبية أظهرني ربي عليها ليجعلها آيات للطالبين. فمنها أن الله رأى أبناء عمي، وغيرهم من شعوب أبي وأمي، المغمورين في المهلكات، والمستغرقين في السيئات، من الرسوم القبيحة والعقائد الباطلة والبدعات، ورآهم منقادين لجذبات النفس واستيفاء الشهوات، والمنكرين لوجود الله ومن المفسدين. ووجدهم أجهلَ خَلْقِه بما يهذّب نفوسهم، وألَدَّهم للدنيا الدنية، وأذهلَهم عن ذكر الآخرة، وأغفلَهم عن جلال الله وسطوته وقهره وجوده وأمور العاقبة، والعاكفين على طواغيت الرسوم، الغافلين عن عظمة الله القيوم،

والمنكرين للنبي المعصوم، ومن المكذبين. ورأى أنهم يأمرون بالمنكر والشرور، وينهون عن المعروف والخبر المأثور، ويطيلون الألسنة بتوهين رسول الله ﷺ والاستخفاف به، وصاروا للإلحاد والارتداد من المتشمرين. ورأى أنهم يسعون تحت الآثام إلى الآثام، ولا يخافون غضب الله الملك العلام، ولا يتوبون من سب رسول الله ﷺ بل كانوا عليه من المداومين. وكانوا لا يحفظون فروجهم، ولا يتركون دَوْرَقَهم ودُروجهم، وكانوا على هجو الإسلام من المصرين. وكانوا يغضبون غضب السباع مع ظلمة المعاصي والظلم والإيقاع، كأنهم سحاب ركام فيه شغب الرعد والبرق والصاعقة، ولا يخرج قطرة وَدَقٍ من خلاله، فنعوذ بالله من شر المعتدين.

وبينما هم كذلك إذ **اصطفاني** ربي لتجديد دينه، وإظهار عظمة نبيه ونشر رَيّا ياسمينه ﷺ، و**أمرني** لدعوة الخلق إلى دين الإسلام، وملة خير الأنام، و**رزقني** من الإلهامات والمكالمات والمخاطبات والمكاشفات رزقًا حسنًا، و**جعلني** من المحدَّثين. فبلغ هذا الخبر وهذه الدعوة وهذا الدعوى أبناءَ عمي وكانوا أشد كفرًا بالله ورسوله ومنكرين لقضاء الله وقدره ومن الدهريين. فاشتعل غضبهم حسدًا من عند أنفسهم، فطغوا وبغوا، واستدعوا الآيات استهزاءً، وقالوا لا نعلم إلهًا يكلم أحدًا، أو يقدر أمرًا، أو يوحي إلى رجل وينبئ من شيء، إن هو إلا مكر مستمر قد انتاب من الأولين. وكله كيدٌ وخَتْرٌ وذَلاقةُ لُسْنٍ، فليأتنا بآية إن كان من الصادقين. وكانوا يستهزئون بالله ورسوله ويقولون – قاتلهم الله – إن القرآن من مفتريات محمد (ﷺ) وكانوا من المرتدين. وكان القوم كله معهم، ولا يمنعونهم من هذه الكلمات ولا يراجعون، فكانوا يزيدون يومًا فيومًا في كفرهم وطغيانهم، ولم يكونوا من المزدجرين.

فاتفق ذات ليلة أني كنت جالسًا في بيتي، إذ جاءني رجل باكيًا، ففزعت من بكائه فقلت: أجاءك نعي موت؟ قال: بل أعظم منه. إني كنت جالسًا عند هؤلاء الذين ارتدوا عن دين الله، فسبّ أحدهم رسولَ الله ﷺ سبًّا شديدًا غليظًا ما سمعت

قبله من فم كافر، ورأيتهم أنهم يجعلون القرآن تحت أقدامهم، ويتكلمون بكلمات يرتعد اللسان من نقلها، ويقولون إن وجود البارئ ليس بشيء، وما من إله في العالم، إن هو إلا كذب المفترين. قلتُ: أوَ لم حذّرتك[١٥٩] من مجالستهم.. فاتق الله ولا تقعد معهم وكن من التائبين.

وكذلك سدَروا في غَلَواتهم، وجمحوا في جهلاتهم، وسدَلوا ثوب الخيلاء يومًا فيومًا حتى بدا لهم أن يشيعوا خزعبلاتهم، ويصطادوا السفهاء بتلبيساتهم، فكتبوا كتابًا كان فيه سبّ رسول الله ﷺ وسبّ كلام الله تعالى، وإنكار وجود البارئ عز اسمه، ومع ذلك طلبوا فيه آيات صدقي مني وآيات وجود الله تعالى، وأرسلوا كتابهم في الآفاق والأقطار، وأعانوا بها كفرة الهند، وعتَوا عُتُوًّا كبيرًا، ما سمع مثله في الفراعنة الأولين.

فلما بلغني كتابهم الذي كان قد صنفه كبيرهم في الخبث والعمر، ورأيتُ فيه سبّ رسول الله ﷺ سبّا ينشق منه قلب المؤمنين، وتتقطع أكباد المسلمين، ورأيتُ فيه كلمات الأراذل والسفهاء، وتوهين الشريعة الغراء، وهجو كلام الله الكريم، **فغضبت أسفا**، ونظرت فإذا الكلماتُ كلمات تكاد السماوات يتفطرن منها. فتحدرت عبرات من مَذارف مآقي، وتصعدت زفراتي إلى التراقي، وغلب علي بكاء وأنين. فغلّقت الأبواب، ودعوت الرب الوهاب، وطرحت بين يديه، وخررت أمامه ساجدًا، وقرِمتُ إلى نُصرته متضرعًا، وفعلتُ ما فعلتُ بلساني وجناني وعيناي ما لا يعلمها إلا رب العالمين. وقلتُ: يا رب.. يا رب انصر عبدك واخذل أعداءك. استجبني يا رب استجبني. إلامَ يُستهزأ بك وبرسولك؟ وحتّامَ يكذّبون كتابك ويسبّون نبيك؟ برحمتك أستغيث يا حي يا قيوم يا معين.

---

[١٥٩] *سهو، والصحيح: أو ما حذّرتك.*

فرحم ربي على تضرعاتي وزفراتي وعبراتي، وناداني وقال: إني رأيت عصيانهم وطغيانهم، فسوف أضربهم بأنواع الآفات، أُبيدهم من تحت السماوات، وستنظر ما أفعل بهم، وكنا على كل شيء قادرين. إني أجعل نساءهم أرامل، وأبناءهم يتامى، وبيوتهم خربةً، ليذوقوا طعم ما قالوا وما كسبوا، ولكن لا أهلكهم دفعة واحدة، بل قليلا قليلا لعلهم يرجعون، ويكونون من التوابين. إن لعنتي نازلة عليهم وعلى جدران بيوتهم وعلى صغيرهم وكبيرهم ونسائهم ورجالهم ونزيلهم الذي دخل أبوابهم، وكلهم كانوا ملعونين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقطعوا تعلقهم منهم، وبعُدوا من مجالسهم، فأولئك من المرحومين.

هذه خلاصة ما ألهمني ربي، فبلّغت رسالات ربي، فما خافوا وما صدقوا، بل زادوا طغيانًا وكفرًا، وظلّوا يستهزئون كأعداء الدين. فخاطبني ربي وقال: إنا سنريهم آيات مُبكية، وننزل عليهم همومًا عجيبة، وأمراضًا غريبة، ونجعل لهم معيشة ضنكًا، ونصبّ عليهم مصائب فلا يكون لهم أحد من الناصرين.

فكذلك فعل الله تعالى بهم وأنقض ظهورهم بأثقال الهموم والديون والحاجات، وأنزل عليهم من أنواع البلايا والآفات، وفتح عليهم أبواب الموت والوفاة، لعلهم يرجعون أو يكونون من المتنبهين. ولكن قست قلوبهم، فما فهموا وما تنبهوا وما كانوا من الخائفين.

ولما قرب وقت ظهور الآية اتفق في تلك الأيام أن واحدًا من أعزّ أعزّتهم الذي كان اسمه "أحمد بيگ"، أراد أن يملك أرض أخته التي كان بعلها مفقود الخبر من سنين، وكان هو ابن عمي، وكانت الأرض من ملكه، فمال أحمد بيگ أن يخلص الأرض من أيدي أخته ويستخلصها، وأن يستخرجها من قبضتها ثم يقتنصها، وأرادت هي أن تهبها وتمنّ على أخيها. وكنا لها ورثاء جميعًا على سواء، فرضي أبناء عمي لوجه بهذا، بما كانت أختهم تحته وبما كانوا له أقربين. كذلك. نعم، قد كان

لي حق غالبًا عليهم، ولأجل ذلك ما كان لهم أن يهبوا الأرض قبل أن أرضى وأكون من الرّاضين.

فجاءت امرأة أحمد بيگ تطرح بين يدي لأترك حقي، وأرضى بهذه الهبة، ولا أكون من المنازعين. فكدتُ أرحم عليها وأهب الأرض لها تأليفًا لقلوبهم لعلهم يتوبون ويكونون من المهتدين. ثم خشيت شر الاستعجال، في مال الغائب الذي هو مفقود الخبر والحال، فخوّفني تَبِعةُ أثماره وما فيه من الوبال. فاستحسنتُ استفتاء العليم الحكيم، وترقُّب إعلام الرب الرحيم، لأكون بَرِيًّا من غصب حق غائب، ولا أكون من ضيمي كقائبٍ، وأخرج من الذين يظلمون شركاءهم ويتركونهم كخائب، وكانوا في حقوقهم راغبين، ولا يخافون أن يأخذوهم مفاجئين. فارتدعت عن الهبة ارتداع المرتاب، وطويت ذكره كطيِّ السجلّ للكتاب، وكنت لحكم الله من المنتظرين.

وكنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، وما كدت أن أظن أنها قضية قد أراد الله بها ابتلاء قوم كانوا من المعتدين، الذين غلبت عليهم المجون والخلاعة والإباحة والدهرية، والتحقوا بالكفار بل كانوا أشد كفرًا منهم وكانوا قومًا فاسقين. فقلت لامرأة أحمد بيگ: ما كنت قاطعًا أمرا حتى أؤامر الله تعالى فيه، فارجعي إلى خِدْرك، وبلّغي ما سمعت أبا عُذْرك، وستجدينني - إن شاء الله - من المخلصين.

فذهبت، وأتى بعلها يسعى، فألح عليّ كالمضطرين، وكان يخبِط كخبط المصابين، حتى أبكاه كُرْبتُه، وذوَتْ سكينته، وفاءَ إلى التضرع والاقشعرار، وكان أحشاؤه قد التهبت بطَوَى العَقار، وكان يتنفس كالمخنوقين. ووجدته بوَجْدِهِ المتهالك كأنّ الهم سيجدِله، والغم يُفيح دمه، ويصول عليه الحزن كمغتالين. فلما رأيت صَغْوَه وحزنه قد بلغ مراتب كماله، أخذني التحنن على حاله، وأشفقت على عينه ومبكاها، وقصدتُ أن أُريه يد النصرة وجدواها وعدواها، فأسرعت إلى تسليته

كالمواسين. فقلت له: والله ما زاغ قلبي وما مال، وما أنا من الذين يحبون المال، بل من الذين يتذكرون المآل والآجال، ولستُ شحيحًا على النعم كالذين هم كالنَّعم، وإنني أرحم عليك وسأُحسن إليك، وأعلم أن أنفَسَ القربات تنفيس الكربات، وأمتَنَ أسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات، وكنت لنصرتك من المتأهبين. ولكن أيم الله، لقد عاهدت الله على أنني لا أميل إلى أمرٍ فيه شبهة، ولا أضع قدمًا في موضع فيه زلة، ولا أتلو المتشابهاتِ حتى أؤامر ربّي فيها، فالآن أفعل كذلك وأرجو من الله خيرًا، فلا تكوننّ من القانطين. وإني أرى أن المؤامرة أقرب للتقوى، لأن الوارث مفقود، وما نتيقن أنه مات أو هو حي موجود، فلا يجوز أن يستعجل في ماله كمال الميتين. فالأولى أن تقصُر عن القيل والقال، حتى أؤامر ربي عالم الغيب ذا الجلال، وأستقري سبل اليقين. قال: ما مني خلاف، فلا يكن لوعدك إخلاف. قلت: كل وعدي مشروط بأمر رب العالمين. فذهب وكان مِن وجده الذي تيّمه كالمعتلّين.

فتيمّمت حجرتي، والتزمت زاوية بقعتي، أتجشم إلى الله تعالى ليظهر عليّ أمره، ويفلِق حَبَّ الحقيقة من نواتها، ويُري لبّ الأمر وقشره. فوالله ما أمسكتُ ريثما يُعقَد شِسْع، أو يُشَدّ نِسْع، إذا الوسَن أسرى إلى آماقي، وأُلهمتُ من الله الباقي، وأُنبِئت من أخبار ما ذهب وَهْلي قط إليها وما كنت إليها من المستدنين. فأوحى الله إلي أن اخطُبْ صبيته الكبيرة لنفسك، وقل له: ليصاهرك أولا ثم ليقتبس من قبسك، وقل: إني أُمرت لأهبك ما طلبتَ من الأرض، وأرضًا أخرى معها، وأُحسن إليك بإحسانات أخرى، على أن تُنكحني إحدى بناتك التي هي كبيرتها، وذلك بيني وبينك فإن قبلت فستجدني من المتقبلين. وإن لم تقبل فاعلم أن الله قد أخبرني أن إنكاحها رجلا آخر لا يبارَك لها ولا لك، فإن لم تزدجر فيصبّ عليك مصائب، وآخر المصائب موتك، فتموت بعد النكاح إلى ثلاث سنين، بل موتك قريب، ويرِد

عليك وأنت من الغافلين. وكذلك يموت بعلها الذي يصير زوجها إلى حولين وستة أشهر، قضاءً من الله، فاصنع ما أنت صانعه، وإني لك لمن الناصحين. فعبس وتولى وكان من المعرضين.

ثم كتبت إليه مكتوبا بإيماء منّاني، وإشارة رحماني، ونمّقت فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فاسمع أيها العزيز! ما لك اتخذت جِدّي عبثا، وحسبتَ تِبري خبثا؟ ووالله ما أريد أن أشقّ عليك، وستجدني إن شاء الله من المحسنين. وها أنا أكتب بعهد موثق، فإنك إن قبلتَ قولي على رغم أنف قبيلتي، فأفرض لك حصة في أرضي وخميلتي، ويرتفع الخلاف والنزاع بهذه الوصلة من بيننا، ويصلح الله قلوب شعبي وعشيرتي، وفي كل مُنيتك أقتفي صَغْوَك، وأزيل قَشْفَك، فتكون من الفائزين لا من الفائزين.

والحق والحق أقول.. إني أكتب هذا المكتوب بخلوص قلبي وجناني، فإن قبلت قولي وبياني، فقد صنعت لطفًا إليّ، وكان لك إحسانا عليّ، ومعروفًا لدي، فأشكرك وأدعو زيادة عمرك من أرحم الراحمين. وإني أقيم معك عهدي، أني أعطي بنتك ثُلُثًا من أرضي ومن كل ما ملكته يدي، ولا تسألني خُطة إلا أعطيك إياها، وإني من الصادقين. ولن تجد مثلي في رعاية الصلة ومودة الأقارب وحقوق الوُصلة، وتجدني ناصر نوائبك، وحامل أثقالك، فلا تضيّع وقتك في الإباء، ولا تستنكر حِبَّك ولا تكونن من الممترين.

وها أنا كتبت مكتوبي هذا من أمر ربي لا عن أمري، فاحفَظْ مكتوبي هذا في صندوقك فإنه من صدوق أمين. والله يعلم أنني فيه صادق، وكل ما وعدت فهو من الله تعالى، وما قلت إذ قلت ولكن أنطقني الله تعالى بإلهامه، وكانت هذه وصية من ربي فقضيتها. ما كان لي حاجة إليك وإلى بنتك، وما ضيق الله علي، والنساء سواها

كثيرة، والله يتولى الصالحين. فلا تنظر إلى مكتوبي بعين الارتياب، فإنه كتبته بإمحاض النصح والتزام الصدق والصواب، ودَعِ الجدال وانتظر الآجال، فإن مضى الأجل وما حصحص الصدق فاجعل حبلا في جيدي، وسلاسلا في أرجلي، وعذِّبْني بعذاب لم يعذب به أحد من العالمين.

كنتم قد طلبتم آية من ربي، فهذه آية لكم. إنه يأخذ المنكرين من مكان قريب، ويختار ما كان أقرب التعذيبات في حقهم، وأدنى من أفهامهم، وأشد أثرًا في أعراضهم وأجسامهم، ليري المحتالين ضعفهم ويكسر كبر الضائمين.

هذا ما كتبتُ إلى أحمد بيگ في سنة ١٣٠٤، فأعرض وأبى، وسكت وبكت، وعاف وُصْلتي وصلتي، وضاق ذرعًا من نميقتي، وكان من المعادين. ومعه عاداني قومه وعشيرته الذين كانوا أقربين. وكانوا يعافون أن يزوّجوا بناتِهم أقاربَ مثلي، أو يزوجوا امرأً تحته امرأة أخرى. وكانت بنته هذه المخطوبة جاريةً حديثة السن عذراء، وكنت حينئذ جاوزت الخمسين. وكان جذوة المعاداة متطايرة، ونارها ملتهبة، فزيّن القدر لنَصَبِه ووَصَبِه هذه الموانع في عينيه، فصار من المرتدعين. وكان يعلم صدقي وعفتي، وبالله ثقتي ومِقتي، ولكن غلبت عليه الشَّقْوة وأنساه عاهتُه نباهتي، فكان من المنكرين المعرضين.

وما عراني حزن من ذلك الإنكار، بل فرحت فرحة المطلق من الإسار، وهزة الموسر بعد الإحسار، وكنت كتبتُ إليه بإيماء الله القهار، فعلمتُ أن الله أتم حجته عليه وعلى عشيرته ولم يبق له الاعتذار، وعلمت أنه سيجعل كلماتي حسراتٍ على قلوبهم فسيذكرونها باكين.

ثم غلب قلبَه ذعر وضجر، وفجعه إلهامي، فمكث خمس سنين لا يزوج أحدًا بنته ولا يخطب خيفة من وعيد الله، وصار كالمتشحطين. فلما أنكحها فما مضى عليه إلا قريبًا من ستة أشهر إلا وقد أخذه الله وسلّط عليه داءً كالأرضة، وفوضه إلى قبضة

المرضة، وعَرْكة الوعكة، إلى أن أذهب حواسَّه الأَنَفُ، واستشفّه التلف، حتى نضَّى عنه قدر الله ثوب المحيا، وسلمه إلى أبي يحيى، ومات بميتةٍ محسرة، ونارٍ تطلع على أفئدةٍ، ورحل بالكربة والغم الغابر، وكم حسرات في بطون المقابر، وإن في هذا لآيات للمنكرين.

وعرا أهلَه وأقاربه ضجر ومصيبة، كانوا يضربون وجوههم من وبالِ الدُّرَخْمين. وهم الذين كانوا يقولون ما نعلم ما الله، إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين. فوجدوا وجدًا عظيما لفوت لقياه، وانقطاع سقياه، وبما رأوا أن الإلهام قد أرى سناه، وتراءت من كشف ساقه ساقاه، وظهرت من بدء أمره منتهاه، فكانوا مع حزنهم متخوّفين. ما تمضمضتْ مُقلتهم بنومها في تلك الأيام، ولا تمخضت ليلتهم عن يومها لغلبة هذا الظلام، وأحلّهم نزيل المصائب، فأحضروه شِواةَ الكبد وماء الأنين. فلما بلغهم نعيُ الحِمام، ووعيُ اللاطمات على وجوهَهم والحاطماتِ هامَهم بذكر الراحل عن المقام، انثالوا إلى عَقْوته موجفين، وإلى دويرته الخريبة موفضين. فأسالوا الغروب، وعطّوا الجيوب، وصكّوا الخدود، وشجّوا الرؤوس، وكانت النساء قلن في نياحتهم: قد أصبح اليوم عدونا، الذي أنبأنا قبل الوقت، من الصادقين.

فتفكروا أيها الطلاب.. **أهذا أضغاث أحلام؟ أهذا افتراء إنسان؟** واسألوا أهل المتوفى الذين يتندمون في أنفسهم، ويبكون على ميتهم، ويقولون: يا ويلنا إنا كنا خاطئين. وهنّأني ربّي وقال: (إنا مهلكو بعلِها كما أهلكنا أباها، ورادّوها إليك. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. وما نؤخّره إلا لأجل معدود. قل تربصوا الأجل وإني معكم من المتربصين. وإذا جاء وعد الحق.. أهذا الذي كذبتم به أم كنتم عَمِين). هذا ما بشّرتُ من ربي، فالحمد لله رب العالمين.

ورأيت في منام كأني قائم في موطن وفي يدي سيف مسلول، قائمه في أكفي وطرفه الآخر في السماء، وله برق ولمعان، يخرج منه نور كقطرات متنازلة حينا بعد حين. وإني أضرب السيف شمالا وجنوبًا، وبكل ضربة أقتل ألوفًا من أعداء الدين.

ورأيت في تلك الرؤيا شيخا صالحًا اسمه **عبد الله** الغزنوي، وقد مات من سنين، فسألته عن تأويل هذه الرؤيا، فقال: أما السيف فهي الحجج التي أعطاك الله ونصرك بالدلائل والبراهين. وأما ضربك إياه شمالا وجنوبًا فهو إراءتك آيات روحانية سماوية وأدلة عقلية فلسفية للمنكرين. وأما قتل الأعداء فهو إفحام المخاصمين، وإسكاتهم منها. هذا تأويل رؤياك وأنت من المؤيدين. وقد كنت في أيامي التي كنت في الدنيا أرجو وأظن أن يخرج رجل بهذه الصفات، وما كنت أستيقن أنه أنت وكنتُ عن أمرك من الغافلين.

ومنها أن الله بشرني وقال: "سمعتُ تضرعاتك ودعواتك، وإني معطيك ما سألت مني وأنت من المنعمين. وما أدراك ما أعطيك؟ آية رحمةٍ وفضلٍ وقربةٍ وفتحٍ وظَفَرٍ. فسلام عليك أنت من المظفَّرين. إنا نبشرك **بغلام** اسمه **عنموايل** [١٦٠] **وبشير**. أنيق الشكل دقيق العقل ومن المقربين. يأتي من السماء، والفضل ينزل بنزوله. وهو نور ومبارك وطيب ومن المطهرين. يُفشي البركات، ويغذي الخَلق من الطيبات، وينصر الدين. ويسمو ويعرج ويرقى، ويعالج كل عليل ومرضى، وكان بأنفاسه من الشافين. وإنه آية من آياتي، وعَلَمٌ لتأييداتي، ليعلم الذين كذبوا أني معك بفضلي المبين، وليجيء الحق بمجيئه، ويزهق الباطل بظهوره، وليتجلى قدرتي ويظهر عظمتي، ويعلو الدين ويلمع البراهين، ولينجو طلاب الحياة من أكف موت الإيمان والنور، وليبعث

---

[١٦٠] *هذا اللفظ ورد في كتاب آخر لسيدنا أحمد عليه السلام بقراءة "عِمَّانُوئِيل، ويبدو أنه الأصح. انظُر " أنجام آتهم"، الخزائن الروحانية ج ١١ص ٦٢.*

أصحاب القبور من القبور، وليعلم الذين كفروا بالله ورسوله وكتابه أنهم كانوا على خطأ ولتستبين سبيل المجرمين. فسيعطى لك غلام ذكي من صلبك وذريتك ونسلك ويكون من عبادنا الوجيهين. ضيف جميل يأتيك من لدنا. نقي من كل دَرَنٍ وشَينٍ وشَنار وشرارة، وعيب وعار وعرارة، ومن الطيبين. وهو كلمة الله. خُلق من كلمات تمجيديةٍ. وهو فهيم وذهين وحسين. قد ملئ قلبه علمًا، وباطنه حلمًا، وصدره سلمًا، وأعطي له نفَسٌ مسيحي، وبورك بالروح الأمين. يوم الاثنين. فواهًا لك يا يوم الاثنين، يأتي فيك أرواح المباركين. ولد صالح كريم ذكي مبارك. مظهر الأول والآخر. مظهر الحق والعَلاء، كأن الله نزل من السماء. يظهر بظهوره جلال رب العالمين. يأتيك نور ممسوح بعطر الرحمن، القائم تحت ظل الله المنان. يفكّ رقاب الأسارى وينجي المسجونين. يعظم شأنه، ويُرفع اسمه وبرهانه، ويُنشَر ذكره وريحانه إلى أقصى الأرضين. إمام هُمامٌ، يبارَك منه أقوام، ويأتي معه شفاء ولا يبقى سَقام، وينتفع به أنام. ينمو سريعًا سريعًا كأنه عِردام، ثم يرفع إلى نقطته النفسية التي هي له مقام. وكان أمرًا مقضيًا، قدّره قادر علام. فتبارك الله خير المقدرين."[١٦١]

[١٦١] قد أخبر رسول الله ﷺ أن المسيح الموعود يتزوّج ويولد له. ففي هذا إشارة إلى أن الله يعطيه ولدًا صالحًا يشابه أباه ولا يأباه، ويكون من عباد الله المكرمين. والسر في ذلك أن الله لا يبشر الأنبياء والأولياء بذريةٍ إلا إذا قدر توليد الصالحين. وهذه هي البشارة التي قد بُشرت بها من سنين ومن قبل هذه الدعوى، ليُعرفني الله بهذا العلم في أعين الذين يستشرفون وكانوا للمسيح كالمجلوذين.

وأما دفن المسيح في قبر رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث فهذا سرّ معكوم ورمز مختوم، لا يعرفه إلا الذين يعلّمون من ربهم من الملهمين المعزّزين. وحقيقته أن الله تعالى قد جعل قبر نبيه ﷺ مقرونا بالجنة، فهما صِنوانِ من شجرة نور الحق، لا ينفك أحدهما من الآخر، وقِرابانِ للمعاتٍ مخفيةٍ واصلة إلى الواصلين. وقد جرت عادة الله تعالى أنه يُدني قبر رسول الله ﷺ من المؤمن المتوفى كما يدني الجنة رزقًا منه وهو خير الرازقين. فإذا مات عبد له قرب ومصافاة بالله

و**رأيت** في المنام كأني أسرجتُ جوادي لبعض مرادي، وما أدري أين تأهّبي وأيّ أمر مطلبي، وكنتُ أحس في قلبي أنني لأمر من المشغوفين. فامتطيتُ أجرَدي باستصحاب بعض السلاح، متوكلا على الله كسنة أهل الصلاح، ولم أكن كالمتباطئين. ثم وجدتني كأني عثرتُ على خيل قصدوا متسلحين داري لإهلاكي وتباري، وكأنهم يجيئون لإضراري منخرطين. وكنتُ وحيدًا، ومع ذلك رأيتني أني لا ألبَس من خُوذ، غيرَ عُدَدٍ وجدتها من الله كعُوذ، وقد أنفتُ أن أكون من القاعدين والمتخلفين الخائفين. فانطلقتُ مجِدًّا إلى جهة من الجهات، مستقريًا إربي الذي كنت أحسبه من أكبر المهمات وأعظم المثوبات، في الدنيا والدين، إذ رأيت ألوفًا من الناس، فارسين على الأفراس، يأتون إلي متسارعين. ففرحت برؤيتهم كالخبّاس، ووجدتُ في قلبي حَولا للجِحاس، وكنت أتلوهم كتُلُوِّ الصيادين. ثم أطلقت الفرس على آثارهم، لأدرك من فصِّ أخبارهم، وكنت أتيقن أني لمن المظفرين. فدنوتُ منهم فإذا هم قوم دَروس البِزّةِ كريهُ الهيئة، مِيسمهم كميسم المشركين، ولباسهم لباس الفاسقين، ورأيتهم مطلقين أفراسهم كالمغِيرين. وكنت أقيّد لحظي بأشباحهم كالرائين. وكنت أسارع إليهم كالكُماة، وكان فرسي كأنه يُزجِيه قائد الغيب كإزجاء الحَمولات بالحُداة، وكنت على طلاوة إقدامه كالمستطرفين. فما لبثوا أن رجعوا متدهدهًا إلى خميلتي، ليزاحموا حولي وحيلتي، وليُتلفوا ثماري ويزعجوا أشجاري، وليشنّوا عليها الغارات كالمفسدين. فأوحشني دخولهم في بستاني، وأُدهشتُ بإغراقهم وولوجهم فيها، فضجرت ضجرًا شديدًا وقلِق جناني، وشهد توسمي أنهم يريدون إبادة أثماري،

تعالى فيُدنى من قبر رسول الله ﷺ ومن الجنة بقدر هذا القرب والمصافاة في الدين. فالذي هو أشد قربًا ومصافاةً هو أشد قربا بقبر رسول الله، كأنه داخل فيه وضجيع خاتم النبيين. فخُذْ هذه التمرةَ، وإياك والجمرة، واعلم أن المسيح قد أُنزل على هذه الأرض كما خرج فيها الدجال، فلا تكن من المشائمين. منه.

وكسر أغصاني. فبادرتُ إليهم، وظننت أن الوقت من مَخاشِي اللأواءِ، وصارت أرضي موطن الأعداء، وأوجست في نفسي خيفةً كالضعيفين المزؤودين. فقصدت الحديقة لأفتش الحقيقة. فلما دخلتُ حديقتي، واستشرفت بتحديق حَدَقتي، واستطلعت طِلْعَ مقامهم، رأيتهم من مكان بعيد في بحبوحة بستاني ساقطين مصروعين كالميتين. فأفرخَ كربي وآمنَ سِربي، وبادرت إليهم جَذِلاً وبأقدام الفرحين. فلما دنوتُ منهم وجدتهم أصبحوا فرسى كموت نفس واحد ميتين ذليلين مقهورين. سُلخت جلودهم، وشُجّت رؤوسهم، وذُعطت حلوقهم، وقطعت أيديهم وأرجلهم، وصُرعوا كالممزَّقين، واغتيلوا كالذين سقط عليهم صاعقة فكانوا من المحرَقين. فقمت على مَصارعهم عند التلاقي، وعبراتي يتحدرن من مآقي، وقلتُ: يا رب، روحي فداء سبيلك، لقد تبتَ عليّ ونصرت عبدك بنصرةٍ لا يوجد مثله في العالمين. رب، قتلتَهم بأيديك قبل أن قاتلَ صِرْعانِ، وحاربَ حِتْنانِ، وبارزَ قِتْلانِ، تفعل ما تشاء وليس مثلك في الناصرين. أنت أنقذتني ونجيتني، وما كنت أن أُنجى من هذه البلايا لولا رحمتك يا أرحم الراحمين. ثم استيقظت وكنت من الشاكرين المنيبين، فالحمد لله رب العالمين.

وأوّلت هذه الرؤيا إلى نصرة الله وظفره بغير توسط الأيدي والأسباب، ليُتمّ علي نعماءَه ويجعلني من المنعمين. والآن أبين لكم تأويل الرؤيا لتكونوا من المبصرين.

فأما شجّ الرؤوس وذَعْطُ الحلوق فتأويله كسر كبر الأعداء وقصم ازدهائهم وجعلهم كالمنكسرين.

وأما تقطيع الأيدي فتأويله إزالة قوة المباراة والمماراة، وإعجازُهم وصدّهم عن البطش وحيلِ المقاومات، وانتزاعُ أسلحة الهيجاء منهم، وجعلُهم مخذولين مصدودين.

وأما تقطيع الأرجل فتأويله إتمام الحجة عليهم وسدّ طريق المناص، وتغليق أبواب الفرار وتشديد الإلزام عليهم، وجعلُهم كالمسجونين. وهذا فعل الله الذي قادر على

كل شيء، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ويهزم من يشاء ويفتح لمن يشاء، وما كان له أحد من المعجزين.

إن الذين كذبوا رسله، وآذوا عباده، وكفروا بآيات الله ولقائه، أولئك يئسوا من رحمته، وأرداهم ظنهم، وأهلكهم كبرهم، فحبطت أعمالهم وصاروا هالكين.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، ولا تتخلفوا عن داعي الله، وكونوا مع الصادقين. لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحتُ لكم، فكيف آسى على قوم لا يحبون الناصحين؟

ذكر بعض الأنصار
شكرًا لنعمة اللّه الغفار

ما زلتُ مذ أُمِرتُ من حضرة الرب، وأُحييت من الحي ذي العجب، أَحِنّ إلى عيان أنصار الدين، ولا حنينَ العطشان إلى الماء المعين. وكنت أصرخ في ليلي ونهاري، وأقول يا ربّ من أنصاري؟ يا رب من أنصاري؟ إني فرد مهين.

فلما تواتر رفع يد الدعوات، وامتلأ منه جوّ السماوات، أجيب تضرعي، وفارت رحمة رب العالمين. فأعطاني ربي صديقا صدوقا، هو عين أعواني، وخالصة خُلصاني، وسلالة أحبائي[١٦٢] في الدين المتين. اسمه كصفاته النورانية **نور الدين**. هو بَهيرَوي

[١٦٢] **حاشية:** ومن الأحباء في الله منشي زين الدين محمد إبراهيم بمبئ، والمولوي غلام إمام منيبوري، وحبي في الله المولوي غلام حسن بشاوري، ومحيي الدين الشريف تونتي كورن، والسردار محمد ولايت خان المدراسي، وحبي في الله السيد النجيب المولوي محمد أحسن، وحبي في الله المولوي عبدالكريم السيالكوتي- سلمه الله - الذي أيدني وأَمدّني في ترجمة مكتوبي هذا وهو من المحبين المخلصين، وهو في هذه الأيام عندي. كان لِهوى ملاقاتي واستحسان مقاماتي أرغبَ في الاغتراب واستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب، فجزاه الله وثبّته على سبيل الصدق والصواب، ورحمه وهو خير الراحمين. ومنهم ميرزا خدا بخش وهو في هذه الأيام عندي. شاب صالح مخلص، شرح الله صدره لحبي، وأترع ذيله من ثمرات الإخلاص، وثبته مع الثابتين. ومنهم حبي في الله الحكيم فضل الدين البهيروي، وحبي في الله الشيخ رحمة الله الگجراتي، وحبي في الله السيد أمير علي شاه، والسيد حامد شاه. وحبي في الله المنشي غلام القادر المعروف بالفصيح السيالكوتي. وحبي في الله النواب محمد علي خان رئيس مالير كوتله، وحبي في الله السيد محمد تفضل حسين أتاوي، وحبي في الله السيد الهادي، وحبي في الله محمد خان، والمنشي محمد أرورا، والمنشي ظفر أحمد كفورتلوي، وحبي في الله المولوي محمد مردان علي، والمولوي محمد مظهر علي حيدرآبادي، وحبي في الله المولوي برهان الدين الجهلمي، وحبي في الله مير ناصر نواب الدهلوي،

مولدًا، وقُرَشي فاروقي نسبًا، من سادة الإسلام ومن ذرية النجيبين الطيبين. فوصلتُ بوصوله إلى الجَذْل المفروق، واستبشرت به كاستبشار السيد (ﷺ) **بالفاروق**، ولقد أُنسيتُ أحزاني، مذ جاءني ولقّاني، ووجدته في سبل نصرة الدين من السابقين. وما نفعني مال أحدٍ كماله الذي آتاه لوجه الله، ويؤتي من سنين. قد سبق الأقران في البراعة والتبرع والجدوى، ومع ذلك حلمه أرسخ من رَضوى. نبَذ العُلَقَ لله تعالى، وجعل كل اهتشاشه في كلام رب العالمين. رأيت البذلَ شِرْعتَه، والعلم نُجْعتَه، والحلم سيرته، والتوكل قوته، وما رأيت مثله عالمِا في العالمين، ولا في خُلقِ مِمْلاقٍ من المنعِمين، ولا في الله ولله من المنفقين. وما رأيت **عبقريًا** مثله مذ كنت من المبصرين.

ولما جاءني ولاقاني ووقع نظري عليه، رأيته آيةً من آيات ربي، وأيقنت أنه دُعائي الذي كنت أداوم عليه، وأُشْرِبَ حسّي ونبّأني حَدَسي أنه من عباد الله المنتخبين. وكنت أكره مدح الناس وحمدهم وبثَّ شمائلهم، خوفًا من أنه يضر أنفسهم، ولكنني أرى أنه من الذين انكسرت جذباتهم النفسية، وأزيلت شهواتهم الطبعية، وكان من الآمنين.

ومن آيات كماله أنه لما رأى جروح الإسلام، ووجده كالغريب المستهام، أو كشجر أُزعِجَ من المقام، أشعرَ همًّا، وانكدر عيشه غمًّا، وقام لنصرة الدين كالمضطرين. وصنف كتبًا احتوت على إفادة المعاني الوافرة، وانطوت على الدقائق

وحبي في الله القاضي ضياء الدين قاضيكوتي، وحبي في الله المولوي السيد محمد عسكري خان، وحبي في الله القاضي غلام المرتضى، وحبي في الله عبد الحكيم خان، وحبي في الله رشيد الدين خان، وحبي في الله السيد خصلت علي شاه، وحبي في الله المنشي رستم علي، وحبي المنشي عبد الله السنوري، والميرزا محمد يوسف بيگ السامانوي، والمنشي محمد حسين المراد آبادي، والقاضي خواجة علي اللدهيانوي. هؤلاء من أحبائي. منهم من قصصنا ومنهم من لم نقصص، وكلهم من المخلصين.

المتكاثرة، ولم يسمع مثلها في كتب الأولين. عباراتها مع رعاية الإيجاز مملوّة من الفصاحة، وألفاظها في نهاية الرشاقة والملاحة، تسقي شرابًا طهورًا للناظرين. ومثل كتبه كحرير يضمَّخ بعبير، ثم يُلَفّ فيه من درر ويواقيتَ ومسك كثير، ثم يُرتَن فيه العنبر ويجعل كله كالعجين.

ولا شك أنها جامعة ما تفرق في غيرها من الفوائد، فاقت ما عداها لكثرة ما حواها من الشوارد والزوائد، ولجذب القلوب بحبال الأدلة والبراهين. طوبى لمن حصّلها وعرفها وقرأها بإمعان النظر.. فلا يجد مثلها من معين. ومن أراد حلَّ غوامض التنزيل، واستعلامَ أسرار كتاب الرب الجليل، فعليه بالاشتغال بهذه الكتب وبالعكوف عليها، فإنها كافلة بما يبغيه الطالب الذهين. يُصبي القلوب أَريجُ ريحانها، والثمرات مستكثرة في أغصانها، ولا شك أنها جنة قُطوفها دانية، لا يُسمَع فيها لاغية، نُزُلٌ للطيّبين. منها: "فصل الخطاب لقضايا أهل الكتاب"، ومنها: "تصديق البراهين". تناسَقَ فيها جزيل المعاني مع متانة الألفاظ ولطافة المباني، حتى صارت أسوة حسنة للمؤلفين، ويتمنى المتكلمون أن ينسجوا على منوالها، وترنمت بالثناء عليها ألسنة النِحْريرين. جواهرها تفوق جواهر النحور، ودررها فاقت درر البحور، وإنها أحسم دليل على كمالاته، وأقطع برهان على ريّا نفحاته، وستعلمون نبأها بعد حين.

قد شمر المؤلف الفاضل فيها لتفسير نكات القرآن عن ساق الجِدِّ والعناية، واعتنى في تحقيقه باتفاق الرواية والدراية، فواهًا لهممه العالية، وأفكاره الوقّادة المرضية، فهو فخر المسلمين. وله ملكة عجيبة في استخراج دقائق القرآن، وبثّ كنوز حقائق الفرقان، ولا شك أنه ينوَّر من أنوار مشكاة النبوة، ويأخذ نورًا من نور النبي ﷺ بمناسبة شأن الفتوة، وطهارة الطين. امرؤ عجيب، وفتى غريب، تتفجر أنهار أنوار

الأسرار بلمحة من لمحاته، وتتدفق مناهل الأفكار برَشْحةٍ من رشحاته، وهذا فضل الله يهب لمن يشاء وهو خير الواهبين.

لا ريب في أنه نخبة المتكلمين، وزبدة المؤلفين. يشرب الناس من عُباب زُلاله، ويُشترى كشرابٍ طَهورٍ قواريرُ مقاله، هو فخر البَرَرة والخِيَرة وفخر المؤمنين. في قلبه أنوار ساطعة من اللطائف والدقائق، والمعارف والحقائق، والأسرار وأسرار الأسرار ولمعات الروحانيين. إذا تكلم بكلماته النظيفة الطيبة، وملفوظاته البديعة المرتجلة المبتكرة، فكأنه يصبي القلوب والأرواح بالأغاني اللطيفة، والمزامير الداوودية الذفيفة، ويجيء بخارق مبين. يخرج الحكمة من فمه عند سرد الحديث وسَوق الكلام، كأنها عُبُب مندفقة متوالية متصاعدة إلى أفواه السامعين.

وإني قد أطلقتُ أَجْرَدَ فكري إلى كمالاته، فوجدته وحيدَ الدهر في علومه وأعماله وبرّه وصدقاته، وأنه لَوْذَعِيٌّ أَلْمَعِيّ، نخبة البررة، وزبدة الخيرة. أعطي له السخاء والمال، وعُلّقت به الآمال، فهو سيد خَدَمِ الدين، وإني عليه من الغابطين. ينزل أهل الآمال بساحته، ويستنزلون الراحة من راحته، فلا يَلوي عِذارَه عمن ازداره، وأمَّ دارَه، وينفَح بعُرْفه من وافاه من المملِقين.

وهو يجد للُقياني بكمال ميل الجنان، كوَجْدِ المثري بالعِقْيان، يأتي من بلاد نازحة على أقدام المحبة واليقين. فتى طيب القلب، يحبّنا ونحبّه، يسعى إلينا بجهد طاقة، ولو وجد فواقَ ناقة. انثال الله عليه من جوائز المجازاة، ووصائل الصلات، وأيد ببقائه الإسلام والمسلمين. له بقلبي عُلَقٌ عجيبة، وقلبه نَفوح غريبة. يختار في حبّي أنواع الملامة والتعنيف، ومفارقة المألف والأليف. ويتسنّى له هجر الوطن لسماع كلامي، ويدَعُ التذكر للمعاهد لحبّ مقامي، ويتبعني في كل أمري كما يتبع حركة النبض حركة التنفس، وأراه في رضائي كالفانين.

إذا سئل أعطى ولم يتباطأ، وإذا دعي إلى خطّة فهو أول الملبين. قلبه سليم، وخلقه عظيم. كرمه كغزارة السحب، وصحبته يُصلح قلوب المتقشفين. ووَثْبُه على أعداء الدين وثبة شبلٍ مثار، قد أمطر الأحجار على كفار، ونقّر عن مسائل الويديين ونقّب، ونزل في بقعة النَّوكى وعاقبَ، فجعل سافل أرضهم عاليَها، وثقّف كتبه تثقيف العوالي لإفضاح المكذبين. فأخزى الله الويديين على يده، فكأن وجوههم أُسِفّتْ رمادا، وأُشربت سوادًا، وصاروا كالميتين. ثم أرادوا الكرة، ولكن كيف يحيا الأموات بعد موتهم، فرجعوا كالمخفِقين. ولو كان لهم نصيب من الحياء لما عادوا، ولكن صار الوقاحة كالتحجيل في حِلْية هذا الجيل، فهم يصولون كمذبوحين.

والفاضل النبيل الموصوف من أحب أحبائي، وهو من الذين بايعوني وأخلصوا معي نية العقد، وأعطوني صفقة العهد، على أن لا يؤثروا شيئًا على الله الأحد، فوجدته من الذين يراعون عهودهم ويخافون رب العالمين. وهو في هذا الزمن الذي تتطاير فيه الشرور، كالماء المعين الذي ينزل من السماء، ومن المغتنمين. ما آنستُ في قلب أحد محبةَ القرآن كما أرى قلبه مملوًّا بمودّة الفرقان. شغفه الفرقان حُبّا، وفي ميسمه يبرُق حبُّ آيات مبين. يُقذَف في قلبه أنوار من الله الرحمن، فيرى بها ما كان بعيدًا محتجبًا من دقائق القرآن، ويَغبِطني أكثر مآثره، وهذا رزق من الله، يرزق عباده كيف يشاء وهو خير الرازقين.

قد جعله الله من الذين ذوي الأيدي والأبصار، وأودع كلامه من حلاوة وطلاوة لا يوجد في غيره من الأسفار. ولفطرته مناسبة تامة بكلام الرب الجليل، وكم من خزائن فيه أُودعتْ لهذا الفتى النبيل. وهذا فضل الله لا منازع له في أرزاقه، فمن عباده رجال ما أعطي لهم بُلالة، ورجال آخرون أعطي لهم غَمْر، وما هم به من المتعللين. ولعمري إنه امرؤُ مواطنَ عظيمة، صدَق فيه قول من قال: "لكل علم رجال، ولكل

ميدان أبطال"، وصدَق فيه قول قائل: "إن في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا". عافاه الله ورعاه، وأطال عمره في طاعته ورضاه، وجعله من المقبولين.

إني أرى الحكمة قد فاضت على شفتيه، وأنوار السماء قد نزلت لديه، وأرى تواتر نزولها عليه كالمتضيفين. كلما توجه إلى تأويل كتاب الله بجمع الأفكار، فتح ينابيع الأسرار، وفجر عيون اللطائف، وأظهر بدائع المعارف، التي كانت تحت الأستار، ودقّق ذرات الدقائق، ووصل إلى عروق الحقائق، وأتى بنور مبين. يمدّ العقلاءُ أعناقهم في وقت تقاريره متسلمين لإعجاز كلامه وعجائب تأثيره. يُري الحق كسبيكة الذهب، ويُزيح شبهاتِ المخالفين.

إن الوقت كان وقت صراصر الفلسفة، بل فسُد وخبُث، وملمَلَ كلَّ حدثٍ ما حدَث، وكان العلماء معروق العظم صفر الرايحة من دولة العلوم الروحانية، وجواهر الأسرار الرحمانية، فقام هذا الفتى وسقط على أعداء الرسول ﷺ كسقوط الشهب على الشياطين. فهو كحدقة العيون في العلماء، وفي فَلك الحكمة كالشمس البيضاء. لا يخاف إلا الله، ولا يرضى بالآراء السطحية، التي منبَتها النَّجْد غيرُ خَوْر، بل يبلغ فهمه إلى أسرار دقيقة المآخذ المخفية في أرض غَوْر. فللّه درّه، وعلى الله أجره. قد أعاد الله إليه دولة منهوبة، وهو من الموفقين. والحمد لله الذي وهب لنا هذا الحِبّ في حينه ووقته وأيام ضرورته، فنسأل الله تعالى أن يبارك في عمره وصحته وثروته، ويعطينا أوقاتا مستجابة للأدعية له ولعشيرته، ويشهد فراستي أن هذه الاستجابة[١٦٣] أمر

[١٦٣] **حاشية**: اعلم أن استجابة الدعاء سر من أسرار حكمة ربانية خصص بها حزب الروحانيين. وقد جرت عادة الله أنه يسخر عالم المواليد وتأثيرات أجرام السماء وقلوب الناس عند دعوات أوليائه المقربين. فربما يستحيل الهواء الرديّ من عقد هممهم إلى صالحة طيبة، والصالحة إلى فاسدة وبائيّة، والقلوب القاسية إلى طبائع لينة متحننة، والمتحننةُ إلى قاسية غليظة، بإذن المتصرف في السماء والأرضين. وإذا اشتدت حاجة ولي الله إلى ظهور شيء معدوم، ويتوجه لظهوره باستغراق

محقوق لا مظنون، ونحن في كل يوم من الآملين. والله إنّي أرى في كلامه شأنا جديدًا، وأراه في كشف أسرار التنـزيل وفهم منطوقه ومفهومه من السابقين. وإني أرى علمه وحلمه كالجبلين المتناوحين.. ما أدري أيهما فاق الآخر، إنما هو بستان من بساتين الدين المتين. رب أنزل عليه بركات من السماء، واحفظه من شرور الأعداء، وكن معه حيثما كان، وارحم عليه في الدنيا والآخرة، وأنت أرحم الراحمين. آمين ثم آمين.

والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرًا وباطنًا، هو وليي في الدنيا والآخرة. أنطقني روحه، وحركتني يده، فكتبت مكتوبي هذا بفضله وإيمائه وإلقائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو القادر في السماء والأرضين.

رب، كتبت هذا المكتوب بقوتك وحولك ونفحات إلهامك، فالحمد لك يا رب العالمين. أنت محسني ومنعمي، وناصري وملهمي، ونور عيني، وسرور قلبي، وقوة إقدامي. أموت وأنا شاكر نعمائك بحالي وقالي وكلامي. يشكرك عظامي في قبري، وعَجاجي في جَدَثي، وروحي في السماء. غلبت نعمتك على شكري، واستغرقت في نعمائك عيني وأذني وجناني ورأسي وجوارحي وظاهري وباطني، وأنت لي حصن

تام، فيحدث هذا الشيء بعقد همته، وكذلك إذا توجه الولي لإعدام الموجود فإذا هو من المعدومين. وذلك أصل الخوارق لا تحسها حاسة حكماء الظاهر، ولا يذوق طعمها عقول الفلسفيين. وإن للأولياء حواسا آخر تتنزل من تلقاء الحق. فإذا رزقوا من تلك الحواس فيتحلون بحلل مبتكرة، ويسمعون أغنية جديدة، ما سمعت أذن نظيرها في العالمين. يصفى عقولهم بكمال الصفاء، ويؤتون علم ذرائع الاستنباط والاجتهاد. يُعجِب العقولَ دقة غموضها، ويكفر بها كل غبي غير ذهين. وكان الله معهم في كل حالهم، وكانت يده على مهماتهم وأفعالهم. إذا غلقوا بابًا في الأرض فتغلق في السماء، وإذا فتحوا فتفتح في الأفلاك. دارت السماوات بدورة عزيمتهم، وقلب الأمور بتقلب هممهم، ويري الله خلقه عزتهم ووجاهتهم ليرغّب المتفطنين إليهم والسعيدين. منه.

حصين. أعوذ بك من آفات الأرض والسماء، ومن كل حاسد صوّاغٍ باللسان، وروّاغٍ من الحق العِيان، ومن كل لسانٍ سليط، وغيظٍ مستشيط، ومن كل ظلمة وظلام، ومن كل من يكون من المسيرة إليك من المانعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القصيدة

هذه القصيدة أنيقة رشيقة، مملوّة من اللطائف الأدبيّة والفرائد العربية، في مدح سيدي وسيد الثقلين، خاتم النبيين، محمد الذي وصفه الله في الكتاب المبين، اللهم صلِّ وسلِّم عليه إلى يوم الدين. وليست هذه من قريحتي الجامدة، وفطنتي الخامدة، وما كانت رويّتي الناضبةُ ضليعَ هذا المضمار، ومنبعَ تلك الأسرار، بل كل ما قلت فهو من ربي الذي هو قريني، ومؤيدي الذي هو معي في كل حيني، الذي يطعمني ويسقيني، وإذا ضللت فهو يهديني، وإذا مرِضت فهو يشفيني. ما كسبتُ شيئًا من مُلَحِ الأدب ونوادره، ولكن جعلني الله غالبا على قادره. وهذه آية من ربي لقوم يعلمون، وإني أظهرتها وبيّنتها لعلّي أُجزى جزاء الشاكرين، ولا أُلحَق بالذين لا يشكرون.

يا عينَ فيضِ الله والعرفانِ	يَسعَى إليكَ الخَلقُ كالظّمآنِ
يا بحرَ فضلِ المنعِم المنّانِ	تَهوِي إليك الزُّمْرُ بالكِيزانِ
يا شمسَ مُلكِ الحسن والإحسانِ	نوَّرتَ وجهَ البَرِّ والعُمْرانِ
قومٌ رأَوك وأمّة قد أُخبرتْ	مِن ذلك البدرِ الذي أصباني
يبكُون من ذِكر الجمال صبابةً	وتألّمًا من لوعة الهِجرانِ
وأَرى القلوبَ لدى الحناجرِ كُربةً	وأَرى الغروبَ تُسيلها العينانِ
يا من غدا في نوره وضِيائهِ	كالنّيّرَين ونوَّر الملَوانِ
يا بدرَنا يا آيةَ الرحمنِ	أَهدَى الهُداةِ وأشجَعَ الشُّجعانِ
إني أرَى في وجهكَ الْمتهلِّلِ	شأنًا يفوقُ شمائلَ الإنسانِ
وقدِ اقتفاك أولو النُّهَى وبصدقِهم	وَدَعُوا تذكُّرَ معهدِ الأوطانِ
قد آثروك وفارَقوا أحبابَهم	وتباعَدوا من حلقةِ الإخوانِ

قد ودَّعوا أهواءَهم ونفوسَهم وتبرَّؤوا من كلِّ نَشْبٍ فانِ
ظهَرتْ عليهم بيِّناتُ رسولهم فتَمزّقَ الأهواءُ كالأوثانِ
في وقت تَرويقِ اللّيالي نُوِّروا واللهُ نجّاهم من الطوفانِ
قد هاضَهم ظلمُ الأناس وضَيمُهم فتَثبّتوا بعِناية المنّانِ
نَهَب اللِّئامُ نشوبَهم وعَقارَهم فتَهلَّلوا بجواهر الفُرقانِ
كسَحوا بيوتَ نفوسِهم وتَبادَروا لِتمتُّعِ الإيقانِ والإيمانِ
قاموا بإقدامِ الرسولِ بغَزوهم كالعاشق المشغوفِ في الميدانِ
فدَمُ الرّجالِ لِصدقِهم في حُبّهم تحتَ السيوف أُريقَ كالقربانِ
جاءوك منهوبين كالعريانِ فستَرتَهم بِملاحِف الإيمانِ
صادَفتَهم قومًا كرَوثٍ ذِلّةً فجعلتَهم كسَبيكةِ العِقْيانِ
حتى انْثنَى بَرٌّ كمثل حديقةٍ عَذْبِ الموارِدِ مثمِرِ الأغصانِ
عادت بلادُ العُرْبِ نحوَ نضارةٍ بعد الوَجى والمِحْلِ والخسرانِ
كان الحجازُ مَغازِلَ الغِزلانِ فجعَلتَهم فانِينَ في الرحمنِ
شيئانِ كان القومُ عُمْيًا فيهما حَسْوُ العُقارِ وكثرةُ النّسوانِ
أما النّساء فحُرِّمتْ إنكاحُها زوجًا له التّحريمُ في القرآنِ
وجعلتَ دَسْكَرَةَ المدامِ مُخرَّبًا وأزلتَ حانتَها من البلدانِ
كَمْ شاربٍ بالرَّشْفِ دَنًّا طافِحًا فجعلتَه في الدِّين كالنَّشْوانِ
كَمْ محدِثٍ مستنطِقِ العِيدانِ قد صار منك محدَّث الرحمنِ
كَمْ مستهامٍ لِلرَّشوفِ تعشّقًا فجذَبتَه جَذْبًا إلى الفرقانِ
أحييتَ أمواتَ القرون بجَلوةٍ ماذا يماثلك بهذا الشّانِ
ترَكوا الغَبوقَ وبدَّلوا من ذوقِهِ ذوقَ الدّعاءِ بليلةِ الأحزانِ
كانوا بِرَنّاتِ المثاني قبلَها قد أُحصروا في شُحِّها كَالعانِي
قد كان مَرتَعُهم أغاني دائمًا طورًا بِغِيدٍ تارةً بدِنانِ
ما كان فكرٌ غيرَ فكرِ غَواني أو شُربِ راحٍ أو خيالِ جِفانِ

كانوا كمشغوفِ الفسادِ بجهلِهم راضِين بالأوساخ والأدرانِ
عيبانِ كان شِعارَهم من جهلِهم حُمْقُ الحمارِ ووَثْبةُ السِّرْحانِ
فطلَعتَ يا شمسَ الهدى نُصحًا لهم لتُضيئَهم من وجهِك النّوراني
أُرسلتَ من رَبٍّ كريم محسِنٍ في الفتنة الصَّمّاءِ والطُّغيانِ
يا لَلفتى ما حسنُه وجمالُهُ رَيّاه يُصبِي القلبَ كالرَّيحانِ
وجهُ المهَيمِنِ ظاهرٌ في وجههِ وشؤونُه لمَعتْ بهذا الشّانِ
فلِذا يُحَبُّ ويستحِقُّ جمالُهُ شَغَفًا به من زمرةِ الأخدانِ
سُجُحٌ كريم باذِلٌ خِلُّ التُّقى خِرْقٌ وفاقَ طوائفَ الفتيانِ
فاق الورَى بكمالِه وجمالِهِ وجلالِه وجَنانِه الرَّيّانِ
لا شكّ أنّ **محمّدًا** خيرُ الوَرى رَيْقُ الكرامِ ونخبةُ الأعيانِ
تمّتْ عليه صفاتُ كلِّ مَزِيّةٍ خُتِمتْ به نَعْماءُ كلِّ زمانِ
واللهِ إن **محمدًا** كرَدافةٍ وبهِ الوصولُ بِسُدّة السّلطانِ
هو فخرُ كلِّ مطهَّرٍ ومقدَّسٍ وبه يُباهي العسكرُ الرّوحاني
هو خيرُ كلِّ مقرَّبٍ متقدِّمٍ والفضلُ بالخيرات لا بزمانِ
والطَّلُّ قد يبدو أَمامَ الوابِلِ فالطَّلُّ طَلٌّ ليس كالتَّهْتانِ
بطلٌ وحيدٌ لا تَطيشُ سِهامُهُ ذو مصمِياتٍ مُوبِقُ الشّيطانِ
هو جَنّةٌ إني أرى أثمارَهُ وقُطوفَه قد ذُلِّلتْ لِجَناني
ألفَيتُه بحرَ الحقائق والهدى ورأيتُه كالدُّرِّ في اللَّمَعانِ
قد ماتَ عيسى مُطرِقًا ونبيُّنا حيٌّ، وربّي، إنهُ وافاني
واللهِ إني قد رأيتُ جمالَهُ بعيونِ جسمي قاعدًا بمكاني
ها إنْ تَظنَّيتَ ابْنَ مريمَ عائشًا فعليك إثباتًا من البرهانِ
أفأنت لاقَيتَ المسيحَ بيَقْظةٍ أو جاءك الأنباءُ مِن يَقْظانِ
أُنظُرْ إلى القرآن كيف يبيِّنُ أفأنت تُعرِض عن هدى الرحمنِ
فاعلَمْ بأن العيشَ ليس بثابتٍ بل مات عيسى مثلَ عبدٍ فانِ

ونبيُّنا حيٌّ وإني شاهدٌ ... وقد اقْتطَفتُ قَطائِفَ اللُّقيانِ
ورأيتُ في رَيعانِ عُمْري وجهَهُ ... ثم النبيُّ بِيَقْظتي لاقانِي
إني لقد أُحيِيتُ مِن إحيائه ... واهًا لإعجازٍ فما أَحْياني!
يا رَبِّ صَلِّ على نبيّك دائمًا ... في هذه الدنيا وبعثٍ ثانِ
يا **سيِّدي** قد جئتُ بابَك لاهِفًا ... والقومُ بالإِكفارِ قد آذاني
يَفرِي سهامُك قلبَ كلِّ محاربٍ ... ويشُجُّ عَزْمُكَ هامةَ الثّعبانِ
للهِ دَرُّك يا إمامَ العالَمِ ... أنت السَّبوقُ وسيّدُ الشّجعانِ
أُنظُرْ إليَّ برحمةٍ وتحنُّنٍ ... يا سيّدي أنا أحقَرُ الغلمانِ
يا حِبِّ إنك قد دخَلتَ محبّةً ... في مُهْجَتي ومَدارِكي وجَناني
مِن ذِكرِ وجهِك يا حديقةَ بَهجتي ... لَمْ أَخلُ في لحظٍ ولا في آنِ
جسمي يطيرُ إليك مِن شوقٍ عَلا ... يا ليتَ كانت قوّةُ الطَّيَرانِ

القصيدة المبتكَرة المحبَّرة

التي خاطري أبو عُذْرِها، وقد أودعتُها أشعارًا

تشفي صدورَ المتفكرين، وتروي أُوامَ الصّادين

بِمُطّلِعٍ على أسرارِ بالي بعالِمِ عَيبتي في كلّ حالي
بوجهٍ قد رأى أعشارَ قلبي بمستمعٍ لِصَرْخي في اللّيالي
لقد أُرسلتُ مِن ربٍّ كريمٍ رحيمٍ عند طوفان الضّلالِ
وقد أُعطيتُ برهانًا كرُمْحٍ وثقَّفْناه تثقيفَ العَوالي
فلا تَقْفُ الظُّنونَ بغير عِلمٍ وخَفْ أخذَ المحاسِبِ ذي الجلالِ
ترى آياتِ صدقي ثم تنسَى لَحَاك اللهُ، ما لك لا تُبالي
تَعالَ إلى الهدى ذُلاًّ خضوعًا إلى ما تكتسي ثوبَ الدَّلالِ
وإنْ ناضلتَني فترى سهامِي ومثلي لا يفرُّ من النِّضالِ
سِهامي لا تَطيش بوقت حربٍ وسيفي لا يغادِر في القتالِ
فإنْ قاتلتَني فأريك أني مقيم في ميادين القِتالِ
أبالإيذاءِ أترُك أمرَ ربّي ومِثلي حين يؤذَى لا يبالي
وكيف أخاف تهديدَ الخُناثى وقد أُعطيتُ حالاتِ الرّجالِ
ألا إني أقاومُ كلَّ سهمٍ وأَقلي الِاكتنانَ عن النِّبالِ
فإنْ حربًا فحربٌ مثل نارٍ وإنْ سلمًا فسِلْمٌ كالزُّلالِ
وحربي بِالدّلائل لا السِّهامِ وقولي لَهْذَمٌ شاجُ القُذالِ
وفاقَ السيفَ نُطقي في الصِّقالِ قدِ اغْتلتُ المكفِّرَ كالغزالِ
ولم يَزَلِ اللّئامُ يكفِّروني إلى أنْ جاء نصرةُ ذي الجلالِ
وقد جادلتَني ظلمًا وزورًا وجاوَزتَ الدِّيانةَ في الجِدالِ

ولو قبلَ الجدالِ سألتَ مني جُذِبتَ إلى الهدى قبلَ الوبالِ
لنا في نصرةِ الدِّينِ المتينِ مَساعٍ في الترقّي والكمالِ
هداني خالقي نهجًا قويمًا وربّاني بأنواعِ النَّوالِ
لقد أُعطيتُ أسرارَ السّرائرْ فسَلْ إن شئت من نوعِ السؤالِ
وقد غوَّصتُ في بحر الفَناءِ فعُدتُ وفي يدي أبهَى اللآلي
رأيتُ بفضل ربّي سُبْلَ ربّي وإن كانت أَدَقَّ من الهلالِ
وكَمْ سرٍّ أراني نورُ ربّي وآياتٍ على صدق المقالِ
وعِلمٍ يَبهَرَنَّ عقولَ ناس ورأيٍ قد علا قُنَنَ الجبالِ
سعيتُ وما وَنَيتُ بشوق ربّي إلى أَن جاءني رَيّا الوصالِ
وقد أُشرِبتُ كأسًا بعد كأسٍ إلى أن لاحَ لي نورُ الجمالِ
وقد أُعطيتُ ذوقًا بعد ذوقٍ ونَعْماءَ المحبّةِ والدَّلالِ
وجَدتُ حياةَ قلبي بعد موتي وعادتْ دولتي بعدَ الزّوالِ
لُفاظاتُ الموائدِ كان أُكْلِي وصِرتُ اليومَ مِطْعامَ الأهالي
أزيد بفضله يومًا فيومًا وأُصلِي قلبَ منتظرِ الوبالِ
ألا يا حاسدي خَفْ قهرَ ربّي وما آلُوك نُصحًا في المقالِ
فلا تستكبِرَنَّ بفورِ عُجْبٍ وكَمْ مِّن مُزدَهٍ صيدُ النَّكالِ
أَلا يا خاطِبَ الدّنيا الدّنِيّهْ تَذكَّرْ يومَ قُرْبِ الْاِرتحالِ
سهامُ الموتِ تفجَأُ، يا عزيزي ولو طالَ المدَى في الْاِنتقالِ
هداك اللهُ قد جادلتَ بغضًا وما فكّرتَ في قولي وقالي
وكَمْ أكفَرتَني كذبًا وزورًا وكَمْ كذَّبتَ مِن زَيغ الخيالِ
وإني قد أرى قد ضاع دِينُكْ فقُمْ وَارْبَأْ به قبلَ الرِّحالِ
حياتُك بالتغافلِ نوعُ نومٍ وأيامُ المعاصي كاللّيالي
ولستُ بطالبِ الدُّنيا كَزعمِكْ وقد طلَّقتُها بِالاِعتزالِ
ترَكْنا هذه الدّنيا لوجهٍ وآثَرْنا الجمالَ على الجِمالِ

وإنكَ تزدرِي نُطقي وقولي ... ولو صادَفتَه مثلَ اللآلي
فلا تنظُرْ إلى زَحْفٍ فإني ... نظَمتُ قصيدتي بِالْإِرتجالِ

القصيدة

أُمِرتُ مِن الله الكريمِ الممجّدِ ... فقمتُ ولم أكسَلْ ولم أتبلّدِ
وهذا كتابي قد تلألأَ وجهُهُ ... تلألُؤَ سِمْطَي لؤلؤٍ وزَبَرْجَدِ
ترَى نورَ العرفان فيه كأنه ... أَياةُ ذُكاءٍ أو بريقُ العَسجدِ
وإني أرى فيه الشفاءَ لطالب ... ويُشفَى به قلبُ السعيد ويهتدي
وأودعتُه أسرارَ علم وحكمة ... ورتّبتُه مثلَ الثقيفِ المسنّدِ
وكم مِن لآلي فيه مِن سرّ الهدى ... فيا صاحِ فَتِّشْها ولا تتجلّدِ
وقد بانَ وجهُ الحق فيه وضاحةً ... كخدٍّ نقيِّ اللّونِ لم يتخدّدِ
وإني من الله الكريم مجدِّدٌ ... ومنه مباراتي وسيفي وأَجْرَدي
ووالله إني من نخيل خميلة ... وحِبِّي ببستاني يروح ويغتدي
وقد خَصَّني ربّي وألقى رداءَه ... عليّ فما تَدرُون ما تحتَ بُرْجُدي
وقد ذُلِّلتْ نفسي بتوفيق خالقي ... فليس كمثلي فوقَ مَوْرٍ معبَّدِ
نما كلُّ علمٍ صالحٍ في قريحتي ... كأشجارِ مَولِيٍّ الأسرّة أَغْيَدِ
فجدّدتُ توحيدًا عفَتْ آثارُهُ ... وطهّرتُ أرضَ الدين من كل جَلْسَدِ
وقومي يعاديني غرورًا ونخوةً ... متى أَدنُ رحمًا يَنْأَ عنّي ويبعُدِ
يسبّ وما أدري على ما يسبّني ... أيُكفَرُ من يُعلي لواءَ محمدِ (ﷺ)
يزاحمني مِن كلّ باب فتحتُها ... لنصرِ رسول الله حِبّي وسيّدي
وقد أكفروني قبلَ كشفِ حجابهم ... ويعلم ربِّي صدق قولي ومقصدي
ورُبَّ وليٍّ الله برٌّ مقرَّبٌ ... يُرَى في عيون الحاسدين كمُلحِدِ
وأيقظتُهم رحمًا عليهم وشفقةً ... ولكنّهم أعداءُ كلِّ مسهِّدِ

ولستُ بتاركٍ أمر ربي مخافةً ولو قتّلوني بالحسام المجرَّدِ
وكيف أخاف نهيقَ قومٍ مفنَّدٍ مثيلِ عُواء الذئب بل صوت جُدْجُدِ
وكيف يؤثّر حجّتي في نفوسهم ولا حَظَّ مِن سرّ الهدى لِضَفَنْدَدِ
تبينتِ الآياتُ حقًّا فما رأوا وصالُوا وخالوني على غير مرصدِ
وإني أَبَنْتُ لهم دلائل مقصدي وليس لهم أدنى الدلائل في اليدِ
وقد استتروا كالطير في وُكناتها لما عجزوا مِن قِبل عَضْبٍ محدَّدِ
فما قاوموني في مصافٍ وما اهتدوا فقلنا اخْسَئُوا لا خوفَ منكم لمهتدي
وكيف أعالج قلبَ وجهٍ مسوَّدٍ غبيٍّ شقيٍّ في البطالة[١٦٤] مفسِدِ
ويعلون دِعْصَ الرمل هربًا وكلّهم كرَبْرَبِ ثورِ الوحش يخشون **جَدْجَدي**
وقلت لهم يا قوم خَفْ قهرَ قادرٍ وأَقْصِرْ ومَهْلاً بعضَ هذا التشددِ
فما تركوا أوزارَ شرٍّ وفتنةٍ وما خافوا نيرانَ يومٍ مُبدِّدِ
وقد تركوني نخوةً وتباعدوا وليس فؤادي عن هواهم بمُبْعدِ[١٦٥]

---

[١٦٤] هذا لفظ ذو معنيين: المعنى الأول فظاهر، والمعنى الثاني فهو إشارة إلى بلدة اسمه "بتاله"، ويسكن فيها فتّان مفسد اسمه شيخ محمد حسين، وإليه أشرت في هذه القصائد التي اقتضبتُها، ورسالتي التي كتبتها. وهذا امرءٌ مفلس لم يُرضَع ثديَ الأدب ولم يُرزَق من العلوم النُّخَب، وهو من الذين يؤثرون الثرائدَ ويَدَعون الفرايد، ومع ذلك هو عدو الحق خبيث الأنفاس دنِيءُ النُّحاس. أصلَتَ لسانَه على العَضْب الجرّاز والفاس، وكشّر عن أنيابه كالذياب عند الافتراسِ، وإنه صفر اليد من العلوم وأُزْمُول كناس الوسواس وزاملته الخنّاسُ. سردتُ على كتابي فأبى، ودنوتُ ترحّمًا فتحامى. فتاقت نفسي الآن إلى أن أفضّ ختمَ سرِّه الأخفى، ليعلم الناس أن الحق مبين والشيخ شُيَيْطِينٌ. منه

[١٦٥] *هنا انتهى النص العربي الذي كتبه المسيح الموعود عليه السلام. (الناشر)*

الرد على مقال الشيخ محمد حسين البطالوي الذي كتبه في ١٨٩٣/١/٩م ونشره في مجلته، عدد ١، مجلد ١٥

"إذا أغلق اللهُ عينَي أحدٍ فلن يرى شيئا وإنْ كانت الشمس ساطعة بشدة"[١٦٦].

لقد اتّهمني الشيخ البطالوي مرة أخرى في الصفحة ٢٢ من مجلته المذكورة قائلا بأن لا عبارة من كتاباتي تخلو من الكذب. والحق أنه عندما يعمى الإنسان بسبب حُجُب استكباره وحسده فلا يستشعر إلا الظلمة والظلام. ولكن يجب الانتباه إلى أن هذه التهم ليست بِدْعا، بل ألصق أصحاب الطوية الخبيثة التهم نفسها بجميع عباد الله الصالحين الذين جاؤوا إلى العالم وقالوا إنهم كذابون ومفترون ويتبعون شهواتهم النفسانية ويأكلون أموال الناس. ولكن كلما عجزت الدنيا عن التمييز بين الحزبين فإنّ الله الذي يصل نظره إلى الأعماق ميّز بين الكاذب والصادق بحُكمه من السماء وبوضوح كوضوح النهار. فلا أرى ضروريا في هذا المقام أن أقدم أدلة صدقي مرة بعد أخرى. إنني أعلم جيدا بأن الله الذي عليه جُلُّ توكُّلي وهو الأعلم بسريرتي سيحكم بنفسه.

يجب الانتباه إلى أنه كم من ألقاب نابية سمعها سيدُنا ومولانا النبي الأكرم ﷺ من الكفار الأشرار إلى مدة طويلة، وكم أَلصقوا به تهم الافتراء وغيره! ولكن لما كان ﷺ صادقا وكان الله معه، فلم يبق صدقُه خافيا؛ بل هاجت السماء بشدة وقوة لإظهار تلك الأنوار، فانمحت آثار المكذبين كلهم وطُوي صفُّهم كطيّ المرء الورقة. فليكن معلوما أنه قد ظلت تظهر من الأنبياء في معظم الأحيان أسرار دقيقة قولا وعملا، وكانت في نظر قليلي الفهم سخيفة ومخجلة جدا؛ مثل استعارة موسى أواني المصريين وأقمشتهم واستخدامها لمصلحته، وذهاب المسيح عليه السلام إلى بيت عاهرة

---

[١٦٦] *ترجمة بيت فارسي. (المترجم)*

واستخدامه طِيبا قدمتْه له ولم يكن من الكسب الحلال، وعدم منعه إياها من دهن رأسه بذلك الطِيب، وكلام إبراهيم عليه السلام ثلاث مرات بدا كذبا في الظاهر. وإذا قال أحد تكبرا ومدحا لنفسه بأن موسى عليه السلام كان يأكل المال الحرام والعياذ بالله، أو قال بأن المسيح عليه السلام استخدم مالا حراما من كسبِ مومسة، أو نشَر خطيًّا أن إبراهيم عليه السلام قد كذب وأنّ جُلّ سوء ظنه به ناتج عن كذبه؛ فماذا يمكن أن نقول في حق مثل هذا الخبيث إلا أن طبيعته مغايرة لطبائع هؤلاء الأطهار، وأن في طبيعته مادة خبيثة مثل الشيطان؟

فلتتذكر أيها الشيخ البطالوي أن اتهامك لي بالكذب نتيجة جهلك، مَثله كمثل اتهامات الأشرار التي ألصقوها بالأنبياء عليهم السلام.

ولكن هناك اعتراض آخر يقع عليك بالذات؛ وهو كِبْرك وغرورك وعُجبك وهو صفة "معلّم الملكوت" نفسه الذي هو قرينك الدائم. وإن كنتُ قد كذبتُ مرة في الحقيقة فسأنال جزاءه، ولكن إذا بدت كلمة من كلامي كذبا مثلما بدا من كلام خليل الله عليه السلام في نظر جاهل، فهذه غباوته التي ستخزيه يوما من الأيام حتما. نعوذ بالله من أناس يتنكرون في عباءة إبليس ويدّعون بسبب أنانيتهم: "أنا خير منه"، ويطعنون في الآخرين لعماهم.

الحقّ والحق أقول لكم: ليس بعد الشرك شرٌّ مثل الكِبر يوم القيامة. إنه الشرّ الذي يُهين الإنسان في كلا العالَمين. إن رحمة الله تتدارك كلَّ من يؤمن بوحدانيته إلا المتكبّر؛ فإن الشيطان أيضًا زعم بأنه يؤمن بوحدانية الله، ولكنه لما كان متكبّرا واحتقر آدمَ- الذي كان حبيب الله- وانتقَده، هَلَك وأحاط طوق اللعنة بعنقه. وهكذا فإنّ أوّل خطيئة أهلكتْ شخصًا إلى الأبد كانت الكِبْرَ في الواقع.

أقول حلفا بالله جلّ شأنه الذي نفسي بيده، والذي لن يترك المفتري الخبيث دون عقاب؛ بأنه تعالى كما ناداني المسيح ابن مريم كذلك سماني آدم أيضا، وقال ما

نصه: "أردتُ أن أستخلف فخلقت آدم". فخلقتُ آدمَ أي هذا العبد الضعيف. فلما اعتُبرتُ آدم فلا بد أن يكون هناك طاعنٌ فيَّ أيضا، ويكون داخلا في الملكوت في أعين الناس أولا ثم يلبس لباس ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ وقد تبين الآن أنك أنت ذلك الطاعن.

أقول حلفا بالله مرة أخرى بأن العبارة التي كتبتُها قبل قليل هي كلام الله جلّ شأنه. وإلا فأدعو الله تعالى ألا يمهّلني ليلة واحدة بل ينزِّل عليَّ عقوبة لم ينزِّلها على أحد. فيا إلهي، ويا هاديَّ، ويا مرشدي، إذا لم يكن هذا كلامك، ولم تجعلني أنتَ خليفة، وما سمَّيتَني عيسى، وما سمَّيتَني آدمَ فاقطعْني من الأحياء. ولكن إذا كنتُ من عندك، ولك وحدك، فانصرني كما تنصر الذين يأتون من عندك.

وفي الأخير، لا أستطيع أن أمتنع عن التأكيد أنّ كون الشيخ البطالوي رئيس المتكبرين ليس رأيي فقط، بل هذا ما يشهد عليه حزب كبير من المسلمين. وبالإضافة إلى ذلك إن الناس محتارون أيضا لماذا هذا الاستكبار، وعلى ماذا؟ فمثلا عندما استكبر الشيطان كان عنده أساس لذلك على الأقل؛ إذ كان يعُدّ نفسه نجيب الخِلقة، مدّعيا: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ وينتقد صَفِيَّ الله عليه السلام قائلا: ﴿خَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾. فإذا كان الشيخ البطالوي يحسب نفسه أشرف نسبا من الآخرين فعليه أن يقدم على ذلك دليلا أو شهادة أو شهادتين على الأقل، وإذا كان أساس الكِبْر هو نوع من العلم حازه من "ميان شيخ الكل" أو غيره، فينبغي أن يقدم شهادة على ذلك أيضا، لأننا لا نعرف إلى الآن أيّ علم حازه الشيخ؛ هل هو طبيب أو فيلسوف أو بارع في علم الفلك أو المنطق، أو هو أديب أو سبق غيره في بيان حقائق القرآن ومعارفه أو يحفظ مئات آلاف الأحاديث مثل الإمام البخاري؟ وإن لم يكن هناك شيء من هذا القبيل فماذا يثبت عنه إلا الاستكبار مثل الشيطان؟

وليكن معلوما أيضا أن الكذب يستلزم الاستكبار دائما، بل إنّ أنجس أنواع

الكذب هو ذلك الذي يظهر للعيان مختلطا بالاستكبار؛ ولهذا السبب يكسر الله جلّ شأنه رأس المستكبرين أولا، وكذلك سيكسره الآن أيضا. لقد ثبت أن من شيمة البطالوي أنه يسمي نفسه شيخا بوجه خاص ويسمي غيره جاهلا وأحمق وأُمِّيا، وإذا تلطّف على أحد بوجه خاص أطلق عليه كلمة "منشي"[١٦٧]، أما جماعتنا فيسمِّيها جماعة الجهلاء والسفهاء.

فليقل الآن الشيخ البطالوي هل صدق أم كذب في تسمية الآخرين جهلاء وسفهاء واعتبار نفسه شيخا؟ أقول صدقا وحقا بأني أرى الكذب متغلغلا فيه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، وأن طبيعة الاستكبار النجسة قد جعلت كذبه مادة مسمومة أكثر. ولما كانت النخوة الشيطانية تركت فيه تأثيرها بالكامل فإن نجاسة الكذب تتدفق من فمه بقوة غير متناهية، ثم الوقاحة فوق ذلك أنه يسمي غيره كاذبين.

أستطيع أن أقول حلفا بالله بأنه إذا بيّن صديقي الحميم وحبي في الله؛ المولوي الحكيم نور الدين - بارك الله تعالى في مجده وعلمه وبقائه، ورزَق عباده من نفحات فيوضه وبركات نوره وضيائه - معارف القرآن الكريم من جانب، وأراد الشيخ البطالوي بيان بعض الحقائق القرآنية من جانب آخر؛ فإنني موقن وكأني أرى بأم عيني أن هذا الشيخ البطالوي المسكين وقليل العلم المغتر بالعُجب والزهو، سوف يكون عاجزا ومقصرا لدرجة سيضحك عليه كل عاقل. إني أستغرب دائما لماذا لا يحاسب "حاطبُ الليل" هذا نفسَه مع استكباره غير المبرر وكذبه الصريح وذِكره العلماء والفضلاء بالاحتقار خبثا منه؟ إن الحكم في مشيخته وظنونه الفاسدة أمر سهل، وقد آن أوانه الآن بفضل الله تعالى. وسأورد معيارا مكتملا لهذا الحكم في نهاية هذا المقال بإذن الله. أما الآن فأرد على بعض اعتراضاته المهمة.

---

[١٦٧] *المنشي هو الناسخ أو الكاتب في المكتب. (المترجم)*

قوله: هل من الضروري أن تكون نبوءات الأنبياء أيضا صادقة أم لا؟ (الصفحة ٢٦).

أقول: يبدو أن هذا المعترض الجاهل يقصد من هذا الاعتراض أن نبوءة من نبوءاتي كانت خلافا للواقع، فليكن واضحا أن الحكم في هذا الأمر سهلٌ؛ يجب عليه أن يعقد جلسة ويقدم فيها إلهامي الذي يوجد الخطأُ في نصِّه بحسب زعمه، وليس في التفسير المبني على الظن أو الاجتهاد. ولكن يجب أن تُحدَّد لمثل هذا الشخص عقوبة أيضا حتى لا يسعى إلى نجاسة الكذب مرة بعد أخرى.

قوله: مَن كانت بعض نبوءاته صادقة وبعضها كاذبة، هل تعتبر نبوءته الصادقة إلهامية؟

أقول: يا أيها الغبي المحجوب، لم يثبت بطلان نبوءة من نبوءاتي إلى يومنا هذا بفضل الله تعالى بل تحققت إلى الآن نحو ثلاثة آلاف منها ولا تزال تتحقق. أما الخطأ في الاجتهاد فجائز؛ افتح صحيح البخاري واقرأ مضمون "ذهب وَهَلي". وخفْ التشابه مع الذين ارتدوا بسبب الخطأ في الاجتهاد في بعض النبوءات.

قوله: إذا كان هناك شخص يكذب ويأكل أموال الناس بالباطل...إلخ، ثم لو تحققت نبوءة من نبوءاته، فهل يمكن أن يكون ملهَما ووليا ومحدَّثا ومشرَّفا بمكالمة الله؟

أقول: لقد ألصق المفترون الأشرار أمثالك التهمَ نفسها بالأنبياء؛ فقد اتهموا إبراهيم عليه السلام بالكذب، واتهموا موسى وعيسى بأكل المال الحرام. وكذلك يتهم المسيحيون العمهون في العصر الراهن النبيَّ الأكرمَ ﷺ أنه نهب مال قافلةٍ بدون حرب. وكُتبهم مليئة بمثل هذه التهم. وإذا طُرِح سؤال: كيف يمكن أن يكون نبيا صادقا مَن قتل آلاف الناس ونهب الأموال؟ فالجواب على هذا الغبي هو أن العاقل – بالنظر إلى لمعان الأنوار الكاملة التي لا يُعطاها إلا الصادقون– يستطيع أن يفهم

التأويل الصحيح لهذه الأمور كلها بواسطة العقل الذي وهبه الله إياه، وأما الجاهل فسيصرُّ على الإنكار ويتوجه إلى جهنم. الحق أن حق الله غالب على جميع الحقوق، وكل جسد وروح ومالٍ مِلكه هو ﷻ، وعندما يرتكب الإنسان معصية تعود أملاكه إلى المالك الحقيقي، ثم يكون الخيار في يد المالك الحقيقي أن يتلف أموال العصاة دون واسطة الرسل ويهلكهم، أو ينزِّل تجلي غضبه بواسطة رسول، لأن الأمر هُوَ هُوَ. كذلك تكون هناك آلاف الأمور مثل أعمال "الخَضِر" تُظهَر محاسنها على الأنبياء والمحدَّثين فيؤمَرون بإنجازها، والذين يستعجلون في التدخّل في أعمالهم معارضين هم الذين يهلكون.

قوله: هل أنبأتَ بموتي عند بلوغي اثنين وخمسين عاما من العمر أم لا؟

أقول: ما أنبأتُ هذا النبأ بحقك قط. وإن قال أحد ذلك من قِبلي فقد كذب. فمن خيانتك المتناهية أنك اتّهمتني بغير وجه حق ودون أن تسألني أو تجد ذلك في كتاباتي.

قوله: إن بعض مريديك يشربون الخمر، ألم يشرب معاونك الأكبر ومريدك الخمر في بيتك؟

أقول: لعنة الله على الكاذبين. عليك أن تثبت الآن مَن شرب الخمر في بيتي، ومَن مِن الذين بايعوني يشرب الخمر؟ إنني أرى أن الناس يُحدثون في سلوكهم تغيُّرا طيبا وطاهرا بعد البيعة فورا. يلتزمون بالصلوات، وينتهون عن المنهيات، ويؤثرون الدين على الدنيا. إن الصادقين والأتقياء ليسوا بحاجة إلى أن يعدّهم أحدٌ أتقياء. إن الله ينظر إلى القلوب، ورؤيته تكفي.

وفيما يلي أريد- كما وعدتُ- أن أبين معيارا يتبين منه بجلاء أنني مؤيَّد من الله، وأن الشيخ البطالوي كاذب من الدرجة الأولى ودجال ورئيس المتكبرين. وبيان ذلك أن القراء يعرفون من خلال كتابات البطالوي المتتالية أنه سماني جاهلا وغبيا وأُمِّيا،

وادّعى إلى جانب ذلك بحقي أن هذا الشخص ليس ملهَمًا ولا محدَّثا بل هو مفتر وكذاب ودجال، وأن الكذب يجري في عروقه مجرى الدم بحسب زعمه. وعندما أُرِيَ بعض الآيات قال عنها بأن الله تعالى ينصر أحيانا المدّعي الكاذب أيضا، مع أنه يعلم أن نصرته ستُصبح دليلا على صدق ادّعاء الكاذب، ومع ذلك ينصر ويوفّق هؤلاء الكذابين ليقولوا شيئا على سبيل التنجيم أو عِلم الرمل ثم يتحقق كلامهم. وبذلك رفض البطالوي هذه الآيات ببياناته السخيفة من هذا القبيل، ولكن هناك معيار آخر أكتبه فيما يلي:

آية روحانية تُثبت إن كنتُ صادقا ومؤيَّدا من الله أم لا؟

وهل الشيخ محمد حسين البطالوي صادق في اعتباري كاذبا ودجالا أم هو كاذب ودجال بنفسه؟

يدرك العقلاء أن من جملة الآيات هناك آيات الحقائق والمعارف واللطائف الحكيمة أيضا التي يُعطاها بوجه خاص ذوو النفوس الطاهرة الذين يكون فضل الله عليهم عظيما، كما تشهد بأعلى صوت الآيتان: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[١٦٨]، و﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١٦٩]. فهذه العلامة ستكون آية بينة لاختبار كذبي أو صدقي مقابل الشيخ محمد حسين. والأسلوب الأحسن لهذا الحكم هو أن تُعقد جلسة قصيرة ينتخب فيها المنصفون المتفق عليهم بضع سور من القرآن الكريم للتفسير لا تقل آياتها عن ثمانين آية. ثم تُنتَخب من بينها سورة واحدة بالقرعة ليكون تفسيرها معيارا للاختبار. ويجب أن يُكتَب التفسير باللغة العربية الفصيحة والبليغة وبعبارة مقفّاة ولا يقل عن عشرة فصول. ويجب ألا تورَد فيها الحقائق والمعارف نقلا، بل يجب أن تكون معارف مبتَكَرة ولطائف غريبة لم توجد في أيّ

---

[١٦٨] *الواقعة: ٨٠*

[١٦٩] *البقرة: ٢٧٠*

كتاب آخر، ومع كل ذلك ينبغي ألا تخالف التعاليم الحقيقية للقرآن الكريم، بل يجب أن تكون مدعاة لإظهار قوته وشوكته[١٧٠]. وفي نهاية الكتاب يجب أن تُكتب قصيدة تحتوي على مئة بيت مليح باللغة العربية الفصيحة والبليغة في مدح النبي ﷺ. ويجب أن يُختار البحر الذي تُكتب الأبيات فيه بالقرعة في الجلسة نفسها. ويُعطى الفريقان مهلة أربعين يوما لهذا العمل. وبعد مرور أربعين يوما يجب أن يقرأ الفريقان تفسيرهما وقصيدتهما بالعربية في جلسة عامة. ثم إذا عجزتُ عن بيان الحقائق والمعارف وتأليف قصيدة رشيقة بالعربية الفصيحة والبليغة في مدح النبي ﷺ مقابل الشيخ محمد حسين البطالوي أو كان بياني أدنى درجة من بيانه، أو إذا ساواني الشيخ محمد حسين درجةً أيضا، فسأعترف بخطئي وسأحرق كتبي كلها. وسيحق للشيخ محمد حسين أن يضع في عنقي حبلا ويقول: يا أيها الكذاب الدجال، ويا أيها المفتري، لقد ظهر خزيك اليوم؛ فأين الذي كنت تزعمه أنه ناصرُك؟ أين إلهامك؟ وأين اختفت خوارقك؟ ولكن إذا كنتُ أنا غالبا فعلى الشيخ محمد حسين أن يقف في المجلس نفسه ويتوب قائلا: أيها الحضور الكرام، لقد ظهر سواد وجهي اليوم كما يظهر النهار بطلوع الشمس، وثبت أن هذا الشخص على الحق، وكنتُ أنا الدجال، والكذاب، والكافر، والملحد؛ لذا أتوب الآن، فليشهد الجميعُ. ثم يجب أن يحرق كُتبه في المجلس نفسه ويتبعني كأدنى خادم[١٧١].

فيا أيها السادة، هذا هو أسلوب الحكم الذي بينتُه الآن. إن الشيخ محمد

---

[١٧٠] وإذا خالجت قلب أحد شبهة أنه كيف تُقبَل الحقائق والمعارف المبتَكَرة التي لم ترد في كتب التفسير السابقة، ثم أراد حصْرها في كتب التفسير السابقة؛ فعليه أن يقرأ العبارة التالية: "ثم رأيت كل آية وكل حديث بحرا موّاجا فيه من أسرار ما لو كُتب شرح سرّ واحد منها في مجلدات لما أحاطته. ورأيت الأسرار الخفية متبذِّلة في إشارات القرآن والسنة فقضيت العجب كل العجب." (فيوض الحرمين، الصفحة ٤٢)

[١٧١] يحق للشيخ البطالوي أن يستعين بشيخ الكل وغيره من المشايخ المستكبرين جميعا، منه.

حسين مصرٌّ بشدة أني أجهل العلوم العربية جهلا تاما وأني غبي وجاهل[١٧٢]، ولا أعرف من علم القرآن شيئا، ولا أستحق أن أنال النصرة من الله قط لأني كذاب ودجال. وإلى جانب ذلك ادّعى كمالَ علمه وفضله ويزعم أن حِبي في الله "حضرة المبجّل المولوي الحكيم نور الدين" - الذي هو علّامة العصر وجامع العلوم في نظري - مجرد طبيب، ويحسب أخي في الله "المولوي سيد محمد أحسن" الذي هو عالم كبير في الحديث، "المنشيَ" بسيط فقط. فأيّ شك في هذا الطريق للحكم بين ادعائه هذا وحالتي الناقصة التي روّج لها مرارا؟! أما إذا كان عاجزا عن المواجهة وقد كذب على نفسه وعليّ وعلى أصدقائي الأكارم أيضا، فإنه يستحق عقوبة؛ إذ يشيع عن الآخرين أنهم كاذبون، مع أنه هو الكذاب والدجال.

وليكن معلوما أيضا أنني ضعيف وبسيط جدا في الحقيقة وكأني لستُ بشيء يُذكَر، ولكن الله تعالى يريد أن يكسر رأس المتكبر ويُريه ما هي النصرة السماوية. قد مضت بضعة أشهر، ولكن لا أذكر التاريخ الآن بالتحديد، حين رأيت مقالا للشيخ محمد حسين قيل فيه عني بأن هذا الشخص كذاب ودجال وملحد وغبي وجاهل من الدرجة القصوى فلا يعرف من العلوم الدينية شيئا. فبكيتُ في حضرة الله أن انصرني يا ربي. فتلقيت بعد هذا الدعاء إلهاما نصه: "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ". ولكن كنتُ بطبعي نافرا من الدعاء لعذاب أحد، ولكن الله تعالى شرح قلبي للدعاء اليوم الكائن في ٢٩ شعبان عام ١٣١٠هـ عند كتابة هذا المقال. فدعوت الله تعالى برقة القلب للانتصار في هذه المواجهة، فانشرح قلبي، وعلمتُ أن دعائي قد أُجيبَ. وأعلم أن الإلهام: "إني مهين من أراد إهانتك" الذي تلقيته عن الشيخ البطالوي كان عن هذه المناسبة. لقد دعوت الله تعالى لهذه المواجهة واضعا أربعين يوما في بالي، فجرت المدة نفسها على لساني.

---

[١٧٢] انظروا فتواه رقم ٤ مجلد ١٣ صفحة: ١١٥.

فيا أيها السادة، لو ثبت كذبي في هذه العلامة أو فررتُ من الميدان أو تلكأتُ بأعذار واهية فاشهدوا جميعا بأني كذاب ودجال حتما، وسأستحق كل نوع من العقوبة، لأن كذبي سيثبت بهذه المناسبة بكل وضوح وينكشف عدم استجابة دعائي، ويتبين للجميع بطلان إلهامي أيضا. ولكن إذا غُلِب الشيخ البطالوي على أمره فسيتبين خزيه وسوادُ وجهه وجهله وغباوته كوضح النهار. والآن لو لم يقبل هذا الحكم البيّن وهرب ولم يعترف بخطئه أيضا، فاعلموا يقينا أن له في محكمة الله الجائزة التالية:

اللعـ١ـنة

اللعـ٢ـنة

اللعـ٣ـنة

اللعـ٤ـنة

اللعـ٥ـنة

اللعـ٦ـنة

اللعـ٧ـنة

اللعـ٨ـنة

اللعـ٩ـنة

اللعـ١٠ـنة

تلك عشرة كاملة

ملحوظة: إن لم يقبل الشيخ البطالوي هذه الآية وطلب آية من نوع آخر، فسأدعو لها أيضا، ولكن عليه أن ينشر قبل ذلك بواسطة الإعلانات بأنه عاجز عن هذه المواجهة.

تنبيه: إن لم ترُدَّ على هذا في غضون أسبوعين بدءا من أول نيسان/أبريل لعُدَّ ذلك تهربا منك.

المعلن: الميرزا غلام أحمد القادياني. (١٨٩٣/٣/٣٠م)

(طُبع في مطبعة "رياض هند" بقاديان)

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم
علامة القيامة

من كبرى علامات قرب القيامة ما يتبين من الحديث الذي أورده الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو: "يُقْبَضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا". أي سيعود الناس إليهم للاستفسار عن المسائل الدينية فيفتون نتيجة جهلهم وعدم قدرتهم على استنباط المسائل بما ينافي طريق الصدق والثواب. وورد في حديث آخر بأن المفتين في ذلك العصر أي المشايخ والمحدثين والفقهاء يكونون أسوأ الناس على وجه الأرض. وفي حديث آخر: يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، أي لن يعملوا به. كذلك هناك أحاديث كثيرة عن المشايخ في هذا العصر، ولكني سوف أتناول حديثا واحدا مثالا؛ وهو ما كتبتُه آنفا عن الفتاوى الباطلة، لكي يعلم كل شخص أن كل ما يفيده وجود المشايخ في هذا العصر؛ هو أن تصرفاتهم تذكرنا بالقيامة وأنها قريبة، وأن نرى أيضا تحقق نبوءة سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ بجلاء أمام أعيننا.

تفصيل هذا الإجمال أنه لما تقرر في العام الماضي- بالتشاور مع معظم الإخوة- أن يقابلني الإخوة من الجماعة مرة في العام على الأقل للاستفادة في الأمور الدينية والتشاور لإعلاء كلمة الإسلام والشرع المتين، ورؤيَ أنّ الحضور إلى قاديان لهذا الغرض بتاريخ ٢٧ ديسمبر/كانون الأول- هو الأنسب والأَولى حيث إن تلك الأيام أيام عطلة، فيجد الموظفون بعض الفراغ فيها، كما أنها مناسبة للسفر بسبب موسم الشتاء- ووافق جميع الإخوة المخلصين على هذا الاقتراح وأبدوا سعادتهم واستحسنوه؛ فقد بعثتُ بناء على ذلك إلى جميع المخلصين بتاريخ ١٨٩٢/١٢/٧م رسالة بصورة إعلان طُبع في مطبعة "رياض هند" بقاديان يتلخص في أن من أهم

أهداف هذه الجلسة أن تتاح لكل مخلص فرصة الاستفادة الدينية مباشرة، وتتوسع معلوماتهم الدينية وتزداد معرفتهم. ولكنني سمعت مؤخرا أن شخصا تجاسر وطرح الأمر أمام شيخ يُدعى رحيم بخش وهو إمام في جامع "شينيانوالي" في لاهور مستفتيًا لكي يثبت أن ذلك بدعة بل معصية، وكان يقصد من وراء الاستفتاء معرفة حكم السفر في يوم محدد لحضور هذه الجلسة؟ وكذلك إذا بُنيت غُرفة مثلا لهذه الجلسة على غرار زاوية، فما حكم من يساعد في ذلك؟ لقد أضيف الشق الأخير في الاستفتاء لأن المستفتي ربما سمع من أحد أن أخي وحبي في الله "المولوي نور الدين" قد بنى بيتا في قاديان من أجل هذا الاجتماع للمسلمين على نفقاته ببذل سبع مئة روبية أو أكثر من ذلك بقليل. وقد أسهم في هذه النفقات أخي في الله "الحكيم فضل دين البهيروي" أيضا بدفع ثلاث مئة أو أربع مئة روبية.

وفي جواب الاستفتاء كتب الشيخ رحيم بخش عبارة طويلة لا تمت إلى الأمر بصلة، مشيرا في ذلك إلى حديث "شد الرحال". يتلخص جوابه في أن حضور مثل هذه الجلسة بدعة بل معصية. وإن عَقْد مثل هذه الجلسات من المحدَثات التي لا دليل عليها من الكتاب أو السنّة، وأن مَن أحدث في الإسلام أمرا كهذا فهو مردود.

فليقل المنصفون الآن بأمانة؛ أليس وجود مثل هؤلاء المشايخ والمفتين علامة على قرب القيامة؟ فيا مسكين، ألا تعلم أن السفر من أجل تحصيل علم الدين ليس مسموحا به فحسب، بل فرضه القرآن الكريم والشارع ﷺ، وأن تاركه عمدا يرتكب كبيرة، وأنّ الإصرار على إنكاره قصدا كفرٌ في بعض الحالات؟ ألا تعلم أنه قد قيل بكل تأكيد: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة؟ وقيل أيضا: أُطلبوا العلم ولو كان في الصين. ففكّر الآن: ما دمتُ قد كتبت في إعلاني بكلمات صريحة وواضحة تماما أن هذا السفر الذي يقوم به كل مخلص يكون بنية طلب العلم، فكم هو بعيد عن الأمانة والتقوى والعدل والطهارة الإفتاءُ أن الذي يُحدث أمرا مثله في

الإسلام فهو رَدٌّ؟

أما اجتماع الإخوة في يوم محدد فهذا أمر يتعلق بالإدارة والنظام فحسب. والقيام بأي عمل بحسب النظام ليس مذموما أو بدعة في الإسلام؛ إنما الأعمال بالنيات. عليك أن تفكر، نابذا مادة سوء الظن الفاسدة؛ أيّة بدعة في الاجتماع في يوم محدد ما دام المخلصون يستطيعون أن يقابلوني بتاريخ ٢٧ ديسمبر/كانون الأول بسهولة؟ كما أنهم يستطيعون أن يتقابلوا أيضا. فما معنى التحريم من الاستفادة من هذا الطريق السهل؟ من الغريب حقا أن الشيخ المحترم قد سماني بـ المردود، ولكن لم يتذكر الأحاديث التي حثّ النبي ﷺ فيها على السفر لطلب العلم، والتي عدَّ ﷺ فيها سفر المسلم للقاء أخيه مدعاة لرضى الله ﷻ، وجاء فيها أيضا أن في السفر لزيارة الصالحين مغفرةً للذنوب وكفارةً عنها.

وليكن معلوما أيضا أنه من الجهل تماما أنْ يُفهم من حديث "شد الرحال" حرمة كل سفر قطعا عدا الكعبة ومسجد النبي وبيت المقدس. واضح أن كل المسلمين يضطرون للسفر لأهداف مختلفة؛ منها طلبا للعلم أو لزيارة الأقارب أو زيارة الأخ أو الأخت أو الزوج، أو سفر النساء مثلا لزيارة آبائهن أو سفر الوالدين لملاقاة بناتهم. كما يسافر الرجل أحيانا من أجل الزواج أو لكسب لقمة العيش، أو لإيصال رسالة أو لزيارة الصالحين، كما سافر عمر ﷺ لملاقاة أويس القرني ﷺ. وقد يكون السفر للجهاد سواء أكان الجهاد بالسيف أو بالمناظرة. وأحيانا أخرى يكون السفر للمباهلة كما هو ثابت عن النبي ﷺ. وقد يسافر المرء لزيارة مرشده كما سافر دائما وبكثرة كبارُ الأولياء بمن فيهم الشيخ عبد القادر ﷺ وبايزيد البسطامي، ومعين الدين الجشتي، ومجدد القرن الحادي عشر للغرض نفسه. ولا تزال وقائع أسفارهم مكتوبة باليد إلى الآن. وقد يكون السفر من أجل الاستفتاء أيضا، حيث يثبت من الأحاديث الصحيحة جواز ذلك في ظروف ووجوبه في ظروف أخرى. وأسفار الإمام

البخاري معروفة في سبيل علم الحديث. ولعل الشيخ رحيم بخش لم يعرف ذلك. ويسافر المرء في بعض الأحيان لمشاهدة عجائب العالم أيضا، حيث تشير إلى ذلك الآية: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[١٧٣]. والسفر يكون تارةً بهدف صحبة الصادقين الذي ترشد إليه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١٧٤]، وتارة أخرى لعيادة مريض، بل لاتباع خيار الناس أيضا، كما يسافر المريض أو الذي يعتني به من أجل علاجه، ويسافر المرء أحيانا لمتابعة قضية في محكمة أو لتجارة. فكل هذه الأنواع من السفر مسموح بها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. بل الحق أنه قد جاء حثٌّ وترغيب شديد في الأحاديث الصحيحة على السفر لزيارة الصالحين ولقاء الإخوة وطلب العلم، وإذا أوردتُ تلك الأحاديث كلها هنا لصار كتابا. إن المفتين والمستفتين من أمثاله لا يفكرون أنهم أيضا يحتاجون للسفر. فإذا كان السفر حراما إلا إلى ثلاثة مساجد فقط فمن واجب هؤلاء القوم أن يقطعوا جميع صلاتهم ويهجروا أقاربهم أجمعين ولا يسافروا أبدا لملاقاتهم أو مواساتهم أو عيادتهم. لا أتصور أن أحدا يمكن أن يتردد في جواز هذه الأسفار إلا من أعماه التعنت والجهل. افتحْ الصفحة ١٦ من صحيح البخاري لترى كيف بُشِّر في سفر طلب العلم حيث جاء فيه: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقَ الْجَنَّةِ."

فيا أيها الشيخ الظالم، اعدلْ قليلا أنك تصف بالمردود أخاك الذي ينطق بالشهادة مثلك ويستقبل القبلة ويؤمن بالله ورسوله، وتعتبره محروما كليا من رحمة الله تعالى وشفاعة رسوله ﷺ، ولم تبالِ بحديثٍ صحيح ورد في صحيح البخاري وهو: "أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ".

---

[١٧٣] الأنعام: ١٢

[١٧٤] *التوبة: ١١٩*

وذكرتَ في فتواك سبب اعتبارك إياه مردودا لأنه نشر هذا الإعلان الذي دعا فيه الناس لحضور الجلسة.

فيا من لا يخشى الله، افتح عينيك واقرأ مضمون الإعلان المنشور في ١٨٩٢/١٢/٢٧م، هل دعوتُ فيه أفراد جماعتي لطلب العلم وحل مشاكل الدين ومواساة الإسلام واللقاء الأخوي، أم دعوتهم لعقد حفلة الغناء والطرب على غرار الملاهي الدنيوية؟

فيا أيها المشايخ المعاصرون الذين هم عار على الإسلام، لماذا لا تخافون الله؟ ألن تموتوا يوما؟ أم أنكم مُعفَون من كل نوع من المؤاخذة؟ تسمعون قول الحق وتقرأون أوامر الله ورسوله ومع ذلك لا يخطر ببالكم أن تتركوا تعنتكم. بل إنكم -كالمعتادين على رفع القضايا الزائفة في المحاكم- تريدون نشر أيّ ردّ وإنْ كان زائفا وكاذبا، كيلا يقول الناس بأن مشايخنا لم يستطيعوا الردّ. لأية مرحلة من العمر تدَّخرون كل هذا التجاسر والخيانة والبخل والبُغض؟ لم تذكر عند إصدارك الفتوى أحاديث عُدَّ فيها السفر من أجل تعلّم الدين وإزالة الشبهات وزيارة الإخوة أو الأقارب في الدين مدعاة لثواب كبير وأجر عظيم! بل إن السفر من أجل زيارة الصالحين سنّة السلف الصالح منذ القِدم. وقد ورد في حديثٍ أن شخصا سيواجه مؤاخذة شديدة يوم القيامة إذ يسأله الله جلّ شأنه: هل زرتَ أحد الصلحاء؟ فيقول: لم أسافر لزيارته قاصدا، وإنما التقيتُه مرة في الطريق صدفة، فيقول الله تعالى: ادخُلِ الجنة فقد غفرتُ لك بسبب ذلك اللقاء.

فيا أيها الشيخ القصير النظر، أُنظر فيمَ يرغِّب هذا الحديث. وإذا خالجتْ قلب أحد شبهة أنْ لماذا حدِّد يوم معين لهذه الجلسة الدينية، وأين يثبت ذلك من النبي ﷺ أو الصحابة؟ فجوابه أن افتحوا الصحيحينِ ترَوا أن الأعراب كانوا يأتون النبي ﷺ في أوقات فراغهم ليستفسروه عن مسائلهم، وكان بعضهم يأتونه وفودا حين كانوا يجدون

الفرصة في أشهر معينة؛ فقد وردت في صحيح البخاري رواية عن أبي جمرة قال فيها: إن وفد عبد القيس أتوا النبي ﷺ قالوا: إنا نأتيك من شقة بعيدة ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهرٍ حرامٍ. فلم يرفض النبي ﷺ قولهم بل قبِله. فيُستنبَط من هذا الحديث أيضا أن الذين أرادوا أن يحضروا عند مقتداهم لتعلّم العلم أو لزيارة دينية، فيمكنهم أن يحددوا وفق يسرهم وقتا وتاريخا يستطيعون الحضور فيه بسهولة دون حرج. وهذا هو المقصود في تحديد يوم ٢٧ ديسمبر/كانون الأول، لأن تلك الأيام هي أيام عطلة فيستطيع الموظفون أن يحضروا بسهولة.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وفي ذلك إشارة إلى أنه إذا كان بالإمكان إنجاز عمل جائز ومسموح به بسهولة بطريقة معينة أو بحسب نظام معين فلا بأس في ذلك، بل يجب أن تختاروا الطريق نفسه ولا حرج في ذلك. وإن حسبان هذه الأمور بدعة إنما هو عمل العَمهين الذين لم يُعطَوا عقلا ولا فطنة في الدين ولا في الدنيا.

لقد وضع الإمام البخاري في صحيحه حول تحديد يومٍ لمجلس ديني بابًا عنوانه: "من جعل لأهل العلم أياما معلومة". وهذا يعني أن تحديد أيام معينة لإفادة طلاب العلم من سنة بعض الصحابة. ولإثبات ذلك أورد الإمام البخاري في صحيحه رواية عن أبي وائل: "كان عبد الله يذكّر الناس في كل خميس"؛ أي كان عبد الله قد حدد يوم الخميس لوعظ الناس، وكان الناس يحضرون مجلس وعظه يوم الخميس فقط.

وليكن معلوما أيضا أن الله جلّ شأنه قد أمرنا في القرآن الكريم أن نعتمد على النظام والتخطيط، وأمرنا أيضا أن نختار أيّ نظام أو خُطة نراها حكيمة ومفيدة لخدمة الإسلام أو لغلبة العدو، كما يقول عزّ اسمه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[١٧٥] أي يجب أن تُعِدّوا أية خطة تستطيعون لمواجهة العدو، وتستخدموا أية قوة

---

[١٧٥] *الأنفال:* ٦١

تستطيعون لإعلاء كلمة الإسلام.

انظروا الآن، كيف ترشدنا هذه الآية الكريمة بأعلى صوتها أن نستخدم كل خطة مفيدة لخدمة الإسلام، ونبذل في هذا السبيل كل قوة، بما فيها قوة الفكر وقوة اليد والقوة المالية وقوة حسن الإدارة وغيرها، لننال الفتح والانتصار. ولكن المشايخ الجهلاء والعمهين وأعداء الإسلام يسمّون بذل القوة والحكمة بدعةً، إنهم يُعَدّون علماء في العصر الراهن مع أنهم لا يعرفون من القرآن شيئا، إنا لله وإنا إليه راجعون.

إن المتدبرين في هذه الآية يستطيعون أن يفهموا أن التفكير في خطة حُسنِ الإدارة لخدمة الإسلام من منطلق الحديث: "إنما الأعمال بالنيات" ليس بدعة ولا ضلالا، بل نضطر لإعداد خطط جديدة كلما واجهَ الإسلام مصاعب جديدة بمرور الزمن، أو هاجمه الناس بأساليب جديدة. فلو فكرنا في تخطيط أو مشروع لدرء هذه الهجمات ودحضها بحسب مقتضى الظروف الراهنة فما هو إلا تخطيط، ولا صلة له بالبِدَع. ومن الممكن أيضا أن نواجه مشاكل جديدة أخرى بسبب تقلبات الدهر لم يواجه مثلها سيدُنا رسول الله ﷺ. فمثلا لا نستطيع في هذه الأيام أن نختار أساليب مسنونة في الحروب السابقة، لأن أساليب الحروب في هذا الزمن قد تغيرت تماما، وصارت الأسلحة السابقة بلا جدوى وحلت محلها الأسلحة الجديدة. فلو حسِب الآن ملوك الإسلام حملَ الأسلحة الجديدة واستخدامَها بدعةً وعدّوا استخدامها ضلالة ومعصية مصغين إلى قول شيخ مثل الشيخ رحيم بخش، وقالوا بأن النبي ﷺ ما اختار هذا الطريق للحرب ولا صحابته ولا التابعون؛ فماذا عسى أن تكون نتيجة ذلك إلا أن يُخرَجوا بالذلة والخزي من بلادهم الممزقة أصلا وأن ينتصر العدو عليهم؟ ففي مثل مناسبات التخطيط والتنظيم هذه سواء أكانت شبيهة بالحرب والقتال الظاهري أم الباطني، وسواء أكان القتال بالسيف أم بالقلم؛ تكفينا هدْيا الآيةُ التي سبق ذكرها أي: ﴿أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾. لقد أعطانا الله تعالى جلّ شأنه

خيارا عاما في هذه الآية؛ وهو أن نختار أيّ أسلوب حَسَن نراه أفضل وأكثر تأثيرا مقابل العدو.

فمن الواضح أن حسبان حسن الإدارة والتخطيط بدعةً ومعصية، وعدَّ أنصار الدين مردودين وهم الذين يشتغلون في إعلاء كلمة الإسلام ليلَ نهارَ والذين قال النبي ﷺ عنهم: حب الأنصار من الإيمان؛ ليس عملا طيب الطوية، بل عمل مَن مُسخت صورُهم الروحانية في الحقيقة. ولو قلتَ بأن المراد من الحديث: حُب الأنصار من الإيمان، وبُغض الأنصار من النفاق هم الأنصار الذين كانوا يسكنون في المدينة وليس الأنصار كلهم وبوجه عام؛ لاستلزم ذلك بأن بُغض أنصار النبي ﷺ الذين جاؤوا بعد ذلك الزمن جائز. كلا، ثم كلا، بل الحق بأن هذا الحديث يفيد العموم، وإنْ قيل في فئة معينة، كما هو حال كثير من الآيات القرآنية التي نزلت في فئة معينة وهي تفيد العموم.

فباختصار، إن هؤلاء القوم الذين يسمَّون مشايخ يعادون أنصار الدين ويحذون حذو اليهود. ولكن قولنا هذا لا يشملهم جميعا بل يخصّ بعضهم، وأما العلماءُ الصالحون فمُستثنَون. على كل مسلم أن يدعو الله تعالى أن ينجّي الإسلام سريعا من هؤلاء المشايخ الخونة؛ لأن الإسلام في هذه الأيام يواجه موقفا حرجا جدا، وأصدقاؤه الحمقى هؤلاء يريدون أن يعطوا الآخرين فرصة للضحك والاستهزاء به، إذ يقولون ما يشعر به نور قلب كل شخص أنه يعارض الصدق والحق. رحم الله الإمام البخاري الذي وضع في صحيحه بابًا في ذلك أيضا. فيقول في هذا الباب: قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟ وقد ورد في حاشية البخاري في شرحه: "أي على قدر عقولهم".

أيْ قولوا للناس مما قاله الله تعالى ورسوله ما يستطيعون فهمه وما يبدو لهم معقولا، ولا تُعرّضوا الله والنبي للتكذيب. من الواضح الآن أن معاند الإسلام الذي يسمع أن المشايخ قد أفتوا بعدم جواز السفر إلا إلى ثلاثة مساجد أو إلى مكان أو مكانَين آخرَينِ فقط فلا بد أن يضحك على الإسلام ويستغل الفرصة للطعن في تعليم الشارع ﷺ، لأنه لن يكون على علم أن هذا نتاج خبث أحد المشايخ وتعنته أو غباوته، فسيهاجم سيدنا ومولانا ﷺ مباشرة. كما قد استغل المسيحيون كثيرا أقوال هؤلاء المشايخ الفاسدة. فمثلا عندما أقرّ المشايخ بلسانهم أن نبينا ﷺ ميتٌ، والعياذ بالله، وعيسى عليه السلام حيّ إلى يوم القيامة؛ استغل المسيحيون هذا الموقف وهاجموا المسلمين وأضلوا آلافا من السذج بهذه الأقوال. ولكن هؤلاء الأغبياء لم يدركوا أن الأنبياء كلهم أحياء وليس أيٌّ منهم في عداد الميتين.

لم ير النبي ﷺ جثة أحد ليلة المعراج بل كان الجميع أحياء. فلتعلموا أن الله تعالى أخبر نبيه الأكرم ﷺ بحياة موسى عليه السلام في القرآن الكريم بقوله: ﴿فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾[١٧٦]. وقد ذكر النبي ﷺ بنفسه حياتَه بعد الممات ورفْعَه إلى السماء ولقاءه الرفيق الأعلى. فما هو الغريب في حياة المسيح عليه السلام الذي لا يوجد في غيره؟ لقد وجد النبي ﷺ ليلة المعراج جميع الأنبياء أحياء على السواء، فقد رأى عيسى مع يحيى عليهما السلام.

رحِم اللهُ المولوي عبدَ الحق المحدث الدهلوي الذي نقل قول أحد محدثي العصر أن مذهبه هو أنه إذا اعتبَر أحدٌ من المسلمين حياةَ أيّ نبيٍّ أقوى وأعلى من حياة النبي ﷺ، فقد خرج عن دائرة الإسلام، أو لعله قال بأنه يوشك أن يكفر. لكن

[١٧٦] *السجدة: ٢٤*

هؤلاء المشايخ لا يتورعون عن هذه الفتن، بل يكادون يمرقون من الدين لمجرد عداوتي، ولو رفعهم الله تعالى جميعا عن وجه الأرض لكان أفضل ليُجنَّب الإسلام تحريفاتهم. هنا يجب أن يعدل المرء قليلا بأنه لو سافر مئات الناس إلى "دلهي" طلبا للعلم أو للقاء الشيخ "نذير حسين" المعلّم الدنيوي البحت، لكان ذلك السفر جائزا! وكذلك إذا ذهب الشيخ نذير حسين بنفسه إلى "بطاله" قاطعا مئتي ميل في هذا السن المتقدم للاشتراك في وليمة عرس الشيخ البطالوي، لكان ذلك السفر أيضا جائزا تماما! وإذا سافر الشيخ البطالوي إلى مدينة "شملة" كل عام للقاء الإنجليز لينال منهم إكراما دنيويا، فلا يُعتبر ذلك السفر ممنوعا ولا حراما! وكذلك لو تجوّل بعض المشايخ في الشرق والغرب لملء بطونهم باسم الوعظ، فلا يكون ذلك السفر أيضا محل اعتراض! ولا يُفتي أحد بأنهم من أهل البدعة وذوي أعمال سيئة أو مردودين! ولكن عندما أدعو أفراد جماعتي لطلب العلم بإذن الله وأمره، وأنّي مأمور بالدعوة إلى الحق يُعَدّ ذلك السفر حراما! وأُعَدّ مردودا بسبب فِعلي هذا! هل هذه هي تقوى الله وخشيته؟

الأسف كل الأسف أن هؤلاء الأغبياء لا يفكرون أن التخطيط والنظام ليس من البدعة في شيء، بل كل مرحلة وزمن يقتضي تخطيطا جديدا، وإذا أطلَّت المشاكل الجديدة فماذا نستطيع فعله إلا أن نقوم بتخطيط جديد؟ فهل ستُعتبر هذه التخطيطات بدعات؟ إذا كانت السُنَّة المسنونة محفوظة، ويقوم المرء ببعض التدابير للمحافظة عليها، فهل ستُعدُّ تلك التدابير بدعات، والعياذ بالله؟ كلا. إنما البدعة هي التي تعارض وتنافي- في حقيقتها- السنةَ النبوية وتُناقِضها، وجاء التهديد والزجر في الآثار النبوية على القيام بهذا العمل. إذا وُصف أي تنظيم جديد أو أي تخطيط جديد بالبدعة، فحدِّث عن البدعات في الإسلام ولا حرج! ولن تقدر على أن

تحصي البدعات في الإسلام. فسيكون علم الصَّرف بدعة، وعلم النحو بدعة، وعلم الكلام وتدوين الأحاديث وتبويبها أيضا بدعة، وكذلك كل عمل؛ مثل ركوب القطار وارتداء اللباس المنسوج في المصانع وإرسال الرسائل بالبريد، وتلقّي الخبر بواسطة البرقية، والقتال بالنبادق والمدافع يكون أيضا بدعة. ولن يكون القتال بالبنادق والمدافع مجرد بدعة، بل سيُعَدُّ إثما عظيما؛ لأنه قد ورد في حديث صحيح أن القتل حرقا ممنوع بتاتا. مَن هو أكثر اتباعا للسنة من الصحابة؟ ولكنهم لم يفهموا منها ما فهمه الشيخ رحيم بخش، بل قاموا بأعمال جديدة بكثرة على سبيل التدبير والتنظيم والإدارة لم يفعلها النبي ﷺ ولم يرد ذكرها في القرآن الكريم.

لو جمعنا محدَثات عمر ؓ وحده لكانت كتابا، فقد بدأ بالتقويم الهجري في الإسلام، وعيّن الحراس لحماية المدن، وأقام مكتبا رسميا لبيت المال، ووضع قوانين الإجازة والتجنيد ووضع قوانين القتال ودوّن تعليمات خاصة تتعلق بالقضايا المالية وغيرها، ووضع من عنده قواعد كثيرة لحماية الرعية ونشَرَها. وكلّف نفسه بوجه خاص في عهد خلافته بتفقد أمور الرعية بالتجول خفية ليلا. ولكني لم أفعل شيئا جديدا، بل اقترحتُ عقد جلسة فقط لتحصيل العلم والتشاور ونصرة الإسلام ولقاء الإخوة.

أما بناء بيت لهذا الغرض؛ فإذا كان بناء بيت بنية إكرام الضيوف وإراحة المغادرين والقادمين حراما، فعليك أن تقدِّم على ذلك حديثا أو آية قرآنية. الذنب الذي ارتكبه أخي في الله "الحكيم نور الدين" هو أنه بنى بيتا للجماعة ابتغاء مرضاة الله فقط. فهل من الأمانة الاعتراض على مَن يخدم الدين بماله العزيز وبكل ما أُعطي من قوة؟ ستعرف ذلك بعد الممات، فاصبر قليلا إن الوقت قريب حين تُسأل أيها الشقي عن كل هذا التمرد. تقرأون دائما الحديث الذي يقول: "من لم يعرف إمام زمانه، فقد مات ميتة الجاهلية"، ولكن لا تبالون بأن شخصا جاء في الوقت المناسب أي على رأس القرن الرابع عشر. وليس ذلك فحسب، بل ظهر عند وقت الضلال

وغلبة المسيحية والفلسفة تماما وأعلن أنه إمام الزمان، ولكنكم أنكرتموه وسمَّيتموه كافرا ودجالا وما خفتم سوء عاقبتكم وآثرتم ميتةً جاهلية. لقد أمركم الله تعالى أن تقرأوا في صلواتكم الخمس دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أيْ دُلَّنا يا ربنا على صراط عبادك المنعَم عليهم. من هم المنعَم عليهم؟ هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون. يتلخص الدعاء في أنه إذا وجدتم زمنَ أيّ واحد من هؤلاء الأحزاب الأربعة، يجب أن تستظلوا بظله وتستفيضوا منه، ولكن ما أجمل عمل المشايخ المعاصرين بهذا الدعاء! واها لهم ثم واها لهم! بمن أشبِّههم؟ إنهم يشبهون أعمى يتبجح بشدة وبأعلى صوته لعلاج عيون الآخرين وهو غافل عن عماه.

أقول في الأخير بأنه إن لم يتراجع الشيخ رحيم بخش عن فتواه الآن أيضا، فأستحلفه بالله جلّ شأنه أن يأتيني إلى قاديان للبتّ في هذا الأمر إن كان باحثا عن الحق، وسأدفع له نفقات السفر إيابا وذهابا، وسأثبت له من الكتب والقرآن والحديث أن فتواه باطلة كليا، وأنها من إغواء الشيطان. والسلام على من اتبع الهدى.

العبد الضعيف: **غلام أحمد** من قاديان، محافظة غورداسبور

(١٨٩٢/١٢/١٧م)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي

وقائع جلسة ١٨٩٢/١٢/٢٧م في قاديان

محافظة غورداسبوره

مع أنه قد اجتمع بمناسبة هذه الجلسة نحو ٥٠٠ نفر، ولكن الأحبة والمخلصين الذين سافروا من أماكن بعيدة للاشتراك فيها فقط لوجه الله قد بلغ عددهم ٣٢٥ نفرا تقريبا.

والآن أتناول ذكر الوقائع التي جرت في أيام الجلسة: فأولاً فسّر **المولوي الحكيم نور الدين** المحترم الآيات القرآنية التي تذكر أن **مريم** الصِّديقة كانت صالحةً وعفيفة، وما هي النِعم التي أنعم الله بها على ابنها البار **عيسى** عليه السلام، وكيف انتقل من هذه الدنيا الفانية بحسب سنة الله تعالى وشرب كأس الممات ووصل دار النعيم عند الله، والتي سبقه إليها "يحيى" الحصور وغيره من الأنبياء المقدسين. وفي هذا الخطاب ساق المولوي المحترم كثيرا من حقائق القرآن الكريم ومعارفه التي أثّرت في الحضور كثيرا، وأثبت بكل جلاء أن المسيح عليه السلام قد فارق هذه الدنيا في الحقيقة وأن فكرة حياته فكرة عبثية وباطلة وتخالف نصوص القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، وأن الأمل في نزوله باطل. وقال أيضا: مع أنه قد أُخبر بنزول المسيح في أحاديث كثيرة، ولكن هذا النزول من نوع آخر؛ أيْ أن المراد منه نزولٌ على سبيل المجاز والاستعارة وليس النزول الحقيقي، لأن النزول الحقيقي يعارض نصوص القرآن الكريم الصريحة والبينة والأحاديث الصحيحة، والتطرق إليه هو شكٌ فيما أخبر به الله تعالى. بعد خطابه أنشد السيد "سيد حامد شاه السيالكوتي" قصيدة في مدح سيدنا المرزا.

بعد ذلك ألقى سيدنا الميرزا عليه السلام كلمة وجيزة ردّ فيها على بعض الأمور التي هي أساس التكفير عند المشايخ المعاصرين. وإلى جانب ذلك أثبت أيضا بالآيات

السماوية أنه **المسيح الموعود**، وأطلع الحضور على تحقق نبوءة نُشرت في جريدة "نور أفشان" العدد ١٠/٥/١٨٨٨م. وقد وُضِّح الأمر في مختلف المناسبات إتماما للحجة بأن تحقق النبوءة آية في الحقيقة على صدق دعواه؛ لأن سيدنا الميرزا عليه السلام استهدف من نشرها أن تكون دليلا من الله للذين يشكّون في كونه من الله إذ أن التوراة والقرآن يقطع أن الله سبحانه وتعالى لا يحقق نبوءة المدعي الكاذب. والسبب في ذلك أنه لو حقق الله تعالى نبوءة الكاذب لاستلزم أن يكون صادقا في ادّعائه، فينخدع بذلك خلْق الله. ثم قدّم سيدنا الميرزا عليه السلام بعض النصائح بحسب مقتضى الحال حول الحب المتبادل والتقوى والطهارة في أفراد جماعته.

ثم قدّم الحضور الكرامُ بتاريخ ٢٨/١٢/١٨٩٢م آراءهم حول مواساة أوروبا وأميركا مواساة دينية، وتقرر إصدار مجلة تضم المسائل الهامة في الإسلام لتُري وجه الإسلام الأغر في مرآة العقلانية، وأن تُرسل نُسخ كثيرة منها إلى أوروبا وأميركا. ثم قدِّمت الاقتراحات لإقامة مطبعة للجماعة في قاديان، ودوِّنت قائمة تبرعات الإخوة التي سيرسلونها باستمرار لدعم المطبعة. وتقرر أيضا إصدار جريدة لنشر الإسلام ومواساته. واقتُرح أن يُعيَّن المولوي "سيد محمد أحسن الأمروهي" داعية للجماعة، ويقوم بجولة في البنجاب والهند كلها، ثم كان الدعاء بالخير والبركة.

سيكون من أهداف الجلسة في المستقبل أيضا التأمل في الاقتراحات لنشر الإسلام ومواساة المسلمين الجدد في أميركا وأوروبا، والسعي لتطوير البر وحسن النية والتقوى والطهارة والحالة الأخلاقية، ودرء العادات الدنية الفاسدة والتقاليد القبيحة من القوم، والشكر الخالص والتقدير للحكومة البريطانية.

وقد شُكِّلت لجنة لتحقيق هذه الأهداف والترتيبات الأخرى، وعيِّن الحكيم المولوي نور الدين البهيروي المحترم رئيسا لها، وعيِّن" الميرزا خدا بخش" مدرّسُ نواب محمد علي خان، من مالير كوتلة، والشيخ رحمة الله، مدير البلديات في محافظة

غوجرات، والمنشي غلام قادر فصيح نائب الرئيس ومدير البلديات في محافظة سيالكوت، والمولوي عبد الكريم السيالكوتي" أعضاء فيها.

وفيما يلي ننقل أسماء الإخوة الذين اشتركوا في الجلسة:

(١) المولوي الحكيم نور الدين؛ بهيرة، محافظة شاه بور (٢) الحكيم فضل الدين؛ محافظة شاه بور(٣) ميان حافظ محمد؛ محافظة شاه بور(٤) ميان عبد الرحمن؛ محافظة شاه بور(٥) ميان نجم الدين؛ محافظة شاه بور(٦) سيد القاضي أمير حسين؛ أستاذ العربية بمدرسة أمرتسر، محافظة شاه بور (٧) ميان حسن محمد المزارع، محافظة شاه بور(٨) المولوي عبد الكريم؛ سيالكوت (٩) ميان مولا بخش؛ تاجر أحذية، سيالكوت (١٠) ميان فضل كريم؛ سيالكوت (١١) المدرس الله دِتّا؛ سيالكوت (١٢) ميان شادي خان؛ موظف لدى راجه أمر سنغ صاحب بهادر، سيالكوت (١٣) سيد نواب شاه؛ الأستاذ بالمدرسة التبشيرية الأمريكية، سيالكوت (١٤) سيد أمير علي شاه؛ من سكان سيدانوالي، محافظة سيالكوت (١٥) المنشي إله دين؛ سيالكوت (١٦) شودري محمد سلطان؛ مدير بلدية سيالكوت (١٧) المولوي أبو يوسف محمد مبارك علي؛ سيالكوت (١٨) مير حامد شاه؛ موظف في المحكمة، سيالكوت (١٩) المنشي غلام قادر فصيح؛ نائب رئيس البلدية، سيالكوت (٢٠) ميان فضل الدين؛ الصائغ، سيالكوت (٢١) سيد خصلت علي شاه؛ نائب المفتش في الشرطة، كريانوالا محافظة غوجرات (٢٢) ميان فتح الدين؛ غوجرات (٢٣) المنشي غلام محمد؛ الطالب بكلية التأهيل بلاهور (الأصل من سيالكوت) (٢٤) المنشي غلاب خان الخطاط، سيالكوت (٢٥) ميان نور دين؛ الطالب، سيالكوت (٢٦) المولوي قطب الدين؛ بدوملي (٢٧) شودري سرفراز خان؛ عمدة القرية، بدوملي، محافظة سيالكوت (٢٨) ميان محمد دين؛ موظف الشرطة، سيالكوت (٢٩) سيد محمود شاه؛ سيالكوت (٣٠) ميان إمام الدين؛ نوشهره

(٣١) ميان الله بخش القصاب؛ معسكر سيالكوت (٣٢) سيد أمير علي شاه؛ ضابط الشرطة، سيالكوت (٣٣) الحكيم شيخ قادر بخش؛ أحمد آباد محافظة جهلم (٣٤) الحافظ سراج الدين؛ عيسى والْ محافظة جهلم (٣٥) ميان شرف الدين؛ مزارع في كوتله فقير محافظة جهلم (٣٦) ميان عيدا المزارع، كوتله فقير محافظة جهلم (٣٧) ميان قطب الدين؛ كوتله فقير محافظة جهلم (٣٨) ميان علي محمد؛ إمام الجامع في كوتله فقير محافظة جهلم (٣٩) المولوي برهان الدين؛ حارة نو محافظة جهلم (٤٠) ميان نظام الدين؛ حارة خوجيان محافظة جهلم (٤١) ميان محمد أمين؛ بائع الأقمشة، تشكوال راولبندي (٤٢) المنشي غلاب دين؛ رهتاس، محافظة جهلم (٤٣) ميان الله دتا؛ رهتاس محافظة جهلم (٤٤) المنشي غلام حسين؛ رهتاس محافظة جهلم (٤٥) المنشي محمد حسين؛ الموظف بولاية بتياله، مراد آباد (٤٦) المولوي محمد أحسن؛ من أمروهه، محافظة مراد آباد (٤٧) ميان رشيد أحمد؛ طالب الطب من أمروهه محافظة مراد آباد (٤٨) مير رشيد حسين؛ طالب الطب من أمروهه، محافظة مراد آباد (٤٩) شيخ زين الدين محمد إبراهيم؛ من سكان جج بولكي كالي جوكي، محافظة ومباي، المهندس في مصنع الأقمشة (٥٠) ميان عبد الغفور؛ ابن شمس الدين، من سكان جج بولكي كالي جوكي ومباي (٥١) بير منظور محمد؛ من لدهيانه نائب مدير بلدية جامون وكشمير (٥٢) بير افتخار أحمد؛ حارة نو، لدهيانه (٥٣) بير عنايت علي؛ حارة نو لدهيانه (٥٤) بابو محمد بخش؛ موظف في مكتب الري، حارة نو لدهيانه (٥٥) ميان مولى بخش؛ من حارة نو في لدهيانة الموظف في مكتب الامتحانات بلاهور (٥٦) ميان كرم إلهي؛ موظف في الشرطة، لدهيانه (٥٧) قاضي خواجه علي؛ موظف الشرطة، لدهيانه (٥٨) المنشي عبد الحق؛ خليفة عبد السميع، موظف الشرطة، لدهيانه (٥٩) الحافظ نور أحمد والشركاء؛ تاجر الشالات في لدهيانه (٦٠) ميان نظام الدين الصحاف؛ تاجر

الشالات في لدهيانه (٦١) المولوي عبد القادر؛ جمالبور محافظة لدهيانه (٦٢) شاهزاده عبد المجيد؛ لدهيانه (٦٣) ميان كريم بخش؛ جمالبور محافظة لدهيانه (٦٤) الحاج عبد الرحمن؛ جمالبور محافظة لدهيانه (٦٥) ميان عبد القادر؛ مدرس في مدرسة جمالبور، محافظة لدهيانه (٦٦) ميان شهاب الدين؛ لدهيانه (٦٧) سيد عبد الهادي؛ ماتشهي بوره لدهيانه (٦٨) ميان عبد الرحيم؛ حارة موتش بوره لدهيانه (٦٩) ميان الله بخش؛ حارة موتش بوره لدهيانه (٧٠) ميان عصمت الله؛ الحداد لدهيانه (٧١) ميان رحمت الله؛ الحداد في لدهيانه (٧٢) ميان شهاب الدين؛ الحداد في لدهيانه (٧٣) ميان نظام الدين؛ الحداد في لدهيانه (٧٤) الحكيم المولوي نظام الدين؛ رنغ بور محافظة مظفر غره، نزيل بهيره (٧٥) ميان عبد الكريم خان؛ سامانه، ولاية بتياله (طالب الطب في لاهور) (٧٦) المنشي غلام قادر؛ سنور ولاية بتيالة (٧٧) المنشي محمد إبراهيم؛ ولاية بتياله (٧٨) قاضي زين العابدين؛ خانبور، ولاية بتياله (٧٩) المنشي عبد الله السنوري؛ محدد الأراضي الزراعية، غوث غره، ولاية بتياله، مديرية سرهند (٨٠) المنشي هاشم علي؛ سنور، ولاية بتياله، مديرية برناله (٨١) المولوي عبد الصمد؛ المعروف بـ شيخ علي محمد، سنور، ولاية بتياله (٨٢) ميان عبد الرحمن؛ سنور ولاية بتياله، مديرية سنام (٨٣) المنشي محمد إبراهيم؛ مدرس في ولاية بتياله (٨٤) المولوي محمد يوسف؛ سنور ولاية بتياله (٨٥) ميان بير بخش؛ المزارع في كهيرو، ولاية بتياله (٨٦) ميان أمير بخش؛ المزارع في كهيرو، ولاية بتياله (٨٧) ميان الله بخش الحلاق؛ كهيرو ولاية بتياله (٨٨) شيخ جلال الدين، ولاية بتياله (٨٩) ميان علي نواز؛ تشمارو ولاية بتياله (٩٠) ميان عبد الكريم؛ عمدة شمارو ولاية بتياله (٩١) ميان محمد إسماعيل؛ شمارو ولاية بتياله (٩٢) محمد أكبر خان؛ سنور ولاية بتياله (٩٣) ميان نور محمد؛ المزارع في غوث غره ولاية بتياله (٩٤) ميان ماهيا؛ المزارع في غوث غره، ولاية بتياله (٩٥) ميان بيغا؛ كهريس بوره محافظة أنباله

(٩٦) ميان عطاء إلهي؛ غوث غره، ولاية بتياله (٩٧) ميان هميرا؛ جسوال، ولاية بتياله (٩٨) المنشي محمدي؛ غوث غره، ولاية بتياله (٩٩) ميان غلام قادر؛ المزارع بتياله (١٠٠) ميان عبد المجيد خان (الطالب)؛ سانبهر ملك راجبوتانه (١٠١) الحاج محمد بن أحمد المكي؛ (مكة المعظمة) (١٠٢) مرزا خدا بخش؛ جهنغ، (معلّم نواب محمد علي خان مالير كوتله) (١٠٣) الحافظ نجم الدين؛ محافظة غوجرانواله (١٠٤) قاضي ضياء الدين؛ كوت قاضي، محافظة غوجرانواله مكتب البريد، بوتاله (١٠٥) المنشي محمد دين؛ محدد الأراضي الزراعية، محافظة غوجرانواله (١٠٦) المنشي أحمد دين؛ غوجرانواله (١٠٧) سيد غلام شاه؛ نورنغ، غوجرانواله (١٠٨) ميان كرم داد؛ تهنغ محافظة غوجرات (١٠٩) المولوي جلال الدين؛ بلاني، محافظة غوجرات (١١٠) ميان صاحب دين؛ تهال، محافظة غوجرات (١١١) المولوي فضل الدين؛ كهاريان، محافظة غوجرات (١١٢) ميان محمد علي؛ جلالبور، محافظة غوجرات، موظف في مكتب الامتحانات بلاهور (١١٣) المولوي سيد جمال شاه؛ الواعظ، نندووال، محافظة غوجرات (١١٤) الحافظ فضل أحمد؛ غوجرات، موظف مكتب الامتحانات بلاهور (١١٥) شيخ رحمت الله؛ مدير البلديات، غوجرات (١١٦) الحافظ محمد؛ كوتله فيل بانان بشاور (١١٧) ميان عبد الله؛ كوتله فيل بانان بشاور (١١٨) المولوي غلام حسين؛ مدرس، بشاور (١١٩) الحافظ حامد علي؛ قاديان، محافظة غورداسبور (١٢٠) الحافظ معين الدين؛ قاديان، محافظة غورداسبور (١٢١) ميرزا إسماعيل بيك؛ محافظة غورداسبور (١٢٢) ميان جان محمد؛ إمام الجامع، محافظة غورداسبوره (١٢٣) شيخ نور أحمد؛ المزارع، كهارا محافظة غورداسبور (١٢٤) شيخ عبد الرحمن؛ بُتر كلان محافظة غورداسبور (حديث الإسلام) (١٢٥) الحافظ إمام الدين؛ ننغل، محافظة غورداسبور (١٢٦) ميان محمد بخش؛ ككي زئي، بطله، محافظة غورداسبور (١٢٧) الحاج غلام محمد؛ بطاله،

محافظة غورداسبوره (١٢٨) شيخ مراد علي؛ كلانور، محافظة غورداسبوره (١٢٩) ميان هاشم علي؛ جند ماجه (١٣٠) ميان نتهو؛ المزارع، بازيدتشك جند ماجه (١٣١) ميان مهر دين؛ المزارع، بازيدتشك جند ماجه (١٣٢) المولوي إلهي بخش؛ ساكن ليل، جند ماجه (١٣٣) ميان عبد الله المزارع سوهلا، جند ماجه (١٣٤) ميان علي بخش؛ الخياط، جند ماجه (١٣٥) المنشي هاشم علي؛ جند ماجه (١٣٦) فقير مردان شاه؛ جند ماجه (١٣٧) ميان تشراغ علي؛ المزارع، قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٣٨) ميان نظام الدين؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٣٩) ميان محمد بخش؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٤٠) ميان شهاب الدين؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٤١) ميان سلطان بخش؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٤٢) ميان خدا بخش؛ (حديث الإسلام)، قرية غلام نبي (١٤٣) ميان مهر علي؛ قرية بيبل، محافظة غورداسبوره (١٤٤) حكيم محمد أشرف؛ بطاله، محافظة غورداسبوره (١٤٥) محمد أكبر؛ تاجر خشب، بطاله، محافظة غورداسبوره (١٤٦) شيخ نور أحمد؛ زعيم بطاله، محافظة غورداسبوره (١٤٧) ميان فضل حق؛ بطاله، محافظة غورداسبوره (١٤٨) المنشي دين محمد، بطاله، محافظة غورداسبوره ولاية جامون (١٤٩) ميان محمد إبراهيم؛ بطاله، محافظة غورداسبوره طالب الطب بلاهور (١٥٠) ميان نور ماهي؛ بطاله، محافظة غورداسبوره (١٥١) الحافظ عمر الدين؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٥٢) السيد ميان نتهو؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٥٣) ميان رحمت علي؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٥٤) المنشي عبد القادر؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٥٥) ميان عبد الله؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٥٦) ميان فقير علي؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٥٧) ميان شير علي؛ قرية غلام نبي، محافظة غورداسبوره (١٥٨) تشودري سلطان بخش؛ المزارع، قرية غلام نبي، محافظة

غورداسبوره (١٥٩) شودري محمد؛ غرايانواله، محافظة غورداسبوره (١٦٠) شودري سلطانا؛ غرايانواله، محافظة غورداسبوره (١٦١) مهر عبد الله؛ غرايانواله، محافظة غورداسبوره (١٦٢) ميان محكم دين؛ صاحب المحل، سري غوبند بوره محافظة غورداسبوره (١٦٣) ميان شاه محمد؛ بتولي بطاله محافظة غورداسبوره (١٦٤) سيد مهر شاه؛ بتولي بطاله محافظة غورداسبوره (١٦٥) سيد فقير حسين؛ بتولي بطاله محافظة غورداسبوره (١٦٦) سيد حسين شاه؛ كتهاله محافظة غورداسبوره (١٦٧) سيد عمر شاه؛ نوان بند، محافظة غورداسبوره (١٦٨) مهر نبي بخش؛ عمدة القرية، عضو لجنة البلديات بطاله، محافظة غورداسبوره (١٦٩) شيخ فتح محمد؛ بطاله، محافظة غورداسبوره (١٧٠) المنشي محكم الدين؛ بائع الأوراق الرسمية، سري غوبند بوره، محافظة غورداسبوره (١٧١) المنشي محمد علي؛ محافظ متقاعد، بطاله، محافظة غورداسبوره (١٧٢) الحاج غلام محمد؛ نائب المفتش، محافظة غورداسبوره (١٧٣) بابو علي محمد؛ بطاله، محافظة غورداسبوره (١٧٤) المنشي محمد عمر؛ بطاله، محافظة غورداسبوره (١٧٥) شيخ جان محمد؛ بطاله، محافظة غورداسبوره (١٧٦) ميان نور محمد؛ قرية فيض الله (١٧٧) ميان عمر شاه؛ قرية فيض الله محافظة غورداسبوره (١٧٨) ميان الله بخش؛ قرية فيض الله محافظة غورداسبوره (١٧٩) ميان غلام علي؛ قرية فيض الله محافظة غورداسبوره (١٨٠) ميان كرم إلهي؛ قرية فيض الله محافظة غورداسبوره (١٨١) ميان علي بخش؛ قرية فيض الله محافظة غورداسبوره (١٨٢) ميان مولا داد؛ قرية غلام نبي محافظة غورداسبوره (١٨٣) شودهري حامد علي؛ عمدة القرية، قرية وزير، محافظة غورداسبوره (١٨٤) شودري غسيتا؛ قرية بيبل، محافظة غورداسبوره (١٨٥) ميان الله دتا؛ قرية بيبل محافظة غورداسبوره (١٨٦) ميان ولي محمد؛ قرية بيبل، محافظة غورداسبوره (١٨٧) ميان غلام فريد؛ قرية بيبل محافظة غورداسبوره (١٨٨) السيد ميان عنايت الله؛ بطاله محافظة غورداسبوره (١٨٩)

المولوي قدرت الله؛ بطاله محافظة غورداسبوره (١٩٠) ميان مظفر الله؛ بطاله محافظة غورداسبوره (١٩١) ميان قادر بخش؛ بطاله محافظة غورداسبوره (١٩٢) ميان محمد دين؛ قاديان محافظة غورداسبوره (١٩٣) ميان حاكم علي؛ قرية غلام نبي محافظة غورداسبوره (١٩٤) المنشي زين العابدين؛ قرية غلام نبي محافظة غورداسبوره (١٩٥) المنشي محمد جان؛ محدد الأراضي الزراعية الجهلمي محافظة غورداسبوره (١٩٦) ميان جمال الدين؛ حائك الحرير، سيكهوان محافظة غورداسبوره (١٩٧) ميان إمام الدين؛ سيكهوان محافظة غورداسبوره (١٩٨) ميان خير الدين؛ سيكهوان محافظة غورداسبوره (١٩٩) ميان محمد صديق؛ سيكهوان محافظة غورداسبوره (٢٠٠) ميان عبد الله؛ تهيران محافظة غورداسبوره (٢٠١) ميان قطب الدين دفرواله؛ محافظة غورداسبوره (٢٠٢) تشودري دينا؛ قادر آباد محافظة غورداسبوره (٢٠٣) ميان شير علي؛ قاديان، محافظة غورداسبوره (٢٠٤) ميان إلهيا؛ الحارس، سيكهوان، محافظة غورداسبوره (٢٠٥) ميان غوهر شاه؛ بهوي، محافظة غورداسبوره (٢٠٦) تشودهري نواب؛ المزارع، ملولبور، محافظة غورداسبوره (٢٠٧) ميان نور الدين؛ أجوئي، محافظة غورداسبوره (٢٠٨) ميان كالو شاه؛ عالم بور محافظة غورداسبوره (٢٠٩) ميان نور أحمد؛ المزارع، كلوي، محافظة غورداسبوره (٢١٠) تشودري إمام الدين؛ كلوي، محافظة غورداسبوره (٢١١) تشودري نظام الدين؛ كلوي، محافظة غورداسبوره (٢١٢) فقير مهر شاه؛ كوليان، محافظة غورداسبوره (٢١٣) المولوي الحافظ عظيم بخش؛ بهو مغه، محافظة غورداسبوره، ساكن بتياله حاليا (٢١٤) المولوي غلام جيلاني؛ نوهون، محافظة أنباله، مدرس في مدرسة غهرونون (٢١٥) المولوي عبد الله؛ مدرس في مدرسة هندو محمدن، بطاله (٢١٦) بابو الله بخش؛ معسكر أنباله موظف في مكتب القطارات (٢١٧) المنشي محمد مظاهر الحق؛ خلف محمد ظهور علي، اتاوه، حي قاضي توله (٢١٨) حكيم المولوي محمد إسحاق؛ غوهله، محافظة كرنال

(٢١٩) مير محمد سعيد؛ دلهي كهركي دلهي (٢٢٠) المنشي عبد العزيز؛ دلهي، زقاق قاسم جان، موظف في مكتب الأنهار، أنباله (٢٢١) مير محمد كبير؛ دلهي كهركي فراش خانه (٢٢٢) مير ناصر نواب؛ دلهي كهركي، فراش خانه، موظف في قسم الأنهار، بتياله (٢٢٣) المولوي محمد حسين؛ المزارع بهاغو رائين ولاية كبورتهله، محافظة جالندهر (٢٢٤) المنشي اورورا؛ كبورتهله محافظة جالندهر (٢٢٥) المنشي محمد خان؛ كبورتهله محافظة جالندهر (٢٢٦) المنشي ظفر أحمد؛ كبورتهله محافظة جالندهر (٢٢٧) المنشي حبيب الرحمن؛ زعيم حاجي بور، ولاية كبورتهله (٢٢٨) ميان جي روشن دين؛ ولاية كبورتهله (٢٢٩) الحافظ محمد علي؛ ولاية كبورتهله (٢٣٠) ميان عبد المجيد بن محمد خان؛ ولاية كبورتهله (٢٣١) حكيم فتح محمد؛ ولاية كبورتهله (٢٣٢) الحافظ بابا؛ ضرير، ولاية كبور تهله (٢٣٣) المنشي فياض علي؛ ولاية كبورتهله (٢٣٤) المنشي عبد الرحمن؛ كبورتهله (٢٣٥) ميان نظام الدين؛ كبورتهله (٢٣٦) ميان عبد الله؛ كبورتهله (٢٣٧) المنشي حسن خان؛ موظف في قسم المدفعيات ولاية كبورتهله (٢٣٨) شودري جهندو؛ كبورتهله (٢٣٩) ميان كريم بخش؛ موظف في الجيش، كبورتهله (٢٤٠) المنشي إمداد الله خان؛ موظف في قسم التعليم، كبورتهله (٢٤١) جان محمد؛ الحداد، كبورتهله (٢٤٢) المنشي محمد دين؛ موظف في حركة المرور، لاهور (٢٤٣) المنشي محمد حسين؛ موظف في قسم الامتحانات، لاهور (٢٤٤) المنشي مظفر الدين؛ موظف في قسم الامتحانات، لاهور (٢٤٥) ميان عناية الله؛ طالب في لاهور (٢٤٦) المنشي محمد بخش؛ موظف في قسم الامتحانات، لاهور (٢٤٧) خليفة رشيد الدين؛ طالب في كلية الطب، لاهور (٢٤٨) ميان نور الدين؛ لاهور (٢٤٩) المولوي كرم إلهي؛ تكية سادهوان، لاهور (٢٥٠) حكيم المولوي محمد حسين؛ لنغي مندي، لاهور (٢٥١) ميان عبد العزيز؛ لنغي مندي، لاهور (٢٥٢) ميان رحيم الله؛ لنغي مندي، لاهور (٢٥٣)

المنشي عبد العزيز؛ باغبانبورة، لاهور (٢٥٤) المنشي إمام الدين؛ الناسخ في أمرتسر، كره كرم سنغ (٢٥٥) المنشي تاج الدين؛ محاسب في مكتب السكك الحديدية، لاهور (٢٥٦) المعلم أحمد؛ لاهور (٢٥٧) الحاج شهاب الدين؛ لاهور (٢٥٨) المنشي عزيز الدين؛ لاهور (٢٥٩) خليفة رجب الدين؛ لاهور (٢٦٠) ميان عزيز الدين؛ بتي، محافظة لاهور مدرس في بغهبانا (٢٦١) ميان عبد اللطيف؛ باغبانبوره، لاهور (٢٦٢) الحاج المنشي شمس الدين؛ موظف في قسم الامتحانات، لاهور (٢٦٣) ميان نبي بخش؛ راولبندي، حارة قطب الدين، موظف في قسم الامتحانات في لاهور (٢٦٤) ميان بير بخش؛ خوجه لكهد، محافظة راولبندي (٢٦٥) شودري محمد سعيد؛ لكهد، محافظة راولبندي (٢٦٦) المنشي محمد مقبول؛ ضابط في الكتيبة ٣٠، راولبندي (٢٦٧) صاحبزاده سراج الحق الجمالي النعماني؛ سرساوه، محافظة سهارنبور (٢٦٨) الحافظ غلام رسول؛ التاجر في وزير آباد، محافظة غوجرانواله (٢٦٩) ميان محمد جان؛ خادم راجه أمر سنغ، وزير آباد، محافظة غوجرانواله (٢٧٠) شيخ نبي بخش؛ وزير آباد، محافظة غوجرانواله (٢٧١) خليفة نور الدين؛ جامون (٢٧٢) ميان الله دِتّا؛ جامون (٢٧٣) سيد محمد شاه؛ جامون (٢٧٤) المولوي تاج محمد؛ سير باندي، جامون (٢٧٥) المنشي عبد الرحيم؛ موظف في قسم الأنهار في سرينغر، جامون (٢٧٦) المنشي عبد الرحيم؛ المراقب في قسم الأنهار في كشمير، جامون (٢٧٧) عمر الحداد؛ جامون (٢٧٨) المنشي نواب خان؛ جامون (٢٧٩) المنشي محمد شريف؛ نكيال ولاية جامون (٢٨٠) المولوي أنور حسين خان؛ شاه آباد، محافظة هردوئي (٢٨١) شيخ نور أحمد؛ مدير رياض هند، أمرتسر (٢٨٢) ميان ظهور أحمد بن ميان نور أحمد؛ أمرتسر (٢٨٣) شيخ عبد القيوم؛ موظف في مديرية أمرتسر (٢٨٤) المولوي كريم الدين؛ (حديث الإسلام) أمرتسر كره آهلو واليه (٢٨٥) المولوي عناية الله؛ حكيم، أمرتسر (كره

آهلو واليه) (٢٨٦) المنشي عبد الرحمن؛ أمرتسر (كره كرم سنغ) (٢٨٧) شودري محمدي؛ أمرتسر (كره آهلو واليه) (٢٨٨) ميان غلام قادر؛ منطقة بند، أمرتسر (٢٨٩) ميان إمام الدين؛ غرو بازار، أمرتسر (٢٩٠) بابو محكم الدين؛ مختار المحكمة، أمرتسر (٢٩١) قطب الدين خان الحداد؛ أمرتسر (ديهوري كرمون) (٢٩٢) المولوي عبد اللطيف؛ معلم مدرسة محمدي، أمرتسر (كره موتي رام) (٢٩٣) ميان محمد إبراهيم؛ أمرتسر (كره موتي رام) (٢٩٤) شودري شاه محمد؛ المزارع، رام ديوالي، محافظة أمرتسر (٢٩٥) ميان دين محمد؛ بهو وال، محافظة أمرتسر (٢٩٦) ميان فتح الدين؛ رام ديوالي، محافظة أمرتسر (٢٩٧) سيد سكندر شاه؛ إمام الجامع؛ رام ديوالي، محافظة أمرتسر (٢٩٨) ميان بوتا؛ أول والا، محافظة أمرتسر (٢٩٩) شيخ عبد الله؛ طالب في عليغره (٣٠٠) شيخ حامد علي خان؛ طالب في كلية الطب، عليغره (٣٠١) خان محمد علي خان؛ زعيم مالير كوتله (٣٠٢) شيخ ولي محمد؛ شاه آباد، خادم محمد علي خان (٣٠٣) شيخ فضل محمد؛ شاه آباد، خادم خان (*محمد علي*) ومحمد ذو الفقار علي خان ومحمد يوسف علي خان (٣٠٤) سيد شير شاه؛ خادم خان (*محمد علي*)، مالير كوتله (٣٠٥) ميان صفدر علي؛ خادم خان (*محمد علي*)، مالير كوتله (٣٠٦) ميان عبد العزيز؛ خادم خان (*محمد علي*)، مالير كوتله (٣٠٧) ميان جيوا؛ خادم خان (*محمد علي*)، مالير كوتله (٣٠٨) ميان قادر بخش؛ خادم خان (*محمد علي*)، مالير كوتله (٣٠٩) ميان بركت علي شاه؛ خادم خان (*محمد علي*) مالير كوتله (٣١٠) ميان كمّي خان؛ خادم خان (*محمد علي*)، مالير كوتله (٣١١) ميان فتح محمد؛ خادم خان (*محمد علي*) مالير كوتله (٣١٢) ميان عبد الكريم؛ الحلاق خادم خان (*محمد علي*) مالير كوتله (٣١٣) ميان عبد الجليل خان؛ شاهجهان آباد، مالير كوتله (٣١٤) ميان حامد علي؛ بريلي (٣١٥) المنشي علي غوهر خان؛ جالندهر(٣١٦) المنشي رستم علي

خان؛ مداران، محافظة جالندهر، نائب المفتش في شرطة السكك الحديدية (٣١٧) المولوي أحمد جان؛ مدينة جالندهر، مدرس في محافظة غوجرانواله (٣١٨) ميان وزيرا؛ المقاول في كهيرو، ولاية نابَه (٣١٩) المولوي شيخ أحمد؛ واعظ سرهند، ولاية بتياله نزيل أنباله (٣٢٠) ميان محمد بن عبد الله؛ شير بور، محافظة فيروز بور نزيل بهيره (٣٢١) سيد معراج الدين؛ بطاله (٣٢٢) ميان جان محمد؛ طالب في بطاله (٣٢٣) المولوي وزير الدين؛ لكيريان، محافظة هوشيار بور (٣٢٤) شودري كريم بخش؛ لكيريان، محافظة هوشيار بور (٣٢٥) غلام حسين؛ لكيريان، محافظة هوشيار بور (٣٢٦) ميان بخش؛ لكيريان، محافظة هوشيار بور (٣٢٧) ميان غلام رسول؛ لكيريان، محافظة هوشيار بور.

****

جدير بانتباه القرّاء

لفهم حقيقة عجزِ الإنسان عن عرقلة أفعال الله بمكائده يكفي هذا المثال المقنع جدا؛ وهو أنه في السنة الماضية - حين لم يكن الشيخ البطالوي قد أصدر فتواه ولم يكن قد توجّه إلى تكفيري ببذله جهدا جهيدا — حضر إلى قاديان ٧٥ من الأحبة والمخلصين فقط للاشتراك في الجلسة في اليوم المحدد، أما هذه السنة، حيث أُعِدّت الفتوى، وأخرج البطالوي كل ما كان في جعبته ووصل بنفسه إلى كل مكان بتجشّم صعوبات وعناء السفر كل يوم، وطلب من أشياعه من المشايخ أن يمهروا على الفتوى بأختامهم، وادّعى هو ومَن على شاكلته من المشايخ بكل زهو وسرور أنهم وضعوا عراقيل كبيرة في تقدم هذه الجماعة الربانية؛ فمع هذا كله قد اشترك في هذه الجلسة ٣٢٧ من الأحبة بدلا من ٧٥، وحضرها أيضا أولئك الذين بايعوا تائبين.

الآن، يجب التأمل؛ أليست هذه آية على قدرة الله العظيمة أن نتائج كافة مساعي الشيخ البطالوي وأشياعه قد ظهرت على عكس مبتغاهم تماما وذهبت مجهوداتهم كلها سُدًى؟ أليس من فعل الله أنه مع أنّ الشيخَ البطالويَ قد أعياه التجوُّلُ في البنجاب والهند كلها، إلا أنّ الله تعالى أراه في نهاية المطاف كيف تغلب مشيئته ﷻ على مكائد الإنسان؟ ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٧٧]؛ ففي هذه السنة أظهر الله تعالى آيتين: الآية الأولى فشل البطالوي في مساعيه، والثانية تحقق النبوءة المنشورة في مجلة "نور أفشان" العدد ١٨٨٨/٥/١٠م. والآن من الأفضل أن يتوقف الشيخ البطالوي وأشياعه، ولا يحاربوا الله تعالى. والسلام على من اتبع الهدى.

---

[١٧٧] يوسف: ٢٢

إعلان مهمٌّ

إلى جميع المخلصين والناصحين للإسلام.

بعد التحية المسنونة، فليتضح أنه قد تقرر بمناسبة الجلسة السنوية التي عُقدت في قاديان في ٢٧ و٢٨ و١٨٩٢/١٢/٢٩م التخطيطُ لإنشاء مطبعة مستقلة -بحسب اقتراح بعض المخلصين- لأننا نشكو دائما من المطابع. سوف تُطبع فيها كتبٌ في تأييد الإسلام بالإضافة إلى جريدة نصف شهرية يُنشر فيها تفسيرُ بعض الآيات القرآنية والردُّ على معارضي الإسلام وغيرهم. وقد وافق الإخوة الحاضرون على هذا الاقتراح بكل صدق وإخلاص. وقُدّرت التكلفة بحسب رغبة الإخوة أجمعين، وتقرر أن يكون المبلغ هو ٢٥٠ روبية شهريا تقريبا. فأملى كل واحد من المخلصين بطيب خاطره مبلغ التبرع على قدر استطاعته، وهذه القائمة مسجلة لاحقا. ولما كان كثير من الإخوة الكرام قد سافروا قبل طرح هذا الاقتراح للنقاش، فلم يقدروا على أن يسهموا في هذا العمل الخيّر. ونأمل أن يسهم الصادقون الأوفياء والمخلصون عديمو الرياء في هذا العمل الحسن يقينا، وسينالون سعادة الدارين، وسيُطلعوننا سريعا على مبلغ تبرعهم. ويقول عليه السلام بألا يملي أحد من الإخوة تبرعه مكرَها، بل يجب أن يمليه بطيب خاطر وبقدر الاستطاعة.

المعلن:

ميرزا خدا بخش[١٧٨]، معلم نواب محمد علي خان زعيم مالير كوتله، محافظة لدهيانه، سكرتير اللجنة.

---

[١٧٨] ملحوظة: فليتضح لجميع الإخوة أن المراسلة لهذا الأمر كلها يجب أن تُوجّه باسمي أنا العبد الضعيف.

قائمة بأسماء المتبرعين مع ذكر المبالغ التي أُعِدت بمناسبة الجلسة بتاريخ ١٨٩٢/١٢/٢٩م في قاديان

الاسم	الشهري	السنوي	التسديد
(١) حكيم محمد أحسن المحترم	١ روبية	١٢ روبية	
(٢) خليفة نور الدين المحترم	أكثر من ٤ روبيات	٥٠ روبية	
(٣) بير سراج الحق المحترم	١ روبية	١٢ روبية	
(٤) المنشي هاشم علي السنوري المحترم	ربع روبية	٣ روبيات	٣ روبيات
(٥) مير ناصر نواب المحترم	روبيتان	٢٤ روبية	روبيتان
(٦) شيخ رحمة الله الغوجراتي المحترم	١٠ روبيات	١٢٠ روبية	
(٧) ميان عبد الرحمن السنوري المحترم	أقل من عُشر الروبية	١ روبية	١ روبية
(٨) المنشي إبراهيم السنوري المحترم	أقل من عُشر الروبية	١ روبية	١ روبية
(٩) سيد محمد شاه؛ المتعهد جامون	روبيتان	٢٤ روبية	
(١٠) سيد حامد شاه لسيالكوتي	١ روبية	١٢ روبية	
(١١) الحافظ محمد البشاوري	روبيتان	٢٤ روبية	
(١٢) سيد عبد الهادي؛ ماجهي واره	روبيتان	٢٤ روبية	
(١٣) الدكتور عبد الحكيم خان؛كلية الطب لاهور ،	روبيتان	٢٤ روبية	
(١٤) المولوي نظام الدين الرنغ	١ روبية	١٢ روبية	

الاسم	الشهري	السنوي	التسديد
فوري			
(١٥) ميان شادي خان؛ خادم راجه أمر سنغ	نصف روبية	٦ روبيات	
(١٦) ميرزا خدا بخش؛ ماليركوتله	٣ روبيات	٣٦ روبية	
(١٧) المولوي غلام حسن البشاوري	١ روبية	١٢ روبية	
(١٨) سيد خصلت علي شاه؛ ضابط الشرطة	٣ روبيات	٣٦ روبية	
(١٩) قاضي ضياء الدين؛ القاضيكوتي	أقل من عُشر الروبية	١ روبية	
(٢٠) المولوي قطب الدين؛ بدوملي	أقل من خُمس الروبية	روبيتان	
(٢١) سيد أمير علي شاه؛ موظف في الشرطة	أقل من روبية ونصف	١٦ روبية	
(٢٢) المولوي محمد يوسف السنوري	ربع روبية	٤ روبيات	
(٢٣) شيخ عبد الصمد السنوري	ربع روبية	٣ روبيات	١ روبية
(٢٤) المنشي أحمد بخش السنوري محدد الأراضي الزراعية مديرية بانغر	أقل من عُشر الروبية	١ روبية	١ روبية
(٢٥) الحافظ عظيم بخش؛ منطقة بتياله	أقل من عُشر الروبية	١ روبية	١ روبية
(٢٦) ميان عبد الكريم؛ منطقة بتياله	أقل من عُشر الروبية	١ روبية	١ روبية
(٢٧) سرفراز خان؛ عمدة بدوملي	نصف روبية	٦ روبيات	١ روبية

الاسم	الشهري	السنوي	التسديد
(٢٨) ميان الله دتا السيالكوتي	ربع روبية	٤ روبيات	
(٢٩) شاهزاده عبد المجيد اللدهيانوي	ربع روبية	٣ روبيات	١ روبية
(٣٠) الحافظ نور أحمد؛ تاجر من لدهيانه	نصف روبية	٦ روبيات	٦ روبيات
(٣١) شيخ عبد الحق اللدهيانوي	روبية واحدة	١٢ روبية	روبية واحدة
(٣٢) المنشي نبي بخش؛ موظف في مكتب الامتحانات، لاهور	نصف روبية	٦ روبيات	
(٣٣) المنشي تاج دين؛ محاسب في مكتب الامتحانات، لاهور	روبية واحدة	١٢ روبية	
(٣٤) الحافظ فضل أحمد؛ موظف في مكتب الامتحانات، لاهور	ربع روبية	٣ روبيات	
(٣٥) المولوي مفتي غلام جيلاني؛ معلّم، كهرو نوه	أقل من ربع الروبية	روبيتان	
(٣٦) المولوي عبد القادر؛ معلم، جمالبور، محافظة لدهيانه	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	روبية واحدة
(٣٧) المولوي قدرة الله البطالوي	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	روبية واحدة
(٣٨) بابو غلام محمد السيالكوتي	نصف روبية	٦ روبيات	
(٣٩) مهر عبد العزيز؛ المعروف بـ مهر نبي بخش البطالوي	روبية واحدة	١٢ روبية	
(٤٠) المنشي نظام الدين خوجه الجهلمي	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	روبية واحدة
(٤١) المنشي عبد المجيد؛ طالب في المدرسة البيطرية بلاهور	روبية واحدة	١٢ روبية	

الاسم	الشهري	السنوي	التسديد
(٤٢) شيخ جراغ دين؛ المقيم في قرية غلام نبي، محافظة غورداسبور	أقل من عُشر روبية	روبية ونصف	أقل من نصف روبية
(٤٣) المنشي كرم إلهي؛ موظف في الشرطة في لدهيانه	ربع الروبية	روبية واحدة	
(٤٤) المنشي كرم إلهي؛ مدرس مدرسة نصرة الإسلام، لاهور	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٤٥) ميان عمرا؛ المقيم في جمالبور، محافظة لدهيانه	ثُمن الروبية تقريبا	روبيتان	روبيتان
(٤٦) ميان خيرا؛ عمدة جمالبور، محافظة لدهيانه	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	روبية واحدة
(٤٧) المولوي مبارك علي السيالكوتي	ربع الروبية	٣ روبيات	
(٤٨) المنشي فياض علي الكبورتهلوي	ربع الروبية	٣ روبيات	
(٤٩) المنشي حبيب الرحمن	فوق ثُمن الروبية	روبيتان تقريبا	
(٥٠) المنشي محمد اروڑا	ربع الروبية	٣ روبيات	٣ روبيات
(٥١) المنشي علي غوهر الجالندهري	ثُمن الروبية	روبية ونصف	روبية ونصف
(٥٢) المنشي عبد الرحمن الكبورتهلوي	ربع الروبية	٣ روبيات	٣ روبيات
(٥٣) المولوي محمد حسين الكبورتهلوي	ثُمن الروبية	روبيتان	روبية واحدة
(٥٤) حكيم فتح محمد الكبورتهلوي	ثُمن الروبية	روبية ونصف	نصف روبية

الاسم	الشهري	السنوي	التسديد
(٥٥) ميان روشن دين الكبورتهلوي	ثُمن الروبية	روبية ونصف	روبية واحدة
(٥٦) المنشي ظفر أحمد الكبورتهلوي	ربع الروبية	٣ روبيات	
(٥٧) المنشي محمد خان الكبورتهلوي	ربع الروبية	٣ روبيات	
(٥٨) مرزا صفدر علي؛ خادم نواب محمد علي خان	ثُمن الروبية	روبيتان	روبيتان
(٥٩) مرزا إسماعيل بيك؛ قاديان محافظة غورداسبوره	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٦٠) الحافظ محمد علي الكبورتهلوي	ثُمن الروبية	روبية ونصف	روبية واحدة
(٦١) المنشي الله بخش السيالكوتي	ربع الروبية	٣ روبيات	٣ روبيات
(٦٢) المنشي عبد العزيز؛ موظف قسم الأنهار، أنباله، المقيم في دلهي، زقاق قاسم جان	روبية واحدة	١٢ روبية	روبية واحدة
(٦٣) المنشي إبراهيم؛ محدد الأراضي الزراعية، السنور	ثُمن الروبية	روبية ونصف	روبية واحدة
(٦٤) المنشي غلام قادر؛ محدد الأراضي الزراعية غهنوان، مديرية سرهند	أقل من ثُمن الروبية	روبية واحدة	روبية واحدة
(٦٥) ميان جمال الدين؛ المقيم في سيكهوان	ثُمن الروبية	روبية ونصف	ربع الروبية
(٦٦) عمر بخش؛ جلالبور جتّان، نزيل في جامون	أقل من ربع الروبية	٣ روبيات تقريبا	

الاسم	الشهري	السنوي	التسديد
(٦٧) المنشي غلاب دين؛ مدرس في مدرسة البنات، رهتاس محافظة جهلم	ثُمن الروبية	روبية ونصف	
(٦٨) ميان فضل كريم العطار؛ المقيم في سيالكوت	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٦٩) شيخ إمام الدين؛ المقيم في نوشهره، محافظة سيالكوت	روبية واحدة	١٢ روبية	خمس روبيات
(٧٠) المنشي غلام قادر فصيح؛ السيالكوتي	روبيتان	٢٤ روبية	
(٧١) ميان الله دِتّا؛ رهتاس، محافظة جهلم	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٧٢) ميان نور أحمد؛ المقيم في كهارا، محافظة غورداسبوره	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٧٣) ميان محمد الحداد ؛ المقيم في أمرتسر	ربع الروبية	٣ روبيات	روبية واحدة
(٧٤) ميان غلام حسين؛ المقيم في رهتاس، محافظة جلهم	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	روبية واحدة
(٧٥) ميان عطا إلهي المزارع؛ غوث غره، ولاية بتياله	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	روبية واحدة
(٧٦) بابو محكم الدين؛ مختار أمرتسر	روبية واحدة	١٢ روبية	
(٧٧) ميان ماهيا المزارع؛ غوث غره، ولاية بتياله	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٧٨) المنشي عبد الله؛ محدد	ربع الروبية	٣ روبيات	

الاسم	الشهري	السنوي	التسديد
الأراضي الزراعية، غوث غره			
(٧٩) حكيم محمد أشرف؛ خطيب بطاله	روبية واحدة	١٢ روبية	
(٨٠) المولوي تاج محمد؛ منطقة لدهيانه	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٨١) ميان أمير الدين؛ المقيم في جسوال، محافظة لدهيانه	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٨٢) ميان نور محمد؛ المزارع، غوث غره، بتياله	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٨٣) ميان محمدي؛ المزارع، غوث غره، بتياله	ثمانية ملّيمات	نصف روبية تقريبا	
(٨٤) ميان شهزاده؛ المزارع، غوث غره	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٨٥) ميان كرم إلهي؛ ابن مادا المزارع، غوث غره	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٨٦) ميان شاه محمد؛ المقيم في رام جوالي مسلمانان، منطقة كتهو ننغل	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	
(٨٧) شودري محمد سلطان؛ عضو البلدية، سيالكوت	٨ روبيات وربع تقريبا		
(٨٨) سيد محمد سعيد؛ كهركي، دلهي	ربع روبية	٣ روبيات	
(٨٩) ميان إسماعيل؛ المقيم في شمارو، ولاية بتياله	أقل من عُشر روبية	روبية واحدة	

الاسم	الشهري	السنوي	التسديد
(٩٠)حكيم محمد شاه السيالكوتي	نصف روبية	٦ روبيات	
(٩١) الحافظ عبد الرحمن الأمرتسري، نزيل بطاله	نصف روبية	٦ روبيات	
(٩٢) حكيم محمد أمين البطالوي	نصف روبية	٦ روبيات	
(٩٣) شيخ نور أحمد؛ صاحب مطبعة "رياض هند"	روبية واحدة	١٢ روبية	

جدير بانتباه الإخوة

مع أنه لا حاجة للتذكير المتكرر، ولكن ما دام في قلبي حماس شديد لخدمة الدين، لذا أكتب بضعة أسطر مرة أخرى لمزيد من التأكيد.

فيا جماعة المخلصين، كان الله معكم! نحن الآن في مواجهة مع جميع الأمم، ونأمل بفضل الله تعالى أن ننال الفتح إن لم نثبّط من عزيمتنا وعكوفنا على خدمة الإسلام بكل قلبنا وقوتنا وجلّ انتباهنا. فاسعوا لهذا الأمر بكل ما في وسعكم؛ ففي الوقت الحالي نحن بحاجة ملحة إلى جمعية ذات ثلاث شعب تتوقف عليها أعمالنا في أمر نشر حقائق الدين ومعارفه.

أولا: يجب أن تكون عندنا مطبعتان على الأقل. ثانيا: أن يكون هناك ناسخ ذو خط جميل. ثالثا: الأوراق. والمبلغ الذي قُدّر لهذه النفقات يبلغ مئتين وخمسين روبية تقريبا كل شهر. فعلى جميع الإخوة أن يسهموا في هذا التبرع بأسرع ما يمكن بقدر استطاعتهم ومقدرتهم، ويجب أن تصل هذه التبرعات شهريا بتاريخ محدد دائما. وقد اقتُرح أن يُنشر ما تبقّى من البراهين الأحمدية وتُصدر جريدةٌ أيضا. أما الحاجات التي ستطرأ في المستقبل، فسوف ننشر عنها كتيبات لقضائها بحسب مقتضى الأمر بين حين وآخر. ولما كان هذا المشروع كله يتوقف على التبرعات، فيجب التفكير جيدا قبل تحديد مبلغ التبرع الذي تستطيعون دفعه كل شهر بسهولة حتى يصلنا ذلك المبلغ شهريا.

فيا أبطال الدين؛ اِسعَوا جاهدين، فالوقت وقت المجاهدة، وانفخوا في قلوبكم حماسا لمواساة الدين، فهذه هي أيام الحماس. لا تستطيعون أن تُرضوا الله تعالى بأي عمل بقدر ما تستطيعون فعل ذلك بخدمة الدين. فاستيقِظوا وانتبهوا وتقدَّموا لمواساة الدين حتى تدعو لكم الملائكة في السماء قائلين: جزاكم الله. فلا تحزنوا على أن

الناس يكفّرونكم، وأثبِتوا إسلامكم لله تعالى، واخضعوا أمامه إلى درجة الفناء.

[١٧٩]*"يا أيها الأصدقاء؛ ضحُّوا بأرواحكم لذلك الحبيب الحقيقي، وافدُوا نفوسكم وقلوبكم في سبيل ذلك الحبيب الحميم.*

القلب المرتاح الذي يبحث عن الأفراح في هذا العالم، حوِّلوه إلى بيت الفناء من أجل دين محمد ﷺ.

يا رجال الله؛ اتركوا حياة الراحة والرفاهية، وضحّوا بأنفسكم من أجل الإسلام."

****

[١٧٩] *ترجمة أبيات فارسية. (المترجم)*

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وقائع الجلسة السنوية المنعقدة في قاديان، محافظة غورداسبوره، بتاريخ ١٨٩٢/١٢/٢٧م في بيت مجدد الوقت، مسيح الزمان، ميرزا غلام أحمد سلّمه الرحمن، ورأيي الذي تبنَّيتُه بعد لقاء الميرزا المحترم والحضور في الجلسة ومقابلة الحضور

كان الميرزا المحترم يعلم جيدا أني لا أعارضه فقط، بل أستخدم بحقه كلمات نابية أيضا، وهذا ما صدر مني أكثر من مرة، ومع ذلك دعاني للاشتراك في الجلسة، وأرسل بضع رسائل بهذا الشأن منها رسالة بالبريد المسجل أيضا. مع أنني ما كنت أنوي الذهاب بسبب الجهل والمعارضة، ولكن كتابة الميرزا المحترم إليّ بالتكرار شجّعتني على ذلك. لو لم يكتب الميرزا المحترم إليَّ بهذا اللطف لما ذهبتُ قط وبقيت محروما. ولكن هذه الأخلاق الفاضلة هي ميزة خاصة به، إذ إن المشايخ المعاصرين لا يعاملون والدهم أيضا بهذا اللطف والاحترام.

على أية حال، وصلتُ إلى قاديان قبل الظهر بتاريخ ٢٧، حيث كان المولوي الحكيم نور الدين يلقي كلمته في تأييد الميرزا المحترم، وكان على وشك الإنهاء، من المؤسف أني لم أسمعها بكاملها، ولكن سمعت من الناس أن بيانه كان ممتعا وشيقًا جدا. ثم أنشد السيد حامد شاه قصيدته في مدح الميرزا المحترم وبيان صدقه. ولما لم أكن راغبا إلى ذلك الحين، وكان قلبي ملوَّثا؛ فلم أسمعها بشوق وحب. غير أن الأبيات كانت جميلة، جزى الله المؤلِّف خيرا.

حين قابلتُ الميرزا المحترم استقبلني بحفاوة وأخلاق فاضلة فلانَ قلبي، وكأن نظره كان الكحل الذي أزال عن عيون قلبي غبار الكدورة، وبدأ ماء الغيظ والغضب يجف رويدا رويدا، وبدأ الحق يتراءى لي بصورة ضبابية بعض الشيء حتى تحسّن النظر

الباطني شيئا فشيئا. وفي الجلسة كان هناك أيضا كثير من الإخوة الآخرين -غير الميرزا المحترم- الذين كنت أنظر إليهم من قبل باحتقار وعداوة، أما الآن فبدأتُ أراهم بحب وأُلفة. وآلَت الحالة إلى أن الذين كانوا يحبون الميرزا المحترم من المشتركين في الجلسة إلى البارحة، صاروا أعزة إليّ أيضا. وبعد صلاة العصر ألقى الميرزا المحترم كلمته، وبسماعها زالت جلّ شبهاتي وفُتحت عيناي. وصبيحة اليوم التالي سرد أحد المحامين من "أمرتسر" قصته الغريبة التي أثبتتْ كرامة الميرزا المحترم العظيمة، وكانت القصة تتلخص في أن راويها كان ينتمي إلى أهل السنة والجماعة من قبل، وعندما شبّ تلقى تعليما تقليديا، وبسبب عدم الإلمام بعلوم الدين وكونِ المشايخ وأصحاب الزوايا المعاصرين غير ملتزمين، نشأتْ في قلبه شبهاتٌ. ولما لم يجد جوابا مقنعا من أيّ جانب، غيّر مذهبه بضع مرات؛ فانتقل من أهل السنّة إلى الشيعة، ولكن لم يجد عندهم إلا شتم الصحابة وطقوس العزاء. ثم انضم إلى الآريين وتذوّق طعم هذا المذهب أيضا لبعض الوقت، ولكن دون متعة. ثم انتقل إلى مذهب البراهمو واختار طريقهم، ولكن لم يجد المتعة هنالك أيضا. ثم انضم إلى أتباع المذهب الطبيعي، ولم يجد الطهارة الداخلية ولم يتذوّق طعم حب الله ولم يجد النور في أيِّ مكان. باختصار، إن هذا الشخص قابل الميرزا المحترمَ في نهاية المطاف ولكنه كان مسيئا الأدب، أما الميرزا المحترم فقد استقبله بحفاوة وتحدث معه بلطف، وكان من نتيجة ذلك أن ثبت على الإسلام كليا والتزم بالصلاة أيضا ضاربا مثالا أعلى، وصار مطيعا كاملا لله والرسول، والآن هو مريد مخلص للميرزا المحترم. وفي المساء ألقى السيد الميرزا المحترم خطابا مؤثرا جدا في بيت السيد نواب[١٨٠] المحترم، وسرد بعضا من رؤاه وإلهاماته، وشهد بتصديق الإلهامات بعض الناس الذين تحققت أمام أعينهم. وسرد أحد الإخوة بعد صلاة الفجر رؤيا السيد عبد الله الغزنوي رحمة الله عليه، ويعود

[١٨٠] هو النواب زعيم ماليركوتله، وكان شريكا في الجلسة مع لفيف من رفقائه، منه.

تاريخها إلى زمنٍ كان فيه السيد عبد الله يسكن في قرية "خَير دي". فقال عبد الله المحترم بأنه رأى محمد حسين البطالوي لابسا قميصا طويلا ولكنه تمزق إربا. وقال السيد عبد الله أيضا بأن المراد من القميص هو العلم، ويستطيع العاقل أن يفهم بنفسه أن المراد من التمزُّق هو فضح مرتبته العلمية كما يحدث في هذه الأيام، ولا يُعلم إلى متى سيستمر الحال على هذا المنوال؛ إذ إن الذي يؤذي وليّ الله فكأنه يحارب الله، ولا بد أن يُهزم. من هنا تبين لي بوضوح أن هؤلاء الناس غير أمناء كليا إذ يعُدّون السيد الميرزا المحترم دجالا وكذابا جالسين بعيدا دون اللقاء والنقاش، ويخترعون من كلامه معاني خاطئة، أو يقبلون تلقين غيره دون بحث وتمحيص ولا يبحثون الأمر مع الميرزا المحترم مباشرة، ويسمُّون العسل السماوي الذي يلفظه الميرزا المحترم سمًّا شيطانيا. وبسبب قسوة القلب وحُجُب العداوة يحسبون شراب الورد بَولا وهم جالسون بعيدا في عقر دارهم. أما العوام فيمتنعون عن تناول هذا العسل وشُربِ شراب الورد تقليدا لهم، فيخسرون كل شيء.

وفوق كل ذلك إن صديقي أو مقتدايَ القديم محمد حسين البطالوي عاكف على صرف الناس وتنفيرهم من السيد الميرزا المحترم، وقد دفعتُه أنا إلى سوء الظن بالسيد الميرزا المحترم فيما سبق، فأغواني هو هذه المرة، وأبعدَني عن الصراط المستقيم وبذلك أصبحنا سواسية، ولكن الشيخ البطالوي لا يزال يعاديه. وحين طلب الميرزا المحترم مني حضور الجلسة الآن، أوصل مخبرٌ هذا الخبر إلى الشيخ البطالوي، فبعث هذا الناصح المشفق إليّ رسالة بواسطة محاميه، كال فيها شتائم بذيئة بحق الميرزا المحترم، واستخدم كلمات نابية جدا لدرجة أستحيي من إعادتها. ولم يراعِ الشيخ أن السيد الميرزا المحترم - إضافة إلى كونه رجلا صالحا - هو من أقاربي الأقربين أيضا، مع كل ذلك يدّعي بحبي. واأسفاه!

لقد اشترك في هذا الاجتماع أكثر من ثلاث مئة شخص صالح ونبيل يقطر من

وجوههم نورُ الإسلام، وكان الحشد يضم الأثرياء والفقراء، النوُّاب والمهندسين، رؤساء المخافر والمديريات، والمزارعين والتجار والأطباء. باختصار، كان فيهم أناس من كل الفئات الاجتماعية. نعم كان هناك بعض المشايخ أيضا، ولكنهم كانوا مشايخ مساكين؛ فمن كرامات السيد الميرزا المحترم أن تقترن كلمة متواضعة أي "مسكين" مع المشايخ، إذ قد تمسكنوا ببركة صحبة الميرزا المحترم. وإلا فالشيخ المسكين، والصوفي المجتنب للبدعات في هذه الأيام، في حكم الكبريت الأحمر وبمنزلة الجوهرة النادرة.

على الشيخ محمد حسين أن يفكر في نفسه إلى أيّ مدى يحظى هو بالمسكنة. كلا، لو كان له نصيب من المسكنة لما آلت حالته إلى ما هي عليه الآن من الفساد، ولما بلغ أمره إلى هذه الدرجة، ولما عاداه أتباعُه وكرهوه إلى هذا الحد، ولما تبرّأ منه أغلبية أهل الحديث. ولو حسِب الشيخ البطالوي بياني هذا خاطئا، فأترك الأمر له، فليجهِّز بأمانةٍ وإنصاف قائمةً بأسماء أتباعه الذين يحبونه، كما يحب السيدَ الميرزا أتباعُه، ولينشرها.

يخبرني حدسي أن الوقت قريب حين يكتحل أهل البصيرة بغبار قدمَي الميرزا المحترم، ويعُدّونه أفضل من الإكسير ويتبركون به. إن للميرزا المحترم مئات الأصدقاء المخلصين الذين يضحون بأنفسهم من أجله، ولا يقولون له أفٍّ، دع عنك الاختلاف معه، بل يطيعونه بكل ما في الكلمة من معنى. وليخبرنا الشيخ محمد حسين بأسماء أربعة أو خمسة من تلاميذه على الأقل أو أصدقائه الذين يحبونه حبا صادقا لوجه الله ويفدونه قلبا وقالبا، وهم جاهزون ليضحوا له بأموالهم وكرامتهم. وإذا قال الشيخ بأن الناس لا يحبون الصادقين والصالحين بل يحبون الكاذبين والمكارين فلأسألنَّه: هل كان الصحابة وأهل البيت يحبون النبي ﷺ أم لا؟ وهل كانوا أتباعا مخلصين له ﷺ أم كانوا على خلاف معه؟ أذكّره بأمر من زمن ليس ببعيد يتبين منه

كم كان مريدو المولوي عبد الله الغزنوي، الذي كان مرشدي ومرشد الشيخ محمد حسين أيضا، يحبونه ويطيعونه؛ فقد سمعنا أنه قال ذات مرة لأحد مريديه أن يسافر إلى "نجد" الكائنة في بلاد العرب وينسخ "رسائل التوحيد" لمؤلفها محمد بن عبد الوهاب، فذهب المريد فورا دون أدنى توقف مع أنه لم يكن لديه حتى نفقات السفر والركوب. أما إذا أمر الشيخ محمد حسين أحد أصدقائه ليشتري له أدنى شيء من السوق بنقوده هو، فقد لا يقبل ذلك أيضا. وإن قبِل على مضض فلعله يشكوه عند الناس ويغتابه. فانظر هذا الفرق بين الثرى والثريا.

لقد كتبت ذلك على سبيل المثال لا الحصر. لقد خلا في كل قرن آلاف الأولياء الذين أُصدرت ضدهم فتاوى تكفيرية، ولكن كان مريدوهم يطيعونهم ويضحون بأرواحهم من أجلهم قلة كانوا أم كثرة. وهذه نتيجة حب الصالحين القلبي الذي يكنّونه تجاه الله تعالى. وما دام السيد الميرزا المحترم يحب الله تعالى حبا صادقا، فلذلك فقط نزل قبوله من السماء، ولا يزال حبه يزداد في قلوب السعداء من الناس رويدا رويدا على الرغم من معارضة المشايخ الشديدة. والآن، فليتأمل الشيخ محمد حسين – وإن انزعج من كلامي هذا – الذي يحسب نفسه "شمس البنجاب" أوضاعه ليرى كم من أناس يحبونه حبا صادقا، وما الحالة الباطنية لأصدقائه المخلصين. يقول الناس بأن الشيخ كان إنسانا جيدا في البداية ولكن الآن قد أسقطه حبه للجاه الدنيوي واعتزازه بالعلم والفضل من عرش الإكرام إلى حضيض المذلة، إنا لله وإنا إليه راجعون.

فليفكر الشيخ المحترم لماذا تردت الحالة إلى هذا الحد؟ ولماذا يكره الناسُ المشايخَ ولا سيما الشيخَ محمد حسين "زعيم المشايخ في البنجاب" – بحسب زعمه– إلى درجة اضطر لترك لاهور نهائيا؟ وإذا حضر لاهور صدفة لا يستطيع أن يدخل مسجد الموحدين بسبب التعنت والخجل. أما الميرزا المحترم – الذي هو الكافر بل

الأكفر والدجال بحسب زعم الشيخ - فجالس في بيته ويأتيه الناس مع عُدّتهم وعتادهم من لاهور، وأمرتسر، وبشاور، وجامون، وسيالكوت، وكبورتهله، ولدهيانه، ومومباي، ومن بلاد الشمال والغرب مثل أَوَدھ، ومكة المعظمة وغيرها. والقادمون ليسوا من أهل البدعة، وليسوا مشركين ولا جهالا ولا فقراء؛ بل هم الموحدون ومن أهل الحديث والمشايخ والمفتون وأولاد المرشدين والنبلاء والأثرياء والنوّاب والمحامون.

فهذا الوضع يجعل المرء يقف وقفة تأملية؛ كيف رفع الله جلّ شأنه السيدَ الميرزا المحترم على الرغم من محاولات الشيخ محمد حسين لإسقاطه، وجهده الجهيد لاستصدار الفتاوى بتكفيره من معظم المشايخ! وكم أمال إليه قلوب خلق الله، فيأتون إلى قاديان ببذل نقودهم مضحين براحتهم وتاركين بلادهم وينامون فيها على الأرض، بل لا بد أن يكونوا قد سهروا أيضا ليلة أو ليلتين حتما في القطار، وكثير منهم يأتونه مشيا على الأقدام. ولم أسمع من أيّ شخص كلمة شكوى. فكانوا يجتمعون حول الميرزا المحترم كما تجتمع الفراشات حول المصباح، وكلما قال شيئا أصغوا إليه تماما. وقد بايعه أربعون أو خمسون شخصا تقريبا في أثناء الجلسة هذه المرة. لقد ذكر السيد الميرزا المحترم تحقق النبوءة عن موت ميرزا أحمد بك أمام الناس جميعا، ثم أساءت مجلة "نور أفشان" إليه كثيرا. فلتعلم مجلة "نور أفشان" بأن النبوءات تتحقق على هذا المنوال دائما، وهذا لم يحصل لأحد من أهل الأديان اليوم إلا للمسلمين. فليفكر المسلمون وخاصة المعارضون؛ أليس غريبا أن يحقق الله تعالى نبوءات الكافر والأكفر والدجال والمكار مع أنه يفتري على الله تعالى بكثرة هائلة، ولا يضع في كلام "نائب رسول الله ﷺ"- بحسب زعمه - أدنى تأثير، بل يخزيه حتى يضطر ليهجر لاهور ويلوذ إلى بطاله؟

الأسف كل الأسف على عماية المشايخ المعاصرين الذين يرزحون تحت الحُجُب، فِعلا إن "العلم حجاب أكبر". ومع ذلك يُطلقون اسم الدجال والكافر على عبد

صالح يحبه الله تعالى لدرجةٍ كلّفه بخدمة دينه. وإن هذا العبد يحارب الآريين والبراهمو، والمسيحيين وأتباع مذهب الطبيعة، ولا يسع كافرا أن يواجهه. ولا يستطيع شيخ من المشايخ أن يصرف قلوب خلق الله عنه مع اعتبارهم إياه كافرا وملعونا ودجالا، وكأنه ﷻ بنفسه يخزي ويهين الذي يُعتبر "عصا موسى، واليد البيضاء"– بحسب زعم المشايخ– والعياذ بالله. لم تعد في نوّاب الرسول ﷺ بركة ولا نور. ولم يعودوا قادرين على أن يسيطروا حتى على بعض مريديهم أيضا، ويُظهروا نموذج الأخلاق المحمدية ليجعلوهم مشغوفين في حبهم. لا يقدرون على إصلاح مدينة واحدة، بل حارة واحدة، فضلا عن نشر الهداية في بلد ما والانتصار على معارضي الإسلام فيه. وعلى النقيض من ذلك فقد دعا السيد الميرزا المحترم إلى الإسلام معارضيه من الشرق والغرب وهزمهم، فلم يعد أحد منهم قادرا على المواجهة. فقد تسبّب في توبة كثير من أتباع مذهب الطبيعة الذين ما كادوا يُصلَحون بمساعي المشايخ، وقلل من تأثير هذا المذهب في البنجاب. فأتباع مذهب الطبيعة هؤلاء الذين ما كانوا مسلمين حتى صورةً، قد صاروا الآن مؤمنين سيرةً أيضا، وذلك بعد الاقتران بالميرزا المحترم.

لقد ترك الرشوةَ الموظفون العاديون وموظفو الشرطة، وتخلى عن المسكرات المدمنون عليها، وترك كثير من الناس النرجيلة. إن مريدي الميرزا الذين جاؤوا من الشيعة[١٨١] امتنعوا عن سبّ الصحابة وبدأوا يحبونهم، وتركوا العزاء وقراءة المراثي. إن أصحاب الزوايا الذين كانوا يكفّرون الشيخ محمد حسين البطالوي بل الشهيدَ محمد إسماعيل أيضا، بدأوا يعدّون مولانا إسماعيل الشهيد مرشدهم ومقتداهم بعد أن آمنوا بالميرزا المحترم. فإذا كان هذا هو تأثير الدجالين والكذابين، وكان نُوّاب الرسول محرومين من هذا التأثير الطيب، فنحن نقبل الدجالية بكل سرور. الشجرة تُعرف بثمارها، وقد عرف الناسُ اللهَ تعالى أيضا بصفاته، وإلا فلم ير أحد ذاته. ولو قلنا

[١٨١] أي هناك بعض من مريدي الميرزا المحترم الذين كانوا على مذهب الشيعة من قبل.

عن شخص سليم معافى تماما بأنه مريض، فلن يمرض بقولنا. كذلك لو أطلق أحدٌ على مَن كان مؤمنا صادقا عند الله وكان في قلبه حب الله ورسوله ﷺ لقب المنافق أو الكافر أو الدجال وغيرها، فما الضير في ذلك؟ إن إطلاق اسم "الأسود" على الأبيض، لا يجعله أسود. إن معاداة الخفاش للشمس لا تجعلها مذمومة. يمكن أن يتأذى حزب الحسين في حكومة اليزيديين، ولكن لا يمكن أن ينمحي، بل سيتقدم رويدا رويدا على الرغم من تكُّبد الإيذاء كما هو الحال على صعيد الواقع؛ بمعنى إن وضع المشايخ عراقيل في سبيل السيد الميرزا، لن يقضي على حزبه أبدا. بل إن مَثل ذلك كمثل النهر الذي لا يمكن إيقاف جريانه بإقامة سدٍّ أمامه. فقد يبدو متوقفا لبضعة أيام، ولكن السد سينهار في النهاية ويجري النهر بكل قوة وشدة من جديد، ويكتسح قرى المعارضين أمامه. إن العواصف والسحب لا يمكن أن تُخفي الشمس، بل تختفي بنفسها بعد بضعة أيام. كذلك إن الضجيج والشغب الحالي سيخمد قريبا، وتطلع شمس صدق الميرزا المحترم ساطعة. عندها يتوافق السعداء مع الميرزا المحترم نادمين ومتحسرين على أخطائهم السابقة، ويركبون سفينته التي تماثل سفينة نوح عليه السلام. ولكن الأشقياء سيحاولون إنقاذ أنفسهم بتسلق جبال مكائد مشايخهم وأكاذيبهم، ولكن سيفنون بالغرق في بحر الضلال إثر موجة واحدة. فاحمِنا يا ربنا في ملاذك وأعطنا فهمًا كاملا؛ فأنت حامي الأمة المحمدية، فارفعِ الحُجُب، واكشفِ الصدق، وأخرجِ المسلمين من الاختلاف إلى الصراط المستقيم. آمين يا رب العالمين.

إن صدق التعبير المتداول: "العلم حجاب أكبر" يتبين في هذه الأيام بوضوح تام. ما كنت أوافقه من قبل، ولكن الآن أصبحت أوقن به تماما. لا يعارض السيدَ الميرزا المحترم أحدٌ بقدر ما يعارضه المشايخ، بل الحق أن المشايخ هم الذين أغوَوا الآخرين أيضا، وإلا لبايعه إلى الآن آلاف الناس، ولانضم إليه جمْعٌ غفير، ولكن المعارضة ليست مما يثير العجب؛ لأنه لو لم يأت هذا الزمن المليء بالمفاسد التي لا

نظير لها في الأزمنة الخالية، لما بُعث مصلحٌ عظيم مثله. لقد جاء عيسى لقتل الدجال فقط، فلو لم يأت الدجال لاستحال مجيء عيسى. لولا ضلال العالم، لما كانت الحاجة إلى المهدي. إن الله تعالى يُتِمّ كل شيء في وقته المناسب.

يا ربنا ارزقنا حب رسولك ﷺ وحب أوليائك، وأعِذنا من التردد وعدم اليقين. وفِّقنا للأُلفة مع الصادقين واحمنا من الكاذبين. واقضِ على أنانيتنا ونجِّنا من الأطماع والهوى، آمين يا رب العالمين.

الراقم: ناصر نواب

في ١٨٩٣/١/٢م

أبيات أردية من نظم المولوي محمد عبد الله خان المحترم، نائب مدرس اللغة العربية في كلية "مهندر" في بتياله

"مَن كان في قلبه شيء من نور الصفاء، يضحي بمئة روح من أجل الحق والصدق.
يُنيب إلى الحق دائما ولا يخاف لومة لائم قط.
يستغرب الناظرون ويقولون: ماذا يجري؟ قل لهم إن هذا من محض فضل الله.

ضميمة جريدة "رياض هند" أمرتسر، العدد ١/٣/١٨٨٦م

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

[١٨٢] *"إن قلبي وروحي فداء جمال محمد ﷺ، وأتمنى أن أكون ترابا وفداءً لزقاق محمد ﷺ*

لقد رأيت بعين القلب وسمعت بأذن واعية بأنه في كل مكان يدوّي نداءُ جلال محمد ﷺ

إن هذا الينبوع الذي أوزّع منه على خلق الله، ليس إلا قطرة واحدة من بحر كمال محمد ﷺ

إن هذه النار هي من نار حب محمد، وهذا الماء الذي أوزّعه على الناس هو من زلال محمد ﷺ."

كتيب "سراج منير" المحتوي على آيات الرب القدير

لقد أردتُ أنا العبد الضعيف (مؤلف البراهين الأحمدية) تأليف هذا الكتيب بهدف أن أضع أمام أعين منكري حقيَّة الإسلام ومكذبي سيدنا خير الأنام عليه ألف ألف سلام، سراجا منيرا ينبعث منه النور في كل ناحية كجوهرة لامعة، ويحتوي على النبوءات العظيمة التي لم تتحقق بعد. فالله جلّ شأنه وعز اسمه الذي يعلم الأسرار الكامنة؛ أطلعني أنا العبدَ الضعيف على بعض الأسرار الخفية والأخبار الغيبية، ووفقني لأداء هذا الواجب الثقيل. الحق أنه بفضله ورحمته نجّاني من الموافقين والمعارضين النشيطين من كل جهة، *كما يقول التعبير الفارسي:* "أوجَزَ القصة، وإلا فكانت مدعاة للصداع الشديد".

---

[١٨٢] *ترجمة أبيات فارسية. (المترجم)*

أما الآن، فقد أوشك الكتيب على النهاية، ولم يبق منه إلا عمل بضعة أسابيع فقط بإذن الله القدير[١٨٣]. هذا الكتيب يتضمن نبوءات من ثلاثة أنواع. النوع الأول: النبوءات التي تتعلق بشخصي أنا العبد الضعيف؛ أي ما يتعلق بي من الراحة أو الألم أو الحياة أو الممات. كذلك سُجل فيها بعض أفضال الله تعالى وإنعاماته التي وُعدتُ بها.

النوع الثاني من النبوءات يتعلق ببعض الإخوة أو بأي شخص معين أو ببني البشر بوجه عام. وهناك بعض الأمور التي لم تُنجز بعد ولكنها أيضا ستكتمل بإذن الله تعالى.

النوع الثالث من النبوءات يتعلق بزعماء الأديان الأخرى أو وُعّاظها أو أفرادها. وفي هذا القسم اخترتُ على سبيل المثال بعض الأشخاص فقط من الآريين وبعض الهندوس من قاديان الذين توجد الأنباء المختلفة عنهم؛ لأن نشاطا جديدا وإنكارا شديدا ملحوظٌ فيهم حصرا في هذه الأيام. وبهذه المناسبة ندعو الله تعالى أيضا أن يحمي حكومتنا الإنجليزية المحسنة لنا من أيدي الظالمين، التي بسبب إحساناتها نحظى بتفرّغ تام وحرية تامة وزاوية خلوة ومكان آمن وراحة. وأن يورّط اللهُ "الرُّوس" المنحوسين في متاهاتهم مشتبكين فيها ويرزق حكومتنا الفتح والنصرة. وسننشر في مكان مناسب من الكتيب بإذن الله بشارات عن ذلك أيضا (إذا تلقيناها). ولأن أمر النبوءات ليس في يد الإنسان حتى تكون مبنية على البشارات دائما، لذا أقول بكل تواضع لجميع الموافقين والمعارضين بأنهم إذا وجدوا نبوءة عنهم تشق عليهم

[١٨٣] لم يُنشر هذا الكتيب بناء على بعض الحِكم إلى اليوم الموافق ١٨٩٣/٢/٢٥م، ولكن نُشرت في مواضع مختلفة بعض النبوءات التي تضمَّنَها، وستُنشر في المستقبل أيضا بإذن الله. منه.

(مثل الخبر عن الموت أو عن مصيبة أخرى) فليعذروني، وخاصة أولئك الذين يتعذر عليهم إحسان الظن بسبب الاختلاف والمغايرة الدينية ولكونهم غير عارفين بالأسرار مثل المنشي "اِندِرْ مَنْ" المراد آبادي، والبانديت ليكهرام الفشاوري وغيرهما من الذين قد أكتب في هذا الكتاب شيئا عن قضاء الله وقدره بحقهم مع ذكر الموعد والتاريخ. فأقول لهم بصدق القلب بأني لا أكنّ شيئا من الإساءة إلى أحد قط؛ بل يعلم ربي الكريم جيدا أني أريد الخير للجميع، ومستعد للإحسان مقابل الإساءة، وأن صدري منوَّر وعامر بمواساة البشر أجمعين، وأطلب الراحة والعافية للجميع. ولكن إذا كان هناك أمر مؤلم يتعلق بأحد الموافقين أو المعارضين أو بشخصي، فأنا مضطر ومعذور في ذلك تماما. أما إذ ثبت أن ذلك الأمر الذي آذى قلب أحد، قد كان كذبا بحتا؛ فسأستحق لعنا وطعنا شديدا بل عقوبة أيضا.

أقول حلفا بالله وأُشهد اللهَ عالم الغيب على أن قلبي عامر بحسن النية، ولا أعادي أيّ شخص قط. ومهما كانت بذاءة لسان أحد ومهما كان مسيئا الظنَ، ومهما آذاني لعدم خشيته الله، فسأدعو له أن ارزقْه يا ربي القدير عقلا وفهمًا. وأعذُرُه في أفكاره النجسة وكلامه غير اللائق، لأني أعلم أن طينته ما زالت هكذا، ولا تزال فطنته ونظرته عاجزة عن الوصول إلى الحقائق السنيَّة.

"*إن الزاهد المتمسك بالظاهر ليس مطّلعا على حالنا، فلا نبالي بما يقول في حقنا.*"[١٨٤]

وبناء على الرحمة العامة التي أودعها الله تعالى بي بصورة طبيعية، لو أُخبرتُ إلهامًا بأمر شاقٍّ أو نبوءة مهيبة عن شخص فسأنشرها مضطرا في كتابي ونفسي مثقلة

---

[١٨٤] *ترجمة بيت فارسي. (المترجم)*

بالحزن. ولقد كشف اللهُ عليّ عن نفسي، وعن أقاربي من ناحية الأجداد، وعن الأصدقاء، وعن إخواننا الفلاسفة من قومنا الذين هم بمنزلة نجوم الهند، وكذلك عن أميرٍ من بلادنا (أي من أصل بنجابي) بعض الأنباء الموحشة التي تدل على ابتلاء أحد أو موته أو أحد أقربائه، وسأكتبها بإذن الله القدير بعد انجلاء الأمر. وأدعو الله تعالى للجميع؛ لأني أعلم أن القدر إذا كان معلّقا، يمكن رده بالدعاء بفضل الله تعالى. لذا يرجع الراجعون إلى المقبولين عند المصائب، ويرتدعون عن التجاسر والسلوك غير المستقيم. ومع كل ذلك لو شقّت نبوءة على أحد، فهو مجاز أن يخبرني في رسالة موقَّعة في غضون أسبوعين بالضبط، من تاريخ ١٨٨٦/٣/١م أو من تاريخ نشرها لأول مرة في جريدةٍ ما، وذلك حتى لا تُنشر في الكتاب نبوءة يهابها، وألا نُطلعه عليها باعتبارها مؤلمة له، وألا نخبر أحدا بموعد تحققها.

فمن جملة هذه النبوءات الثلاث التي ستُسجَّل بالتفصيل في الكتاب. النبوءة الأولى تتعلق بهذا العبد الحقير، أكتبها هنا اليوم أي بتاريخ ١٨٨٦/٢/٢٠م الموافق ١٥ جمادى الأولى باختصار الكلمات الإلهامية مراعاة للإيجاز، وسأسجّلها في الكتاب بالتفصيل بإذن الله.

النبوءة الأولى بإلهام الله تعالى وإعلامه ﷻ. فقد خاطبني الله الرحيم الكريم المجيد القادر على كل شيء (جلّ شأنه وعزّ اسمه) بالإلهام وقال:

"إني سأُنعمُ عليك بآية رحمة بحسْبما سألتَني، فسمعتُ تضرعاتِك، وقد شرّفتُ أدعيتَك بالقبول بخالص رحمتي، وباركتُ رحلتَك هذه (التي قمتَ بها إلى مدينة هوشياربور، ولدهيانه).

آيةُ قدرةٍ ورحمةٍ وقربٍ ستوهَب لك. آيةُ فضلٍ وإحسانٍ ستُمنَح لك. ومفتاحُ

فتحٍ وظَفَرٍ سيُعطى لك. سلام عليك يا مظفَّر. قال الله ذلك لكي ينجو مِن براثن الموت مَن يبتغون الحياة، ويُبعَث مَن دُفن في القبور، وحتى يتجلى شرفُ الإسلام وعَظَمةُ كلام الله، وليأتي الحق بكل بركاته، ويزهقَ الباطلُ بكل نحوسته، وليدركَ الناسُ أني أنا القادر أفعلُ ما أريد، وليوقنوا أني معك، وليرى آيةً بيّنة مَن لا يؤمنون بالله وينظرون إلى الله تعالى ودينه وكتابه ورسوله الطاهر محمد المصطفى ﷺ نظرةَ رفض وتكذيب، ولتستبينَ سبيلُ المجرمين.

فبشرى لك، فإن صبيا وجيها طاهرا سوف يوهب لك. وإنّ غلاما زكيا سيوهب لك وسيكون مِن صلبك ومِن ذريتك ونسلِك. غلام جميل وطاهر سوف يأتي ضيفا عليك، اسمه عنموائيل وبشير أيضا.

لقد أوتيَ روحا مقدسة، وهو نقيٌّ مِن كل دنسٍ ورجسٍ. هو نورُ الله. مباركٌ من يأتي من السماء. سيصحَبه الفضلُ الذي سيأتي معه. إنه ذو شوكة وعظمة وثروة. سيأتي في الدنيا، ويشفي الكثيرين من أمراضهم بنَفَسِه المسيحي وببركةِ روح القدس، إنه كلمة الله، لأن رحمة الله وغيرتَه قد أرسلتْه بكلمات تمجيدية. وسيكون ذكيا بشكل خارق وفهيما وحليمَ القلب. سوف يُملأ بالعلوم ظاهرةً وباطنةً. سوف يجعل الثلاثةَ أربعةً (لم يتضح لي معنى هذه الجملة). إنه يوم الاثنين. فبوركَ يومُ الاثنين. ولدٌ صالح كريم ذكي مبارَك، مَظهَر الأولِ والآخِرِ، مَظهَرُ الحق والعَلاء، كأن الله نزل من السماء. ظهوره مبارك جدا، وبظهوره ينكشف الجلالُ الإلهي. يأتيك نورٌ مسَحه الله بطيبِ رضوانه. سوف ننفُخ فيه روحنا. سوف يُظِلُّه اللهُ بظله. سوف ينمو سريعا ويكون وسيلة لفك رقاب الأسارى. يَذيع صيته إلى أقصى الأرضين وسيتبارك به أقوام. وحينئذ سوف يُرفع إلى نقطته النفسية أي السماء وكان أمرا مقضيا."

ثم قال لي الله جلّ شأنه مبشرا: سيُملأ بيتك بالبركات وسأُتم عليك نعمتي، يَكثر نسلك من السيدات المباركات اللواتي ستجد بعضهن فيما بعد. وسأزيد وأبارك في ذريتك كثيرا، ولكن بعضهم سيموتون في الصغر. وينتشر نسلك في البلاد بكثرة. ويُقطع كل فرع من إخوتك من الأجداد، وينتهي سريعا إذ يموتون أباترة. وإن لم يتوبوا فسينزِّل الله عليهم بلاء تلو بلاء حتى تنمحي آثارهم، وستمتلئ بيوتهم بالأرامل، وسينزل الغضب على جدرانهم. ولكنهم إن تابوا تاب الله عليهم بالرحمة. إن الله سينشر بركاتك في كل حدب وصوب، ويعمر بك بيتا خربا، ويملأ بيتا موحشا بالبركات[١٨٥]. لن تنقطع ذريتك بل تبقى مخضرّة إلى آخر الأيام. سيُبقي الله تعالى اسمك بالعزة والمكرمة إلى انقطاع الدنيا، وسيبلّغ دعوتك إلى أقصى أطراف الأرضين. سأرفعك وأدعوك إليّ، ولكن لن يُمحى اسمك من صفحة الأرض. والذين يريدون إهانتك ويعكفون على إفشالك ويفكرون في القضاء عليك سوف يفشلون بأنفسهم ويموتون بالخيبة والخسران. ولكن الله يرزقك فلاحا كاملا ويعطيك جميع مراداتك. سأُكثِر من حزب محبيك المخلصين وأبارك في نفوسهم وأموالهم، وأُكثر عددهم. وسيكونون غالبين إلى يوم القيامة على حزب المسلمين الآخرين الذين هم حزب الحاسدين والمعاندين. لن ينساهم الله، ولن يخذلهم بل سينالون أجورهم على قدر

---

[١٨٥] ملحوظة: هذه إشارة إلى نبوءة نُشرت في إعلان ١٨٨٨/٧/١٠م، وتتخلص في أن الله تعالى قد حقق نبوءة كآية بحق أقاربي المعارضين والمنكرين بأنه إن لم يزوِّجني المدعو أحمد بيك ابنتَه الكبرى فسيموت في غضون ثلاث سنين بل في وقت أقرب منها. والذي ينكحها سيموت أيضا في غضون سنتين ونصف من تاريخ القران. وفي نهاية المطاف تترمل تلك السيدة وتدخل في زوجاتي. فهذا هو البيت المراد به من البيت الخرب. منه.

إخلاصهم. أنت مني بمنزلة أنبياء بني إسرائيل (أي تماثلهم بصورة ظلية)[١٨٦]. أنت مني بمنزلة توحيدي. أنت مني وأنا منك. إن الوقت قريب بل هو على الأبواب حين يلقي الله حبك في قلوب الملوك والأثرياء حتى إنهم سيتبركون بثيابك. يا أيها المنكرون ومعارضي الحق إن كنتم في ريب من عبدنا، وإن كنتم تنكرون فضلنا وإحساننا الذي أنزلناه على عبدنا؛ فأتوا بآية رحمة على صدقكم مثل هذه الآية إن كنتم صادقين. وإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا؛ فاتقوا النار التي أُعدت للعصاة والكاذبين والذين يتجاوزون الحدود.

الراقم

العبد الضعيف: غلام أحمد؛ مؤلف (البراهين الأحمدية)

هوشياربور؛ منزل الزعيم شيخ مهر علي

في ١٨٨٦/٢/٢٠م

[١٨٦] حاشية: إن كمال الشخص من الأمة هو أن يماثل نبيَّه المتبوعَ بل جميعَ الأنبياء عليهم السلام المتبوعين. هذه هي حقيقة الطاعة الكاملة والغاية المتوخاة منها التي أُمرنا بالدعاء من أجلها في سورة الفاتحة. بل هذا هو مقتضى فطرة الإنسان، ولهذا السبب يسمِّي المسلمون تفاؤلا أولادهم باسم عيسى وداود وموسى ويعقوب ومحمد وغيرها من أسماء الأنبياء عليهم السلام. ويقصدون من ذلك أن تتولد فيهم أيضا الأخلاق والبركات نفسها بصورة ظلية، فتدبّر. منه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاشية المتعلقة بالصفحة ٢ من إعلان ١٨٨٦/٢/٢٠م المسجل في كتاب "مرآة كمالات الإسلام".

[١٨٧] "*إن أعجبَ الأنوارِ لهو نوُر نفسِ محمدٍ ﷺ*
وإن أروعَ الجواهرِ لجواهرُ معدنِ محمدٍ ﷺ
تتطهر من جميع الظلمات
قلوب أولئك الذين يصيرون من طائفة محمد ﷺ
إنني لأستغرب من أولئك الجاهلين.
الذين يُعرِضون عن مائدة محمد ﷺ
لا أرى أحدا في كلا العالَمينِ.
يبلغ سمو وعظمة محمد ﷺ
إن الله بريء من ذلك
القلب الذي يكنّ الضغينة لمحمد ﷺ
سيحرق الله تلك الدودة الخسيسة
التي تصير من أعداء محمد ﷺ
إذا أردتَ التخلص من سكرات النفس
فكن من المنتشين بعشق محمد ﷺ
وإذا أردتَ أن يُثني عليك إلهك الحق
فكن ممّن يمدحون محمدًا ﷺ
وإذا طلبتَ على صدقه دليلا، فكن من عُشاقه
لأن وجوده هو أكبر دليل على صدق محمد ﷺ

[١٨٧] *العبارة المائلة هي ترجمة قصيدة فارسية (المترجم).*

إن رأسي فداء غبار قدَمي أحمد ﷺ
وقلبي فداء في سبيل محمد ﷺ
بل أنا فداء شَعر رسول الله ﷺ
وأنا فداء وجه محمد ﷺ
إنني وإن أُقتَل في هذه السبيل وأُحرَق
فلن أُولّي دُبري عن إيوان محمد ﷺ
لا أخشى أحدا في سبيل الدين
لأني متصّبغ بصبغة إيمان محمد ﷺ
ما أسهل الانقطاع عن الدنيا كلها
بذكرِ حُسنِ وإحسانِ محمد ﷺ
إن كل ذرّة من كياني فداء في سبيله
لأنني قد شاهدت جمالا خفيا لمحمد ﷺ
لا أعرف اسم أي أستاذ
فقد تعلمتُ في مدرسة محمد ﷺ
مالي ولأي حبيب آخر
فإني قتيل جمال محمد ﷺ
إني أتوق إلى نظرة تحنن من محمد ﷺ
ولا أرضى إلا برياض محمد ﷺ
لا تبحثوا عن قلبي الملتاع في صدري
لأني قد ربطتُه بأذيال محمد ﷺ
أنا من طيور القدس السعيدة
التي اتخذت أعشاشها في بستان محمد ﷺ

يا نفسَ محمدٍ قد تَنورتِ نفسي بعشقك

فدًى لكِ نفسي يا نفسَ محمد ﷺ

إنني ولو فديتُ بمئة نفس في هذه السبيل

لما لاق ذلك بعظمة محمد ﷺ

ما أروعَ الهيبةَ التي وهبها الله لهذا الفتى

فلا أحد يجرؤ على مبارزة محمد ﷺ

احذرْ أيها العدو الجاهل الغبي الضال

وخفْ السيف الصارم لمحمد ﷺ

والتمِس صراط الله المستقيم الذي ضل عنه الناس

في آل وأعوان محمد ﷺ

حذارِ يا من تنكر شأن محمد ﷺ

وحذار يا من تنكر نورا مبينا لمحمد ﷺ

لا شك أن الكرامات والخوارق قد اختفت اليوم من العالم

لكن تعال لتراها عند غلمان محمد ﷺ".

نبوءة عن ليكهرام الفشاوري

فليتضح أني قلت لإِنْدَرْمَن المرادآبادي، وليكهرام الفشاوري في الإعلان المنشور في ١٨٨٦/٢/٢٠م والملحق بهذا الكتاب بأني سأنشر بعض النبوءات عن قدرهما إذا

رغبا في ذلك. فأعرض اِنْدِرْمَنْ بعد هذا الإعلان ومات بعد فترة وجيزة. أما ليكهرام فبعث إلي ببطاقة بكل تجاسر قال فيها: أسمح لك أن تنشر عني ما يحلو لك من النبوءات. فتوجهت إلى الدعاء بحقه، وتلقيتُ من الله جلّ شأنه إلهاما نصه:

"عجلٌ جسدٌ له خوار، له نَصَبٌ وعذابٌ"

أي أنه مجرد عجل لا روح فيه ويصدر منه صوت مقرف، وقد قُدرت له مقابل تجاسره وبذاءاته عقوبةٌ وحزن وعذاب سيصيبه حتما.

أما اليوم - الاثنين الموافق لـ ١٨٩٣/٢/٢٠م- فقد توجهت إلى الدعاء للاستعلام عن وقت العذاب، فكشف الله عليّ أن عذابا شديدا سيحل به في ستة أعوام من هذا اليوم، وذلك عقوبةً على بذاءة اللسان والإساءات التي ارتكبها في حق رسول الله ﷺ. فبنشر هذه النبوءة أؤكد لكافة المسلمين والآريين والمسيحيين والفِرق الأخرى أنه إن لم ينزل على هذا الشخص- خلال ستة أعوام من اليوم- عذابٌ[١٨٨] خارقٌ للعادة يختلف عن المعاناة العادية ويضم في طياته هيبة إلهية، فاعلموا أني لست من الله، وأن نطقي هذا ليس بروح منه. ولو ثبت كذبي في هذه النبوءة لكنت جاهزا لتحمل أي نوع من العقوبة، وسأكون راضيا أن أُقتَل شنقا.

وواضح أيضا من إقراري هذا أنه لو ثبت كذب أحد في نبوءته، لكان ذلك مدعاة خزي له ما بعده خزيٌ. ولا يسعني أن أقول أكثر من ذلك.

ليكن معلوما أن هذا الشخص ارتكب في حق رسول الله ﷺ إساءات شنيعة تقشعر لتصورها الأبدان. إن كتبه مليئة بأسوأ أنواع التحقير والازدراء والشتائم. هل من مسلم يقرأ كتبه ولا يتمزق قلبه وكبده! إن هذا الشخص مع كل تجاسره ووقاحته جاهل تماما وليس لديه أدنى إلمام بالعربية، بل ليس قادرا حتى على الكتابة بالأردية البليغة أيضا. وهذه النبوءة ليست وليدة صدفة، بل قد دعوت الله تعالى لهذه البُغية

---

[١٨٨] يجب على الآريين الآن أن يدعوا دعاءً جماعيا ليُرفع هذا العذاب عن محاميهم. منه.

بوجه خاص وأُجيب دعائي. فهذه النبوءة آية للمسلمين أيضا لعلهم يدركون الحقيقة وتلين قلوبهم. أما بعد فأنهي كلامي باسم الله ﷻ الذي بدأت باسمه.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد المصطفى، أفضل الرسل وخير الورى، سيدنا وسيد كل ما في الأرض والسماء.

العبد المتواضع ميرزا **غلام أحمد** من قاديان، محافظة غورداسبوره

(١٨٩٣/٢/٢٠م)

الإعلان عن كتاب "مرآة كمالات الإسلام"

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ

"أيها الأحبة إن نصرة الدين المتين عمل لا يتسنى للإنسان ولو بألف زهد". [١٨٩]

فليتضح أن هذا الكتاب القيّم الذي اسمه الجليل مذكور في العنوان أَلَّفتُه بهدف أن يعرف الناس كمالات القرآن الكريم وليطّلعوا على تعليم الإسلام السامي، وإني لأستحيي من قولي بأني أَلَّفتُه؛ لأنني أرى أن الله نصرني نصرا عجيبا في تأليفه من البداية إلى النهاية، وأودعه لطائف ونكات غريبة تفوق قدرات الإنسان العادية كثيرا. إنني أعلم جيدا أنه لآيةٌ أظهرها الله ﷻ ليُعلَم كيف يؤيد الإسلام بتأييداته الخاصة في أيام غربته، وكيف يتجلى على قلب شخص ضعيف ويخيِّب مكائد مئات آلاف الناس ويمزِّق صولاتهم إربا. إنني أتمنّى بشدة أن يقرأ هذا الكتاب أولاد المسلمين وذرية شرفائهم الذين تزداد أمام أعينهم زلات العلوم الحديثة يوما فيوما. لو كانت عندي سعةٌ من المال لوزّعتُ نُسخَه كلها مجانا لوجه الله.

فيا أيها الأحبة، إن هذا الكتاب نموذجٌ لقدرة الله، وإلا فلا يمكن لمساعي الإنسان العادية أن تُنشئ هذا القدر من كنوز المعارف. إنه يقارب ست مئة صفحة، وطُبع على ورق عالي الجودة وبخط جميل، وثمنه روبيتان إضافة إلى رسوم البريد؛ وهذا فيما يتعلق بالجزء الأول منه، أما الجزء الثاني فسيُطبع منفصلا وبسعر مختلف.

يحتوي هذا الكتاب - بالإضافة إلى حقائق القرآن الكريم ومعارفه ولطائف كتاب الرب العزيز- على قدر كبير من الأنباء أيضا التي كنت أودّ في البداية أن أنشرها في كتابي: "سراج منير"، وإن وَجد المشترون الكتابَ خلاف ما كتبتُ في تعريفه فأرضى أن يعيدوه إليّ، وسأرجع لهم ثمنه دون أدنى تأخير؛ ولكن بشرط أن يعيدوا الكتاب في غضون أسبوعين ودون أن يكون مهترئا بسبب كثرة التداول

---

[١٨٩] *ترجمة بيت فارسي.*

بالأيدي.

وأريد القول في الأخير بأنني تشرَّفت بزيارة رسول الله ﷺ مرتين في أثناء تأليف هذا الكتاب، وأظهر ﷺ سروره البالغ على تأليفه. ورأيت أيضا في أحد الليالي أن ملاكا يرغِّب قلوب الناس في هذا الكتاب بصوت عال ويقول ما نصه: "**هذا كتاب مبارك، فقوموا للإجلال والإكرام**."

فملخص القول بأن الذين يريدون شراءه يجب أن يخبروني بلا تأخير بعزمهم الصميم لنرسله إليهم بالبريد مقابل دفع الثمن.

والسلام على من اتبع الهدى

العبد الضعيف، غلام أحمد من قاديان محافظة غورداسبوره، البنجاب.

(طُبع في مطبعة "رياض هند" بقاديان)

شيخ مهر علي؛ زعيم هوشيار بور

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي

"*ما أخزى الله قوما ما لم يُعذِّب قلبُ عبده*"[١٩٠]

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾

كيف ينسى الإنسان التواضع مع أنه شيء لا يُذكر على الإطلاق وليس إلا كحفنةٍ من تراب! عندما يهدأ ألمه قليلا ويتمكن من التحرّك بشيء من السهولة، يغيّر نبرة تواضعه فورا. لعل جميع الناس في البنجاب يعرفون شيخ مهر علي المحترم زعيم هوشيار بور، وأظن أن قصة التهمة التي أُلصقَت به بسبب بعض تقصيراته الكامنة التي يعلمها الله وحده، معروفة لدى الصغار والنساء أيضا في بلادنا. لا تهمنا الآن تلك القصة المنسيّة، ولكن أريد التوضيح أنني قد أُرِيت في الرؤيا قبل ستة أشهر من القصة أن نارا اندلعت في أرضية مجلس الشيخ المحترم، وأطفأتها بصب الماء عليها مرارا، وفي الوقت نفسه ألقى الله في رُوعي باليقين الكامل تفسير الرؤيا بأن مصيبة عويصة ستحل بالشيخ المحترم وعِرضه، والمراد من صبِّي الماءَ هو أن هذه المصيبة ستُرفع نتيجة دعائي وليس بأي سبب آخر. وبعد هذه الرؤيا أطلعتُ عليها الشيخ المحترم برسالة مفصلة ووجّهته إلى التوبة والاستغفار، ولكنه لم يرد عليها. ثم حدث ذلك بالضبط بعد ستة أشهر تقريبا، حين كنت في معسكر أنباله؛ إذ جاءني شخص اسمه "محمد بخش" أرسله إلي السيد "جان محمد" (ابن الشيخ المذكور) وقال بأن الشيخ المحترم سُجن بناء على قضية كذا وكذا. فسألتُه عن رسالتي التي كنت قد أخبرته بها قبل ستة أشهر بحلول البلاء. عندها أبدى عدم معرفته بوصول الرسالة،

---

[١٩٠] *ترجمة بيت فارسي. (المترجم)*

ولكن الشيخ أقرّ عدة مرات بعد أن أُطلق سراحه بأنه وجدها في صندوق عنده. على أية حال، كان الشيخ المحترم مسجونا، ولكن جاءتني عدة رسائل من قِبل ابنه جان محمد- ربما بتوقيع من محمد بخش، وهو من معارفه- طلب فيها الدعاء. والله جلّ شأنه يعلم أني دعوتُ إلى عدة ليالٍ بمجاهدة شاقة. كان القضاء والقدر يبدو معقَّدا جدا ومبرما في بداية الأمر، ولكن الله تعالى أجاب دعائي في الأخير وبشَّرني بإطلاق سراحه، فأطلعتُ ابنه على ذلك بكلمات وجيزة.

هذه هي حقيقة الحادث، ولكن سمعتُ بعد ذلك أن الشيخ المحترم ينكر الرسالة التي أخبرته بها بإطلاق سراحه، وبالتالي يستنتج الناس بأني كذبت. ولدفع هذه الفتنة طلبتُ من الشيخ المحترم رسالتي التي كنت قد أخبرته فيها بإطلاق سراحه، فلم يرسلها، بل أشار في رسالته المحررة في ١٨٩٢/٦/١٩م إلى أنها ضاعت. وبالإضافة إلى ذلك كتب على لسان ابنه جان محمد بأنه لا يذكر خبر البراءة على وجه القطعية، إلا أن الكلمات كانت: سوف يرحم الله، سأدعو لك[١٩١]، أو ما شابهها. إلى هنا انتهى هذا الجزء من القضية. إن رسالة الشيخ المحترم موجودة عندي، ولكني علمت الآن من رسائل بعض أصدقائي وبياناتهم أن الشيخ المحترم يشيع أنه ما أُطلِع على بشارة إطلاق سراحه، وليس ذلك فحسب؛ بل يتهمني أيضا بأني أعرف أني لم أبعث إليه أية رسالة، وأني حثثتُ الشيخ على الكذب، وأريد أن يدلي من أجلي ببيان كاذب يفيد أني كنت قد أخبرته بإطلاق سراحه وذلك كأني كتبت إلى الشيخ

---

[١٩١] لم تكن كلماتي بأني سأدعو لك، بل كانت: لقد دعوت كثيرا. وفي الفقرة الأخيرة بشرّته بالبراءة ونزول فضل الله تعالى. كانت تلك الكلمات مختصرة، ولكنها كانت مصداق "ما قلّ ودلّ". إن الله ليس محتاجا لأحد وليس مثل المداهنين، بل تكون معظم بشاراته محتوية على الإشارات فقط. إن قوله "نعم" أو "لا" أكثر ثقة من ألف سِجِلٍّ من الناس. ولكن الجهال والمستكبرين من أهل الدنيا يريدون أن يلقي الله تعالى أيضا خطابات طويلة مثل حاملي الرسائل، ليستيقنوا ويعدّوا الكلام قاطعا. منه.

في إحدى رسائلي بأنه ليس صحيحا في الحقيقة أني أخبرته قبل الأوان بإطلاق سراحه نبوءةً، ولكن رجوته أن يكتب ذلك من أجلي ومراعاة لي، لكي تظهر كرامتي! لقد تأسفت كثيرا حين اطلعت على هذا التصرف من الشيخ المحترم، إنا لله وإنا إليه راجعون.

والله أعلم بأني كنت قد أخبرتُ الشيخ المحترم حتما عن بداية قصته ومصيرها، وكلتا النبوءتين صحيحة. وقد بعثت إليه الرسالة المحتوية على كلتيهما، وقد طلبتُ منه الرسالة نفسها أو محتواها. فإذا كان الشيخ المحترم قد قال ذلك في الحقيقة، فبماذا عساني أن أرد به على افترائه؟ أرجو من القراء الكرام أن يطلبوا منه رسائلي ويقرأوها معا وبإمعان[١٩٢]. لو كانت في الشيخ المحترم مسحة من الفهم لكان بإمكانه أن يدرك من رسالتي المحتوية على نبوءتي الأولى بأن المراد كان إخباره بإطلاق سراحه، لأنه يُفهم منها بالبداهة أن أسْره سوف يُفكّ بواسطتي أنا فقط؛ والسبب في ذلك أني كنت قد أخبرته بأني أنا الذي أطفأت النار بصبّ الماء عليها.

ألا يذكر الشيخ المحترم أنه عندما جاء إلى بيتي في لدهيانه مدْعُوًّا للطعام ذكر تلك الرسالة وأجهش بالبكاء، ولعل بعض دموعه سقطت على الخبز أيضا؟ فكيف لم يعد يذكر صَبِّيَ الماء على النار؟ وإن لم أكن قد نشرتُ خبر إطلاق سراحه،

١٩٢ من الأنسب أن يطلب القراء الكرام من الشيخ رسائلي كلها التي كتبتها له قرب تلك التواريخ ويقرأوها. لم أطلب في أية رسالة من رسائلي قط أن يكتب الشيخ شيئا يخالف واقع الأمر. بل قد أخبرتُه بمضمون رسالتي السابقة، وكنت آمل أنه سيذكره عند التذكير. فبناء على ذلك قلتُ بأن هذا هو ملخص رسالتي السابقة، وأريد منك تصديقه. ولكن للأسف الشديد أخفى الشيخ رسالتي تعنتا منه، وافترى علي بأني طلبت منه أن يكذب. والله أعلم أني لم أُرد إلا تصديق مضمون إحدى رسائلي. وإن لم أكن على الحق فيجب على الشيخ أن يقدم رسالتي المتنازَع فيها، والتي يقرّ بوصولها إليه. وليس ذلك فحسب، بل أقرّ أيضا بأنه ورد فيها: "سيرحم الله". منه.

فكيف اشتهر إذًا بين مئات الناس قبل فكّ أسره؟ ولماذا استعجل[١٩٣] بالاعتراض على صدق الخبر بعضُ أقاربه الذين ما زالوا على قيد الحياة؟ ولماذا بعث إليّ ملخص رسالتي أنه قد جاء فيها فقط: "سيرحم الله"؟ ما هذا التجاسر في حضرة الله أن تؤذي قلبي بإلصاق التهمة بي في المجالس؟

على أية حال، أكتب فيما يلي، تنازلا، أسلوبا سهلا للحكم في صدقي أو كذبي، وهو:

الحكم

لقد دعوت للحكم السماوي ليلة ١٨٩٣/٢/٢٥م هذه متألما تألما شديدا بسبب كلام الشيخ المحترم. وأُريتُ في المنام أني أرسلت مبلغا معينا إلى صاحب محل ليرسل لي مقابله شيئا جميلا ذا رائحة زكية، ولكنه أخذ المبلغ وأرسل شيئا ذا رائحة كريهة. غضبتُ لرؤيته وقلتُ: اذهبوا وقولوا لصاحب المحل أن يرسل لي الشيء المطلوب وإلا سأرفع القضية ضده على خديعته وستعاقبه المحكمة بالسجن لستة أشهر على الأقل، بل يُتوقع أكثر من ذلك فلعل صاحب المحل قال عندئذ في الجواب: هذا ليس عملي، أو ليس الأمر في يدي ولعله قال أيضا: هناك مجنون يتجول هنا وهناك، فأثّر ذلك في قلبي فأخطأت، ولكني جاهز الآن لإرسال الشيء المطلوب. فسّرت الرؤيا بأن الشيخ المحترم مصيره الندم، ولسوف يندم في نهاية المطاف، وبأن قلبه متأثر حاليا بشخص آخر. ثم ركّزت على الأمر فتلقيتُ الوحي:

---

[١٩٣] لقد كرّر أحد أقاربك- ولعله ابن أختك؛ الشيخ ميران بخش، من سكان "دسوهه"- يأسَه عند خادمي الشيخ حامد علي، من إطلاق سراحك في مدينة أمرتسر في دكانه بحضور الشيخ السندهي خان من سكان مدينة خانبور، وقال بأن الميرزا غلام أحمد يقول بأنه سيُطلق سراحه ولكنه على وشك أن يُشنق. ويقول الشيخ حامد علي بأنه قال له: يجب أن تعترض بعد مشاهدة عاقبة الأمور. منه

"إنا نرى تقلّب وجهك في السماء، نقلّب في السماء ما قلّبتَ في الأرض. إنا معك، نرفعك درجات." أي نرى في السماء أن قلبك تقلّب من مواساة "مهر علي" إلى الدعاء عليه؛ فسنقلّب الأمر في السماء كما تقلّبه في الأرض.

لذا أُرسِل هذا الإعلان إلى الشيخ المحترم بالبريد المسجل بأنه إن لم يبعث إلي في غضون أسبوع رسالة بنية نشرها طالبا فيها العفو عما عاثه من فساد على عكس الحقيقة، فستُرفع القضية بيني وبينه في السماء، وسأسحب أدعيتي التي دعوت بها لطول عمره واستعادة كرامته وراحته وهذا ما بُشِّرتُ به بصراحة تامة. وما لم ينشر الشيخ المحترم طلب العفو عن افتراءاته عليّ؛ فستكون علامة صدقي وكوني على الحق أن تأثير أدعيتي سيظهر فيه حتما كما وعدني الله تعالى. لا أستطيع أن أحدد لذلك تاريخا في الوقت الحالي لأن الله تعالى لم يكشف عليّ أي تاريخ بعد. وإن لم يؤثر دعائي سأكون كاذبا دون أدنى شك كما يزعم الشيخ المحترم.

أقول حلفا بالله جلّ شأنه بأني كنت قد أخبرت الشيخ المذكور قبل حلول المصيبة وبعدها أيضا. وإن كنت كاذبا فسينجو الشيخ من دعائي كليا، ويكون ذلك دليلا كافيا على كوني كاذبا. لو كان الأمر مقتصرا على شخصي فقط لصبرت، ولكن له تأثير سلبي في الدين ويسبب انتشار الضلال في العوام؛ لذا فقد دعوت الله تعالى لتأييد الدين فقط، وأجابه الله تعالى. إن أهل الدنيا يستكبرون اعتمادا على دنياهم، أما أولياء الله فيتحلون بالشموخ. يتولد الكبر بسبب اعتماد المرء على نفسه، أما الشموخ فينشأ بالتوكل على الله تعالى، فهذا أيضا يشكّل علامة إما على صدقي أو كذبي. إنني أدّعي أن الشيخ المحترم نجا نتيجة دعائي فقط كما صببت الماء على النار. وإن لم أكن صادقا في ادّعائي، سوف تظهر ذلتي لا محالة. والسلام على من اتبع الهدى.

الراقم: العبد الضعيف؛ **غلام أحمد**، من قاديان، محافظة غورداسبوره.

(طُبع في مطبعة "رياض هند" بقاديان)

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، أفضل الرسل وخاتم النبيين

الإعلان

لقد ألّفت كتاب "البراهين الأحمدية" ملهَمًا ومأمورا من الله بهدف إصلاح الدين وتجديده، وألحقت به إعلان جائزة قدرها عشرة آلاف روبية، وملخصه هو أن الدين الذي هو من عند الله والصادق في العالم الذي بواسطته يؤمن الإنسان بالله تعالى إيمانًا بريئا من كل عيب ونقيصة ويؤمن بكافة صفاته المقدسة والكاملة بصدق القلب هو الإسلام وحده الذي تسطع بركات صدقه كالشمس، ويلمع فيه نور الصدق كالنهار الساطع. أما الأديان الأخرى فواضحة البطلان بحيث لا تثبت مبادئها صحيحة وصادقة على مِحَكّ التحقيق العقلي ولا تُنال بالسلوك عليها أدنى بركة روحانية ولا أي قبول عند الله، بل إن الالتزام بها يجعل الإنسان عَمِهًا وأسود القلب إلى أقصى الحدود، وتبرز للعيان بوادر شقاوته في هذه الدنيا.

لقد أُثبت صدق الإسلام في هذا الكتاب بطريقتين:

(١) بثلاثمئة دليل عقلي قوي ودامغ، تتبين عظمتها وشأنها وشوكتها من أنه قد أُلحق بالكتاب إعلان جائزة عشرة آلاف روبية لمَن يستطيع نقضَ هذه الأدلة من معارضي الإسلام. وإذا أراد أحد فله أن يأخذ إقرارا خطيا مسجلا عند المحكمة اطمئنانا لقلبه.

(٢) من خلال الآيات السماوية التي لا بد منها لإثبات صدق الدين الحق بصورة كاملة. وبُغية إظهار صدق الإسلام كالشمس في كبد السماء أثبتُّ في البند الثاني آيات من ثلاثة أنواع. أولا: الآيات التي رآها المعارضون في زمن النبي ﷺ تظهر على يده وبدعائه وتركيزه وبركته، وقد سجلتُها في الكتاب وفق تسلسلها التاريخي

مدعِّمًا إياها بأدلة قوية. ثانيا: الآيات التي توجد في القرآن الكريم نفسه بصورة دائمة وأبدية ومنقطعة النظير، وقد بيّنتُها للجميع ببيان جامع ومفصّل، ولم أترك لأحد مجالا للعذر. ثالثا: الآيات التي يرثها أحد من الأتباع نتيجة اتّباعه واقتدائه بكتاب الله والرسول الحق ﷺ. ولإثبات ذلك قدّمتُ أنا عبد الله الضعيف بفضل الله القادر على كل شيء دليلا واضحا على أن كثيرا من الإلهامات الصادقة والخوارق والكرامات والأخبار الغيبية والأسرار اللدنية والكشوف الصادقة والأدعية المستجابة قد تحققت على يدي أنا الخادم للدين الحنيف، ويشهد على صدقها كثير من معارضي الدين (مثل الآريين وغيرهم) شهادة عيان، وقد سجّلتها في الكتاب. وقد أُخبِرت أيضا أنني مجدد العصر وأن كمالاتي تماثل كمالات المسيح ابن مريم من حيث الروحانية، وهناك مماثلة ومشابهة قوية بيننا. وأنني قد فُضِّلت - على غرار الأنبياء والرسل الخواص، ببركة اتّباع سيدنا خير البشر وأفضل الرسل ﷺ فقط - على كثير من أكابر الأولياء الذين سبقوني. وأن التأسي بأسوتي مدعاة للنجاة والسعادة والبركة. وأن معاداتي تسبب البُعد والحرمان. فكل هذه الإثباتات تتبين بقراءة "البراهين الأحمدية" الذي نُشر منه نحو ٣٧ قسما من أصل ٣٠٠، وإني جاهز دائما لإقناع طالب الحق إقناعا تاما؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا فخر. والسلام على من اتبع الهدى.

وإن لم يشأ أحد بعد هذا الإعلان أيضا أن يطلب كطالب صادق حلّ عقدة تخالج قلبه، ولم يحضر إلي بصدق القلب؛ فقد تمت حجتنا عليه وهو مسؤول عنها أمام الله تعالى. وفي الأخير أنهي هذا الإعلان على الدعاء: اللهم اهد القلوب المستعدة من جميع الأمم ليؤمنوا برسولك المقبول، أفضل الرسل محمد المصطفى ﷺ، وبكلامك الكامل والمقدس القرآن الكريم ويعملوا بأوامره كي يحظوا بكافة البركات والسعادات والبحبوحة الحقيقية التي ينالها المؤمنون في كِلا العالمَينِ. ولكي يحظوا بالنجاة والحياة الأبدية- التي لا تُنال في العقبى فقط بل ينالها الصالحون الصادقون

في هذه الدنيا- ولا سيما الإنجليز الذين لم ينالوا إلى الآن نورا قط من شمس الصدق هذه، والذين جعلتنا حكومتهم المؤدَّبة والمتحضرة والمتعاطفة ممتنين لها بإحسانها ومعاملتها المبنية على اللطف، ونفخت فينا حماسا قلبيا لأن نبتغي لها أمنا وسلاما في الدين والدنيا لكي تكون وجوههم البيضاء منيرة في الآخرة أيضا كما هي جميلة في الدنيا.

فنسأل الله خيرهم في الدنيا والآخرة. اللهم اهدهم وأيّدهم بروح منك واجعل لهم حظا كثيرا في دينك واجذبهم بحولك وقوتك ليؤمنوا بكتابك ورسولك ويدخلوا في دين الله أفواجا. آمين، ثم آمين، والحمد لله رب العالمين.

المعلن

العبد الضعيف: ميرزا غلام أحمد من قاديان؛ محافظة غورداسبوره، البنجاب

(نُشر بعشرين ألف نسخة)

الخاتمة

قصيدة فارسية في شكر الله وحمده تعالى شأنه وجَلّ اسمه بجميع الأنوار

"فدتك نفسي يا حبيبي ويا محسني، ما قصَّرتَ بحقي شيئا حتى أقصّر بحقك
كل أمنية ومرام طلبْتُه من الغيب، وكل بُغية كانت في ذهني
قد حققتَها كلها بفضلك ورحمتك، فقد حللت بيتي بلطفك
ما كنتُ أعرف عن الحب والوفاء شيئا، فأنت الذي وهبتني كل هذه الثروة
فقد جعلت هذا التراب الأسود إكسيرا، وقد راقني جمالك وحدك فقط
إن جلاء قلبي ليس ناتجا عن الزهد وكثرة العبادة، بل أنت الذي نوّرتني بألطافك
لستُ إلا حفنة من التراب وقد أسديتَ إلي آلاف المنن، وكل ذرة من كياني مثقَلة بمننك
إنّ ترك العالَمينِ سهل للغاية إذا حظيتُ برضاك يا ملاذي وملجئي ويا دار الأمان
لا يهمني فصل الربيع وموسم الأزهار، لأنني بسبب ذكرى وجهك في بستانٍ دائم
أنّى تكون لي حاجة لمعلِّم آخر، فقد تربيتُ في حضن ربي المهيمن
لقد دنتْ مني رحمته الأزلية بحيث بدأ صوت الحبيب يتصاعد من كل زقاق من أزقتي
ربِّ اجعلني ثابتا وقويا في كل خطوة، وأرجو ألا يطلع يوم أنقض فيه عهدي معك
إذا جرت سنَّة أن تُقطع رؤوس المحبين في زقاقك، فسأكون أول من يهتف بحبك".

TRANSLATION OF THE VERNACULAR NOTICE ON REVERSE

***

Being inspired and commanded by God, I have undertaken the compilation of a book named "Barahin-i-Ahmadia," with the object of reforming and reviewing the religion, and have offered a reward of Rs. ١٠,٠٠٠ to anyone who would prove the arguments brought forward therein to be false. My object in this Book is to show that only true and the only revealed religion by means of which one might know God to be free from blemish, and obtain a strong conviction as to the perfection of His attributes is the religion of Islam, in which the blessings of truth shine forth like sun, and the impress of veracity is as vividly bright as the day-light. All other religions are so palpably and manifestly false that neither their principles can stand the test of reasoning nor their followers experience least spiritual edification. On the contrary those religions so obscure the mind and divest it of discernment that signs of future misery among the followers become apparent even in this world.

That the Muhammadan religion is the only true religion has been shown in this book in two ways: (١st), By means of ٣٠٠ very strong and sound arguments based on mental reasoning (their cogency and sublimity being inferred from the fact that a reward of Rs. ١٠,٠٠٠ has been offered by me to any one refuting them, and from my further readiness to have this offer registered for the satisfaction of any one who might ask for it): (٢), From those Divine signs which are essential for the complete and satisfactory proof of a true religion. With a view to establish that Muhammadan religion is the only true religion in the world, I have adduced under this latter head ٣ kinds of evidences: (١), The miracles performed by the Prophet during his life time either by deeds or words which were witnessed by people of other persuasions and are inserted in this book in a chronological order (based on the best kind of evidences): (٢), The marks which are inseparably adherent in the Al-Quran itself, and are perpetual and everlasting, the nature of which has been fully expounded for facility of comprehension (٣), The signs which by way of inheritances devolve on any believer in the Book of God and the follower of the true Prophet. As an illustration of this, I, the humble creature of God, by His help have clearly evinced myself to be possessed of such virtues by the achieving of many unusual and supernatural deeds by foretelling future events and secrets, and by obtaining from God the objects of my prayers to all of which many persons of different persuasions like Aryas, & c., have been eye-witness (A full description of these will be found in the said book).

I am also inspired that I am the Reformer of my time, and that as regards spiritual excellence, my virtues bear a very close similarity and strict analogy to those of Jesus Christ, in the same way as the distinguished chief of Prophets were assigned a higher rank than that of other Prophets, I also by virtue of being a follower of the August Person (the benefactor of mankind, the best of the messengers of God) am favored with a higher rank than that assigned to many of the Saints and Holy Personages preceding me. To follow my footsteps will be a blessing and the means of salvation, whereas any antogonism to me will result in estrangement and disappointment. All these evidences will be found by perusal of the book which will consist of nearly ٤٨٠٠ pages of which about ٥٩٢ pages have been published. I am always ready to satisfy and convince any seeker of truth. "All this is a Grace of God He gives it to whomsoever He likes, and there is no bragging in this." "Peace be to all the followers of righteousness!"

If after the publication of this notice any one does not take the trouble of becoming earnest enquirer after the truth and does not come forward with an unbiassed mind to seek it then, my challenging (discussion) with him ends here and he shall be answerable to God.

Now I conclude this notice with the following prayer: *Oh Gracious God! guide the pliable hearts of all the nations, so that they may have faith on Thy chosen Prophet (Muhammad) and on Thy holy Al-Quran, and that they may follow the commandments contained therein, so that they may thus be benefited by the peace and the true happiness which are specially enjoyed by the true Muslims in both the worlds, and may obtain absolution and eternal life which is not only procurable in the next world, but is also enjoyed by the truthful and honest people even in this world. Especially the English nation who have not as yet availed themselves of the sunshine of truth, and whose civilized, prudent and merciful empire has, by obliging us by numerous acts of kindness and friendly treatments, exceedingly encouraged us to try our utmost for their numerous acts of welfare, so that their fair faces may shine with heavenly effulgence in the next world. We beseech God for their well being in this world and the next. Oh God! guide them and help them with Thy grace, and instil in their minds the love for Thy religion, and attract them with Thy power, so that they may have faith on Thy Book and Prophet, and embrace Thy religion in groups. Amen! Amen!"*

"Praise be to God the supporter of creation!"

(Sd.) MIRZA GULAM AHMAD
Chief of Qadian, District Gurdaspur, Punjab, India.

Ripon Press, Lahore, Punjab.

الحاشية[١٩٤]

والهدف من القَسم هنا هو البيان أنه ما من نفس إلا وعليها حافظٌ، بمعنى أن على كل نفس من نفوس المخلوقات ملاكا موكَّلا يراقبها ويبقى معها دائما. وقد أورد الله تعالى هذه الآية بحصرها في كلمة "كلّ"، فثبت من ذلك بوضوح تام أن كلّ ما يمكن أن يُطلَق عليه اسم "نفس" تحفظه الملائكة. فبحسب هذه الآية لا بد من الاعتقاد عن نفوس الكواكب أيضا أن جميع الكواكب بما فيها الشمس والقمر وزحل والمشتري تحفظها الملائكة؛ بمعنى أنّ لكلٍّ من الشمس والقمر وغيرهما ملاكا موكَّلا بها يحفظها ويدير أعمالها على أحسن وجه[١٩٥].

هنا تنشأ عدة اعتراضات على الآية نفسها ودحضها واجب علينا؛ فمن جملتها أنه ما دام لا يحظى **بروح القدس** إلا المقربون الذين يصلون إلى مرتبة البقاء واللقاء فكيف يمكن أن يكون هناك حافظ على كل واحد؟ فجوابه أن نزول روح القدس بوجه كامل يكون على المقربين فقط، ولكن يحظى غيرهم أيضا بتأييده إجمالا بحسب مراتب حبهم وإخلاصهم. ليس المراد من بياني المذكور إلا أن كيفية التجلّي الأعلى لروح القدس هي أنه حينما ينزل حب الله تعالى على حب الإنسان في مرتبة البقاء واللقاء يتولد هذا **التجلّي الأعلى** لروح القدس بالتقاء هذين الحبين، بحيث تكون التجليات الأخرى مقابله كالمعدوم. ولكن هذا لا يعني أنه ليس للتجليات الأخرى

---

[١٩٤] *هذه الحاشية بدأت بصفحة ٧٠ في الكتاب، ولكننا أخرناها إلى هنا لطولها وجعلناها ملحقا للكتاب بإذن من سيدنا أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره العزيز. (المترجم)*

[١٩٥] ملحوظة: تؤيد هذا المفهومَ آية أخرى أيضا وهي: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك: ٦) ولأن الملائكة هي التي ترجُم وليست النجوم، فثبت من ذلك قطعا أن على كل نجم ملاكا موكَّلا ولأن الملائكة بمنزلة الروح للنجوم لشدة العلاقة بينها لذا نُسب فعل الملائكة إلى النجوم، فتدبَّر. منه.

وجود قط. إن الله لا يضيع حبا خالصا وإن كان مثقال ذرة. إن حبه ﷻ ينزل على حب الإنسان، وبالقدر نفسه يتولد بريق روح القدس. إن من سنة الله المستمرة أن حب الله يظل ينزل بقدر الحبّ من الجانب الآخر. وعندما يجري بحر حب الإنسان ينزل منه ﷻ بحر آخر. وحين يلتقي البحران ينشأ فيهما نور عظيم الشأن يسمَّى في اصطلاحنا روح القدس. ولكن كما نرى أنه لو وُضعت بضع غرامات من السكر في عشرين لترًا من الماء فلن نشعر بأيّ طعم للسكر وسيبقى الماء دون مذاق، حيث لا يمكن القول إنه حلو المذاق، ولكن لا يصح في الوقت نفسه القول بأن السكر لم يُوضع فيه. فهذا هو حال روح القدس إذ ينزل على الناقصين بصورة ناقصة، فلا شك في نزوله على أية حال، لأن الإنسان الأدنى أيضا يتوجه إلى الحسنات بتأثير روح القدس فقط؛ ففي بعض الأحيان يرى الفاسق والفاجر أيضا رؤيا صادقة. وهذا كله بتأثير روح القدس كما هو ثابت من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة. ولكن هذه العلاقة ليست شيئا يُذكر بل هي كالمعدوم مقابل علاقته العظيمة مع المقدسين والمقربين.

كيفية النزول الناقص لروح القدس

ومن جملتها سؤال: ما دام روح القدس موكَّلا بمنع الإنسان من السيئات فلماذا تصدر من الإنسان الذنوب ولماذا يرتكب الكفرَ والفسق والفجور؟ فجوابه: لقد قيّض الله تعالى **داعيَين روحانيَين** لابتلاء الناس؛ أحدهما **الداعي إلى الخير** واسمه روح القدس، والثاني هو **الداعي إلى الشر** واسمه إبليس وكذلك الشيطان. وكِلاهما يدعوان إما إلى الخير أو إلى الشر، ولكنهما لا يُكرِهان على شيء كما أُشير في الآية: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٩) أيْ أن الله تعالى يُلهم السيئة والحسنة أيضا. إن وسيلة إلهام السيئة هو الشيطان إذ يلقي في القلوب أفكارا سيئة، ووسيلة إلهام الحسنة هو روح القدس إذ يلقي في القلوب أفكارا حسنة. ولأن

الرد على أنّه إذا كان روح القدس يرافق كل إنسان فلماذا تصدر أعمال سيئة من بني آدم

الله تعالى هو **علة العلل** فقد نسب ﷻ كلا الإلهامين لنفسه، لأنه هو الذي يدبِّر كل ذلك، وإلا فما هي حقيقة الشيطان حتى يوسوس في قلب أحد، وما هي حقيقة روح القدس ليهدي أحدا إلى سبل التقوى؟!

لا يعلّم القرآن أن الشيطان يستطيع أن يُجبر أحدا، ولا يعلّم أن الشيطان وحده وُكِّل قرينا للإنسان فيلقي أفكارا سيئة في قلبه، بل أُعطي الإنسان ملهِم الخير وملهِم الشر كليهما

إن معارضينا من الآريا الهندوس والبراهمة والمسيحيين يعترضون على تعليم القرآن الكريم لقصر نظرهم ويقولون بأن تعليمه يُثبت أن الله تعالى قد قرن الشيطان بالإنسان قصدا وكأنه ﷻ بنفسه يقصد إضلال خلق الله. ولكن هذا خطأ معاندينا المتسرعين. عليهم أن يعلموا أنه ليس من تعليم القرآن الكريم أن الشيطان يستطيع أن يُكره أحدا على الضلال، وليس من تعليمه أن الشيطان وحده موكَّل بالدعوة إلى السيئات فقط. بل التعليم هو أن الإنسان قد أُعطي لـمَّة الملاك ولـمَّة الشيطان على حد سواء بُغية الابتلاء والامتحان.[196] أيْ أُعطي له الداعي إلى الخير والداعي إلى الشر ليُبتلى الإنسانُ فيستحق الثواب أو العقاب. ولو خُلقت للإنسان أسباب من نوع واحد كأنْ تجذبه الأسباب الخارجية والداخلية إلى الحسنات فقط، أو إذا أُعطي فطرة لا يستطيع بسببها أن يعمل شيئا سوى الأعمال الصالحة، لما كان هناك سبب لينال المرء مرتبة قربٍ كامل قط نتيجة كسبه الأعمال الصالحة، إذ أنه حائز على جميع الأسباب والقوى لكسب الأعمال الصالحة فقط. كذلك إذا كانت فطرته مسلوبة الرغبة في السيئة منذ البداية فبأي حقٍّ سينال الثواب على اجتنابه السيئة؟ فمثلاً إذا

[196] ملحوظة: لا ينخدعنّ أحد هنا من كلمة الابتلاء فيقول ما حاجة الله عالم الغيب للامتحان والابتلاء؟ لا شك أنه ﷻ ليس بحاجة إليهما ولكن لما كان الغرض الحقيقي من وراء الابتلاء هو إظهار الحقائق الخفية فقد ورد هذا اللفظ في كتب الله تعالى. فلا يبتلي ﷻ أحدًا لعدم علمه، بل لكي يُظهر على الشخص الممتحَن حقيقتَه فيما أن فيه فسادا أو صلاحا معينا، وكذلك لكي يكشف حقيقته على الآخرين أيضا. منه.

كان أحد عِنّينا منذ البداية ولا رغبة له في النساء، ثم لو بيّن في مجلسٍ بأني كنتُ في صحبة فتيات شابات جميلات في وقت كذا وكذا ولكني صالح تقي ولم أنظر إليهن بشهوة ولو مرة واحدة بل خشيت الله؛ فلا شك أن جميع الناس سيضحكون على بيانه هذا وسيقولون ساخرين: يا أيها الغبي متى كانت لديك تلك القدرة حتى تعتز بوضع حدٍّ لها أو تتوقع ثوابًا؟

فليكن واضحا أن السالك في حالته الابتدائية أو المتوسطة يتولد في قلبه أمل في الثواب بسبب معارضته لرغباته. أما في مراحل السلوك التي تصبح فيها فطرته غير قابلة لكسب السيئة، فلا يبقى فيها مستحقا للثواب أيضا من هذا النوع. فمثلا لا نملك مثل العقرب أو الحية سمًّا نستطيع أن نضرّ به أحدا كما تضرّ الحية أو العقرب؛ فلا نستحق أيّ ثواب عند الله على ترك سيئة من هذا القبيل.

إن آمال الثواب كلها تنشأ نتيجة العواطف العادية

فثبت من هذا التحقيق أن الدوافع إلى المعصية التي تنشأ في الإنسان وتجذبه إلى السيئة هي التي تجعله مستحقا للثواب في الحقيقة؛ لأن الإنسان حين يهجر الدوافع إلى المعصية خشيةً لله يستحق المديح عنده ﷻ دون شك ويُرضي ربه. أما الذي يبلغ المقام الأخير حيث تتلاشى المشاعر وكأن شيطانه قد أسلم، فإن الثوابَ يبقى، لأنه قد اجتاز مقامات الابتلاء بكل شجاعة وبسالة. وكذلك إن الصالح الذي يكسب أعمالا صالحة في شبابه، ينال ثوابها في شيخوخته أيضا.

ومن جملتها اعتراض: ما حاجة الله لاستخدام الملائكة؟ هل يحتاج مُلكه أيضا إلى العاملين مثل حكومات الناس؟ وهل هو أيضا بحاجة إلى الجنود كحاجة الإنسان إليهم؟

أما الجواب: فليتضح أن الله تعالى ليس بحاجة إلى أيّ شيء، لا إلى الملائكة ولا إلى الشمس ولا إلى القمر ولا إلى النجوم، ولكنه أراد ذلك

الرد على أنه ما حاجة الله إلى الأسباب، أي الملائكة وغيرها، مثل حاجة الإنسان

لتظهر قدراته بواسطة الأسباب، ولكي تنتشر الحكمةُ والعلم بين الناس بهذا الأسلوب. فلولا توسط الأسباب لما وُجد في الدنيا علم الأفلاك ولا علم النجوم ولا الطبيعة ولا الطب ولا النباتات ولا غيرها من العلوم. فبفضل هذه الأسباب جاءت العلوم إلى حيّز الوجود.

ولو تفكّرتم لوجدتم أنه إذا كان يُعترض على استخدام الملائكة، فالاعتراض نفسه يرد على استخدام الشمس والقمر والكواكب والنباتات والجمادات والعناصر أيضا. والذي يملك نصيبا من المعرفة يدرك أن كل ذرة تعمل بحسب مشيئة الله تعالى. وكل قطرة ماء تدخل أبداننا لا يمكن أن تؤثر فيها إيجابا أو سلبا إلا بإذن الله تعالى. إذًا، فجميع الذرات والكواكب وغيرها من الأشياء هي في الحقيقة نوع من الملائكة، وهي مسخَّرة للخدمة ليلَ نهار؛ بعضها مسخرة لخدمة جسم الإنسان وبعضها لخدمة الروح. والله الحكيم الذي أحبّ توسُّط أسباب كثيرة لتربية الإنسان الجسدية وأوجد من عنده كثيرا من المؤثرات المادية كي تؤثر في جسد الإنسان بشتى الطرق، قد أحبّ الله الواحد نفسه -الذي لا شريك له والمتّسمة أفعاله بالوحدة والاعتدال- أن يُربّى الإنسان روحانيًّا أيضا بالأسلوب والنمط نفسه الذي اختير لتربية الجسد، وذلك كي يدلّ كلا النظامين؛ الظاهري والباطني، والروحاني والمادي -بناء على انسجامهما ووحدتهما- على خالق واحد مدبّر بإرادته.

فلهذا السبب وكِّل الملائكة وسائطَ على تربية الإنسان المادية، بل على التربية الروحانية أيضا، ولكن كل هذه الوسائط مسيَّرة وفي يد الله تعالى كأداة تديرها يده ﷻ المقدسة؛ فلا تملك الوسائط إرادة ولا تصرفا. كما أن الهواء يدخل فينا بأمر الله ويخرج بأمره ويؤثر بإذنه، كذلك الحال تماما بالنسبة للملائكة؛ فهم: ﴿يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

من سوء فهم الباندیت دیانند والآريين أن هناك نقصا في تعليم القرآن أنه يقرّ بشيطان مفترض دون دليل ويعدّه مغوي الإنسان

لقد اعترض الباندیت "دیانند" على نظام الملائكة، ولكن ليته اطّلع على نظام الله المادي والروحاني ليعترف بكمالات تعليم الإسلام الذي يمثل الصورة الصحيحة الصادقة لقانون الطبيعة وذلك بدلا من الاعتراض عليه.

ومن **جملتها** اعتراض: يبدو من بعض الإشارات في القرآن الكريم وكذلك من الأحاديث الشريفة أن جبريل انقطع نزوله في بعض الأيام، بمعنى أنه قد حدث في أيام بعثة النبي ﷺ أن جبريل لم ينزل عليه عدة أيام أحيانا. فإذا كان جبريل قرينه ﷺ دائما وفي كل حين، وكان تأثير روح القدس جاريا وساريا في شخص النبي ﷺ على الدوام، فما معنى هذا الانقطاع؟

إذا كان روح القدس يبقى مع الأنبياء دائما فما معنى الآيات والأحاديث القائلة بأن جبريل لم ينزل على النبي ﷺ إلى عدة أيام أحيانا

أما الجواب: فليكن واضحا أن الاعتقاد بأن روح القدس يهجر الأنبياء أحيانا ويصعد إلى السماء إنما هو خطأ بحت ترسَّخ في بعض القلوب بسبب سوء فهم معنى النزول والصعود. فلا **يخفينّ** على أحد أنه ليس معنى النزول قط أن ملاكا يترك مقامه ومقرّه في السماء وينزل إلى الأرض. هذا المعنى يعارض نصوص القرآن والحديث الصريحة؛ فقد جاء في **"فتح البيان"** حديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله ﷺ: ما في السماء موضع قدم إلا عليه مَلَك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾"؛ أي لكلّ واحد منا مقام معلوم وثابت لا يصعد فوقه قدمًا ولا ينزل تحته قدما.

يثبت من الأحاديث الصحيحة أن الملائكة لا يتركون السماء لأن ذلك يستلزم أن يخلو السماء مما ملأه وجودهم وهذا محال

فانظروا الآن كيف يتبين من هذا الحديث بوضوح تام أن الملائكة لا يتركون مقاماتهم. ولا يحدث قط أن يخلو منهم موضعُ قدم في السماء. ولكن من المؤسف

حقا أن الشيخ البطالوي والشيخ الدهلوي لا يزالان يعتقدان في العصر الراهن -الذي انتشرت فيه **العلوم الحسِّيّة والطبيعية**- أن آلاف الأميال في السماء تبقى خالية وخربة وقفراء في بعض الأحيان خلال نزول كبار الملائكة، فلا يكون فيها ملاك واحد، **فأي مشكلة إذا خلت منهم بقدر قدم واحدة؟** ذلك أنه حين ينزل إلى الأرض بكل كيانه ذلك الملاكُ ذو الأجنحة الممرَّدة بست مئة لؤلؤة والذي يبلغ طوله من المشرق إلى المغرب، أي جبريل، فلا بد أن تخلو السماء مسافة آلاف الأميال بنزول ملَكٍ جسيم مثله. إنه يسمي نفسه **شيخ الكل** ولا يفهم الأحاديث النبوية، يا للأسف! ويا للخجل!

إن مذهب البطالوي والدهلوي هو أن السماوات تخلو من الملائكة أحيانا، ولاسيما في ليلة القدر تكون السماء كبيت خرب لأن الملائكة وروح القدس ينزلون إلى الأرض ويبقون فيها إلى الفجر

على أية حال، كما بيّنتُ قبل قليل، يجب على المرء أن يحتفظ في ذاكرته بكل حذر أن خلوّ المقربين من تأثير روح القدس ليس ممكنا ولا للحظة واحدة لأن روح القدس هو روح حياتهم الجديدة، فأنّى لهم أن ينفصلوا عن روحهم؟ أما الانفصال الذي ذُكر في الأحاديث الشريفة وبعض الإشارات في القرآن الكريم فليس المراد منه إلا نوع من التجلّي الذي تأخّر ظهوره في بعض الأحيان بحسب مقتضى حكمة الله تعالى. والمراد من النزول في مصطلح **القرآن الكريم** في أكثر الأحيان هو هذا النوع من التجلي، وإلا فهل يسعنا القول إن نور الوحي كان ينقطع كليا لفترات طويلة عن شمس الصدق والحق الذي جاءت بحقه الآية الكريمة: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ *(النجم: ٤-٥)*

المراد من نزول الملائكة هو التجلي الذي يؤثّر في قلوب الملهَمين مباشرة، وكثيرا ما يتراءى الملائكة متمثّلين أيضا أثناء هذا التجلي. وإذا تأخّر التجلي قيل بأن النزول تأخر. إن مَثل قرب روح القدس كمثل نار في الحجر، والمراد من تجليها أن الشعلة تخرج منه عند الضرب

> إذا كان نبينا ﷺ يُحرم من روح القدس إلى أكثر من أربعين يوما فيجب ألا يُعدّ كلامه في تلك المدة أحاديث أو إلهاما

فقد نُقل مثلا أن الوحي لم ينزل عليه ﷺ أحيانا لمدة أربعين يوما أو عشرين، وفي بعض الأحيان الأخرى انقطع الوحي لستين يوما أيضا، فلو أريدَ من ذلك أن الملاك جبريل هجر النبي ﷺ كليا لهذه الفترة، لكان ذلك مدعاة لاعتراض شديد فيما لو كان الكلام الذي تكلّم به النبي ﷺ أثناء هذه المدة يدخل في الأحاديث النبوية أم لا؟ وهل تُسمَّى وحيا غير متلوٍّ؟ ألم ير النبي ﷺ في أثناء هذه الفترة أي رؤيا وهي بمنزلة الوحي دون أدنى شك؟!

وإذا كان الشيخ البطالوي ومِيانْ نذير حسين الدهلوي صادقَين، وإذا كان صحيحا أن جبريل كان يهجر النبي ﷺ تلك الفترات التي ذُكرت وكان النبي يُحرم من الوحي كليا، فلا شك أن الأحاديث التي غطّت تلك الفترة لن تكون جديرة بالثقة عندهما لأنها كانت خالية من نور الوحي، كذلك إن سلسلة الرؤى أيضا كانت منقطعة تماما بحسب رأيهما.

> لقد أساء البطالوي والشيخ الدهلوي إلى النبي ﷺ بشدة إذ قالا بانفصال روح القدس عنه كليا ولم يقولا ذلك بحق عيسى. هذا مبلغ علمهم ومعرفتهم

انظروا **الآن أيها المنصفون**، ألم تبلغ إساءتهما للنبي ﷺ منتهاها؟ يعتقدان أن **شمس الحق** ذلك -الذي لم يخطر بباله شيء دون الوحي- كان يعيش في الظلام لمدة طويلة دون أن يرافقه أيّ نور، والعياذ بالله. إنني أعلم بناء على **تجربتي الشخصية** أن **قدسية روح القدس** تعمل في كافة قوى الملهَم، وذلك في كل حين وآن دون الانفصال عنه للحظة واحدة، ولا يستطيع الملهَم أن ينقذ نفسَه من الرجس ولو للحظة واحدة دون تأثير قدسية روح القدس. والسبب وراء الأنوار الدائمة والاستقامة الدائمة والحب الدائم والعصمة الدائمة والبركات المستديمة هو بقاء روح القدس مع الملهَمين في كل حين وآن. فكيف يمكن الظن بإمام المعصومين والمبارَكين وسيد المقربين أنه كان يخلو

في بعض الأحيان من تلك البركات والطهارة والأنوار كلها؟ من المؤسف حقا أن هؤلاء الناس يعتقدون أن عيسى عليه السلام لم يهجره روح القدس ولو للحظة واحدة طول اثنين وثلاثين عاما ولكنهم ينكرون هذا القرب بحق النبي ﷺ.

الرد على أنه لماذا أقسم الله في القرآن بغيره

ومن جملة الاعتراضات: لماذا أقسم الله تعالى بغير الله في كلامه مثل: "والطارق" مع أنه يقول بنفسه بأن القسم باسم غير الله لا يجوز، لا باسم الإنسان ولا بالسماء ولا بالأرض ولا بالنجم ولا بغيره؟ فماذا كانت حاجة الله تعالى هنا للقسم بالنجوم والسماء بوجه خاص؟

والحق أنهما اعتراضان يرتبط أحدهما بالآخر وبسبب ارتباطهما أرى من المناسب أن أرد عليهما في مكان واحد.

بالنسبة للقَسم؛ **فأولا** وقبل كل شيء يجب الانتباه جيدا بأن قياس قَسم الله جلّ شأنه بقَسم الإنسان هو قياس مع الفارق. والسبب وراء منع الله تعالى من القَسم بغيره هو أن الإنسان يهدف من القَسَم أن يجعل المُقْسَم به ينوب عن شاهد عيانٍ يستطيع أن يصدّق أو يكذّب بيانه بناء على علمه الشخصي، لأنه لو فكّرتم في الموضوع لعلمتم أن المفهوم الحقيقي للقَسم هو الشهادة بعينها. عندما يعجز الإنسان عن تقديم الشهود العاديين يحتاج إلى القَسم ليستفيد منه كما يُستفاد من شهادة شاهد عيان. وإنه كفرٌ بواح القولُ أو الاعتقاد أن غير الله حاضر ويرى ويشهد دائما أو قادر على التصديق أو التكذيب أو غير ذلك من الأمور، لذا فإن التعليم الذي جاء للإنسان في جميع كتب الله هو ألا يُقسم الإنسان بغير الله قط.

حقيقة أحلاف الله والمعرفة الكامنة فيها

فمن الواضح أن قياس قَسم الله على قَسم الإنسان لا يصح بحال من الأحوال لأن الله تعالى لا يواجه صعوبة كما يواجهها الإنسان فيضطر للقَسم لذا فإن قَسم الله تعالى من نوع مختلف تماما ويليق بشأنه سبحانه وتعالى ويطابق سننه في الكون، والهدف منه تقديم مظاهر قدرة الله الواضحة

شاهدا لحل أسرار الشريعة الدقيقة ولأن لهذا الهدف صلة مع القَسم -وهي أن الحالف عندما يقسم بالله مثلا فهو أيضًا يقصد من ذلك أن الله تعالى شاهد على أمره هذا- كذلك فإن بعضا من أفعال الله البيّنة شاهدة على بعض أفعاله الخافية؛ لذا قدم ﷻ في القرآن الكريم أفعاله الواضحة مرارا بصورة القَسم إثباتا لأفعاله النظرية، ولا يسعنا القول بأنه قَسم بغير نفسه؛ لأنه ﷻ في الحقيقة يقسم بأعماله هو وليس بغيره، علما أنه لا مغايرة بينه وبين أفعاله. فمثلا ليس المراد من قَسمه بالسماء أو النجم أنه قَسمٌ بغير نفسه، بل إنما هو بِنِيَّة تقديم الحكمة وما صنَعَتْه يداه في السماء والنجوم شهادةً لإفهام بعض أفعاله الخفية. فالحق أن قسم الله من هذه الأنواع المذكورة في القرآن الكريم مليئة بأسرار المعرفة. وكما قلت قبل قليل إن الهدف من وراء بيان هذه الأسرار بأسلوب القَسم ليس إلا أن القَسم نوع من الشهادة التي تنوب مناب شاهد عيان. كذلك إن بعض أفعال الله شاهدة على بعض أفعاله الأخرى، فيقدم الله تعالى شهادة سننه الواضحة في الكون في حُلّة القسم لحلّ بعض دقائق شريعته، لتشهد سننه في الكون -وهي شهادة الله الفعلية- على قوله، ولكي يكون التوافق بين قوله وفعله مدعاةً لمزيدٍ من المعرفة والسكينة واليقين للسالك. ومن أسلوب الله جلّ شأنه الشائع في القرآن الكريم أنه يقدم مرارا وتكرارا أفعاله المبنية على القدرة التي توجد في المخلوقات بنظامٍ وترتيبٍ لبيان الأقوال الشرعية، ليوجّه الناس إلى أن هذه الشريعة وهذا التعليم إنما هو من الله الأحد الذي أفعاله تطابق كليّا أقواله هذه؛ لأن التطابق بين الأقوال والأفعال يدل بكل وضوح على أن هذه الأفعال والأقوال إنما هي لذات الله.

المراد من أحلاف الله تعالى هو تقديمه شهادة سننه الطبيعية على أقواله، أو كشف حقيقة النظريّ وغير المسلّم به بواسطة البديهي والمسلّم به

السر العظيم في أحلاف الله بمخلوقاته هو ليتوجه الإنسان إلى أن هذه الأقوال والأفعال كلها تتدفق من نبع واحد

والآن أكتب على سبيل المثال تفسيرا لبعض آيات القَسم التي وردت في القرآن الكريم فمنها مثلا: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ *(الطارق: ٢-٥)*؛ الهدف والمقصود الحقيقي من هذه الآيات هو أن لكل نَفس ملائكة موكَّلين[١٩٧] لِيَحْفَظُوها روحانيا، فيرافقونها في كل حين وآن ويحفظون ما كان يتطلب الحفظ. ولكن هذا البيان دقيق ونظري.

ولما كان وجود الملائكة غير مرئي، فكيف يمكن أن يتسنّى اليقين بحفظهم؟ لهذا السبب فقد قدّم الله تعالى الحكيم قانونه في الطبيعة الملحوظ في الأجرام السماوية شاهدا في صورة القَسم؛ وهو أن قانون الله تعالى في الطبيعة ملحوظ بوضوح أن السماء والكواكب والشمس والقمر وكل ما في محيطها من الهواء وغيره مسخّر لخدمة الإنسان الجسدية، وينقذه من أنواع الخسائر والأضرار المادية والمعاناة الجسدية، ويُعِدّ جسمه وكل ما تحتاج قواه الجسدية وخصوصا النجوم المتلألئة التي تظهر ليلا، فإن كثيرا من أولئك الذين يضربون في الصحاري والبراري ليلا ويمخرون في البحار يستفيدون منها كثيرا. فيحفظ كل نجم ثاقب حياة الإنسان بإرشاده في الليلة الليلاء. ولولا هذه الحَفَظَة التي تقوم بالحفظ في أوقاتها المحددة لما استطاع الإنسان أن يعيش طرفة عين.

إن نظام الله المادي يقتضي أن يماثله نظامه الروحاني أيضا لأن مبدأ كلا النظامين واحد

يجب الرد بعد التأمل جيدا فيما إذا كان بالإمكان أن نعيش دون هذه الحَفَظَة كلهم؛ إذ يجهّز لنا أحدُهم الحرارة المطلوبة، ويُنضج غيره الغلال والفواكه، ويُنزل غيره

[١٩٧] لا شك أن الملائكة يحفظون من الآفات المادية أيضا، ولكن حفظها الحقيقي هو من حيث الروحانية؛ فمثلا إذا كان أحد واقفا تحت جدار يريد أن ينقضّ، فلن يحمله الملاك على يديه ويُبعده عنه، بل إذا كانت نجاته من الجدار مقدرة عند الله فسيلهم الملاك قلبه ليبتعد من ذلك المكان فورا. أما حماية النجوم والعناصر فهي مادية. منه.

سواء أنقذ الملائكة من الآفات المادية أو الروحانية فإن إنقاذهم روحاني في كلتا الحالتين

مياها لشربنا، ويهيئ لنا آخر ضوءا، ويدبر غيره بقاء سلسلة نفَسنا جارية، ويساعد آخر في قوة السمع، ويؤثر غيره تأثيرا إيجابيا على قوتنا الغريزية. فمن هنا يدرك المرء استحالةَ أن يغفل الله عن حفظنا الروحاني وهو الذي خلق هذه الأجرام والعناصر وغيرها التي تُعَدّ بالآلاف لتسوية أجسادنا وبقائها وسخّرها للخدمة ليل نهار، بل في كل لحظة؛ كيف يمكننا الظن أن ذلك الرحيم الكريم خلق لحماية أجسادنا أسبابا إلى هذا الحد بحيث سخّر لخدمتنا عالَما كاملا ولكن لم يفعل شيئا لحمايتنا الروحانية؟

بيان نظام الله المادي والروحاني

لو فكّرنا بالعدل والإنصاف لوجدنا في ذلك دليلا محكما على أنه لا بد أن يكون ذلك الحكيم القدير قد دبّر بلا أدنى شك لحفظنا الروحاني أيضا تدبيرا يشبه تدبير الحفظ الجسدي. فهذا التدبير هو توكيل الملائكة على الحفظ.

لذلك أقسم الله تعالى بالسماء والنجوم ليبيِّن مسألةً خفية ونظرية. أيْ مسألة حفظ الملائكة من خلال مسألة واضحة، وهي حِفظ النجوم وغيرها، وليضع أمام المتدبرين -من أجل الإيمان بوجود الملائكة- نظامه الظاهر أيْ النظام المادي؛ ليفهم العقلُ السليمُ النظام الروحاني بالنظر إلى مثال النظام المادي.

تفسير بعض آيات سورة النجم

وفيما يلي أكتب **القَسم الثاني** على سبيل المثال:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى[١٩٨]﴾ أي أقسم بالنجم إذا طلع أو هوى...علّمه شديدُ القوى أي جبريل ورآه ذو القوة بكامله وكان عاليا فوق الأفق.

والهدف من وراء هذا القسم هو إثبات أمر رسالة النبي ﷺ الذي هو أمر نظري عند الكفار من خلال مسلَّماتهم الواضحة والبديهية عندهم.

---

[١٩٨] النجم: ٢-٨

والآن يجب أن يكون معلوما أن العرب بسبب الأفكار التي انتشرت فيهم من كهّانهم كانوا يعتقدون بشدة أنه عندما تسقط الشهب بكثرة يولَد شخص عظيم. وخاصة أن كهانهم الذين كانوا يُخبرون بأنباء الغيب، كانوا يُنشئون نوعا من العلاقة بالأرواح الخبيثة ويعتقدون بشدة ويقين بأن كثرة الشهب أيْ سقوطها بكثرة هائلة وغير عادية يدل على أن نبيا سيولَد في الدنيا عن قريب. وحدث أن سقطت الشهب في زمن بعثة النبي ﷺ بكثرة هائلة كما شهد الله تعالى في سورة الجن على هذا الحادث بلسان الجن فقال: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ *(الجن: ٩-١٠)* ملئت حرسا: أي مليئة بالملائكة والشهب، وكنا نقعد من قبل في المرصاد في السماء لسماع الأمور الغيبية، أما الآن فحين نجلس للغرض نفسه نجد شهابا في المرصاد لنا يسقط علينا. وهناك أحاديث كثيرة تؤيد هذه الآيات. فقد أورد الإمام البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم في مصنَّفاتهم أحاديث تقول إن الشهب تسقط لردع الشياطين. ويروي الإمام أحمد عن ابن عباس أن الشهب كانت تسقط في زمن الجاهلية أيضا ولكنها كثرت وغلظت عند البعثة. وقد ورد في تفسير ابن كثير: "فلما بعث الله محمدًا نبيا، رُجموا ليلة من الليالي، ففزع لذلك أهل الطائف، فقالوا: هلك أهل السماء، لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب. فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويُسَيِّبون مواشيهم، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف، أمسِكوا عن أموالكم، وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء، وإنما هو من ابن أبي كبشة - يعني: محمدا ﷺ- *(إذ كانوا يسمُّون النبي ﷺ بابن أبي كبشة*

لقد سقطت الشهب بكثرة في عام بعثة النبي

كان مترسخا في أذهان كهان العرب أنه كلما تسقط الشهب يولَد نبي. وكانت تجربتهم الشخصية أنهم يتلقون الأخبار الشيطانية القليلة بعد سقوط الشهب بكثرة

لخبثهم) وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء".

لم يكن صعبا على الكهان أن يفهموا أن كثرة سقوط الشهب تدل على بعثة نبي الله لأن شياطينهم كانت تخبرهم من الأخبار السماوية في أيام سقوط الشهب بكثرة

فباختصار، كان راسخا في أذهان العرب أنه عندما يُبعث نبيّ أو يولَد إنسان عظيم تسقط النجوم بكثرة، فبناء على ذلك وتماشيا مع أفكار العرب أقسم الله تعالى بسقوط الشهب؛ والمراد من ذلك أنكم تعترفون بأنفسكم ويعترف به كهانكم أنه كلما سقطت الشهب بكثرةٍ بُعث نبي أو ملهَم من الله، فما السبب لإنكاركم إذًا؟ ولأن سقوط الشهب بكثرة كان في نظر الكهان العرب دليلا قاطعا على إثبات بعثة نبي أو ملهَم من الله، وكان العرب يتبعون الكهان كما يتبع المريد مرشده؛ لذا قدَّم الله تعالى مُسَلَّمَتَهم هذه أمامهم ليتنبَّهوا إلى حقيقة أن كل ذلك إنما هو من عند الله، وليس من صنع الإنسان وكيده.

الرد على أن الشهب تسقط دائما ولكن الأنبياء لا يبعثون دائما بعد سقوطها

وإذا طُرح **سؤال** أنه إذا كان سقوط الشهب دليلا على بعثة نبي أو محدَّث أو ملهَم، فما السبب في أن الشهب تسقط عادة ودائما ولكن لا يُبعث نبيٌّ أو محدَّث بسقوطها؟

فجوابه: الحكْم يُطلق على الكثرة دائما. ومما لا شك فيه أن الزمن الذي تحدث فيه هذه الأحداث بكثرة بوجه خارق للعادة يأتي فيه إلى العالم من الله رجلٌ من رجاله لإصلاح خلقه، وفي بعض الأحيان تظهر هذه الأحداث قبل ظهوره ببضع سنوات إرهاصا له، وتظهر أحيانا أخرى في وقت ظهوره بالضبط، وأحيانا يظهر في السماء نور الفرحة والسعادة هذا على انتصاره العظيم.

ماذا يُستنبط من القرآن عن الشهب

لقد أورد تفسير ابن كثير رواية عن السدي أن سقوط الشهب بكثرة يدل على بعثة نبي أو يبشر بغلبة الدين، ولكن ما يُفهم من إشارات النص القرآني هو مفهوم عام ويُستنبط منه بصراحة ووضوح أنه عندما يأتي نبيٌّ أو وارثه مأمورا إلى الأرض، أو كان موشكا على المجيء، أو تكون إرهاصاته

موشكة على الظهور، أو كان انتصار عظيم على وشك الوقوع؛ فإنه تظهر في السماء هذه الأمارات؛ وإنكارها غباوة بحتة، لأن عدم العلم بالشيء لا يستلزم عدم وجوده. فقد يأتي بعض المصلحين والمجددين إلى الدنيا، والدنيا لا تعرفهم أيضا بوجه عام.

حكاية

حكاية عن سوانحي

أذكر أنني حين أُمرتُ في بداية الأمر تلقيت الإلهام التالي، وهو مذكور في الصفحة ٢٣٨ من كتابي "البراهين الأحمدية": "يا أحمد بارك الله فيك، ما رميتَ إذ رميت ولكن الله رمى. الرحمن علّم القرآن. لتنذر قوما ما أُنذر آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قل إني أمرتُ وأنا أول المؤمنين". والقول "لتستبين سبيل المجرمين"؛ أي لكي يتميَّز السعداء من الأشرار والمتمردين.

ذكر سقوط كثرة الشهب في ١٨٨٥/١١/٢٨م

بعد هذه الإلهامات بدأت الآيات من عدة أنواع بالظهور. فمن جملتها أن ظهر في السماء في ليلة ١٨٨٥/١١/٢٨م أي الليلة التي سبقت يوم ١٨٨٥/١١/٢٨م حادثٌ عجيب للشهب لم أر نظيره في حياتي قط؛ كانت آلاف الشُّعَل تتطاير في السماء في كل حدب وصوب ولا يوجد لها في العالم نظير حتى أبينها. أذكر أنني تلقيت في تلك المرحلة إلهاما بكثرة: "ما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى." فكان لذلك "الرمي" علاقة قوية مع رمي الشهب. إن حادث الشهب الثاقبة هذا الذي وقع في ليلة ١٨٨٥/١١/٢٨م كان واسع النطاق حتى نُشر بكثير من الاستغراب والحيرة في جرائد عامة في أوروبا وأميركا وآسيا. يمكن أن يظن الناس آنذاك أن لا جدوى من هذا الحادث ولكن الله تعالى يعلم أنني كنتُ أكثر الناس تأملا فيه وأكثرهم متعة وتلذذا، فظلت عيناي مركّزتين لرؤيته إلى فترة طويلة جدا. لقد بدأت سلسلة ظهور الشهب في المساء، فظللتُ أشاهدها بسعادة مفرطة بناء على بشارات إلهامية فقط؛ لأنه قد أُلقي في

رُوعي إلهاما أن هذه آية ظهرت من أجلك.

ثم شاهد الناس في أوروبا **نجما كان قد ظهر عند ظهور المسيح** عليه السلام. وأُلقي في قلبي بأن هذا النجم أيضا آية أخرى على صدقي.

الرد على أن العلماء والباحثين ذكروا أسبابا مختلفة للشهب وغيرها

وإن قُدّم هنا اعتراض أن الباحثين في علم الحكمة قد ذكروا في بحوثهم القديمة والحديثة أسبابا أخرى لظهور الشهب وغيرها، ولا علاقة لتلك الأسباب بالأسباب التي ذُكرت هنا. فلم يُذكر في باب الأسباب والعلل لكائنات الجو في كتاب "شرح الإشارات" سبب حدوث الشهب إلا هذا القدر أنه عندما يصل الدخان إلى حيّز النار ويكون فيه شيء من الدُّهنية واللطافة فيشتعل دفعة واحدة بتأثير النار، ويبدو كأنه خمد بعد اشتعاله فورا، ولكنه لا يخمد في الحقيقة. والحق أن الجانب العلوي من جانبَي الدخان يشتعل أولا ثم ينتقل هذا الاشتعال إلى الجانب السفلي، عندها

كيفية الشهب الثاقبة بحسب بحوث اليونانيين

يبدو كأن هناك خطّا ممتدا ومشتعلا، وهذا ما يسمى **بالشهاب**، وهو ينشأ في الخط الممتد قرب جانبه الأسفل. وعندما تتحوّل الأجزاء الأرضية إلى نار الدخان الخالصة، فلا يتراءى عنصر النار بسبب الاتِّساع، ويخيَّل إلى الناظر أنه خمد ولكنه لم يخمد في الحقيقة. وهذا يحدث عندما يكون الدخان رقيقا، أما إذا كان غليظا فتظل النار مشتعلة إلى عدة أيام بل إلى سنوات، ويتراءى الضوء الذي يكون كالنجم في جوّ السماء بألوان مختلفة؛ فيبدو أحيانا أنه مذنَّب، ويتراءى أحيانا كلِمَّة الشعر، وتارة يظهر ذلك الهيكل الناري في صورة الرمح وتارة كحيوان ذي عدة قرون، وفي بعض الأحيان يتراءى هذا الهيكل الناري بصوره المختلفة إلى عام أو عدة أعوام، وأحيانا يتحطم الهيكل الناري قِطعًا صغيرة بصورة الشهب الثاقبة نفسها، وفي بعض الأحيان تأخذ الشهب الثاقبة صورةَ الهيكل الناري. وعندما يتراءى هذا الهيكل الناري على أقصى طرف القطب الشمالي

يبقى ملحوظا فيه فترة أطول كثيرا مقارنة مع الأطراف الأخرى، وإذا بقي إلى مدة طويلة أسفرت حرارته عن نتائج كثيرة مهولة.

ولقد نُقل تاريخيا أيضا أن **الشهب الثاقبة** لوحظت أولا بعد اعتقال المسيح عليه السلام، ثم ظلت النار ملحوظة في جوّ السماء إلى عام كامل، وظل شيء كالرماد ينزل من السماء، وكان ظلام حالك يسود بَدءا من الساعة التاسعة صباحا إلى المساء.

الأفكار الفلسفية تفتقر إلى الثبوت والقوة

باختصار، لقد أخذ الفلاسفة المسلمون مما ذكره اليونانيون حول ماهية الشهب والمذنّبات، وأضافوا إليها من تجارهم أيضا، ولكن تلك البحوث تختلف جذريا عن البحوث في زمن التنوُّر الحالي. إن ما يثبِّط الهمم بشدة في هذه العلوم الظنية هو أن أفكارا جديدة تظهر للعيان في كل يوم جديد. لقد مضى زمن حين كانت علومُ الطبيعة والفَلك اليونانيةُ تُعَدُّ صراطا مستقيما للوصول إلى قمة الحكمة، أما الآن فقد جاء زمن صارت فيه معظم تلك البحوث مثار ضحك، ويُنظَر إليها باستخفاف بالغ. ولا نجد سببا يمنعنا من التفكير أنه سيأتي بعد فترة وجيزة أناس يضحكون أيضا على العلوم الطبيعية وعلوم الفلك الحالية، فمع أنه يُدَّعَى أن العلوم الطبيعية وعلوم الفلك الحالية قد أُثبتت بواسطة التجارب الحسية والمشهودة والمرئية، ولكن الحقيقة أن هذا الادّعاء أمرٌ مبالغ فيه جدا إذ أَقحمت دون مبرر في بعض المسائل اليقينية المعينة آلافَ الأمور المشتبه فيها والظنيةَ والأفكار غير المحقَّق فيها والتي لم يحكم فيها إلى الآن حكيم من الحكماء حكما نهائيا وحاسما.

من السخف والباطل تماما الادعاء أن البحوث الحالية للعلوم الطبيعة والأفلاك وجزئياتها تثبت بصورة قاطعة ويقينية. غير أنه صحيح تماما أن بعض المسائل تثبت بالتجارب ولكن علاقتها بالمسائل الأخرى كعلاقة النادر بالكثرة

إن المحققين ذوي التنوير الحديث يقولون عن الشهب الثاقبة بأنها تكون مكونة من الحديد والفحم ولا يزيد وزنها على بضعة أرطال على أكثر تقدير، وتدور في الجوّ حول الشمس بصورة دوائر بيضوية كبيرة

مثل جماعات المذنَّبات، والسبب الحقيقي وراء ضوئها هي تلك الحرارة التي تنشأ نتيجة سرعتها الهائلة. ويقولون عن المذنَّبات بأن بعضها يبقى إلى عدة آلاف من السنين حتى يسقط ويصبح شهبًا في نهاية المطاف. ويقولون أيضا بأن الأيام التي تكون الشمس فيها في بُرج الأسد أو الميزان تُتوقَّع الشهب فيها بكثرة، وتعاود هذه الدورة كل ٣٣ عاما في غالب الأحيان، ولكن هذه ليست قاعدة ثابتة بل تظهر هذه الأحداث أحيانا قبل تلك المواعيد أو بعدها أيضا؛ فقد كان سقوط النجوم في ١٨٧٢م أمرا غير مرتقب تماما بحسب اعتراف علماء الفلك أنفسهم، ومع أن وقوع هذه الأحداث بكثرة بتاريخ ١٨٣٣/١١/١٤م و ١٨٨٥/١١/٢٧م كان مطابقا لقواعدهم المحددة، لكن مراجعة التاريخ توحي بأن ما حدث في ١٨٧٢م قد كان مختلفا كثيرا عن أمثاله وبعيدا عن تلك التواريخ المحددة أيضا. وعليه فلا مجال لعلماء علم الفلك للكلام إلا أن يلزموا الصمت محتارين في ظهور الشهب الثاقبة بكثرة في ١٥٢١/٣/١٠م و١١٣٥/١/١٩م وفي أيار/مايو ٦١٠م أيضا.

وأما الشهب الثاقبة التي ظهرت بعد اعتقال المسيح عليه السلام ثم تحوّلت إلى مذنَّب، فيبدو أن هذا الحادث قد حدث في بداية شهر يونيو/حزيران تقريبا، وإن كنا لا نستطيع أن نحدد تاريخها بدقة. ومع أننا لا نستفيد فائدة ملحوظة من بيانات المسيحيين المختلف فيها في تحديد هذا الحادث القديم، ولكن يُعلم استنباطا أن المسيح عليه السلام حين اعتُقل بيد اليهود كان الشهر شديد الحرارة لأن عطشه الشديد في حالة الاعتقال يوحي أن الطقس كان يقتضي أن يشعر عليه السلام بالحرِّ والعطش، فذلك الشهر كان حزيران/يونيو لأن عاصفة شديدة أيضا هبَّت حينها وأدّت إلى ظلام حالك، والمعلوم أن العواصف الشديدة تهبّ في شهر حزيران/يونيو.

> إنّ البحوث الحديثة في أوروبا عن الشهب الثاقبة ليست متحققة، وهي مليئة بالشبهات

لقد تبين من هذا البحث كله أن علماء الفلك وعلماء الطبيعة لم يطّلعوا إلى الآن على طريق يقيني وقاطع عن كائنات الجوّ وخاصة الشهب الثاقبة والمذنَّبات. كلما ظهر أمر يعارض قواعدهم المختلَقة أصابهم قلق شديد وحيرة مفرطة وأثاروا ضجة الاضطراب. إن علماء الفلك من أوروبا وغيرهم الذين يتباهون كثيرا بعلو كعبهم في علم النجوم وغيرها ينشرون دائما تنبؤاتهم عن الأجرام السماوية ونتائجها بكل تحدٍّ، وأحيانا يخوِّفون الناس بالمجاعة أو يجعلونهم يقلقون نتيجة تنبؤاتهم بالطوفان والعواصف العاتية، وأحيانا يعطونهم آمالا بالأمطار في وقتها المناسب جدا وبالرخاء، ولكن من قدرة الله تعالى أن معظم أنبائهم يثبت خطؤها، ومع ذلك يُقلقون أذهان الناس بغير حق؛ فيريدون أن يستولوا على ألوهية الله ﷻ بإيصال أفكارهم إلى أبعاد شاسعة، ولكن حكمة الله الأزلية تُخجلهم دائما. وأنى لنا أن نظن صحة ما اكتشفه عن النظام والعلوم هؤلاء الذين ثبت خطؤهم الفادح دائما. بل الحق أننا نستحي أن نعدّ معظم معلوماتهم على مرتبة الظن أيضا، لأنه قد ثبت إلى الآن أن معظم أفكارهم تشمل مجموعة كبيرة مما يفتقر إلى الأصل والدليل. ما أجمل قول الإمام الرازي رحمه الله في هذا المقام حيث قال: "من أراد أن يكتال مملكة البارئ بمكيال العقل، فقد ضل ضلالا بعيدا."

أما ما كشفه الله تعالى عليّ فهو أنه حتى لو قبلنا بعضا من قواعد علماء الفلك وعلوم الطبيعة عن الشهب الثاقبة والمذنَّبات، فليس هناك تعارض وتناقض بين ما قال الله جلّ شأنه وعزّ اسمه عن أهدافٍ روحانية لمخلوقات الفضاء هذه وبين ما قاله هؤلاء الحكماء ذوو العقل المحدود؛ لأنهم قد جعلوا نصب أعينهم أن يكتشفوا علل هذه الأشياء المادية وأسبابها العادية ثم يحدّدوا سلسلةً من النظام المادي، ولكن القرآن الكريم يذكر النظام الروحاني، ومن الواضح أنه لا يمكن لفعلٍ من أفعال الله تعالى أن

يعارض فعلا آخر له؛ فهل يُستغرب أن يمشي النظامان "المادي، والروحاني" جنبا إلى جنب نتيجة قدرة الله، وخصوصا أن المصلحين الربانيين ظلّوا يأتون إلى الدنيا باستمرار، وظلّت إرادات الله تعالى العظيمة في نشاط دائم؟ وما مِن قرن لم يظهر فيه أمرٌ من هذه الأمور في منطقة من مناطق الأرض. ففي هذه الحالة لا تبقى شائبة تستبعد القبول أن كثرة الشهب وغيرها تدل حتما على تجدّد وحدوث نظام الله الروحاني هذا، والذي ظل جاريا منذ الأزل لتقوية دينه ﷻ، ولا سيما إذا وضعنا في الحسبان جيدا أن كثرة سقوط الشهب وغيرها ليست خاصة ببعثة نبي أو وارثه لإصلاح الدين، بل أيضا يدخل ضمنيا فيه أن يكثر سقوط الشهب في زمن نبي أو وارثه أو إرهاصا لمن يقوم مقامه أيضا، بل يكثر سقوطها عند انتصاراته البارزة أيضا؛ لأن جيش الرحمن ينتصر عندها على جيش الشيطان انتصارا كاملا. فحين تنشأ الأمور العظيمة مثلها -التي هي بمنزلة إرهاص للنبي أو وارثه أو هي ناصرة ومعِينة لنشاطاته أو هي أمارات انتصاره- تحدث قريبا من هذا الزمن أحداث مثل كثرة سقوط الشهب وغيرها، عندها يمكن أن يفهم كل غبيّ أيضا بسهولة تامة أن كثرة سقوط الشهب هذه إنما هي من أجل الخدمات المتفرقة للسلسلة الروحانية، وتأتي إما في بدايتها أو نهايتها أو في وسطها. وهذه السلسلة جارية منذ الأزل وستبقى جارية؛ فمثلا يذكر علماء الفلك الأوروبيون المعاصرون سقوط الشهب بتاريخ ١٨٨٥/١١/٢٧م أو أحداثا أخرى تتعلق بالشهب قد حدثت في القرن التاسع عشر، ويركّزون عليها كثيرا كأنها هي الأمثلة العظمى عندهم، فهؤلاء يستطيعون أن يفهموا بأدنى تدبّر أن الأمور العظيمة المتعلقة بالسلسلة الروحانية التي كانت ستحدث في أواخر هذا القرن وأن تجديد دين التوحيد الذي أرادة الله تعالى بواسطة عبد من عباده، قد جعلت الشهب تسقط بكثرة في القرن التاسع عشر الميلادي؛ تأكيدا على الأمر الذي أراده ﷻ بشكل حاسم.

الرد على سؤال: ما علاقة سقوط الشهب برجم الشياطين

وإذا طُرح سؤال: ما علاقة تساقط الشهب التي تبدو أسبابها كلها مادية في الظاهر مع رجم الشياطين؟ وكيف يتبين أنه بهذا الحادث تُدفع الشياطين وتُطرَد من السماء؟

فجوابه أن هذا النوع من الاعتراضات ينشأ حين يذهل فكر الإنسان عن ذكر السلسلة الروحانية، أو لا يكون عنده اليقين بهذه السلسلة، وإلا فإن المطّلع على كلتا السلسلتين يستطيع أن يفهم بكل سهولة أنّ هناك علّتين أو سببين في الحقيقة لكل ما يحدث في الأجرام العلوية والأجرام السفلية وكائنات الجو كلها من تغيُّر أو تحوُّل أو أي أمر مستحدَث.

هناك سببان للتغيرات في الأجرام العلوية والأجسام السفلية

أولا: سلسلة العلل المادية نفسها التي يُعنى بها ويبحث فيها الفيلسوف المادي والمعني بعلوم الطبيعة، والتي يرى الفلاسفة الماديون أنّ هناك تلازما بين السبب والمسبِّب والمؤثِّر والمتأثِّر.

ثانيا: تلك السلسلة الخافية على الفلاسفة الماديين؛ وهي سلسلة ملائكة الله التي تؤازر السلسلة المادية في الخفاء وتوصلها إلى غايتها المنشودة. ويفهم أصحاب النظرة الثاقبة جيدا أنه لا يمكن أن تسير السلسلة المادية دون مؤازرة السلسلة الروحانية. ومع أن الفلاسفة ذوي النظرة المادية يزعمون نظرا إلى وجود الأسباب بأنه يجب أن تظهر لهذه الأسباب نتيجة كذا وكذا، ولكن مثل هؤلاء القوم يواجهون الندم والخجل دائما حين تظهر النتيجة على عكس ذلك على الرغم من اجتماع الأسباب، أو تخرج تلك الأسباب عن سيطرة الإنسان وتدبيره. فمثلا إذا كان طبيب يعالج مَلِكا مريضا بكل دقة وحذر، أو تعمل جماعة من الأطباء ليل نهار على تشخيص مرضه ووصف الدواء وتأمين الغذاء له وتبذل كل ما لديها من المؤهلات الذهنية في هذا السبيل، ولكن حين يكون الموت مقدَّرا لهذا الملك تذهب كافة المساعي سدى، وتبقى المعركة بين الأطباء والموت حامية الوطيس لبضعة أيام

حتى ينتصر الموت في نهاية المطاف. والأحداث من هذا القبيل تحدث دائما، ولكنه مؤسف حقا أن الناس لا ينظرون إليها بتأمل.

على أية حال، إنّه واضحٌ وثابتٌ أن الله القادر على كل شيء لم يجعل الحوادث في العالم محصورة ومحدودة في هذه السلسلة المادية، بل أجرى إلى جانبها سلسلة روحانية أيضا. خذوا مثلا الشمس والقمر أو الأرض أو بخار الماء الذي ينزل مطرا أو العواصف العاتية أو البَرَد الذي ينزل على الأرض أو الشهب الثاقبة التي تسقط؛ فمع أن كل هذه الأشياء مصحوبة في أعمالها وتغيُّراتها وتحوُّلاتها وحدوثها بالأسباب المادية أيضا التي بيانها قد ملأ دفاتر علماء الفلك والطبيعة، ولكن مع كل ذلك يعرف العارفون أن هناك أسبابا أخرى وراء هذه الأسباب وهي التي تدير الأمور بإرادتها، وتُسمَّى بتعبير آخر: "الملائكة" الذين حين ينشئون العلاقة بشيء يوصلون أموره إلى منتهاها، وينتبهون دائما في أمورهم إلى الأهداف الروحانية التي كلّفهم الله بها، ولا تكون أعمالهم لاغية بل يهدفون في كل أمر إلى أهداف سامية وعظيمة.

ولما كان هذا الأمر حقيقة ثابتة -وقد تناولناه بشيء من التفصيل من قبل أيضا كما سُجّل هذا كله بأسلوب لطيف جدا في كتابي "توضيح المرام"، أيضا أعني أن الله الحكيم القدير قد وضع نظامينِ اثنين لإدارة شؤون العالم على أحسن وجه، وأنّ النظام الباطني منهما يتعلق بالملائكة، وأنه ليست هناك جزئية من النظام المادي إلا ويرافقها النظام الروحاني في الخفاء. ففي هذه الحالة يستطيع أن يعلم المسترشد بكل سهولة أن العِلَل والأسباب التي يتأسس عليها النظام المادي لسقوط الشهب الثاقبة، لا تعارض النظامَ الروحاني ولا تعرقل سبيله. والنظام الروحاني هو أنه عندما يسقط شهاب يكون عليه في الحقيقة ملاك موكَّل يحركه كيفما يشاء، وهذا ما يشهد عليه أسلوب حركة الشهب نفسها. ومن الواضح تماما أن فعل الملاك لا يكون عبثا قطعا،

بل لا بد أن يكون وراءه هدف معين يفيد المصالح الدينية والدنيوية، ولكن فهم الأهداف وراء أفعال الملائكة ليس ممكنا إلا بواسطة الملائكة. فبواسطة الملائكة أيْ جبريل قد كُشف على آخر الرسل ﷺ أن الغاية المتوخاة من فعل الملائكة هذا أيْ رمي الشهب؛ هي رجم الشياطين.

أما كيف تهرب الشياطين بسقوط الشهب، فإن سرّه يُكشف عند التأمل في السلسلة الروحانية؛ وهو أن بين الشياطين والملائكة عداوة طبعية. فالملائكة عند إطلاقهم الشهب -التي يُلقون عليها تأثير حرارة النجوم- ينشرون في الجوّ قوتهم الروحانية، وكلما تحرك شهاب رافقه نور ملائكي؛ لأنه يأتي نائلا البركة من يد الملائكة، وفيه قوة لحرق الشيطان. فلا يمكن الاعتراض أنه ما دامت الجِنَّة قد خُلقت من النار فأيّ ضرر يصيبها من النار؟ لأن الحقيقة أن تضرُّر الجِنّة برمي الشهب ليس سببه النار المادية، بل النور الملائكي الذي يرافق الشهب، وهو محرق للشياطين بطبيعته.

ولا يعترضنّ أحد على بياني هذا ويقول بأن هذا البيان كله من قبيل الأفكار التي يعوزها الدليل، وليس -على أكثر تقدير- إلا من قسم الخطابات التي ليس عليها دليل عقلي، لأني قد أثبتُّ جيدا أن حركات هذا العالم وحوادثها ليست من تلقاء نفسها، وليست بغير مشيئة المالك وليست عبثية وسخيفة، بل إن الأجرام العلوية مسخّرة من قبل الله في الخفاء كمدبرة للأجسام السفلية، وتسمَّى "الملائكة" بتعبير آخر. وما دام أحد مؤمنا بوجود الله تعالى وليس ملحدا، فلا يسعه إلا أن يقبل بأن كل هذا النظام ليس عبثا، بل إن يد حكمة الله ومصلحته المدبَّرة بالإرادة تعمل وراء كل حدوث وظهور، وتلك الإرادة تظهر بحسب النظام المتكامل بواسطة الأسباب؛ لأن الله تعالى لم يهب الأجرام والأجسام المادية علما وشعورا، لذا هناك حاجة لوساطة الأشياء التي أُعطيت علما وشعورا -وهي الملائكة- لإنجاز الأمور التي

إنجازُها يقتضي العلم والشعور.

ومعلوم أنه ما دام شأن الملائكة أنهم لا يعملون شيئا عبثا ولغوا بل إن خدماتهم تضم في طياتها أغراضا ومقاصد معينة، لذا فلا بد من الإقرار أن لهم غاية متوخاة حتما من خدمة الرجم أيضا. ولما كان العقل عاجزا عن إدراك تلك الغاية، لذا ليس مناسبا أن يُسأل العقلُ عن هذه المعضلة. إذا كان للعقل في ذلك دخلٌ أصلا فإنما هو أن العقل السليم لا يقبل قطعا أن تكون أعمال النفوس ذات الإرادة والفهم والشعور عبثا ولغوا وخالية من الأهداف السليمة والضرورية.

فلو فهم العقل السليم جيدا أولا أن ما يحدث في الأجرام والأجسام السماوية والأرضية وكائنات الجو من أنواع التغيُّرات والتحوُّلات والظهورات ليس مقصورا على العلل المادية، بل لكل تلك الأحداث عللٌ أخرى أيضا تملك شعورا وإرادة وفهما وتخطيطا وحكمة؛ لأَقَرَّ العقل حتما بعد هذا الفهم بأن كافة التغيُّرات والتحوُّلات والأحداث التي نراها في العالَمين "السفلي، والعلوي" ليست عبثا ولغوا، بل تكمن فيها أهداف وأغراض، سواءٌ أفهمناها أو فاقت عقلنا وفهمنا. وضمن هذا الإقرار سوف يضطر العقل السليم للإقرار بأن تساقط الشهب أيضا ليس أمرًا عبثيًّا، لأنه من المحال بالبداهة الظنُّ أن النفوس ذات الإرادة والفهم والتخطيط والحكمة ظلت مُصرِّة على عمل لغوٍ منذ البداية.

إن العقل، وإن لم يستطع أن يكشف هذا السرَّ كاملا، سوف يكتشف على الأقل بعد الإقرار بوجود الملائكة وخدماتها الموكولة إليها أنه لا يمكن عدّ أي عمل من أعمالها عبثا أو لغوا.

وإن لم يستطع العقل -بعد هذا الإقرار- أن يكتشف بتفصيلٍ الأهدافَ التي تكمن في إرادة الملائكة وضميرها من خلال إسقاط الشهب إلا أنه سيفهم إجمالا حتما أن لهذا الفعل أيضا أهدافا وأغراضا خفية مثل بقية أفعال الملائكة. فلما كان

العقل عاجزا عن إدراك هذا الأمر مفصلا فسيكون إدراك هذا التفصيل بحاجة إلى وسيلة أخرى تفوق حدوده، وتلك الوسيلة هي الوحي والإلهام التي أُعطِيها الإنسان للغرض نفسه لكي توصله إلى تلك المعارف والحقائق التي لا يمكن أن يوصِله إليها العقلُ وحده، وأن تَكشف عليه تلك الأسرارَ الدقيقة التي لا يمكن اكتشافُها بالعقل. وقصدي من الوحي هنا هو وحي القرآن الذي كشف لنا سرًّا أن غرض الملائكة من إسقاط الشهب هو رجم الشياطين؛ بمعنى أن هذا نوع من انتشار النور الذي يحدث بيد الملائكة مقرونا بنورهم الذي يؤثر على ظلمة الجِنَّة وتضمحلّ بسببه أفعالُ الجِنَّة الخاصة. وإذا كثُر انتشار هذا النور فبسبب الجذب المغناطسي للنور يُخلَق من الناس مظاهرُ كمّل للنور. وإلا فإن انتشار هذا النور -بسبب خاصيته الملائكية- يجذب القلوب إلى حد ما إلى النور والحق. وهذه خاصية تثبت في العالم دائما كدليل إنِّيٍّ[١٩٩] وتوجد في آلاف الأشياء في العالم خواص تفوق فهم الإنسان ولا يستطيع الإنسان أن يقيم عليها دليلا عقليا ولا يسعه إنكارها أيضا؛ فإنكار هذه الخاصية الثابتة بناءً على أن العقل عاجز عن فهمها، ليس إلا غباوة محضة. هل أحاط عقل الإنسان من حيث الأدلة العقلية بجميع الخواص الدقيقة التي توجد في الأجسام والأجرام حتى يحقّ له أن يعترض ويقول: لماذا لا يستطيع العقل أن يكشف سرّ انتشار النور الذي يُنسَب إلى تساقط الشهب؟

وكما قلتُ قبل قليل ليس صحيحا أيضا أن العقل مُكرَه تماما على التسليم بهذا السر، بل يسلِّم العقل البشري بهذا السر بقدر ما يملك من قوة الفهم ولا ينكره، لأن العقل السليم يضطر للاعتراف -بعد التسليم بوجود الملائكة والمهام الموكولة إليهم- بأن تساقط الشهب أيضا يحدث بواسطة الملائكة، وأن الملائكة ينجزون هذا العمل بأمر من الله تعالى لهدف وغرض معين. إذًا، فإن تسليم العقل السليم بهذا القدر هو

---

[١٩٩] *الدليل الإِنِّيّ في علم المنطق هو الدليل الذي يُستدَلُّ فيه من المعلول على العلَّة. (المترجم)*

بمنزلة مرقاةٍ لارتقائه، ولا شك أنه بعد التسليم بهذا القدر لن يَعُدَّ العقل السليم تساقط الشهب أمرا عبثيا كما ترى عقول الملحدين والطبيعيين الناقصة، بل سيميل إلى الإقرار الكامل بأن هذا العمل مبني على الحكمة في الحقيقة وتكمن فيه أهداف سامية. وبهذا القدر من العلم يحرص العقل السليم على أن يطّلع على هذه الأهداف السامية اطلاعا مفصّلًا، وهذا الحرص واللهفة الصادقة، هي التي تقوده على جناح الشوق إلى المرشد الكامل وهو وحي القرآن الكريم.

وإذا كان للعقل السليم أيّ نقاش أو نقدٍ فلا يسعه ذلك في هذا المقام على الأقل من أجل اليقين بهذه المسائل، غير أنه مما لا شك فيه أنه له الحق أن يطلب أولا الأدلة المقنعة على وجود الله الذي لا يستقيم ملكوته إلا إذا تبعته كل ذرة من ذرات العالم ثم على وجود الملائكة ومهماتهم؛ أي يمكن أن يطمئن على وجه أكمل بأن نظام الله في الحقيقة إنما هو أن ما هو حادث في الأجرام والأجسام وكائنات الجوّ أو يحدث بين حين وآخر لا يحدث نتيجة أفعال الأجرام والأجسام الفوضوية فقط بل قد وضع الله الحكيم القدير زمام كل هذه الأحداث في أيدي الملائكة الذين يقومون في كل طرفة عين بأنواع التصرفات بإذن ذلك القادر على كل شيء، ويهزّون الأرض والسماء بشتى الطرق، لا عبثًا، بل بحكمة كاملة، من أجل الأهداف السامية، ولا يخلو فعلٌ من أفعالهم من الفائدة والحكمة.

لقد ناقشنا إلى حد ما وجود الملائكة وخدماتهم في ذلك الكتاب، وتفصيل ذلك أن السبيل الأسهل والأقرب للاعتراف بوجود الملائكة هو أن نوجّه عقولنا إلى أنه من المحتوم والمحسوم أن الله تعالى قد وضع -من أجل تربية أجسامنا وتكميلها المادي وقيام حواسنا المادية بالأفعال المطلوبة كما ينبغي- قانونا في الطبيعة بأنْ سخّر شتى العناصر والشمس والقمر والنجوم كلها في خدمة إعانة أجسامنا وقوانا لتصدر

منها جُلّ أعمالها بوجه أحسن. ولا نستطيع أن نهرب من قبول حقيقة أن عيننا على سبيل المثال لا تستطيع أن تُنجز أيّ شيء بنورها الذاتي ما لم يخالفها ضوء الشمس، ولا يمكن لآذاننا أن تسمع شيئا بقوتها الذاتية ما لم يُعنها الهواء المحمَّل بالصوت. أفلا يثبت من ذلك أن قانون الله تعالى قد جعل اكتمال قوانا متوقفا على الأسباب الخارجية، وأنه لا يسع فطرتنا أن تستغني عن مساعدة تلك الأسباب الخارجية؟ ولو تأملتم في الموضوع لوجدتم أننا نحتاج إلى مساعدات خارجية لتكميل كافة حواسنا وجميع قوانا وجُلّ قدراتنا وليس لتكميل حاسة أو حاستين أو قوة أو قوتين. فإذا كان هذا القانون والنظام لله الواحد الذي لا شريك له -الذي توجد في كافة أفعاله الوحدةُ والاعتدال- موجودا بكل شدة وإحكام وكمال التزام من أجل تكميل قوانا وحواسنا الخارجية وأهدافنا المادية ؛ أفليس ضروريا أن يكون هذا النظام نفسه موجودا لتكميلنا الروحاني وأهدافنا الروحانية أيضا لكي يجري كِلا النظامين على نمط واحد ويدلّا على خالق واحد؟ ومن البديهي أن الحكيم القدير الذي وضع هذا الأساس للنظام المادي وأحبّ أن تكتمل أجسامنا المادية وقوانا وحواسنا تحت تأثير الأجرام السماوية والعناصر وغيرها من الأسباب الخارجية، قد أحب ذلك الحكيم القدير نفسه النظام نفسه لروحانيتنا أيضا لأنه واحد لا شريك له، وفي حِكَمه وأعماله الوحدةُ والاعتدال. والدلائل الإنِّيَّة أيضا تدل على الأمر نفسه؛ فالكائنات الخارجية التي تؤثر على روحانيتنا وتُنجِز أهدافنا الروحانية - شأن الشمس والقمر والعناصر التي تساعدنا على أهدافنا المادية - نسمِّيها الملائكة.

فمن هذا البيان يثبت وجود الملائكة بوجه أحسن، وإن لم يُكشَف علينا كنهها؛ كما ليس ضروريا أصلا. ولكننا مضطرون للاعتراف بوجودها بإلقاءِ النظر مجملا على توافق النواميس الكونية واتحادها، ذلك أننا اعترفنا بالقانون المادي بطيب خاطر فما السبب إذًا ألا نعترف بالقانون الروحاني على النمط والمنوال نفسه؟ لا شك أنه

لا مندوحة لنا من قبول النظام الباطني أيضا كما قبلنا النظام الظاهري تماما. فبناء على هذا السرّ نفسه قد ذكر الله تعالى في بعض الأماكن في كتابه العزيز هذين القانونينِ كليهما بكلمات مشتركة كما يقول: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ [٢٠٠] أيْ أُقسِم بالرياح التي تَفصل بخار الماء من البحار والمياهِ الأخرى كما هو حق الفصل، ثم أقسم بالرياح التي تحمل في ثناياها البخار الثقيل مثل الحوامل، ثم أقسم بالرياح التي تجري لتوصل السحب إلى غايتها المتوخاة، ثم أقسم بالملائكة الذين هم القائمون على إنجاز كل هذه الأعمال في الخفاء. أيْ ما أهمية الرياح، وما حقيقتها حتى تحمل من تلقائها بخار الماء من البحار وتحوّله إلى سحاب، ثم تُمطره في المحل المناسب وفي وقت الضرورة تماما، وتكون مقسِّمات الأمور؟ كلا، بل هذا عمل الملائكة في الخفاء. ففي هذه الآيات قد ذكر الله تعالى أولا سبب نزول المطر من السحاب كما يبينه الفلاسفة الماديون، ثم بيّن كيف يتحول الماء إلى بخار فسحاب. ثم في الآية الأخيرة: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ كشف الحقيقة وبيّن أنه يجب ألا يظن من ينظر بنظرة ظاهرية فقط بأن سلسلة العلل والمعلولات المادية تكفي لإدارة النظام الرباني، بل وراء السلسلة المادية هناك سلسلة أخرى للعِلَل الروحانية التي تعمل عملها وبسببها تجري السلسلة المادية.

ثم يقول ﷻ في آيات أخرى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [٢٠١]

أيْ أُقسم بالرياح والملائكة الذين أُرسلوا بلينٍ ويُسرٍ. ثم أقسم بالرياح والملائكة الذين يمشون بقوة وشدة. وأُقسم بالرياح التي تحمل السحاب، وأقسم بالملائكة الذين وُكِّلوا بذلك السحاب. وأقسم بالرياح التي تحمل إلى الآذان كل ما يُذكَر أثناء الكلام. وأقسم بالملائكة الذين يبلِّغون كلام الله إلى القلوب. وفي الآية: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ

---

[٢٠٠] *(الذاريات: ٢-٥)*

[٢٠١] *المرسلات: ٢-٦*

أَمْرًا﴾ [٢٠٢] جمع الله الملائكة والنجوم في مكان واحد؛ بمعنى أنه في هذه الآية عدَّ الكواكب السبعة مدبِّرة ما في الأرض ظاهريا، وعدَّ الملائكة مدبّريها باطنيا. وهاتان الروايتان مذكورتان في تفسير فتح البيان عن معاذ بن جبل والقشيري. وقد روى ابن كثير عن الحسن أن الملائكة: "تدبّر الأمر من السماء إلى الأرض". ويقول ابن كثير: القول المتفق عليه هو بأن مدبّرات الأمر هي الملائكة. وقال ابن جرير أيضا في شرح الآية: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ أن المراد منها هو الملائكة الذين هم مدبّرات العالم أيْ أن النجوم والشمس والقمر والعناصر وغيرها عاكفة على عملها، ولكن المدبّرات هم الملائكة في الحقيقة. والآن، وقد ثبت بجلاء بحسب قانون الله في الطبيعة أن هناك مؤثرات خارجية للنظام الروحي أيضا مثل النظام المادي، وقد سُمّيت في كلام الله بالملائكة، فبقي الإثبات أن كل ما يحدث في النظام الظاهري أيضا من أعمال وتغيّرات لا يتم ولا يُنجَز بغير اشتراك الملائكة. إذًا، فإن إثبات ذلك واضح من حيث المنقول لأن الله تعالى قد سمّى الملائكة "المدبِّرات" و"المقسِّمات أمرا"، وهم السبب وراء حدوث كل عَرْض وجَوهر وقيامِهما لدرجة أنهم هم الذين يحملون عرش الله تعالى. كما يثبت بكل وضوح توكيل الملائكة بكل شيء من الآية: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [٢٠٣] ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [٢٠٤] أيْ ستنشق السماء يوم القيامة وتكون واهية ومتراخية وستزول قواها [٢٠٥] لأن الملائكة التي كانت كالروح للسماء والأجرام السماوية ستنتقل إلى "الأرجاء" تاركة جميع العلاقات. وفي ذلك اليوم يحمل ثمانية ملائكة عرش الله تعالى على رؤوسهم

---

[٢٠٢] *النازعات: ٦*

[٢٠٣] *الطارق: ٥*

[٢٠٤] *الحاقة: ١٧-١٨*

[٢٠٥] *من هنا تبدأ الحاشية على الحاشية وقد أخرناها لطولها إلى ص٤٩٩ . (المترجم)*

وأكتافهم.

يقول الشاه عبد العزيز في تفسير هذه الآية ما مفاده: الحق إن بقاء السماء إنما هو بسبب الأرواح، أي الملائكة الذين هم بمنزلة الأرواح للسماء والأجرام السماوية. وكما تحافظ الروح على الجسد وتتحكم فيه، كذلك يتحكم بعض الملائكة في السماء والأجرام السماوية، وإن جميع الأجرام السماوية قائمة بسببها، وبواسطتها تصدر أفعال الكواكب. وعندما يخرج الملائكة من ذلك القالب خروج الروح يفسد بخروجهم نظام السماء، كما يفسد نظام القالب بخروج الروح منه.

وهناك آية أخرى أيضا في القرآن الكريم تدل على الموضوع نفسه وهي: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [٢٠٦] ولقد أثبتا من النص القرآني أن الملائكة هم المقسِّمون والمدبِّرون لكل أمرٍ من السماء إلى الأرض، أما قول الله جلّ شأنه هذا بأن النجوم التي تُسيِّر الشهب الثاقبة هي تلك التي في السماء الدنيا، فيبدو منافيا لهذه الآيات - الواردة عن الملائكة - ومتناقضا معها، ولكن لو تأملنا في الموضوع لوجدنا أنه ليس منافيا ولا مناقضا؛ لأننا قد أثبتنا قبل قليل أنه يتبين من تعليم القرآن الكريم **أن الملائكة بمنزلة الروح للسماء وأجرامها. والمعلوم أن روح الشيء لا تنفصل عنه،** لذلك فقد عدَّ الله ﷻ في بعض آيات القرآن الكريم الملائكة فاعلا لفعل رمي الشهب، وفي بعض الآيات الأخرى عدّ النجوم فاعلا لفعل الرمي، ذلك لأن الملائكة يُلقون بتأثيرهم في النجوم كما تُلقي الروح بتأثيرها في الجسد، وعندها يخرج ذلك التأثير عن النجوم ويقع على الأبخرة الأرضية الجديرة بأن تكون شهبًا، فتشتعل فورا بقدرة الله تعالى، فيُنشئ الملائكة علاقتها مع الشهب الثاقبة بأسلوب آخر حيث يسيِّرونها بنورهم يمينا ويسارا. ولا يمكن لأيّ فيلسوف أن يعترض على أن النجوم والتأثيرات السماوية هي العلل الأولى لكل ما يحدث في كائنات الجوّ أو في الأرض. غير أن هذا السرّ الدقيق الآخر لا

---

[٢٠٦] *الملك*: ٦

يقدر كل شخص على أن يدركه، أعني أن قوى النجوم مستفادة من الملائكة. هذا السر قد كشفه القرآن الكريم أول مرة، ثم توجّه إليه أهل العرفان. فزبدة الكلام أنه يتبين من هذه الآية أيضا من حيث المنقول أن الملائكة بمنزلة الروح للنجوم والقوى السماوية، لذلك نَسَب الله تعالى فعل النجوم إلى الملائكة تارةً، ونسب فعل الملائكة إلى النجوم تارة أخرى. والحق أنه ما فتئت **الملائكة بمنزلة الروح للنجوم والشمس والقمر والسماء بحسب تعليم القرآن الكريم**، وبقاء كل هذه الأشياء يتوقف على علاقتها بالملائكة، وإذا انتقل الملائكة إلى **"الأرجاء"** أصاب الموتُ جميعَ الأجرام أي النجوم والشمس والقمر والسماء، أفليسوا بمنزلة الروح والحالة هذه؟

إنني أتأسف جدا على حالة هؤلاء المشايخ الذين يقرأون هذه الآيات القرآنية الواضحة ومع ذلك يترددون في قبول أن للملائكة بل لبعض الملائكة الذين هم **عنصريون**[٢٠٧] علاقة قوية بالعناصر والأجرام السماوية علاقةَ الروح مع القوالب.

صحيح أنه ثابت أيضا من القرآن الكريم أن للملائكة وجودا مستقلا في السماء، ولكن ألا يثبت أيضا من الكتاب العزيز نفسه أن علاقة الملائكة بكلٍّ من الأجرام السماوية هي علاقة الحفظ، وكل نجم بحاجة إلى تأييد الملائكة من أجل بقائه وقيامه وصدور الأفعال منه. من المؤسف حقا أن هؤلاء القوم الذين يسمُّون أنفسهم

الدليل العقلي على أنّ جميع الأمور في هذا العالم تتم بواسطة الملائكة ولا تحدث تلقائيا

مشايخ نشيطون جدا في **تكفير** المسلمين، ولكن لا يتدبرون تعاليم القرآن الكريم المباركة والحكيمة ولا يتعمّقون فيها؛ فأنّى لهم أن ينجحوا في فهم الحق والصدق؟ ولا يقدرون القرآن الكريم أدنى قدر، بل يحسبونه مجموعة أفكار سطحية، والعياذ بالله، ويجهلون قدراته العليا وحِكمه العظيمة وأسراره الدقيقة.

لقد أثبتنا ذلك **من حيث المنقول**، أما الإثبات من حيث

[٢٠٧] *المراد من "العنصريون" عند العلماء هم الملائكة الذين يديرون أمور السماء. (المترجم)*

المعقول بأن كل الأمور الخيّرة التي تحدث في النظام المادي إنما تحدث وتصدر بأعمال الملائكة الخفية في الحقيقة، فهو يتبين **من التدبر في** أن الله جلّ شأنه يستخدم كل شيء لعملٍ أُعطِي ذلك الشيء قوى مناسبة لإنجازه. إذًا، إنها فكرة غير معقولة البتة الظنُّ أنّ كل تغيُّر يظهر للعيان في الأجرام السماوية وفي الفضاء إنما هو نتيجة الأسباب الطبيعية والخارجية فقط ولا حاجة لسبب روحاني قط، لأنه لو حدثت التغيّرات في الأجرام السماوية والحوادث في كائنات الجوّ التي فيها حِكَم عظيمة - وتدعم وتعين بقاء بني آدم وصحتهم وسدّ حاجات حياتهم بشرط ألا يكون فيها إفراط ولا تفريط- من تلقائها دون أن يكون فيها دخلٌ للأشياء التي لديها شعور وتستطيع أن تراعي الإرادة والفهم والمصلحة والاعتدال، ولو تُركت جُلّ أمور الحياة والبقاء وحاجات الحياة على الأشياء التي لا تشعر ولا تدرك ولا تعرف **مصلحة الوقت** ولا تستطيع أن تحفظ أفعالها من الإفراط والتفريط ولا تقدر على التمييز بين إنسان صالح وطالح حتى تُعامل كلا منهما معاملة مناسبة بحسب مقتضى الأمر؛ لأظلمت الدنيا ولاستحالت معرفة الخالق الحكيم والقدير والعادل والرحيم والكريم، ولما استمرت سلسلة ذوي الأرواح الساكنة على الأرض لحظةً واحدة، بل لواجَه العالم مع لوازمه كلها صدمة نهايته؛ فأي دليل أوضح وأجلى من أنه لا يوجد في السلسلة السماوية وكائنات الجوّ أيّ فساد أو فوضى- كان لا بد منه إن كان مدار هذا النظام على الأشياء التي لا حياة فيها ولا شعور؟ إن نور هذا الدليل يهبنا بصيرةً لإدراك وجود الملائكة وضرورتهم وكأننا نراهم بأم أعيننا.

لماذا لا يجوز أنّ ما يعمله الملائكة في العالم المادي يمكن أنّ يعمل كل شيء نتيجة قواه الفطرية

أما إذا عرض أحد هنا شبهة أنه لماذا لا يعمل كل شيء بمجرد أمر من الله وإذنه وبتدبير محكم بحسب ما تقتضيه مشيئة الله جلّ شأنه ودون توسط الملائكة؟ فإن مثل هذه الشبهة ناتجة في الحقيقة عن سوء

الفهم، لأننا كتبنا قبل قليل بأنه من الثابت المتحقق أن الأجرام العلوية والعناصر وكائنات الجوّ التي جُعلت خادمة لبقائنا وحياتنا ومعيشتنا لا تملك علما ولا شعورا ولا إرادة، فمن المحال بالبداهة أن تتحقق لنا من تغيّراتها وأحداثها فقط تلك الأعمالُ والأهداف والمقاصد التي لا تصدر إلا عن تصرفات العقل والتعديل والتخطيط ومراعاة الحكمة فقط. والحق أن الله تعالى عندما يريد أن يستخدم شيئا وسيلةً لعملٍ ما، فإنه يزوّده بقوى تناسب جميع المصالح المتعلقة بذلك العمل؛ فمثلا من أفعاله المطرُ الذي نحتاجه لتحقيق شتى الأغراض، فينزّله تعالى أحيانا في وقت مناسب تماما بحسب أعمال عباده، وينقذ أراضينا وصحتنا من أضرار إفراطه أو تفريطه، وأحيانا أخرى يريد تحذير الناس فيُمسك المطر عن بلد يشاؤه، أو يجعل فيه إفراطا أو تفريطا. وتارة يريد أن يعاقب بعض الناس في بلد أو مدينة أو قرية أو قطعة أرض معينة فيحرمها من منفعة المطر كليا، وينشر السحاب في الجوّ بقدر ما يشاء لدرجة أن يهطل المطر على مزرعة ولا تسقط قطرة واحدة على مزرعة متصلة بها، فتبقى جافة ومحترقة في حر الشمس القوية. كذلك إن فساد الريح يجلب الوباءَ الشديد على مدينة أو ولاية أو حارة معينة، ويُنقِذ الجانبَ الآخر كليا. فعلى هذا المنوال نرى آلاف الحِكَم الربانية الدقيقة التي لا نستطيع أن ننسبها قط إلى عناصر وأجرام لا تعقل، بل نعرف يقينا أن هذه الأعمال المليئة بالحِكم لا يمكن أن تنجزها قط الأجرام والعناصر وكائنات الجوّ الأخرى التي لا حياة فيها ولا شعور. ولا شك أن الله تعالى قادر على أن يستخدم كل هذه الأشياء لإنجاز الأعمال المذكورة، ولكنه لو فعل ذلك لوهب أولا تلك الأشياء فهمًا وإدراكا وإحساسا وشعورا وعقلا لِوضْع الشيء في محله. وما دام ذلك غير ثابت فثبت بالضرورة أن مع هذه الأشياء هناك في الخفاء أشياء أخرى أُعطِيت عقلا لوضع الشيء في محله، وهي الملائكة بعينها.

أَعلَم أن الذي يؤمن بالله تعالى ويعُدُّه رحيما وكريما ومدبِّرا وعادلا لن يقول بأن

ذلك الحكيم الكريم قد وضع نظام ربوبيته كله في أيدي وسائل لم تُعطَ قدرة على التمييز بين الصالح والطالح، ولم توهَب قوى للتدبير والتعديل وإدراك المصلحة. أما التابع لمذهب الطبيعة والملحد الذي ينكر وجود الله تعالى فسيقول ذلك حتما، وسيقول أيضا بناء على غفلته بأن الذي يظهر من الأجرام السماوية أو العناصر أو كائنات الجو فليس وِفق الحكمة والمصلحة، وبأن الله ليس موجودا لنؤمن به عاملا بالحكمة والمصلحة، بل يصيب الإنسان خيرٌ أحيانا أو شرٌّ أحيانا أخرى على سبيل المصادفة نتيجة الأحداث والتغيّرات الحادثة في الأجرام العلوية والسفلية. فلإقناعه هناك طريق آخر سديد جدا يُفحمه بسرعة؛ وهو أن أفعال الله العظيمة والنبوءات التي تضم في طياتها قوة ربانية ويُعطاها الملهَمون والواصلون إلى الله تعالى، تدل على وجود الله جلّ شأنه وصفاته الكاملة الجميلة الجليلة دلالة قوية وقطعية ويقينية. ولكن الأسف كل الأسف على أن الذين يبحثون في العالم عن الله بصدق القلب وهم جياع وعطاشى لمعرفة سبله ﷻ هم قلةٌ قليلة، بينما يملأ العالَمَ أولئك الذين لا يسمعون دعوة الداع ولا يتوجّهون إلى نداء المنادي ولا يفتحون عيونهم على صراخ الموقظ.

لقد دعونا كل معارض -بفضل الله تعالى وتوفيقه وإذنه- لتصديق هذا الأمر، ولكن لم يتوجّه إلينا أحد بصدق القلب والطلب الصادق. ولو توجّه أحد، أو يتوجه الآن أيضا؛ فإنّ ذلك الإله الحي -الذي قدراته ظلت تحيّر العاقلين دائما، ذلك القادر والقيوم الذي ظل يُفحم الفلاسفة في هذا العالم- سيقيم عليه الحجة بنور سماوي حتمًا. إن الفساد الأكبر في العالم الذي يؤدي إلى الأفعال الشنيعة ولا يسمح لأصحابها أن يرفعوا بصرهم إلى الآخرة، هو أن معظم الناس لا يؤمنون بالله كما هو حقه؛ فبعضهم يرفضون في هذا العصر وجود الله رفضا سافرا، وبعضهم يقرّون بوجوده باللسان ولكن أعمالهم وأفكارهم وجوارحهم تشهد بأنهم لا يؤمنون بالله جلّ

شأنه، بل هم مشغولون في المشاغل الدنيوية ليل نهار وكأنهم لا يذكرون الموت نهائيا. وسبب ذلك أيضا عائد إلى الظلام المخيِّم على قلوب أكثرهم، ولم تبق فيها أدنى ذرة من نور المعرفة.

فليكن واضحا أنني قد أثبتّ إلى الآن ضرورة الملائكة تماما، وذلك يتلخص في أن الله فوق كل شيء من حيث تنزُّهه وتقدّسه، ويستخدم المظاهر المناسبة في تدلّياته وتجلياته. ولأن الأشياء المادية بعيدة كل البُعد عن الله تعالى علةِ العِلَل وصاحب الفيض الكامل، لكونها مقيدةٌ كليا بقيود وجودها، وتسمى بـ "الموجود" مقابل وجود الله البارئ، وتختص بإرادتها وأفعالها الطبيعية ولها وجود مستقل جامع لهوية النفس ومانع لهوية الغير، وتحيط بها حُجُب غليظة لأنانيتها ومخلوقيتها لذا لم تعُد مستحقة أن تنزل عليها فيوض الله الأحد بصورة مباشرة، والتي لا تنزل إلا إذا لم تكن الحُجُب المذكورة حائلة، وأن يكون هناك كيان يشبه العدم تماما. فلما لم يكن وجود هذه الأشياء شبيها بالعدم، بل كل شيء من المخلوقات من هذا القبيل يعلن وجوده بأعلى صوته؛ فمثلا تعلن الشمس: أنا التي تتوقف عليها الحرارة والبرد والضوء كله، وألقي بتأثيراتي الـ ٣٦٥ نوعا على العالم في ٣٦٥ يوما، وأسخِّن ما واجه أشعتي وأبرّد ما انحرف عنها، وأسيطر على الأجسام ومكوناتها وأشكالها وحواسها. وتقول الأرض: أنا التي يسكن على سطحي آلاف البلاد، وأُنبتُ أنواع النباتات وأكوِّن في أحشائي شتى الجواهر وأستقبل كالمرأة تأثيرات السماء، وتقول النار بلسان حالها: أنا حارقة وأملك في ذاتي قوة الإحراق، وأنوب مناب الشمس في الظلام. كذلك يمدح كل شيء في الأرض نفسه بلسان حاله؛ فمثلا تقول نبتة "السَّنا": أخلق في جسم الإنسان تأثيرا حارا في الجزء الأخير من الدرجة الثانية، ومجفِّف في الدرجة الأولى ومسهِّل للبلغم والسوداء والصفراء والاختلاطات المحرَقة، وأنقِّي الدماغ وأفيد في الصرع وألم الشقيقة والجنون والصداع المزمن وألم الجنب، وضيق التنفس والقولنج

وعرق النسا والنقرس وتشنج العضلات والثعلبة وداء الحية والحكّة والجَرب، والبثور المزمنة وأوجاع المفاصل، والمفرزات البلغمية والصفراوية المختلطة وفي كافة الأمراض السوداوية.

ويقول الراوَنْد[٢٠٨] أنا مركّب القوى وأخلق في جسم الإنسان تأثيرا حارا وجافًّا من الدرجة الثانية في المرحلة الأولى، ومبرِّد أيضا من حيث الخاصية بناء على شدة التحليل. وأملك بداخلي الرطوبات الزائدة، وأسبب الجفاف والإمساك، ومنظّفٌ ومُنضِج وأقطع المواد اللزجة، وأنا ترياق للسموم الباردة وخصوصًا سم العقرب، وأسهِّل المفرزات الغليظة والرقيقة وأيسّر الحيض وأُدِرّ البول وأقوي الكبد وأفكِّك عقده ومكوراته والعقد في الطحال والأمعاء، وأطرد الريح وأفيد في السعال المزمن وضيق التنفس والسل وقرحة الرئة والأمعاء وكافة أنواع مرض الاستسقاء واليرقان المصحوب بضخامة العقد والإسهال المصحوب بضخامتها. وأعالج المساريقا *(الأغشية التي تغلف الأمعاء)* والدوسنطاريا، وأزيل الانتفاخ، وأطرد الريح، وأفيد في الأورام الباردة في الأحشاء، والتخمة والمغص والبواسير والنواسير والحمى الرُّبعية.

ويقول الجَدْوار[٢٠٩] أنا أخلق الحرارة والجفاف في المرتبة الأولى من الدرجة الثالثة، ولي علاقة متينة بالحرارة الغريزية، وأُنعش وأقوّي الأعضاء الرئيسة مثل القلب والدماغ والكبد، والأحشاء أيضًا، وأنا ترياق السموم الحارة والباردة التي تُنشئ في الجسد الحرارة والبرودة؛ فإذا أضيف إليَّ قليل من الجدوار والمسك والزنجبيل، وشيء من حامض الكبريت وماء حب الهيل الأبيض، وعصير النعناع وعصير الشِّبِت[٢١٠] أفيد كثيرا في الهيضة الوبائية بإذن الله، وناجع في تسكين الأوجاع وتقوية البصر وتفتيت

---

[٢٠٨] *عشبة بطاطية نافعة. (المترجم)*

[٢٠٩] *نبات طبي هندي. (المترجم)*

[٢١٠] *بقلة من التوابل. (المترجم)*

الحصاة، وقلع القولنج وعسر البول ومعالجة الحمى الرُبعية. وأفيد كثيرا إذا أُعطِيتُ – بقدر نصف مثقال– لديغَ الحية والعقرب وأزيل تأثير سم "العقرب الجرارة" أيضا، وأفيد سريعا في ضعف القلب إذا أُضِيف إلي الصفصاف وعصير النيلوفر[٢١١]، وأتدارك النبض الهابط. وأفيد وجع المفاصل مع عصير الورد، وأنفع في التخلّص من حصاة الكلية والمثانة. وإذا احتبس البول أُدِرُّه سريعا لو استُعمِلتُ مع عصير بذور الخيار، وأفيد في القولنج الريحي. وإذا تعسّرت عملية الطلق أسهِّل الولادة لو شُرِبت مع عصير الحِصرِم[٢١٢] أو عصير نبات الحلبة بقدر قيراطينِ فقط. وأفيد كثيرا في داء "أُم الصِّبيان"[٢١٣] وفي معظم الأمراض الدماغية والعصبية. وأنفع في الأورام وراء الأذنين وتحت الإبط وفي أصل الفخذ، وأفيد في الخُناق وداء الخنازير وفي كافة أنواع أورام الحلق، وأفيد في الطاعون. وإذا استُعمِلتُ مع الخل أزلتُ ورم الجفون. وإذا دُهنت بي الأسنان أزلتُ وجعها الناتج عن المواد الباردة. وإذا دُهنت بي البواسيرُ سكّنتُ ألمها. وإذا كُحِلت بي العين أزلتُ رمدها البارد. وإذا حُقن بي في الإحليل نفعتُ في حَبْس البول. وأترك تأثيرا إيجابيا قويا في القوة الجنسية إذا لم ينفع المسكُ والأدوية المناسبة الأخرى. وأنفع في حالة الإصابة بالصرع والسكتة والفالج وشلل الوجه الرُّعاشي والاسترخاء والرعشة والخَدَر وما شابهها من الأمراض. وأنا إكسيرٌ للأعصاب والدماغ. وإن لم أكن متوفرا فالجدوار يقوم مقامي في معظم الحالات.

فباختصار، كل هذه الأشياء تمدح نفسها بلسان حالها وهي محجوبة بأنفسها؛ أي محجوبة بحجاب خواصها، لذا فقد بعُدت من مبدأ الفيض. فلا يمكن لمشيئة مبدأ الفيض أن تكون على صلة بها بغير توسط أشياء تكون منزَّهة عن هذه

---

[٢١١] *السوسن. (المترجم)*

[٢١٢] عنب *الثعلب. (المترجم)*

[٢١٣] *نوع من الصرع. (المترجم)*

الحُجُب، لأن الحُجُب تحول دون هذا الفيض. لذا فقد اقتضت حكمة الله أن يكون هناك مخلوق ليس محجوبا بنفسه ليكون المظهر الأول لإراداته ﷻ، بل يكون خلقًا فريدًا يخلو عن نفسٍ حاجبة من حيث فطرته على عكس الأشياء الأخرى، ويكون بمنزلة جوارح الله تعالى، ويكون عدده مطابقا لجميع إرادات الله تعالى التي لها علاقة بالمخلوقات وكافة حاجاتهم. وتكون تلك المخلوقات الغريبة واقفة أمام الله تعالى دائما محافظة على فطرتها كالمرايا النقية، وتكون ذات جهتين من حيث وجودها؛ جهة للتجرد والتنزُّه، وهي ألطف ومنزهة عن الحُجُب في حد ذاتها، وعلى ذلك تكون مختلفة عن المخلوقات الأخرى، وشبيهة تماما بوجود الله تعالى على وجه الظلية وغير محجوبة بنفسها.

والجهة الثانية: من حيث المخلوقية وبسببها تكون مطابقة للمخلوقات الأخرى وقريبة منها من حيث تأثيراتها. فبسبب إرادة الله هذه وُجد هذا المخلوق الغريب الذي يُسمَّى الملائكة. والملائكة فانون في طاعة الله لدرجةٍ لا يملكون شيئا من الإرادة والتوجّه والقوى الذاتية؛ أي لا يملكون أن يكونوا لطفاء بأحد من تلقاء أنفسهم أو أن يغضبوا عليه، أو يريدوا شيئا برغبتهم أو يكرهوه من عند أنفسهم، بل هم مثل جوارح الله تعالى تماما. إن كافة إرادات الله تنعكس من خلال مراياهم النقية أولا ثم تنتشر في المخلوقات بواسطتهم ولأن الله تعالى في مقام التجرد والتنزه التام بسبب قدسيته التامة، لذا فإن الأشياء التي لا تخلو عن كدورة الأنانية ووجودها المحجوب - بل هي محجوبة بنفسها- لا تنسجم مع مبدأ الفيض هذا؛ لذا كانت هناك حاجة إلى أشياء تطابق الله من وجه، ومن وجه آخر تطابق المخلوق لكي تنال الفيض من جهة وتوصله إلى جهة أخرى.

ومن الواضح أنه ما من شيء في الدنيا مستقل بذاته من حيث وجوده وبقائه وحركته وسكونه وتغيّراته الظاهرية والباطنية وفي إظهار خاصيته وفي اتّخاذ كل

عَرَضه[٢١٤] أو تركه. بل إن كافة أمور الخلق تسير بالاستناد إلى ذلك الحي القيوم وحده، وإن كان يبدو في الظاهر أننا لسنا محتاجين للعون من الغيب في شؤوننا بل نستطيع أن نتحرك حين نشاء ونتوقف حين نريد، ونستطيع أن نتكلم أو نسكت متى نشاء، ولكن نظرة العارفين تؤكد أننا بحاجة حتما إلى النصرة من الغيب في كافة حركاتنا وسكناتنا وجميع أمورنا الأخرى. وإن قيومية الله تعالى تعمل في حالة كوننا نطفةً وعلقة ومضغة وكوننا جنينا وفي كل حركة من حركاتنا وسكناتنا وكل قولنا وفعلنا؛ أي في كل ما يستلزم كوننا مخلوقا، ولكن تلك القيومية لا تنزل علينا مباشرة لكوننا محجوبين بأنفسنا؛ لأنه لا تشابه بيننا وبين ذات الله الألطف والأعلى والأغنى ونور الأنوار. لأن كل شيء منا، سواء أكان حيا أم لا، محجوبٌ بنفسه وبعيد كل البُعد عن حظيرة تنزه القدسية. لذا صار توسط وجود الملائكة بيننا وبين الله تعالى ضروريا كضرورة توسط القوى الروحانية والحسية بين جسد الإنسان ونفسه، لأن النفس كانت في غاية التجرد واللطافة، وأما الجسد فكان محجوبا بنفسه وواقعا في الكدورة والظلمة، لذا فقد خلق الله تعالى بينهما القوى الروحانية والحسية ذات الاتجاهين كي تنال تلك القوى فيضا من النفس الناطقة وتؤدِّب به الجسد كله وتهذِّبه.

فليكن معلوما أن الإنسان **عالَم صغير** ويحتوي على كافة شؤون العالم الكبير وصفاته وخواصه وكيفياته، كما يتبين من قدراته وقواه أنه يستطيع أن يُظهر نموذجا لقدرة كل شيء؛ إذ يملك الضوء مثل الشمس، والنور مثل القمر، والظلام مثل الليل، ويمكن أن يكون منشأ آلاف الإرادات الطيبة والسيئة أيضا، وهو يقدر على النمو مثل الأشجار ويجذب إليه كل شيء بقوته الجاذبة. وكذلك يثبُت كونه عالَما صغيرا

---

[٢١٤] العَرَض ضد الجوهر، أي ما كان قائما بغيره ومثاله الثوب ولونه، فالثوب جوهَرٌ واللون عَرَضٌ، لأنه لا وجود للون دون وجود الثوب. (المترجم)

من وجه آخر أيضا وهو أنه يجد كل شيء بداخله مثل العالم الكبير عند كشوفه الصادقة ورؤاه الصالحة؛ فيرى القمر في كشوفه ورؤاه أحيانا، ويرى الشمس والنجوم أحيانا أخرى، وتارة يرى أنهارا من شتى الأنواع، ويرى الحدائقَ والنار والهواء وغيرها من الأشياء. والأغرب من ذلك أنه يرى نفسه أحيانا في رؤاه الصالحة وكشوفه الصادقة كأنه صار شمسا أو قمرا بنفسه، أو كأنه صار أرضا فيها آلاف البلاد. فتبين من هذه الأدلة أن الإنسان، عالَم صغير، يملك في نفسه كل نموذج للعالم الكبير. فإذا تعذّر فهمُ سرٍّ خفيٍّ من العجائب الدقيقة للعالَم الكبير، فالطريق الأمثل هو أن يرجع المرء إلى العالم الصغير للاطلاع على ما يشهد عليه في هذا الأمر، لأن كِلا هذين العالَمين كالمرايا المتقابلة. والعالم الذي رأيناه بجزئياته يمكننا أن نجعله معيارا لتشخيص عالم آخر. ولا شك أن شهادته يمكن أن تكون مدعاة لاطمئناننا.

أما الآن وقد مُهِّد هذا التمهيد، فمن الأحسن القول بأن علاقة الملائكة بالأجرام العلوية والأجسام السفلية كعلاقة القوى النفسية والحِسّية بجسد الإنسان لأنه كما أن نفس الإنسان تدبّر شئون جسم الإنسان بواسطة القوى الروحانية والحِسِّية كذلك إن قيوم العالم -الذي هو كالنفس المدّبرة لبقاء العالم كله وقيامه، وهو نور حياته بحكم الآية: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢١٥]- يدبّر العالم الكبير بواسطة الملائكة، كما تقوم نفسُ الإنسان بتدبير جسده بواسطة القوى النفسية والحسّية. ولا يسعنا إلا القبول بأن كل ما ثبت في العالم الصغير من نظام الله الأحد الذي لا شريك له، يشبهه نظاما آخر في العالم الكبير أيضا، لأن كِلا النظامين صادر من الذات نفسه. والحق أنه من مقتضى ذلك الواحد الذي لا شريك له، أن يكون كِلا النظامين على شكلٍ ونمط واحد ليدلا معا على خالق وصانع واحد. فوحدة النظام تؤيد توحيد البارئ عز اسمه، لأننا نستطيع القول بأنه لو كان هناك أكثر من إله

---

[٢١٥] *النور*: ٣٦

لوُجد في هذا النظام اختلاف كبير.

فباختصار، من الواضح تماما أن وجود ملائكة الله مهمّ للعالَم الكبير كأهمية القوى الروحانية والحسّية في نشأة الإنسان الذي هو العالَم الصغير.

وإذا أثير اعتراض أنه إذا كان للملائكة وجود في الحقيقة فلماذا لا نراهم؟ ولماذا لا نشعر بأي نوع من عونهم؟ بل نرى بكل وضوح أن كل شيء يعمل بحسب قواه الفطرية. فمثلا الجنين الذي يتكوّن في الرحم، والثمارُ التي تحملها الأشجار، أو الجواهر الثمينة التي تتكون في المناجم إنما هي سلسلة طبيعية مستمرة؛ إذ أنّ الطبيعة المدبرة الحيوانية والنباتية والجمادية تبلِّغ فِعلها مبلغ الكمال كما ظل الحكماء يقولون منذ القِدم، وتؤيد التجربة أيضا الأمرَ نفسه، لأننا نستطيع أحيانا أن نذلل أفعال الحيوانات والنباتات والجمادات لإرادتنا؛ بمعنى أننا نستصدر منها أعمالا بحسب مبتغانا. فمثلا يسقط الجنين من الرحم أحيانا قبل أن يتم خلقُه، وتصاب السيدات بمرض الإسقاط، فيفهم الطبيب الحاذق من ذلك أن قوى الرحم قد ضعُفت، فيعطي المريضة مُلَيِّنا خفيفا في أوائل الحمل ويزيل المواد المؤذية، ويصف لها أدوية تقوّي الرحم مثل جوارش اللؤلؤ ودواء المسك وغيرهما، ويأمرها أن تعتزل بعلَها بعض الوقت. فبهذه التدابير تلاحَظ الفائدة بصراحة تامة ويُنقذ الجنينُ من السقوط.

وكذلك عندما يجد البستاني الذكي والفطين أن شجرة مثمرة تحمل ثمارا أقل من المفروض فإنه يُجيل النظر في سبب ذلك ويقلِّم أغصانها أحيانا واضعا في الاعتبار أسبابا متفرقة، أو يحفر حفرة صغيرة تحتها تارة ويسقيها بقدر الضرورة، وتارة أخرى يزودها بالسماد العادي أو يسحق العظام ويضع المسحوق عند جذرها. وكذلك يقوم الذين لديهم إلمام بالبحوث عن المناجم بخطط من هذا القبيل.

وفي أغلب الأحيان ينجح كل هؤلاء؛ فإذا كانت هذه السلسلة خاضعة لإرادة الملائكة، فلماذا لا يستطيعون الصمود أمام تدابيرنا؟ فيبدو أن الزمن الذي كان الناس

فيه يجهلون تحقيقات كاملة للعلوم الطبيعية اختُرع فيه وجود الملائكة. فمن عادة الناس البحث دائما عن علة المعلولات، وعندما لم يستطيعوا العثور على علة صحيحة، اخترعوا وجود الملائكة في زمن الجهل لتسكين مخيلتهم. هذا ما يعلِّمه التنوُّر في الزمن الحالي، (وويل لهذا التنوُّر) من أوهام باطلة لذوي الثقافة الحديثة. لقد بيّنتُ هذا القدر بشيء من التردد ولكن الحق أن نظر معظم الناس لا يتوقف عند هذا الحد، بل ينقدون وجود الله تعالى أيضا على هذا النحو، حتى رفضوا وجود الخالق الحق نهائيا.

أما الجواب: فليكن واضحا أن القول لماذا لا نرى الملائكة لغوٌ تماما. إن للملائكة وجودا لطيفا مثل الله تعالى تماما، فكيف يمكن رؤيتهم بالعيون المادية؟ هل الله تعالى الذي يسلِّم بوجوده هؤلاء الفلاسفة أيضا يُرى بهذه العيون الفانية؟ وإضافة إلى ذلك ليس صحيحا أيضا أن رؤية الملائكة محال، لأن العارفين يرونهم بعيونهم الروحانية في كشوفهم التي يرونها في اليقظة في معظم الأحيان، ويتحدثون إليهم ويأخذون منهم علوما كثيرة.

أقسم بالله الذي نفسي بيده، والذي لا يترك المفتري الكذّاب دون أن يخزيه ويعذّبه، بأنني صادق في بياني هذا؛ إني رأيت الملائكة مرارا في عالم الكشف وأخذت منهم بعض العلوم، وعلمت منهم الأخبار الماضية والمستقبلية التي كانت مطابقة للواقع تماما. فأنّى لي أن أقول بأنه لا يمكن لأحد أن يرى الملائكة؟ لا شك أنهم يُرَون ولكن بعيون أخرى. وكما يضحك أولئك القوم على هذه الأمور، يبكي عليهم العارفون. ولو بقوا في صحبتي لاقتنعوا بالطرق الكشفية، ولكن المشكلة أن لديهم نوعا من الكبر؛ فلا يسمح لهم أن يحضروا طالبين الحق متواضعين متذللين.

أما القول بأنه لماذا لا نشعر بأفعال الملائكة؟ فهو أيضا فرع من الاعتراض الأول. فكما لا يُرى الملائكة في حالة المحجوبية، ولا يُعثَر على وجود الله أيضا، بل

يكون مدار الإنسان كله على أفكاره هو، كذلك لا نشعر بأفعال الملائكة أيضا لأنهم روحانيون. هنا يصدق المثل القائل بأن الأعمى أنكر وجود الشمس قائلا بأنه لا يعثر عليها باللمس، فخاطبتْه الشمس وقالت: يا أيها الأعمى لا يمكن العثور عليّ باللمس لأني بعيدة جدا عن يديك. فادعُ الله أن يهبك عينين فستراني بهما.

أما الفكرة أنه إذا كانت الملائكة هي المدبِّرات والمقسِّمات أمرا، فلماذا تنجح مساعينا نحن، ولماذا تتحقق معظم شئوننا ومخططاتنا وتدابيرنا بحسب رغبتنا؟ فجوابه أن مخططاتنا وتدابيرنا هذه أيضا لا تخلو من تدخّل الملائكة وإلقائهم وإلهامهم. إن الأعمال التي يُنجزها الملائكة بإذنه تعالى يستخدمون لإنجازها شخصا أو شيئا أُودعتْ فطرته موهبة لقبول تأثير الملائكة؛ فمثلا إذا أراد الملائكة أن ينزِّلوا بإذنه تعالى مطرا في مزرعة أو قرية أو بلد، فلا يمكن أن يصبحوا ماء بأنفسهم، ولا يستطيعون أن يأخذوا من النار خدمةً في إنزال الماء، بل يوصلون السحاب بتأثيراتهم الجاذبة إلى المكان المقصود، وبصفتهم مدبِّرات الأمر ويجعلونه يمطر بحسبما قُدِّر كيفا وكمًّا وتقديرا. توجد في السحاب كافة القوى التي يمكن وجودها فيما لا روح فيه ولا إرادة ولا شعور بصفته جمادًا أو مادةً. إن المهمة الموكولة إلى الملائكة هي التقسيم والتدبير، لذلك سُمُّوا "المقسِّمات" و"المدبِّرات". أما الإلقاء والإلهام الذي ينزّله الملائكة فيكون بقدر مواهب المتلقِّي الفطرية؛ فمثلا الإلهام الذي يُنزلونه على عباده الأصفياء لا ينزلونه على غيرهم، بل لا يتوجّهون إلى ذلك أصلا. فمِن منطلق هذه القاعدة يستفيد كل شخص من فيض إلقاء الملائكة على قدر موهبته، والعلم أو الفن الذي يجعله نصب عينيه ينال في مجاله العون من الملاك؛ فمثلا حين يريد الله جلّ شأنه أن يصاب أحد بالإسهال نتيجة تناول دواء معين، يلقي الملاكُ في قلب الطبيب أن يعطيه دواء مسهِّلا فيصف للمريض "التُّرْبَد" أو خيار شنبر (الخروب الهندي) أو السفرجل أو السَّقَمونيا أو السَّنا أو زيت الخِرْوَع أو شيئا آخر بحسبما أُلقي في قلبه،

فيقبل طبعُه هذا الدواء بتأييد الملائكة ولا يتقيأه، عندها يلقي الملائكة بتأثيرهم على ذلك الدواء ثم يوصلون تأثيراته إلى جسد المريض وتبدأ المواد المؤذية بالزوال بإذنه تعالى. فالله تعالى لم يضيّع -نتيجة حكمته وقدرته الكاملة- سلسلة العلوم والفنون المادية أيضا، ولم يعطّل قدراته الإلهية وسيطرته الدائمة. لولا سيطرة الله الدقيقة لهذه الدرجة على عوارض مخلوقاته وبقائهم وفنائهم لما عُدَّ إلها قط، ولما استقام التوحيد. غير أنه صحيح تماما أن الله تعالى لم يُرد في هذا العالم أن تصبح جميع أسرار العالم بديهة للناس، لأنه لو كان كذلك لما ترتّب ثواب على الإيمان بها؛ فمثلا لو استطاع الناس أن يروا الله والملائكة بأم أعينهم لدخلت هذه المعلومات أيضا في قائمة المعلومات التي ينالها الناس بحواسهم وتجاربهم، وبهذا لن يكون الإيمان بهذه الأمور سببا للنجاة، كما أن الإيمان بمئات الأمور المعلومة الأخرى لا يسبب النجاة؛ فمثلا نحن نؤمن بأن الشمس والقمر موجودان فعلا، وتوجد في الأرض مئات أنواع الحيوانات ومئات أصناف الأعشاب، ومئات النماذج من المناجم والأنهار والجبال، ولكن هل سنُثاب على هذا الإيمان؟ أو هل نكون مقرّبين إلى الله نتيجة إيماننا بهذه الأشياء؟ كلا. فلماذا إذًا يُعدُّ عند الله مستحقا للنجاة ذلك الذي يؤمن بصدق القلب بملائكة الله والجنة والنار وميزان الأعمال يوم القيامة، ويؤمن بالقيامة، ويوقن أيضا بحقيقة أن كُتب الله نزلت في الدنيا وجاءت رسله أيضا، وسيحشر الله الأجساد يوما من الأيام، وأن الله موجود وهو واحد لا شريك له في الحقيقة؟

أيها الأحبة، اعلموا يقينا أن السبب في ذلك هو أن هذا الشخص يؤمن بالله الذي ما زال في الغيب، ويؤمن بصحة أخبار كتابه الغيبية، فيُعَدّ عند الله صالحا وذا فكر مستقيم وحَسَن الظن، ومطيعا، فيُغفَر له ببركة صدقه، وإلا ما علاقة النجاة بمجرد المعلومات؟ فلو قال أحد يوم القيامة بعد زوال الحُجُب كلها: أؤمن الآن بالجنة والنار الماثلتين للعيان، والملائكة الواقفين صفا، والميزان الذي توزن به الأعمال، ورب

العالمين الجالس على كرسي العدالة؛ فهل سينجو نتيجة إيمانه بكل هذه الأشياء؟ كلا. إذًا، ما السبب في عدم نجاته؟ أليس السبب وراء ذلك أنه سيكون قد رأى حينئذ بأم عينيه كل تلك الأشياء التي كانت في حُجُب الغيب من قبل، فأفلتت من يده فرصة نيل الثواب التي لا ينالها إلا الذي يجهل تلك الأدلة الواضحة ثم يصل إلى حقيقة الأمر بالاستنباط من القرائن الدقيقة البحتة؟

الأسف كل الأسف أن هناك غشاوة على عقول الذين يكادون يضحون بأنفسهم من أجل علم الفلسفة؛ فلا يفهمون أنه لو جُعلت معرفة البارئ تعالى وبوجود الملائكة وبحشر الأجساد وبالجنة والجحيم والمعرفة بالنبوة والرسالة واضحة وكُشفت بالبداهة مثل علم الهندسة والرياضيات، ووُضّحت مثل بعض أجزاء العلوم الطبيعية والطب والأفلاك؛ لما كان لهذه العلوم الواضحة والضرورية أية علاقة بنجاة الإنسان. فالنجاة في الحقيقة فضل كبير من الله بحبه جلّ شأنه الذي يتوجه إلى الصالحين والصادقين والمؤمنين الحقيقيين والأوفياء والمؤمنين بالأخبار الظنية، فأيَّ صلاح وصدق وصفاء يمكن أن يثبته الإيمان بالأمور البديهية والضرورية؟ نرى بكل وضوح بأننا كما نؤمن أنّ نِصف الأربعة هو اثنان، كذلك يعتقد بهذا أوقح الناس أيضا. نحن نؤمن ونعتقد بوجود آلاف الأشياء -بل عشرات الملايين منها- بالقطع واليقين، ولا نشك في وجودها قط، فهل نثاب نتيجة الإيمان بها؟ كلا. فلهذا السبب لم يُظهر الله تعالى آياته بالبداهة بواسطة أنبيائه كما ظل يطلبها الجهال من الناس في العالم دائما، بل ألقى غشاوة الابتلاء أيضا على الذين كانت على مواهبهم غشاوة سابقا. كما ذُكر في القرآن الكريم أن جهّال مكة كانوا يقولون للرسول ﷺ بأنهم سيؤمنون بشرط أن يُحيا جميع أموات العرب، أو يرقى في السماء أمام أعينهم وينزل منها أمام أعينهم مع كتاب الله يأخذونه في أيديهم ويقرأونه. ولكن هؤلاء الأغبياء لم يعرفوا أنه لو كُشفت الحقائق إلى هذا الحد فأيّ فرقٍ بقي بين هذا العالَم وبين

القيامة؟ وكيف يمكن إطلاق لفظ الإيمان على هذا القبول بعد ظهور الآيات بتلك البداهة؟ ومن ذا الذي لا يقبل الحقائق البديهية البينة؟

فلباب القول إن أساس أفكار الفلاسفة هو الخاطئ إنهم يريدون أن يُصنِّفوا الإيمانيات كلها في قائمة العلوم المشهودة المحسوسة ويريدون أن يثبت وجود الملائكة والجنة والجحيم ووجود الله كما عُثر على أكثر بقاع المعمورة وكثير من النباتات والمناجم نتيجة البحوث الحالية. ولكن كيف للشيء الذي أدخله الله تعالى في الإيمانيات منذ أول يوم لإيجاد سبيل لنجاة الإنسان أن يبلغ هذه الدرجة من الهداية على عكس مشيئة الله؟ غير أنه عندما يتقدم الإنسان من درجة الإيمان إلى مرتبة العرفان يرى هذه الأمور كلها بصورة الهداية دون أدنى شك، بل تثبت تلك الأمور بقوة أكثر من إثباتات الرياضيات لأن معظم إثباتات الرياضيات مبنية على النظريات الوهمية، بينما تكون الأمور الدينية حائزة على مرتبة العرفان ومنزهة من الشبهة والشك. إنّ الأدلة على هذه المعتقدات لا تقل عن أدلة أكثر الأمور بداهة في هذا العالم، بل إنها أقوى من ذلك، ولكن الشقي لا يرغب في هذه السبل قط، بل يريد أن يصل إلى حق اليقين بواسطة السبل التي لم تحددها سنن الله الأزلية في الكون لمعرفة هذه الأمور؛ ومَثله في ذلك كمثل الذي يضع على عينه قطعة حلوى ثم يريد أن يعرف هل هي حلوة أو مُرَّة، أو كالذي يغلق عينيه ويريد أن يستخدم الأذنين للرؤية.

فليكن معروفا أنه ليس صحيحا القول أنه من أجل التسليم بهذه الأمور يريد الله تعالى أن يكلِّف عباده في مرتبة الإيمان بما لا يطاق، بل قدّم ﷻ للتسليم بها براهين دقيقة بحيث لو أمعن فيها سليم العقل لأمكنه أن ينال نصيبا وافرا من اليقين؛ فمثلا إن الإيمان بالله تعالى في مراتب الإيمان هو الإيمان بالغيب، ولكن انظروا كيف يزخر القرآن الكريم بالاستدلالات والبراهين القاطعة لإثبات وجود ذلك الخالق. كذلك لا

يسعنا أن نضع يد الملائكة في يد مَن ينكر وجودهم أو نُريه إياهم وهم يقومون بأعمال معينة، بل يكفي طالبَ حقٍّ أن تثبت في نظره ضرورة الملائكة حتما عند رؤيته إدارة النظام في منتهى الدقة، وإذا كان هذا الطالب ملحدا فسنثبت له وجود البارئ تعالى أولا، ثم نثبت له أنه لا يمكن أن يكون هناك إله سوى ذلك الإله الذي لا تسقط ورقة بدون أمره وإذنه، ثم نثبت له أن الحِكم الدقيقة التي يُنعم الله تعالى بها على عباده بواسطة الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح وغيرها، لم تُعطَ تلك الأشياء قوى قط لمعرفة تلك الحِكم ووضعِ الشيء في محله، كما أثبتنا قبل قليل. وقد أثبتنا أيضا أن الله تعالى لا يعمل شيئا بغير الوسائط. والأشياء التي يجعلها ﷻ وسائط، يعطيها أولا قوى وقدرات مناسبة لإنجاز تلك الأعمال؛ فيسخِّر الأذكياءَ لإنجاز أعمال تتعلق بالذكاء، ويستخدم أولي العزم لإنجاز أعمال ذات صلة بالعزم، ويسخّر الناس لإنجاز أعمال تتعلق بالناس، ويستخدم الحيوانات لأعمال تتعلق بها، ويستخدم أصحاب النظر الدقيق في المجال المعني.

فلا شك أن ضرورة الملائكة تثبت دون شك بعد تقديم كل هذه الأدلة. أما في الإيمانيات فيكفي هذا القدر للإثبات كيلا يكون تكليف بما لا يطاق، وكيلا يضيع ثواب الإيمان أيضا؛ لأنه لو أُثبت وجود الملائكة كأنهم أُحضِروا أمام الأعين لما بقي الإيمان إيمانا، ولفاتت الحكمة وراء النجاة، **فافهم وتدبّر ولا تكن من المستعجلين**. منه.

الحاشية على الحاشية [٢١٦]

كيفية السماوات

ما يظنه علماء الفلك الأوروبيون المعاصرون، وهم فلاسفة أوروبا، عن وجود السماوات لا يتعارض مع بيان القرآن الكريم؛ فمع أن القرآن الكريم لم يعتبر السماوات قطبا محضا، إلا أنه لم يعتبر المادة السماوية التي تملأ القطب مادة صلبة وكثيفة ومتعسّرة الخرق أيضا، بل عدّها مادة ليّنة وكثيفة مثل الهواء أو الماء وتسبح فيها النجوم إذ يقول جلّ شأنه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ *(يس: ٤١)*

الشرح الذي قام به الإغريق عن السماوات لا يطابق شرح القرآن، وشرح القرآن عن وجود السماوات هو الصحيح، وهو صدق بدهي لا يسع عقلا سليما إنكاره

غير أن الإغريق حسِبوا السماء أجساما كثيفة وطبقات متراكمة مثل قشر البصل، وعدّوا سماء الطبقة الأخيرة التي تحيط بالطبقات كلها منتهى المخلوقات جميعا، ويسمُّونها "فلك الأفلاك" و"المحدّد" أيضا، وهي تدور مع ثلاث سماوات أخرى تسمّى **"المدير"** و**"الجوزهر"** و**"المائل"** -بحسب زعمهم- من المشرق إلى المغرب، وتدور السماوات الأخرى من المغرب إلى المشرق. ويزعمون أن الفلك "المحدّد" هو منتهى معمورة العالَم بحيث لا خلاء بعدها. وكأن الله تعالى جعل من ممالكه المقبوضة جدارا ليس وراءه شيء من الخلاء.

لا يخفى ما يرد على رأي الإغريق هذا من اعتراضات. ولا ترد من حيث القياس فحسب بل تكذّبهم التجربة أيضا. وما دامت المناظير في أيامنا هذه تكتشف النجوم البعيدة أيضا وتُري الشمس والقمر وكأنهما على بُعد بضعة أميال فقط، فمن الغريب حقا أنه مع أن السماء، بحسب زعم الإغريق، جوهرٌ كثيف لدرجةٍ ليست قابلة للخرق والالتئام، وكبيرة بحيث لا مجال للمقارنة بينها وبين الشمس والقمر من حيث ضخامتها، ولكنها مع ذلك لم تُشاهَد

---

[٢١٦] *هذه الحاشية تبدأ من صفحة ٤٧٩ من الكتاب، ولكننا أخرناها إلى هنا لطولها. (المترجم)*

بالمناظير الحالية. وإن لم تشاهَد السماواتُ البعيدة لكان من المفترض أن تشاهَد السماء الدنيا على الأقل وهي الأقرب من بينها. فمما لا شك فيه أن صورة العالم العلوي التي رسمها الإغريق ليست صحيحة، وتقع عليها اعتراضات لا يمكن التخلص منها بأيّ حال.

أما حقيقة السماوات التي بيَّنها القرآن الكريم فهي الأصح والأصوب ولا تقوم للإنسان قائمة دون قبولها، وكل ما يقال على العكس من ذلك فهو مبني على الجهل البحت أو التعصب المحض. إن القرآن الكريم لا يعتبر السماوات طبقات كثيفة مثل الفلاسفة اليونانيين، ولا يعدّها مثل بعض الجهال قطبا محضا ليس فيه شيء؛ فإن خطأ الشق الأول ظاهر من الناحية العقلية كما قلنا قبل قليل. أما الشق الثاني القائل بأن ليس للسماء وجودا ماديا قط وهي ليست إلا قطبا محضا، فيثبت أيضا أنه خطأٌ محضٌ بناء على الاستقراء؛ لأننا لو أردنا البحث والتحقيق بواسطة تجاربنا الاستقرائية عن الجوّ الذي يتراءى لامعا أكثر مقارنة مع النجوم، لتبين بوضوح تام أن سنة الله أو قانون الله هو أنه ﷻ لم يترك أيًّا من الأجواء خاليا محضا. فمَن يخرق طبقات الهواء جالسا في المنطاد يمكن أن يشهد أنه كلما صعد إلى الأعلى في الجو لم يجد جزءا منه فارغا، فمن شأن هذا الاستقراء أن يعيننا كثيرا على الفهم أن تحديد السماء في حدود ليس صحيحا، وكذلك ليس صحيحا أيضا أن المراد من السماء هو الجوّ الفارغ أو القطب فقط ولا توجد فيه مادة مخلوقة. فبقدر ما وصلتْ تجارب رؤيتنا لم نر قطبا مجردا، فأنّى لنا أن نحكم بما يعارض استقراءنا المستمر ونقول بأن بعد هذا الجو المملوء هناك أنواع جوٍّ خالية تماما؟ هل هناك أيّ دليل ينافي الاستقراء الثابت؟ كلا. فكيف نقبَل إذًا وهمًا لا أصل له؟ وأنّى لنا أن نترك دليلا قاطعا بغير دليل مخالف وغالب؟

وإضافة إلى ذلك إن في ذلك إساءة إلى الله تعالى وكأنه كان عاجزا عن الخلق

العام والكامل، لذلك خلق خلقا قليلا وترك بقية الجوّ غير المتناهي على حاله. ولا أفهم أيّ دليل قطعي ويقيني وقع في أيدي الذين يعتقدون بالقطب وحده أو يمكن أن يعتقدوا ضد الثبوت الاستقرائي القائل بأنه ما من جوٍّ يخلو من جوهر لطيف؟ إذا كان أحد يعتقد أنه لا يوجد بعد بعض الكرات المادية إلا القطب الذي لا نهاية له، فتتم عليه حجتنا بصراحة تامة نتيجة حجتنا الاستقرائية. والمعلوم أن معظم ما ثبت في هذه الدنيا فقد بُني على الاستقراء؛ فمثلا قولنا بأن للإنسان عينين، ولسانا وأذنين، ويخرج من رحم المرأة، ويكون طفلا ثم يشِبّ ثم يشيخ حتى يموت في نهاية الأمر بعد أن ينال عمرا معينا، وكذلك قولنا بأن الإنسان ينام ويأكل وينظر بالعين ويشم بالأنف ويسمع بالأذنين، ويمشي بالقدمين ويعمل باليدين، وله رأس بين الأذنين، وكذلك هناك مئات الأمور الأخرى من هذا القبيل، وما اكتشفناه من أنواع الخواص في كل نوع من النباتات والجمادات والحيوانات؛ فهذه كلها لم يكن لها من سبيل سوى وسيلة الاستقراء؟

ولو كان لأحد كلام في الاستقراء لانقلبت كل هذه العلوم رأسا على عقب. وإذا خالجت قلوبهم شبهة أنه إذا كان للسماوات وجودٌ فلماذا لا تُرى إذًا؟ فجوابه أنه ليس شرطا أن يكون كل وجود مرئيا. وأنّى للكيان اللطيف أن يُرى؟ وأنّى لمنظارٍ أن يكتشف وجوده؟

فباختصار، إن الله تعالى عدّ السماوات كيانا لطيفا جدا. هذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي أن كل نجم يسبح في سمائه التي هي مداره. والحق أن الله تعالى لا يعدّ عرشه كـ "محدّد" الإغريق، ولم يعتبره محدودا، بل عدّه طبقة عليا بحيث لا طبقة أعلى منها كيفا وكمًّا. وليس الأمر مستحيلا ولا محالا للمخلوق وللموجود بل الأقرب من القياس أن الطبقة التي تُسمَّى عرش الله لا بد أن تليق بالله وغير محدودة، مثل الله، من حيث سعتها.

ولو طُرح اعتراض أنه قد ورد أيضا في القرآن الكريم أن السماوات ستنشق في وقت من الأوقات، فإذا كانت السماوات مادة لطيفة فما معنى انشقاقها إذًا؟

فجوابه: إن المراد من "السماء" في القرآن الكريم في معظم الأحيان هو: "كلُّ ما في السماء" بما فيه الشمس والقمر والنجوم كلها. وإضافة إلى ذلك إن كل جَرم سواء أكان لطيفا أم كثيفا هو قابل للخرق، بل اللطيف يقبل الخرق أكثر، فما الغرابة لو حدث نوع من الخرق في مادة السماوات بحكم الرب القدير والحكيم؟ وذلك على الله يسير.

وفي الأخير جدير بالتذكر أيضا أنه من الخطأ الفادح حملُ ألفاظ القرآن الكريم كلها على الظاهر. إن كلام الله جلّ شأنه مليء بالاستعارات الدقيقة لكونه بالغا الدرجة العليا من البلاغة؛ فإنَّ الخوض في البحث عن كيفية حدوث انشقاق السماوات وانفجارها يُعدُّ تدخّلا بغير حق في مفاهيم هذه الكلمات الواسعة، وليس لنا إلا أن نقول بأن هذه الكلمات وغيرها من هذا القبيل تشير إلى فناء العالَم المادي. إنّ ما يهدف إليه كلام الله هو أن هذا العالم المادي سيفنى بعد تكوينه. وكل ما بُني سوف يُمزَّق، وكل تركيب سيُفكَّك، وكل جسم يتشتت ويصير ذرات، ويصيب الفناءُ كل جسد وصاحبه. ويتبين من عدة آيات في القرآن الكريم أن كلمات الانفجار والانشقاق الواردة في القرآن الكريم بحق السماوات لا تؤخذ بحرفيتها كما بحق جسم صُلب وكثيف، فيقول الله جلّ شأنه: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٨) أيْ سيطوي الله تعالى السماوات بيمينه عند فناء الدنيا؛ فلو كان المراد من شقّ السماوات هو الشق بالمعنى الحرفي، لعارضته كلمةُ "**مطويات**" وأعطت معنى مغايرا ومنافيا تماما لأنها لا تتضمن معنى الشقّ، بل تذكر الطَّيَّ فقط. وهناك آية في سورة الأنبياء وهي: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا

بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٢١٧]

وقد أورد الإمام البخاري حديثا كلماته: "وتكون السماوات بيمينه" جديرة بالإمعان، أيْ أن المراد من الطّيّ أن الله تعالى سيُخفي السماوات في يمينه. وكما أن هذه الأسباب ظاهرة حاليا والمسبب مختفٍ، أما عندها فسيكون المسبِّب ظاهرا وتختفي الأسباب في زاوية العدم، وكل شيء يرجع إليه ويختفي في تجلياته القاهرة، وسيترك كل شيء مقامه ومركزه وتحلّ محلّها التجليات الإلهية. وبعد فناء العلل الناقصة وانعدامها تظهر العلل التامة والكاملة للعيان. وإلى ذلك أشير في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾[٢١٨] وقوله ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٢١٩] أيْ سيُفني اللهُ تعالى كل شيء بتجلياته القاهرة ويُظهر وحدانيته. وليس المراد من وعود الله تعالى أن يقول شيئا اعتباطيا ثم يضطر لتحقيقه في كل الأحوال، لأن هذا النوع من الوعود لا يليق بعظمة الله الحكيم العليم، بل هذه خاصة الإنسان ضعيف البنيان الذي لا وعدَ من وعوده يخلو من موانع التكلف والضعف والاضطرار وقلة الحيلة، ومع كل ذلك يكون رهين الصُدف وليس مبنيا على العلم واليقين والحكمة الأزلية. أما وعود الله تعالى فتصدر بحسب مقتضى صفاته الأزلية، وأن مواعيده فرع من فروع حكمته غير المتناهية.

وإذا اعترض هنا أحد وقال: لماذا حدّد الله تعالى السماواتِ في سبع سماوات، وما السبب في ذلك؟ فجوابه: الحقيقة أن هذه إشارة إلى تأثيرات مختلفة تجذبها نجوم مختلفة من طبقات سماوية مختلفة، ثم تُلقي بهذه التأثيرات على الأرض. فهذا ما هو مصرَّح به في الآية: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ

[٢١٧] *الأنبياء: ١٠٥*

[٢١٨] *الرحمن: ٢٧-٢٨*

[٢١٩] *غافر: ١٧*

بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٢٢٠] أيْ خلق الله سبع سماوات وكذلك سبع أرضين مثلهن، ثم ألقى تأثير السماوات السبع الذي ينشأ فيها بأمر الله على سبع أرضين لتعلموا أن الله تعالى قادر على خلق كل شيء وعلى إدارة كل نظام، وقادر قدرة تامة على إنجاز أعماله بشتى الطرق والأساليب، لكي تتوسع علومكم وتتقدموا في مختلف العلوم والفنون، وتنشأ عندكم علوم الفلك والطبيعة والطب والجغرافيا وغيرها، وتوجهكم إلى عظمة الله؛ فتعلموا كيف يحيط علم الله وحكمته الكاملة بكل شيء، وكيف تتعلق السماء وما فيها مع الأرض بتركيب أبلغ وترتيب أحكمَ، وكيف أعطى الله تعالى الأرضَ قوةً مستقبِلة وأعطى السماء وأجرامها قوةً مؤثِّرة.

وليكن واضحا أنه كما يتنزّل الأمر من السماء بكِلا الوجهين، المادي والروحاني، وتنزل توجهات الملائكة إلى الأرض ممزوجة مع تأثيرات الأجرام السماوية، كذلك ومن أجل الاستقبال أُعطِيت الأرضُ وأهلها كلتا القوتين، الروحانية والمادية، وذلك لتتحقق المساواة التامة بين المستقبلات والمؤثرات.

والمراد من الأرضين السبع هو طبقاتها السكنية السبع التي بعضها تحت بعض نسبيا. وليس في غير محله إن سمَّينا الطبقات السبع باسم الأقاليم السبعة. ولكن لا ينخدعنّ القراء الكرام هنا بتقسيم الأقاليم السبعة الذي تم بحسب العلوم الإغريقية – حيث أخذه من كتبهم الفلاسفة المسلمون أيضا في صدر الإسلام- أنه صحيح تماما وكامل، لأن ما أقصده من التقسيم هنا هو التقسيم الصحيح الذي لا تخرج أية معمورة عن نطاقه، بل تدخل فيه كل منطقة من مناطق الأرض. لا يهمنا إن كان هذا التقسيم الصحيح والكامل قد تمَّ إلى الآن أم لا، بل أقصد أن الفكرةَ بأنّ الأرض يجب أن تُقسَم إلى سبعة أجزاء –التي ذهب إليها معظم الناس- كانت حضّا

---

[٢٢٠] *الطَّلاق*: ١٣

إلهاميا وشاهدة على تقسيم الله تعالى.

وإذا اعتُرض على أن خلق اللهِ للسماوات والأرض في ستة أيام -كما ورد في القرآن الكريم مرارا- يدل على ضعفه، لأن كل شيء يجب أن يحدث على إثر إرادة الله فورا، كما يقول تعالى بنفسه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٢٢١] أيْ أنه إذا أراد الله لشيء أن يكون فإنّ في أمره قوةً وقدرة بأن يقول للشيء الذي له وجود علمي بحسب علمه ﷻ: كُن، فيكون.

وجواب هذه الشبهة أن مفهوم القدرة والقوة لا يستلزم أن يحدث ذلك الشيء هكذا اعتباطا بلا أدنى تأخير، ولا يدخل في مفهوم الإرادة أن يحدث الشيء المراد في الوقت نفسه حتمًا، بل ستُسمَّى القدرة والإرادة قدرةً كاملة وإرادة كاملة حين تتحقق بحسب مشيئة الفاعل الحقيقية عاجلا أم آجلا. فمثلا إذا كان أحد قادرا على المشي السريع وعاجزا عن المشي البطيء فلا يمكن عدّه كامل القدرة على المشي، بل الذي يملك قدرة على المشي السريع والبطيء كِليهما هو الذي سيُعَدُّ كامل القدرة. أو إذا كان أحد يمدّ يده دائما ولا يستطيع أن يقبضها، أو يبقى واقفا ولا يقدر على الجلوس ففي كل هذه الحالات لا يمكننا أن نعُدّه قويا، بل نعدّه مريضا ومعتلا.

فلباب القول إن القدرة لا تتحقق بوجه كامل إلا إذا كان صاحبها قادرا على كِلا الشقين؛ أيْ على السرعة والبطء. أما إذا كان قادرا على شقٍّ دون غيره فتلك ليست قدرة بل هو عجزٌ وضعف. واللافت أن معارضينا لا يرون قانون الله في الطبيعة بأنه ينزِّل قضاءه وقدره سريعا أحيانا وبطيئا أحيانا أخرى. وثابت أيضا أن صفات الغضب تظهر في معظم الأحيان على جناح السرعة، أما صفات اللطف فببطء وتأخير. فمثلا يكتمل الإنسان ببقائه في البطن تسعة أشهر، أما الموت فلا حاجة له لأيّ بطء قط؛ فيكفي الإنسان إسهال واحد من الكوليرا لموته أو رحيله إلى

[٢٢١] يس: ٨٣

عالَم البقاء بعد أن يلفظ قليلا من الماء متقيئا، والجسد الذي اكتمل ماديا ونفسيا في سنوات طويلة يخذله في لمح البصر.

والآن أكتفي فيما كتبته ردا على هذا الاعتراض، ففيه كفاية، ولكن لا بد من التذكير بالتفصيل أن الإرادة الكاملة أيضا تقتضي كِلا الشقين، السرعةَ والبطء، مثل القدرة الكاملة تماما. فمثلا كما نستطيع أن نعقد إرادة أن يتحقق أمرٌ كذا وكذا حالا، كذلك نستطيع أن نعقدها أن يحدث ذلك بعد عشر سنوات. إن القطار والبرقيات وغيرها من الوسائل الكثيرة التي اكتُشفت ولا تزال تُكتشَف في هذه الأيام، كانت دون أدنى شك في إرادة الله وعلمه منذ الأزل، ولكنها لم تظهر للعيان إلى آلاف السنين. إذًا، فالإرادة كانت موجودة منذ الأزل ولكنها ظلت طيّ الخفاء، ثم ظهرت في وقتها المناسب. وعندما حان الأوان سخّر الله تعالى قوما لهذه البحوث والتحقيقات، ونصرهم حتى نجحوا في مساعيهم.

لماذا خلق الله تعالى الأرض والسماوات في ستة أيام

هناك اعتراض آخر يقدمه "الآريا" الجاهلون في هذا المقام وهو أن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[٢٢٢]، فلماذا خُصِّصت ستة أيام بالذات؟ نسلِّم بأن معظم أفعال الله تتسم بالتدريج كما أن خالقيته التي تعمل عملها الآن أيضا في الجمادات والنباتات والحيوانات تبلِّغ كل شيء إلى خلقه الكامل بالتدريج، ولكن لا نفهم تحديد ستة أيام بالضبط.

الدليل على أنه لماذا خلقت الأرض والسماء في ستة أيام

أما الجواب: فليكن واضحا أن ذكر "ستة أيام" يشير في الحقيقة إلى مراحل الخلق والتكوين؛ بمعنى أن كل ما صدر من الله تعالى كخَلقٍ -وهو ماديّ ويملك جسما- فإنه يبلغ كمال خِلقته مجتازًا مراتب الخلق

[٢٢٢] يونس: ٤

الستة بحسب حكمة البارئ تعالى وقدرته سواء أكان مجموعة العالم أم فردا واحدا من أفراد العالم، وسواء أكان عالَما كبيرا؛ أي الأرض والسماء وما فيهما، أم كان عالَما صغيرا؛ أي الإنسان. وهذا هو القانون في الطبيعة بوجه عام وليس خاصا بالزمن الأول. فيذكر الله جلّ شأنه هذه المراتب الستة نفسها فيما يتعلق بخلق كل إنسان أيضا؛ فقد ورد في سورة المؤمنون قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٢٢٣] أيْ خلْقُنا الإنسان من طين كان خلاصة ومغزى كافة أنواع الأرض وأقسامها، وكان يملك جميع قدراتها، لكي يكون عالما صغيرا من حيث الجسد أيضا، وتكون فيه القوة والخاصية لكل شيء في الأرض، كما أنه عالم صغير من حيث الروح من منطلق الآية: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[٢٢٤]، وهو مظهر تام لروح الله من حيث الشؤون والصفات الكاملة والظلية التامة. ثم بدأنا طريقا آخر لخلق الإنسان؛ إذ خلقنا في الإنسان نطفةً وجعلنا النطفة تستقر فور تكوينه في كيس قوي؛ أي الرحم. وهذا ما عُبِّر عنه بـ "قرار مكين" لينطبق على الرحم والكيس معا. ثم خلقنا من النطفة علقةً، ومن العلقة مضغةً، ومن بعض أجزاء المضغة خلقنا العظام، وكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا آخر؛ أيْ نفخنا فيه الروح، فتبارك الله أحسن الخالقين من حيث الصنعة والكمال وعجائب الخلق.

انظروا الآن، فقد بيّن الله تعالى هنا أيضا القانون نفسه في الطبيعة بأن الإنسان يبلغ كمال إنسانيته بعد أن يجتاز مراحل الخلق الستة. والمعلوم أن هناك تشابها كبيرا بين العالم الصغير والعالم الكبير. وكون الإنسان عالما صغيرا ثابت من القرآن الكريم

---

[٢٢٣] *المؤمنون: ١٣-١٥*

[٢٢٤] *الحجر: ٣٠*

كما تشير إلى ذلك الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٢٢٥]. أي أعطى الإنسانَ كلَّ جزء من المحاسن والميزات المختلفة الموجودة في تقويم العالم وجعله أحسنَ بسبب كونه جامعا لجميع شمائل العالم وشؤونه. فلا بد من الإيمان -بسبب التشابه بين العالَمين وبسبب ضرورة التناسق في أعمال الخالق الواحد- أن توجد في العالَم الكبير أيضا مراتب التكوين نفسها التي توجد في العالم الصغير. ونرى بأعيننا بكل وضوح أن العالم الصغير هذا الذي يُسمَّى بالإنسان، فيه ست مراحل من حيث خلقه. ولا شك أن هذا العالم بمنزلة المرآة لمعرفة تفاصيل العالم الكبير الخافية، فلما ثبتت ست مراحل لخلقه فلنا أن نحكم بالقطع أن للعالم الكبير أيضا ست مراتب للتكوين، متحققة عقليا، من حيث المؤثّرات؛ أي التجليات الستة التي بقيت آثارها الباقية محفوظة في النجوم الستة. وإن علاقة النجوم الستة مع اكتمال الجنين لا تزال معترفا بها في علوم الحكماء. فقد ورد في "السديدي" بحث مستفيض بهذا الشأن.

يعترض بعض قليلي الفهم على ذلك ويقولون بأن هذا الأسلوب لتكوين الجنين في رحم المرأة لا يثبت من البحوث الطبية الحالية بل يثبت عكسه. ولكن هذا الاعتراض مبني إما على قلة العلم الشديدة أو على التعصب الصريح، ولا حاجة لطبيب أو غيره من أجل هذه التجربة، بل يستطيع كل واحد أن يصل إلى صلب الحقيقة ببذل بعض الوقت وبالنظر إلى أولاد يُخلقون خِلقة تامة أو ناقصة أو تُسقطها الأرحام. وصحيح تماما دون أدنى شك كما نعرف من خلال تجربتنا الشخصية أنه عند إرادة الله تعالى تكوّن الجنين في الرحم من النطفة، تستقر في الرحم أولا نطفة الرجل والمرأة. وبسبب بعض التغيُّرات خلال بضعة أيام من امتزاج مَنِيَّين يتكون شيء يشبه الدم المتخثِّر تحيط به طبقة رقيقة، وتتعاظم هذه الطبقة بتعاظم الجنين إلى أن تتحول إلى كيس بُنِّي اللون وتتراءى كصُرّة يبقى الجنين فيها إلى اكتمال خلقه. يتبين

---

[٢٢٥] *التين: ٥*

من القرآن الكريم، وتصدقه البحوث الحالية أيضا؛ أن العالم الكبير أيضا كان كصُرّة إلى اكتمال خِلقته، كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٢٢٦]. فالكافرون لم يروا تخليق السماء والأرض ولم يروا تلك الصرّة، ولكن الإشارة هنا هي إلى السماء الروحانية والأرض الروحانية التي فُتحت صرّتها أمام كفار العرب وفاضت البركات السماوية على الأرض.

والآن أعود إلى كلامي السابق وأقول: إن اجتماع النطفتين، أي نطفة الرجل والمرأة، يشكل المرحلة الأولى للتكوين. ثم ينشأ هياج في مجموعة النطفتين بما فيها من قوة عاقدة ومنعقدة وتميل إلى الحمرة، وكأن المني الذي تكوَّن من الدم من قبل يعود مجددا إلى لونه الأصلي؛ أيْ اللون الدموي. وهذه هي المرحلة الثانية. ثم يتحول الدم المتخثر الذي سُمي بالعلقة، إلى مضغة لحم فيها رسم دقيق لصورة الإنسان. وهذه هي المرحلة الثالثة. ولو سقط الجنين في هذه المرحلة ولوحظ بالدقة والإمعان لشوهدت فيه بعض الأمارات لتكوين الإنسان، حيث يسقط كثير من الأجنة في هذه الحالة أيضا. والسيدات اللواتي تعرضن لذلك، أو اللواتي يعملن قابلات يعرفن هذا الأمر جيدا. ثم تأتي المرحلة الرابعة التي تتكون فيها العظام من المضغة كما تقول الآية: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾[٢٢٧]، ولكن "ال" التعريف في المضغة يفيد التخصيص، والمراد من ذلك أنه ليس كل المضغة تتحول إلى عظام، بل حيثما كانت الحاجة إلى العظام يتصلّب اللحم الرخو نفسه بإذنه تعالى ويأخذ صورة العظم، ويبقى بعض من ذلك اللحم الرخو على حاله. وفي هذه المرحلة تتكوّن صورة الإنسان بكل وضوح ولا حاجة لرؤيتها بمجهر. وإن صورة الإنسان التي كان تكوينها واجبا تكون قد تكوّنت

---

[٢٢٦] *الأنبياء:* ٣١

[٢٢٧] *المؤمنون:* ١٥

سابقًا، ولكنه يكون عاريا عن اللحم الذي هو للإنسان بمنزلة لباس سميك وجميل ولامع، وبسببه تتبين ملامح الإنسان كلها، وتطرأ النضرة على الجسد ويبرز جماله وتتسم أعضاؤه بالاعتدال. ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الخامسة التي تُكسى فيها المواضع المناسبة باللحم السميك بحسب مقتضى الأمر. وعندما يمرض الإنسان بالحمى أو بغيرها يتحلل هذا اللحم نتيجة الجوع ومعاناة المرض الشاقة، وفي كثير من الأحيان يصاب الإنسان بالضعف والهزال حتى لا يبقى منه إلا الهيكل العظمي الذي يمثِّل المرحلة الخامسة التي سبق ذكرها، وذلك كما يحدث للمصابين بالحمى والسّل والسكري في المرحلة الأخيرة من مرضهم. وإذا كانت الحياة مقدَّرة لأحدهم فيكسو الله تعالى جسده لحما.

فباختصار، هذا هو اللحم نفسه الذي يتأتى منه الجمال والاعتدال والرونق في الأعضاء. ولا شك أن الجنين يُكسى بهذا اللحم رويدا رويدا بعد تكوين صورته، وعندما ينال منه جزءا لا بأس به تُنفخ فيه الحياة بإذنه تعالى. عندها ينتقل من الحالة النباتية التي ليست إلا النموّ فقط ويحرز خاصية الحالة الحيوانية، فيبدأ بالتحرك في البطن.

فمن الثابت المتحقق أن الجنين يتحول من حالته النباتية إلى الحالة الحيوانية كاملة بعد أن يُكسى جسده باللحم السميك بحسب مقتضى الأمر. هذا ما أثبتته تجارب الناس ومشاهداتهم المتتالية، وهذا ما بينه القرآن الكريم بتفصيل، وهو ثابت بتواتر التجارب والمشاهدات. وما الاعتراض عليها بعد ذلك إلا فعل الجهال.

أعود إلى كلامي السابق مجددا وأقول: لما كانت سنة الله الثابتة في العالم الصغير أي (الإنسان) أن وجوده يكتمل بعد المرور بست مراحل، فنجد بإرشاد هذا القانون الجاري في الطبيعة دليلا عقليا على أن العالم الكبير الذي خلقه الله جلّ شأنه في بداية الدنيا قد خلقه مراعيا هذه المراحل الست حتما، ويكون قد خصّص كل مرحلة

من أجل التفريق والتقسيم بيوم واحد أو مرحلة واحدة كما خُصِّصت مراحل خلق الإنسان بست فترات. وإن اتفاق أقوام العالم كلها على ستة أيام، وتخصيص ستة أيام للعمل بطرح يوم واحدٍ عطلةً يشير إلى أن هذه الأيام الستة ما زالت تذكارا لتلك الأيام الستة التي خُلقت فيها الأرض والسماوات وما فيهما.

وإن لم يسلِّم بذلك أحد الآن ولم يرتدع عن الإنكار، لقلنا له بأننا أثبتنا للعالم الكبيرِ مراحلَ خلق العالم الصغير الست، وأثبتنا أيضا أن أيام العمل المسلَّم بها في كل قوم هي ستة أيام، وكذلك أثبتنا أن أفعال الله تعالى المتعلقة بالخلق في هذا العالم تتسم كلها بالتدريج، فإذا لم يكن هذا الدليل كافيا في نظر منكر فقد وجب عليه أن يقدم دليلا على ادّعائه أن الله تعالى قد خلق هذا العالم المادي في لمح البصر ولم يخلقه تدريجا.

يعلم الجميع أن الإله الذي كان موجودا في السابق ما زال موجودا الآن أيضا، وأن سلسلة الخلق التي وُجدت من قبل ما زالت على حالها الآن أيضا. نرى بالبداهة أن الله تعالى يبلّغ كل مخلوق ذروة كماله تدريجا، فلا يمكننا القول بأنه ﷻ كان قويا من قبل وكان قادرا على إنجاز العمل سريعا أما الآن فقد ضعف فصار ينجزها ببطء. بل سنقول حتما بأن قانونه ﷻ الجاري منذ الأزل هو أنه يخلق كل شيء بالتدريج؛ فإن أفعال الله الحالية تخبرنا أن التدريج الحالي كان موجودا في الزمن السابق والابتدائي أيضا، ولو لم نر صورة الحال في مرآة الماضي لكنا أغبياء تماما. إن إلقاء نظرةٍ على أسلوب الخلق الحالي لا يُثبت فقط أن الله تعالى قد أبلغ سلسلة خلقه إلى كمالها بالتدريج، بل يُثبت أيضا أنه ﷻ قد حدد لكل مخلوق ست مراتب للخلق. وقد اقتضت حكمة الله في خلق كل مخلوق أن تكون لخلقه ست مراتب وتُنجَز في ستة أوقات. أمعِنوا النظر في أيّ مخلوق لترَوا هذه المراتب الستة متحقّقة فيه؛ بمعنى أنه سيثبت بنظر البحث والتحقيق أن وجود كل مخلوق مادي يكتمل بعد المرور بست

مراحل. وهذا لا يقتصر على الإنسان، بل ستجدون أن اكتمال وجود آلاف الحيوانات الموجودة على الأرض أيضا يتوقف على تلك المراحل الست.

والأمر الآخر اللافت هو أن سلسلة المراتب الست التكوينية لا تنحصر في الخلق المادي فقط بل تلاحَظ في الأمور الروحانية أيضا. فمثلا يتبين بشيء من التدبر أن لخلق الإنسان الروحاني أيضا ست مراتب: أولا، في حالة النطفة يملك الإنسان في نفسه استعدادا ضئيلا فقط لقبول الحق. ثم حين تمتزج مع هذا الاستعداد قطرة رحمة الله، كما تُمنى نطفة الرجل في بويضة المرأة، عندها تتحول حالة الإنسان الباطنية من حالة النطفة إلى حالة العلقة، وتبدأ العلاقة نوعا ما بالنشوء مع البارئ تعالى كما يترشح مفهوم العلاقة من كلمة "العلقة". ثم تتحول هذه العلقة إلى مضغة بدعم دم الأعمال الصالحة كما تصير العلقةُ مضغةً بدم الحيض، ولكن تكون أعضاؤه غير مكتملة. فكما تكون الأعضاء -التي فيها العظام- غير متكوّنة في حالة المضغة، كذلك فإن أعضاءَ تَحَمُّلِ الشدة لوجه الله والثبات لله والاستقامة لله لا تكون قد تكوّنت فيه بعد كما هو حقها، وإن كان التواضع واللين موجودا. ومع أن الشدة والصلابة المطلوبة لا تكون قد نشأت في هذه المرحلة، لكنه يكون قابلا لمضغ القضاء والقدر إلى حد ما مثل المضغة تماما؛ بمعنى أنه يكون جديرا بأن تعمل فيه أسنان القضاء والقدر ويبقى مستقيما تحت وطأتها، لأن العلقة التي تقارب القوام السائل لا تكون قابلة لتُسحَق تحت الأسنان ومع ذلك تبقى مستقيمة، ولكن المضغة قابلة للمضغ، فلذلك سمِّيت مضغة.

ففي حالة المضغة يقع على القلب شيء من حلاوة حب الله ويتوجه التجلي الجلالي إلى ابتلائه بالبلايا؛ فيُمضغ، مثل المضغة تماما، تحت أسنان القضاء والقدر ويُسحَق سحقا.

فباختصار، إن مرتبة السالك الثالثة هي كحالة المضغة. ثم المرتبة الرابعة هي تلك

التي ينال فيها الإنسان إنعام نقوش البشرية كاملة بعد الاستقامة وبركة تحمل البلايا؛ بمعنى أنه يُعطى صورة الإنسان من حيث الروحانية، ويُعطى مثل الإنسان تماما العينينِ والأذنين والقلب والدماغ وجميع القوى والأعضاء الضرورية الأخرى، وبحسب مقتضى الآية: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [٢٢٨] تظهر الشدة والرحمة في مواضعها المناسبة؛ أيْ يصدر كل خُلق في محله، وتكون آداب السلوك كلها مصونة، ويُتِم كل عمل وكلام بمراعاة الحدود بمعنى أنه يقوم بالرحمة في محلها المناسب وبالشدة في محلها المناسب، ويتواضع في محل التواضع ويترفَّع في مقام الترفُّع، كذلك يستخدم كل قواه في محلها المناسب. وهذه الدرجة تشبه درجة الجنين حين يرتقي من حالة المضغة وينال صورة الإنسان كاملة، ويظهر عظم في مكان العظم ويبقى اللحم محل اللحم دون أن يكون فيه عظم، ويتميز كل عضو عن غيره تماما دون أن ينشأ جمال ونضرة واعتدال في الأعضاء في هذه المرحلة، بل يكون هناك نقشٌ فقط لا يُرى إلا بنظر دقيق. وفي مرحلة تالية *(أي الخامسة)* توفقه رحمة الله بالتوفيقات المتواترة وتوصله إلى كمال تزكية النفس وتجذبه إلى النقطة النهائية؛ أي الفناء في الله، وتكسو صورة الجسم بلحم البركات من عدة أنواع، وبهذا اللحم توهب صورته لمعانا، ويوهب هيكلُه كلُّه رونقا وبهاء عندها يمطر على وجهه نور الكاملية، ويُرى في بدنه رونق الكمال التام وبهاؤه. وهذه المرتبة -وهي الخامسة- تشبه درجة الخَلق التي تُكسى فيها عظام الجنين لحمًا ويُظهَر الجمال واعتدال الأعضاء. ثم تأتي بعدها المرتبة السادسة للخلق الروحاني التي ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون:١٥) وهذه هي مرتبة البقاء التي تُنال بعد الفناء، ويُعطى فيها روح القدس على وجه الكمال. وتُنفَخ في الإنسان روح الحياة الروحانية.

كذلك قد اجتمعت هذه المراتب الستة في كلام الله تعالى المقدس، أولا: مرتبة

---

[٢٢٨] *الفتح:* ٣٠

الحروف التي هي بمنزلة البذرة لحامل كلام الله وكلمات كتاب الله تعالى، وليس لها نصيب من المعاني المقصودة. غير أنها تملك استعدادا ضعيفا. ثانيا: مرتبة الكلمات التي ظهرت خارجا بواسطة تلك البذرة، وليس لها نصيب من المعاني المقصودة، ولكنها وسيلة قريبة للحصول عليها. ثالثا: مرتبة تلك الفقرات الناقصة التي لم تبلغ بعد درجة الكلام المقصود الكاملة، لأن سلسلة التنزيل كانت لاتزال ناقصة، ولم يُظهر كلامُ الله تعالى وجهَه على الوجه الأكمل بعد، ولكن نالت تلك الفقرات حظا وافرا من المعاني المقصودة، لذا صارت بمنزلة بعض الأعضاء لكلام الله التام، وسُمِّيت آياتٍ أو سُوَرًا من حيث قلتها أو كثرتها.

رابعا: مرتبة كلامه الجامع والتام والمفصّل والمتميز الذي اكتمل نزوله، وشمل جميع المضامين المقصودة والعلوم الحكيمة والقصص والأخبار والأحكام والقوانين والمبادئ والحدود والمواعيد وكافة أنواع الإنذار والتبشير والقسوة واللين والشدة والرحم والحقائق والنكات كاملة.

خامسا: مرتبة الفصاحة والبلاغة التي أُلبسها هذا الكلامُ منذ الأزل بُغية الزينة والتجميل. سادسا: مرتبة البركة والتأثير وجذب الروح الذي يوجد في هذا الكلام المقدس الذي ألقى بضوئه على الكلام كله وجعله كلاما حيا ومنوَّرا.

كذلك يمكن أن تجتمع هذه المراتب الست في كلام كل عاقل وأديب فصيح، وإن لم يبلغ كلامه مرتبة الإعجاز لأنه لابد أولا من وجود الكلمات التي تُستخدَم لكتابة كلامه؛ سواء أكانت العربية أم الإنجليزية أم الهندية. فهذه هي المرتبة الأولى؛ وهي الوسيلة البعيدة لإظهار المضامين المقصودة، ولكن ليس لها منها نصيب. والمرتبة الثانية هي مرتبة الكلمات التي تنشأ من الحروف المحددة، وهي لم تنل من المعاني والمضامين المقصودة نصيبا بعد ولكنها وسيلة قريبة للحصول عليها. ثم المرتبة الثالثة هي مرتبة الفقرات التي لم تُعدّ إلى الآن جامعة تماما للمعاني المقصودة، ولكن لها

نصيب منها إلى حد ما، وهي بمنزلة بعض الأعضاء لمضمونٍ في ذهن الأديب. والمرتبة الرابعة هي الكلام الجامع والتام الذي خرج من قلب الأديب وأُدرج على الورقة بالتمام والكمال وشمل جميع المعاني والمضامين المقصودة. ثم المرتبة الخامسة هي أن تُكسى تلك الفقرات والعبارات البسيطة صبغة الفصاحة والبلاغة وتُجعَل مليحة بمُلح حُسن البيان. ثم الدرجة السادسة التي تلي هذه الدرجة دون أدنى توقف هي أن تنشأ في الكلام روح التأثير الذي يجذب القلوب إلى نفسه ويترسخ في الطبائع.

تأملوا الآن، فتجدوا أن هذه المراتب الست تشبه تماما وتماثل تلك التي سمِّيت في القرآن الكريم نطفة وعلقة ومضغة، وبعضها مضغة وبعضها عظاما، أي سمِّيت رسم نقش صورة الإنسان، وشكله الكامل والإنسان الحي.

كنتُ قد نويت أيضا أن أرد على اعتراض: لماذا خُلقت الأرض في أربعة أيام وخُلقت السماء في يومين؟ ولماذا قيل بأن عرش الله تعالى يحمله أربعة ملائكة، وسيحمله يوم القيامة ثمانية؟ وما معنى أن عرش الله في البداية كان على الماء؟ ولأن الوقت ضيق وطال الكلام كثيرا، وإن الأجوبة المليئة بالمعارف والحقائق العليا على تلك الأسئلة تحتاج إلى الإسهاب، لذلك أنهي هذه الحاشية هنا، وسأكتب كل هذه المعارف العالية في الجزء الخامس من "البراهين الأحمدية" بإذن الله القدير، وسأُبين للخلق مدى تجرّد معارضينا المستعجلين ذوي الطبائع البليدة من المعرفة والحكمة، وسأكشف مدى بُعدهم وبُعد أديانهم عن الدقائق الحقة، ومن ناحية ثانية سأُبين كيف يجمع القرآن الكريم في تعليمه المقدس حقائق ومعارف ولطائف ونكات سامية، وكيف يحيط بالمحاسن والميزات الروحانية كلها.

وفي الأخير أدعو الله تعالى أن يا ربي القادر، ويا هادي عباده؛ أَظهِرْ حقائق القرآن الكريم ومعارفه على الأمم الغافلة كما جعلتَ هذا الزمن زمنَ ظهور الصنائع الجديدة وبروزها، واجذِب الآن هذا العصر إليك وإلى كتابك وتوحيدك، إذ قد تعاظم

الكفر والشرك وقلّ الإسلام. فيا كريم؛ اجعلْ ريح التوحيد تهبّ في الشرق والغرب، وأَظهِر في السماء آية الجذب. يا رحيم؛ نحن محتاجون لرحمك كثيرا. يا هادي؛ نحن بحاجة إلى هداك بشدة. مبارك ذلك اليوم الذي تظهر فيه أنوارك. ما أطيب تلك الساعة التي تُدَقُّ فيها طبول انتصارك! توكّلنا عليك ولا حول ولا قوة إلا بك، وأنت العلي العظيم. منه.

الحاشية[٢٢٩]

إتمام الحجة على السيد سيد أحمد خان سي. ايس. آي.

إتمام الحجة الضرورية على سيد أحمد خان سي. ايس. آي

يبدو من قراءة بعض العبارات للسيد سيد أحمد خان- زعيم فرقة جديدة في الإسلام- وخاصة تفسيره، كأنه ينكر أن يحظى أحد بمكالمة الله ومخاطبته على وجه الحقيقة. وأظن إلى الآن أنه ينكر الوحي الذي ينزل على الأنبياء بواسطة جبريل ويحتوي على قدرة إلهية وبيان الغيب وخوارق أُخرى، والذي ينزل من السماء خالصا وليس نتاج قوة فطرية. ومع أنه يعترف بوجود جبريل ظاهريا لكن جبريله ليس بجبريل نفسه الذي يؤمن به مئتا مليون مسلم بالإجماع. ويعتقد بكلام الله تعالى أيضا ولكن ليس بالكلام الذي يضم في طياته نور الله تعالى والقدرات الإلهية، بل يؤمن بأنه مَلكة فطرية تقبل فيض الله على قدر مواهب الإنسان، ولا يعتقد أنه الوحي الذي ينبع من ينبوع الألوهية.

واللافت في الأمر أن السيد المحترم يؤمن بأن القرآن الكريم من الله تعالى، ويبدو من سلوكه أنه يحب الإسلام ويواسي المسلمين ومتعاطف أيضا مع حالة ذرية المسلمين الدنيوية. ولكن عجبٌ على عجب! لماذا يُظهر - مع كل ذلك - آراء مجهولة ومنكَرة للغاية على عكس بيّنات القرآن الكريم؟ يبدو أن سببه عائد إلى ابتلاءٍ مباغت قد ابتُلي به؛ وهو أنه - قبل أن يتدبر القرآن الكريم ويطّلع على أدلته المقنعة - توجّه في زمن نحس إلى كتب ألّفها الفلاسفة الأوروبيون المعاصرون الذين يقاربون الملاحدة. وليس ذلك فحسب بل يبدو أنه طفق يصغي لكلام المثقفين الجدد ذوي الطبائع الملحدة التي ترسخت فيها العلوم الطبيعية والفلسفة الأوروبية. وقد اضطر السيد المحترم لمواجهة النتيجة الطبيعية النابعة عن سماعه الأفكار الأُحادية. لقد كان

[٢٢٩] *هذه الحاشية تبدأ بصفحة ١٣٥ من الكتاب وقد أخرناها إلى هنا لطولها. (المترجم)*

غافلا طبعا عن حقائق القرآن الكريم ومعارفه، لذا أثّرت في قلبه خطابات الفلاسفة الساحرة. وإن لم يتداركه فضل الله وطهارة فطرته الحاصلة بفضل الله تعالى فلا يُدرَى إلى أين سيوصله تخبّطه الحالي. إن طيبة السيد المحترم لجديرة بالإشادة إذ إنه لم يهجر القرآن الكريم على أية حال، وإن ابتعد سهوا عن مضامينه وتعليمه وهديه بحيث خطرت بباله تأويلات القرآن الكريم التي لم يعلمْها الله تعالى ولم يعثر عليها رسوله وأصحابه ولم تخطر ببال الأولياء والأقطاب والأغواث والأبدال! ولا يدل عليها نصٌ صراحة ولا إشارة. والأكثر من ذلك تأسفا أن السيد المحترم قضى قضاء نهائيا – بحسن النية – على تعاليم الإسلام التي كانت مبادئ الإسلام الحقيقية ومغزى الوحي، أو قولوا إن شئتم التي كانت اسما آخر للإسلام في حقيقتها. وأوَّلَ في تفاسيره آيات القرآن الكريم البيّنات تأويلات بعيدة عن الصدق والعدل لدرجةٍ لا نستطيع عندها أن نسميها تأويلات بحال من الأحوال، بل هي تمثّل من أحد نواحيها هجوما على تعاليم القرآن الكريم المقدسة. يبدو من كل جملة من كلام السيد المحترم أن قلبه مرعوب ومرتعد من الفلسفة الجديدة التي قدّمتها أوروبا وأن روحه تسجد لها. كلما قرأنا تفسيره – حيثما ظنّ أن القرآن الكريم يعارض الفلسفة المعاصرة فعلا أو بدا له أنه يعارضها في الظاهر – وجدنا في كل مكان أن السيد المحترم قد خرّ على أقدام الفلسفة كمدّعَى عليه معترفا بجرمه، وقبِل التعاليم الفلسفية على الرأس والعين، وجعل القرآنَ الكريم يطلب السِّلم بذلة وهوان مصحوبةً بتأويلات ركيكة، وذلك كما يقدم العدو المغلوب العاجز والمهزوم من كل جانب بعض الأعذار الواهية والسخيفة طالبا السِّلْم. لقد انتظرنا بكل حسرة أن نرى تأليفا من تأليفات السيد المحترم أعملَ فيه سيفا بتارا في الفلسفة المعاصرة، وأثبت بدون تأويل تفوّق القرآن الكريم عند المعارضة. ولكن من المؤسف حقا أن رغبتي هذه لم تتحقق. ولو أوّلَ السيد المحترم الأحاديث التي بدت له معارضة في الظاهر لبيّنات القرآن الكريم أو كانت محل

اعتراض من حيث الفلسفة المعاصرة لما تأسفنا كثيرا، ظنا منا أنه ما زال في يده المتّكأ الأكبر ومدار الإيمان الذي كل حرف من حروفه قطعي ومتواتر ومضمونٌ بالصحة؛ أي القرآن الكريم. ولكن أين نخفي وكيف نستر زلّته أنه همّ ليشطب القرآن الكريم نهائيا. لن أقبل بحال من الأحوال أن قلبه سيشهد في وقت من الأوقات على صحة التأويلات الركيكة التي أسهب فيها كثيرا، بل لا بد أن يخطِّئه قلبه مرة بعد أخرى مخاطبا إياه بالقول: يا رجل! ليس لتأويلاتك أهمية أكثر من أنه لو كان القرآن الكريم إنسانا متجسدا لتبرأ منها بلسانه مئة مرة. والحق أنه قد تبرأ فعلا لأنه يعدُّ الذين يلحدون في آياته مورد غضب.

إن مثال تجاسر اليهود موجود أمام أعيننا ونعرف أيّ لقب نالوه بتحريفهم كلام الله وإلحادهم فيه؟ يجب أن يُستنبَط من آية القرآن الكريم معنى ينسجم مع مئات الآيات الأخرى التي تقوم مصدِّقة له، ويطمئن له القلب ويعلن عفويا أنْ هذا هو المراد الحقيقي الذي يُستدل من كلام الله جلّ شأنه المقدس على وجه اليقين؛ فمن الذنب والمعصية الكبيرة أن نُؤوِّل القرآن الكريم تأويلات بعيدة عن الحقيقة وكأننا نستر عيوبه أو نلقنّه أمورا لم يعرفها.

إن أكبر خطأ ارتكبه السيد المحترم هو أنه حسِبَ البحوث الحالية مسلَّمة الثبوت وجديرة باليقين وكأن إمكانية الخطأ فيها ليست واردة مطلقا، مع أن استخراج الأخطاء في هذه الفلسفة الحديثة والعلوم ممكن كما تُستخرج الآن من الفلسفة والعلوم الطبيعية السابقة. لقد نسي السيد المحترم المثل الفارسي: "قدمُ أصحابِ الاستدلال خشبية"، وقد قدَّر الفلسفة الجديدة تقديرا لا يستحقه إلا كلام الله المقدس وحده الذي لا ريب فيه. قبل بضعة أشهر كتب السيد المحترم إلى أحد أصدقائه، الذي يسكن في سيالكوت، عن مؤلفاتي بأنها لا تنفع أحدا قيد ذرّة؛ بمعنى أنها خالية من الصدق والحق كليا. وليس ذلك فحسب، بل أذكر أنه ذات مرة أيضا

نشر في جريدته أن تحقق نبوءةٍ إلهامية لأحد أو نيلها بالكشوف والمخاطبة مع الله أمرٌ محال، ولو ادّعى أحد ذلك فهو من المجانين، وإن أفكارًا كهذه من بوادر الجنون. وإذا ترسّخت هذه الأفكار في الذهن فهو الجنون بعينه. لا أذكر جيدا كلمات السيد المحترم تحديدا، ولكن هذا كان ملخصها.

على أية حال، لقد تأسفت كثيرا لسماع شخصٍ مثل السيد المحترم يتفوه بهذه السرعة بأمور تعارض تعاليم الفرقان الحميد تماما، وهو الذي يدّعي حب الإسلام ويتحمس لكتابة تفسير القرآن ويدّعي الرصانة والمثابرة وحسن النية. لو لم يلتزم السيد المحترم السكوت بعد تفوهه بكلمات معارضة ومعتبرًا مدعي المكالمة الإلهية مجنونا، بل طلب مني دليلا على ادّعائي كما هو دأب محبيّ الصدق والمنصفين، لكان ذلك مدعاة لسروري. فلو كنت مخطئا لبُتَّ في الأمر في الحال، وإن كان هو المخطئ لكانت عنده فرصة سانحة للتراجع عما قاله، ولاستفادَ عامةُ الناس من هذه المناسبة بإمكانية أن يُبَتَّ في هذه المسائل التي تتصارع فيها الأقلام كل يوم. ولكنني أتأسف مرارا بأن السيد المحترم أيضا لم يتوجّه إلى هذا الطريق المستقيم. لقد فكّرت كثيرا ماذا عسى أن يكون السبب وراء ذلك، فلم أر صحيحا أن الدافع وراء ذلك هو أن السيد المحترم لا يحب الخوض في البحث مع كل من هبّ ودبّ؛ ذلك أن ادّعاءاتي ليست بالعادية، بل هي ذائعة بين مئات آلاف الناس على الأقل إن لم تكن بين عشرات الملايين منهم.

وبالإضافة إلى ذلك ينكر السيد المحترم الأنباء الإلهامية والخوارق أيضا بوجه عام، الأمر الذي لم يسلم منه الأنبياء أيضا كما يبدو لي من تأليفاته. فكم كان مستحسنا أن يأتيني السيد المحترم بهذه المناسبة لإزالة الشكوك التي تخالج قلبه حول نبوءاتٍ إلهامية لا أؤمن بها فقط، بل أدّعيها أيضا. وإن لم يثبت صدقي في ادّعائي لكنت جاهزا لتحمّل أي عقوبة يقترحها السيد المحترم. ولكن لو تبين صدقي لكان عليه ألا

يكتفي بالاعتراف بصدقي فقط - في هذا الوقت الذي يوشك فيه نجمُ حياته على الأفول- بل كانت لدية فرصة استعادة تلك المعتقدات المقدسة التي أضاعها من قبل عن وحي النبوة.

يا عزيزي، إن عدم الإصغاء إلى نداء منادٍ ينادي إلى الحق، والنظرُ إليه بنظر التحقير والكلام ضده دون تحقيق والتعصبُ ضد حقيقة ثابتة هو سبيلٌ للهلاك. إنني أشتمُّ من كلامك رائحة أن الأمر لا يقتصر على أنك تحسب هذه الأمة محرومة من مكالمة الله فقط بل لا تجيز لنبي أيضا أن ينزل عليه في حين من الأحيان كلام الله الحيُّ والمليءُ بقدراته. فإذا كان هذا هو اعتقادك كما فهمتُه وكما خطر ببالي، والعياذ بالله، فإن إيمانك في خطر كبير. وسيكون مدعاة لسعادتي إن أخبرتَني بواسطة جريدة ما، بأنك لا تعتقد بعدم نزول كلام الله الحيِّ على الأنبياء واشتمال ذلك الكلام أخبارا غيبية. ولكن إذا كنتَ ما زلت تعتقد في كتب الله ما فهمتُه، لا سمح الله، أنها لا تحتوي على كلام الله في الحقيقة والواقع، وليس المراد من الوحي إلا مَلكة تملكها فطرة الأنبياء، أي تكون فطرتهم مجبولة على أن يخرج من أفواههم الصدق والحكمة؛ فإني أودّ أن أتم عليك الحجة في مبارزة مكشوفة حتى لا يهلك الناس باتّباعك.

ولكن لو تراجعت عن قولك وطلبت مني دليلا على كيفية كون الوحي كلام الله في الحقيقة، وتضمّنه أخبارا غيبية وأنباء عن الماضي والمستقبل؛ لكنت جاهزا بكل سرور لتقديم الأدلة من خلال النبوءات الإلهامية، ولسوف أشعر بسعادةٍ ما بعدها سعادة لو سمعتُ أنك في الحقيقة صرتَ جاهزا بصدق النية لهذا الامتحان، وذلك لأن تراجعَك عن أخطاء قاتلة لا يقلّ عندي عن إصلاح قوم. إذ أرى أن القرآن الكريم زاخر بالأنباء عن الماضي والمستقبل؛ فمثلا كل قصة من قصصه مبنية على أخبار الغيب، لا أنها سجّلت بعد سماعها من أحد. إنني أستغرب كثيرا كيف تدّعي أنه لا توجد في القرآن الكريم أمور غيبية وأخبار عن المستقبل؟ هل نظن أنك تعتقد

- والعياذ بالله - أن القصص الواردة في القرآن الكريم مثل قصة يوسف وقصة أصحاب الكهف وقصة آدم وقصة موسى وغيرها ليست وحيا من الله. أي لم تنزل من الله تعالى، بل سجّلها النبي ﷺ هكذا في القرآن الكريم بعد أن سمعها من اليهود والنصارى؟ فإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يُخرَج جزءٌ كبير من القرآن الكريم من هذا الكلام المقدس، لأن ما سُجل نقلا عن اليهود والنصارى سيكون كلام اليهود والنصارى في الحقيقة وليس كلام الله. ثم سنواجه مشكلة عويصة أخرى وهي أن القرآن الكريم يخالف قصص التوراة في أماكن كثيرة. ففي هذه الحالة سوف نضطر لقبول أن ما سرده بعض اليهود الأشرار من القصص عند النبي ﷺ خداعا وسجله النبي ﷺ في القرآن الكريم نتيجة سذاجته وعدم علمه.

ولا بد من التفكير الآن أن الذي يعتقد أنه قد نُقلت في القرآن الكريم أمورٌ سُمعت من اليهود والنصارى، فبأي وجه يمكنه القول بأنه كلام الله تعالى؟ ولكنني أظن أنك لا تعتقد بهذا الاعتقاد في قرارة قلبك مهما بدا لك نجم الفلسفة الغربية ساطعا. كيف يمكن أن تصل إلى حالة تُستأصل من قلبك - والعياذ بالله- عقيدة أنّ كل كلمة من القرآن الكريم وحيٌ متلو، وهي الراسخة والمتأصلة فيك ليس لكونك مسلما فحسب، بل بصفة الزعامة فيك أيضا؟ وأن يترسخ في قلبك بدلا منها اعتقاد باطل أن قصص القرآن الكريم وأخباره عن الماضي ليست أمورا غيبية خالصة بل منقولة من المسيحيين واليهود؟ ولكن المشكلة أنك لو كنت تعتقد أن القصص التي ذكرها الله جلّ شأنه في القرآن الكريم بدءا من آدم إلى المسيح عليهما السلام تشمل كلها أخبار الغيب الخالص التي تفوق قدرة الإنسان وفطرته، لأدّى ذلك إلى نقض مبدئك القائل بأن الوحي ليس بشيء إلا مَلكة فطرية فقط، لأن فطرة الإنسان لا يمكن أن تخلق في نفسها قدرات إلهية، بل تملك فطرة كل شخص مَلكة تناسب مقتضى بشريتها. ولما كنتَ تعتقد أن الوحي في حقيقته ليس إلا مَلكة فطرية وهذا

يستدعي الاعتراض السابق الذي ذكرتُه، فإن كل واحد من أهل الحال الذي يدرك حقيقة نزول الوحي سيضحك على قولك هذا المبني على مجرد القياس بأن الوحي ليس إلا مَلكة فطرية.

مع أنه صحيح تماما أن الفطرة المستقبلة التي يمكن أن تنعكس فيها الأنوار التي ينزلها الله تعالى بمشيئته الخاصة ضرورية لقبول أنوار الوحي الإلهي، ولكن من الكذب الواضح القولُ بأن تلك الأنوار موجودة سلفا في فطرة الإنسان، ولا ينزل بمشيئة مبدأ الفيض شيء فيه رائحة من القدرات الإلهية.

يا أيها السيد المحترم، إن الأفكار التي تتبعها في هذه المسألة ليست من تعليم الإسلام في شيء بل هي آراء الفلاسفة العمهين الذين لا يرون البارئ عزّ اسمه مدبّرا بإرادته، بل يحسبونه علة موجبة مثل الشمس والقمر لظهور بعض الأمور. ولكن عندما تؤمن بالله مدبّرا بالإرادة ومنزّل الوحي بمشيئته، ستعدُّ الوحي شيئًا يصدر منه ﷻ وبإنزاله ينزل على القلوب بالقوة الإلهية؛ عندها لا يسعك حسبانه مَلكة فطرية ولا يمكنك أن تسميه قوة فطرية، بل ستعُدُّه نورا من الله، وينزل بقوته ﷻ ومشيئته حين يشاء. غير أنه صحيح تماما أن هذا النور عندما ينزل فلا يلقي نوره إلا على القدرة القابلة للاستقبال ويُظهَر عليها نزوله.

أما القول بأننا لا نستطيع أن نقبل الوحي على هذا النحو لأنه يفوق عقل البشر، فجوابه أنه إذا رأى العقل البشري حقيقة ثابتة ومتحققة فوق فهمه وإدراكه فلا يمكن ردّ تلك الحقيقة فقط بحجة عدم إدراك العقل لكنهها؛ فهناك كثير من خواص النباتات والجمادات والحيوانات تم إثباتها بتجارب صحيحة وهي تفوق عقل الإنسان، أي لا يمكن للعقل أن يدرك حقيقتها أو بيانها. كذلك الحال فيما يتعلق بالوحي الذي ينزل من الله تعالى ويوصِل إلى القلوب الطاهرة علوما تفوق قدرات البشر. فما دام الحال أن العقل ليس بشيء يُذكر بحد ذاته بل ينال التقدير والعزة

بواسطة الحقائق الثابتة، فنقول بأن الوحي السماوي حقيقة ثابتة تملك قوةً إعجازية وتشمل علوما غيبية، وأنا مسؤول عن إثبات هذا الادّعاء. فهل عدم التوجه إلى الامتحان بعد ذلك من سيرة العطاشى والجياع للحقائق المتحققة؟

فلو توجّهتَ إليَّ بقلب صادق فإنني أتعهد بتوفيق من الله بأن أستعين بالله تعالى القادر على كل شيء لاطمئنانك. وإنني على يقين أنه ﷻ سيسمع ندائي وسينجيك من الأخطاء التي بسببها لست مأخوذا أنت وحدك في دوامة الشبهات بل نرى طائفة كبيرة أخرى أيضا على الحال نفسه.

كن على يقين أني مستعد لوجه الله فقط لأثبت لك خطأ رأيك. ولك أن تقدّر مدى تأسفي وحيرتي التي أُصبتُ بها نتيجة كلامك حيث ادّعيتَ دون تفكير وتدبر أن الملائكة ليسوا بشيء ولا حقيقة لوحي الملائكة بل هي مجرد قوى فطرية.

يا عزيزي، لا يمكن لوعاء فطرة الإنسان أن يكون مَظهر القوى الإلهية، وما يُوهب للإنسان بواسطة الفطرة لا يفوق حدود المخلوقية. فمثلا كلّ ما قام به الإنسان من الاكتشافات وما اكتشفه من الصنائع إلى الآن - مهما كانت غريبة ونادرة - لا يمكن القول عنها بأنها تساوي أفعال الله. أما الوحي الذي شاهدناه بأم أعيننا، وسمعنا صوته المبارك بآذاننا، فيفوق فطرة البشر دون أدنى شك، ويضم في طياته قدرات الألوهية القاهرة وكأننا برؤيتها نرى وجه الله. وهو قول الله تعالى الخالصُ كما أن الأرض والشمس والقمر هي فعل الله الخالص. وهو يفوق حدود الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها كفوقية الله على الإنسان. ولو تحمّلتَ عناء قليلا وتخلّيت عن حُجُب السيادة ومكثت في صحبتي لبضعة أسابيع فإنني آمل أنك سترى كثيرا من هذه الأمور - التي تزعمها فوق العقل- معقولةً وممكنة بكل سهولة. مع أنك تجمع في ذهنك - بحسب زعمك - خلاصة الأفكار الفلسفية والعلمية، وقد استنرتَ بالتنوير الحديث بعد عبور درجات مذهب الطبيعة كلها. ولكن يا عزيزي -

وأرجو ألا تضطرب- إن النور السماوي شيء وضياء العلوم الغربية شيء آخر تماما. ولو كنت مطّلعا على ظلماتٍ يضمها هذا الضياء ومضراتِه، لفضّلتَ أمِّيّة الإسلام مئة مرة على ذلك الضياء المزعوم، ولاخترتَ دين العجائز ولدعوتَ متضرعا دائما: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[٢٣٠] خائفا فتن الدجال المعاصرة، وراغبا في الصبر على الإيمان.

اعلم أن الفلسفة المعاصرة ميتة تماما وعديمة القدرة مقابل الحقائق الثابتة. لا يمكن أن يغلِب علم، حديثا كان أم قديما، الأحداث الصحيحة؛ فلو قلتُ بأن اثنين زائد اثنين يساوي أربعا، فلماذا يجب أن أخاف أن فيلسوفا كبيرا واقف لمعارضتي فى ذلك؟ أو إذا وصفتُ النهارَ نهارا فلماذا يجب أن أخاف أن طائفة من الفلاسفة يصفون النهار ليلا؟ ما من طعامٍ يقوي الجسد كما يقوي القلبَ البرهانُ اليقيني والانكشاف التام. وهذا الانكشاف والبرهان المطلوب في معرفة الله والمعاد هو مصدر النجاة في الحقيقة ولا يُنال إلا بالعرفان الصادق الذي يتسنى للصابر بعد الإيمان، ولا يُنال بالفلسفة الحديثة أو القديمة قط. ولكن ذلك يبقى مشتبها على الذين لا يوصلون الإيمان مرتبة الكمال ليطّلعوا على أنواره، ولا يتقدمون في الفلسفة أيضا تقدما ملموسا كي تتبين عليهم تأثيراتها السامة على الوجه الكامل. من المعلوم أن حقيقة كل شيء تنكشف بكماله؛ فمثلا إذا أردنا الاطلاع على حقيقة تأثير سم أو ترياق معين فلا بد من تناوُل جرعة كاملة منه. وإذا أُريد الاطلاع على نتائج شاملة لتعليم فلسفي أو نبي فلا بد من الدخول في أتباعه ومريديه كليًّا.

لعلك تعلم أن الحد الذي ظل كمال الفلسفة يوصل الإنسان إليه - ولا يزال يوصله إلى الآن - هو الحد الذي يسمَّى إلحادا. هل تظن أن الفلاسفة هم الذين يرثون المعرفة الإلهية الحقيقية؟ هل حظي الفلاسفة في وقت من الأوقات أو يحظون

---

[٢٣٠] الأعراف: ١٢٧

الآن بالتواضع الحقيقي والتقوى الحقيقية وخشية الله الحقيقية وترسيخ عظمة الله في القلوب كلية، التي هي نتائج المعرفة الإلهية الحقيقية؟ هل يضمن تمحيص كتب الفلسفة معرفة صادقة تحرر المرء من الأهواء النفسانية ويرسخ حب الله في القلب؟ كلا، ليس الأمر كذلك في رأيي قط. إن قمة علم الفلسفة هي أن يفقد التابع للفلسفة وحدها إيمانه بالله ورسوله والجنة والجحيم تماما، ويختار الكِبر والرعونة وعبادة النفس. إنهم يرون أن الإقرار بوجود الله المدبِّر بالإرادة ليس إلا وهما، وأن الصلاة والصوم ليس إلا إضاعة الوقت وأن التفكير في أمور المعاد ليس إلا جنونا بحتا. هذه الأفكار تجري في كل ذرة من كيانهم مجرى الدم، وتجرّهم إلى الإلحاد في كل حين وآن كقاطرة قوية. إن مدار حكمة الإسلام ومعرفتِه هو وجود البارئ تعالى وكونه مدبِّرا بالإرادة وكونه واحدا لا شريك له، وجميع مسائل ديننا تدور حوله. أما مدار حكمة الفلاسفة ومعرفتهم فهو الإلحاد، وجميع تحقيقاتهم تدور حوله. صحيح أن منهم من يعدّون الله علة العلل بالاسم فقط ولكنهم لا يؤمنون به مدبرا بالإرادة أو متصرفا في خلقه وعالما بجميع جزئياته، ولا يعتقدون أن له أيّ تصرُّف أو خيار في العالم. فهم في الحقيقة إخوة صغار للملحدين. والحق أن كلمة الحكمة ضالة المؤمن يجب أن يأخذها حيثما وجدها. ولكن ينبغي ألا نأكل طعاما واحدا من الأطعمة المسمومة ظنا منا أن هذا الطعام قد لا يكون مسموما. من المحتوم أن كل شخص يتكلم بحسب مبادئه. والمعلوم أن المبادئ تترك تأثيرها على جميع التحقيقات والمباحث الجزئية. فلما كان اعتقاد الفلاسفة الحقيقي هو الإلحاد أو ما يقاربه، فهل من المتوقع أن تحتوي مبادئهم الأخرى التي تجري تحت ظل هذه المبادئ على أي صلاح أو رشد. وهل ترك لنا كلام الله تعالى أدنى ضرورة أو حاجة إليها حتى نختار قصدا منا طريقا خطيرا يؤدي إلى الهلاك دائما؟ كل مسلم يدعو في كل صلاة من صلواته الخمس كل يوم دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وقد قال الله تعالى بنفسه أن الصراط المستقيم هو صراط الأنبياء والصديقين والشهداء؛ ففي هذه الحالة نكون أغبياء جدا إذا لم نتحرَّ الطرق التي أمرنا الله تعالى بتحرِّيها، ونتيه وراء الفلاسفة. وأما ظنّك بأنه يجب علينا أن نثبت جميع معتقداتنا بالعقل مثل الأرقام والرياضيات - حيث إن بعض أقسام العلوم الطبيعية مثبتةٌ على هذا النحو - ونقول: لما كان الإنسان مكلَّفا بالعقل فالأمور التي لا يستوعبها عقلنا ليست جديرة بالقبول؛ فهذا خطأ قاتل ترتكبه. وللسبب نفسه آلت حالتك إلى أنك لا تعتبر العلوم والدين شيئين منفصلين، بل تريد أن تحوّل جميع المسائل والمعتقدات الدينية إلى علم يشبه الأرقام والرياضيات أو أكثر من ذلك أيضا. ولكن من المؤسف حقا أنك لا تفكر أنه لو كانت العلوم الدينية والمعتقدات الدينية من العلوم البديهية مثل قولنا: اثنان زائد اثنان يساوي أربعة؛ فلماذا إذًا وُعدنا بالنجاة نتيجة التسليم بها؟ لا أفهم ما علاقة النجاة بالإقرار بالأمور البديهية والاعتراف بها؟ فلو قلتُ بأنني معترف بأن السيد المحترم ما زال حيا يُرزق وسليما معافى إلى تاريخ اليوم وهو ١٨٩٢/١١/٣٠م أو أقبل أن يوم الاثنين يأتي بعد يوم الأحد، وأن نصف العشرين هو عشرة، فهل لي أن أتوقع أيّ أجر أو ثواب نتيجة الاعتراف بهذه الأمور؟ كذلك لو كان وجود الملائكة من الأمور المشهودة والمحسوسة وكان يقينيا، حتى يُريك الله تعالى ملاكا عيانا فتلمسه بيديك وتراه بعينيك، وكذلك ترى أنهار الجنة والحور والغلمان وأنت جالس في مدينتك "عليغره" وشربتَ كأسا من الشراب الطهور أيضا ورأيت الجحيم عيانا، فلا أفهم ماذا تكون أهمية قولك: آمنا وصدقنا بعد كل هذه الإثباتات البينة والجلية؟

يا عزيزي، ويا أيها السيد المحترم إن الوقت يمر بسرعة، فافهم سريعا هذه المسألة الحساسة والمهمة التي هي مدار الأجر والإيمان. والمراد من الإيمان أن يؤمن المرء بالأمور المسلَّم بها وتبدو ممكنة الوجود من خلال بعض القرائن، ولكنها لا تزال

مستورة وخافية، لأن المؤمن يُعَدّ صادقا عند الله نتيجة الإيمان بمثل هذه الأمور لأنه آمن بخبر جاء به نبيه أو رسوله، وعدَّ رسوله مخبرا صادقا. فيُغفر له بسبب هذا الصدق وحسن الظن.

من واجب كل عاقل أن يبحث عن سر دقيق؛ لماذا أبقى الله تعالى الأمور التي كلَّف الإنسان بالإيمان بها مستورة وخافية لدرجة لا يمكن اكتشافها بحكمة هذه الدنيا وعلومها؟ فمثلا إن الأمر الأول والأهم في الإيمانيات هو الإيمان بوجود الله تعالى وبأنه العليم والحكيم والقادر على كل شيء والمدبر بإرادته وواحد لا شريك له، وهو الأزلي والأبدي وذو العرش، وموجود في كل مكان، ولكن هل للعقل أن يعرف عن هذه الأمور شيئا سوى بعض الأفكار الخيالية والمختَرَعة؟ وأنّى للجائع والعطشان لانكشاف الحقيقة ويريد معرفة الله الحيّ أن يطمئن باستدلالات العقل الناقصة وأحادية الجانب؟ مهما فكر العقل البشري وتأمل في خلق الأرض وخلق الأجرام السماوية مائة ألف مرة، فلا يمكنه أن يدّعي أن لهذا العالم خالقا، لأنه لا يسعه هذا الادّعاء إلا إذا كان قد رآه أيضا، ويكون مطّلعا عليه. غير أنه إذا لم ينخدع العقل ولم يتوجه إلى جانب آخر فله أن يقول بأنه يجب أن يكون لهذا الترتيب المحكم والتركيب الأبلغ والنظام الحكيم خالقا. ولكن الفرق بين "موجود فعلا" و"يجب أن يكون" واضح جليّ. ولقد قلنا ذلك على سبيل التنازل فقط، وإلا فإن الذين اتخذوا عقلهم إماما في سبيل البحث عن الله تعالى وأرادوا أن يصلوا إلى الغاية المنشودة بهدى العقل فقط فقد أوصلهم العقل إلى أنهم إما صاروا ملحدين في نهاية المطاف أو آمنوا بالله إيمانا ضعيفا لا يجدر بأن يُعدَّ إيمانا أصلا.

فإذا كان هذا هو حال أصحاب العقل في مجال معرفة الله وكانت البداية خاطئة، فكيف نتوقّع من العقل الإنساني أن يطّلع على الأمور الغيبية الأخرى؟

فالجواب على سبب إخفاء الأمور الإيمانية هو ما قد كتبناه من قبل؛ أي أنّ من

رحمة الله ومغفرته وفضله أنه جعل هذه الأمور الخفية سبيلا لنجاة الإنسان لأن الله تعالى جعل نفسه الذي هو علة العلل، وجعل الملائكة الذين هم مدبرات الأمور بإذنه تعالى، وجعل القيامة التي هي مكان تجلي القدرة التامة، وجعل الجنة والجحيم وحقيقة النبوة والرسالة والوحي؛ خافية عن أعين الذين كانوا يدّعون العقل، ووهب معرفتها لعباده الأميين وأكرمهم بتاج النبوة وبخلعة الرسالة، وأرسلهم إلى الدنيا ليدعوا الناس إلى الإيمان. والذي آمن بهم مخبرين صادقين وآمن بكلامهم سُمِّي مؤمنا ونجا. أما الذي اتخذ العقل الدنيوي ومنطقه قِبلة له وتردد وارتاب فقد عُدّ مردودا وكافرا وخاسرا في الدنيا والآخرة، وكانت الجحيم مستقره. ولكن لا ينخدعنّ أحد في هذا المقام أن في دعوة الإيمان هذه إجبارا وتكليفا بما لا يطاق لأنه كما كتبتُ في هذا الكتاب وفي كتب سابقة أن الأمور الإيمانية يجب أن تكون مصحوبة أيضا بالقرائن المرجَّحة التي تُطَمئن الباحث عن الحق، وتنوب مناب الأدلة والبراهين للعقل السليم وتقضي على الشبهات الفلسفية قضاء نهائيا، وخاصة إذا خرجت من فم شخص تحالفه كثير من الأنوار السماوية والبركات والخوارق. فبالنظر إلى هذه الأنوار يصبح يقين شخص سليم الفطرة نورا على نور دون أدنى شك. فهذه هي فلسفة الإيمان التي بيّنتُها.

إن كلام الله تعالى يعلّمنا أن آمِنوا تنجُوا، ولا يعلِّمنا أن نطلب الأدلة الفلسفية والبراهين اليقينية على المعتقدات التي جاء بها النبي ﷺ، وأننا لن نقبل بتلك الحقائق ما لم تنكشف مثل العلوم الرياضية. من المعلوم أنه إذا أريد الإيمان بما جاء به النبي بعد مقارنته بالعلوم الحسية فذلك ليس اتباعا للنبي؛ بل الحق أنه عندما تنكشف كل حقيقة بالكامل تصبح واجبة التسليم تلقائيا سواء أقالها نبي أو غيره. بل يضطر المرء لقبولها وإن قالها فاسق. نقبل الخبر الذي نقبله لأن النبي أدلى به ولأن صِدقه مسلَّم به، لا بد أن يتضمن إمكانية كبيرة لكونه صادقا عند العقل - وإن كان ممكنا أن

يتوهم قليلو الفهم إلى حد ما بإمكانية كونه كاذبا أيضا - فيختار الناس جانب الصدق ويَجدون جزاءً على حسن ظنهم وفراستِهم الدقيقة وتأدّبهم وإيمانهم ولعدّهم النبي صادقا. هذا هو مغزى تعليم القرآن الكريم الذي بيّنتُه، ولكن الفلاسفة لم يسلكوا هذا المسلك قط بل أهملوا الإيمان دائما، وظلوا يبحثون عن العلم الذي ينكشف عليهم على الفور أنه قطعي ويقيني. ولكن يجب أن يكون معلوما أن الله تعالى لم يُرِد أن يحرم المؤمنين من المعرفة اليقينية عندما أمرهم بالإيمان بالغيب. بل الحق أن الإيمان مرقاةٌ للحصول على المعرفة اليقينية، وإن طلب المعرفة الحقيقية دون الارتقاءِ بهذه المرقاة خطأ كبير. ولكن الذين يرتقون هذه المرقاة يحظون بالمعارف الصافية والمشاهدات المقنعة حتما. عندما يقبل المؤمن - بصفته مؤمنا صادقا- أحكامَ الله وأخباره على أن الله تعالى أعطاه هذه الأحكام والأخبار بواسطة مخبر صادق، فإنه يستحق نوال نعمة العرفان. لذا فقد سنّ الله تعالى لعباده قانونا أن يدخلوا في العباد المطيعين أولا بإيمانهم بالأمور الغيبية، ليوهَبوا بعد ذلك مرتبة العرفان وتُحلّ جميع عُقَدِهم. ولكن من المؤسف حقا أن الإنسان المستعجل لا يسلك هذه المسالك.

لقد جاء وعد الله تعالى في القرآن الكريم بأن الذي يقبل دعوة النبي الأكرم ﷺ من حيث الإيمان، ثم يريد الاطلاع على حقيقتها بواسطة المجاهدات؛ ستُكشف عليه عن طريق الكشف والإلهام، وسيُرفع إيمانه إلى مرتبة العرفان. وإن صِدق هذا الوعد ظل يتبين دائما على الصادقين الذين يبحثون عن الله تعالى بالمجاهدات.

فباختصار، ليس السبيل إلى اكتشاف الأمر الذي يفوق فهم المؤمنين العاديين هو أن يسألوا عنه فرقة الفلاسفة الضالة، فيسألوا الضال أن يهديهم الطريق، بل يوهَبون لصدقهم وصبرهم مرتبة العرفان التي بالوصول إليها تُحلّ معضلاتهم كلها.

يجب ألا يُفتّ في عضُد المرء بالنظر إلى المعركة الحامية الوطيس في العصر الراهن

بين الدين والعلم، وينبغي ألا ييأس نظرا إلى صولات العلم على الدين فيقول: ماذا يمكن أن نفعله الآن؟ فاعلموا يقينا أن الإسلام في هذه الحرب ليس بحاجة إلى السِّلم على غرار العدو المغلوب والمهزوم، بل إنّ العصر الراهن هو عصر سيف الإسلام الروحاني كما أظهر قوته المادية من قبل. تذكروا جيدا نبوءة أن العدو سيضطر قريبا للتقهقر ذليلا مهانا في هذه الحرب أيضا وسينتصر الإسلام. مهما شنت العلوم الجديدة الحالية هجمات قاسية، ومهما غزت بالأسلحة الحديثة، لكن ستُكتب لها الهزيمة في نهاية المطاف.

أقول شكرا لنعمة الله بأني قد أُعطيتُ علما بقوى الإسلام العليا، وبناء على ذلك العلم يمكنني القول بأن الإسلام لن ينقذ نفسه فحسب من هجوم الفلسفة الجديدة، بل وسيُثبت أيضا أن العلوم المعارضة الحالية ليست إلا جهلا. لا خوف على مملكة الإسلام قط من هذه الصولات التي تشنها الفلسفة أو العلوم الطبيعية. إن أيام ازدهاره قريبة. إنني أرى أمارات انتصاره بادية في السماء. وإن هذا الازدهار روحاني، والفتحُ أيضا روحاني، وذلك كي تُضعِف قدرةُ الله قوى العلم الباطل المعاديةَ لدرجة أن تجعلها كالمعدوم.

إنني لأستغرب؛ ممن ومن أين سمعتَ وكيف زعمتَ أن الأمور التي أنشأتْها الفلسفة والعلوم المعاصرة غالبة على الإسلام؟ فاعلمْ يقينا يا صاحبي أن هذه الفلسفة لا تملك إلا سلاحا مفلولا ومثلومًا فقط للاستدلال العقلي، أما الإسلام فيملك ذلك السلاح على وجه كامل بالإضافة إلى أسلحة سماوية أخرى كثيرة، فأي خوف على الإسلام من هجومها؟ لا أدري لماذا تهابُ إذًا هذه الفلسفة إلى هذا الحد؟ ولماذا تسقط على أقدامها؟ ولماذا تقوم بتأويل الآيات القرآنية؟ والأسف كل الأسف أنه إذا كان قبولُ أمر واحد من الأمور الكثيرة يستلزم إنكار جميع معتقدات الإسلام فقد قبلتَ مجموعة كبيرة منها. والأغرب من ذلك أنك من ناحية تنكر المعجزات وتنكر

الملائكة والأنباء الغيبية وتنكر الوحي واستجابة الدعاء وغيرها من الأمور، ومن جانب آخر ظللتَ تقبل أيضا بأن القرآن حق والرسول حق، والإسلام حق، وما يعارضه فهو باطل. فبسبب اجتماع الأفكار المتناقضة قد صارت تأليفاتك مثل حيوان أسطوري غريب وجهه وجه إنسان وذَنَبه ذنب قرد وجلده كالخروف ومخالبه كالذئب وأنيابه كالفيل مع أن له أسنانًا للأكل أما أنيابه الأخرى فهي خدعةٌ لمجرد المنظر. ومن المؤسف جدا أن في كلامك تقية أيضا مثل الشيعة فإنك تقول في بيان بعض آرائك أمورا ذات وجوه مختلفة لا يستبين منها شيء، وإن كلامك يحمل كلا الوجهين؛ جسدًا كجسد بعيرٍ ووجهًا كوجه ديك. لعلك تعيد هنا عذرك الذي دحضتُه آنفا وتقول بأن العصر الراهن كان بحاجة إلى تأليفات مثلها، ولعلك تقول أيضا بأنه إذا وجد المرء أن جلّ ماله يكاد يضيع في فتنة ما فلا ضير من أن يتكبّد خسارة بسيطة بُغية اجتناب خسارة أكبر، لأن إفلات شيء قليل من اليد أفضل من إفلات كل شيء ولكن منشأ هذه الأفكار كلها هو قلة التدبر من جانبك. فلتعلم جيدا أنه لا خطر على أيّ حرف أو حركة من حركات القرآن الكريم من صول فلسفة الأولين والآخرين مجتمعين، لأنه حجرٌ من سقط عليه يتهشّم ومَن سقط هو عليه يسحقه، فلماذا إذًا تفكّر في الصلح كالمهزوم؟ ما الذي فعلتَه من أجل الإسلام أكثر من أنك قبلتَ كثيرا من أفكار الفلسفة الحالية الباطلة؟ وأردتَ أن تجعل الكتاب - الذي تترشح من كل حرف من حروفه تجليات الألوهية- تابعا لأفكار الفلاسفة وأظهرتَ الرغبة في الصلح مضطرا. فأرى أن سلوكك هذا لا يقدر على الإنقاذ من الفتن الدجالية الحالية، بل إنه فرع لها؛ لأنك فتحت في حصن الإسلام بابا للأعداء، وحاولتَ أن تشد الوثاق على أيدي المسلمين وأقدامهم حتى يتمكن الأعداء من دخول هذه المدينة بأمن وسلام ليعيثوا فيها الفساد كيفما شاؤوا دون أن يقدر المسلمون على أن يحركوا ساكنا، ولكني مع ذلك ما زلت أرى أنك لم تسلك

هذا المسلك عمدا، بل قد تكون نيتك حسنة، لأنه يترشح أيضا من تأليفاتك أنك متعاطف مع الإسلام وإن أدّت مواساتك إلى الإساءة إليه في الحقيقة.

ومن سوء حظ القوم أن الضرر الذي ألحقته بهم - في لباس مصلح- قد لا يقدر على إلحاقه بهم مُفسد مجاهر. لعلك تقدّم عذرا أن سلوكك هذا كان مبنيا على حكمة؛ وهي أنك ألَّفت هذه الكتب في وقت كان التأثير السيء للعلوم الغربية منتشرا في العالم بكل قوة وشدة، وكان طوفان الضلال هائجا بشدة متناهية، فإنك بذلك قدّمتَ لآكلي النجاسة نجاسة أخرى غذاءً لهم كيلا يخرجوا عن الإسلام، بل ليبقوا في دائرته على الأقل وإن أكلوا النجاسة.

فقد يكون قول البعض فيك صحيحا إلى حد ما بأنه لو لم يقدِّم السيد المحترم هذا القوت لهؤلاء الناس، فالله أعلم بقطيع أيّ نوع من الحيوانات كانوا سيلحقون. إذا كانت هذه نيّتك فلا أراها خاليةً من الخطأ مع ذلك، لأنك لا تستطيع أن تمنع من الظهور مادةً سيئة توجد في أحد أصلا. يقول الله جلّ شأنه: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[٢٣١] أي كلٌّ يعمل بحسب طبيعته فعلى الإنسان أن يعلّم المسائل الصحيحة سواء أقبِلها أحد أم أبى؛ هذا هو طريق الأنبياء، لا أن يفقأ المرء عينه إذا رأى غيره أعمى.

قد تخالج قلبك شبهة أن سفينة الإسلام كانت في خطرٍ أمام هذه الفلسفة الحديثة، ولما كانت تلك السفينة مليئةً بالأحجار الكريمة ونفائس الأموال والأمتعة في دوامة أمواج طوفانٍ مُهلك، فقد كان من مقتضى الحكمة عند ذلك البلاء المفاجئ، حيث لم تكن في اليد حيلة، ألا أن تُرمى في البحر بعض الحقائب المليئة بالأحجار الكريمة ونفائس الأموال والأمتعة بُغية إنقاذ الأرواح بتخفيف حِمل السفينة. وإن كنتَ قد فعلت ذلك واضعا هذه الفكرة في البال فهذه أيضا غطرسة منك وتصرُّف مسيء

---

[٢٣١] *الإسراء: ٨٥*

لم تكن مخوَّلا به. إن ربّان هذه السفينة هو الله تعالى ولستَ أنت. وقد وعد الله تعالى مرارا وتكرارا أن هذه السفينة لن تتعرض لمثل هذه الأخطار إلى يوم القيامة، وأنه سينقذها دائما من الطوفان، والعواصف المعادية، كما يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فكان عليك أن تنتظر تعليم ذلك الربان من الغيب وتعلم بيقين القلب أنه لو كان الطوفان هائجا فإن نصرة هذا الربّان - واسمه "الله" - قريبة، وهو مالك السفينة وربّانها أيضا فكان عليك ألا تقوم بهذا الإجحاف والتجاسر، وألا ترمي في البحر صناديق مليئة بالأحجار الكريمة والذهب الخالص والأقمشة الثمينة والنفيسة مخوّلا به نفسك.

على أية حال، هيهات لما فات. والآن أخبرك وأبشرك بأن ذلك الربّان- الذي هو رب السماوات والأرض- قد سمع صرخة المضروبين بالطوفان من أهل الأرض. وكما وعد في كلامه المقدس من قبل بإنقاذ سفينته في وقت الطوفان، فقد أوفى بوعده وبعث من عنده هذا العبد الضعيف

الذي يتحدث الآن، وعلّمه أساليب من شأنها أن تتغلب على الطوفان دون الحاجة إلى رمي صناديق المال والأمتعة في البحر. وقد أوشك أن يأتي من السماء نداء: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾[٢٣٢] ولكن الطوفان ما زال هائجا في الوقت الحالي، وفي زمن هذا الطوفان قد بعثني الله تعالى وقال: "واصنع الفلك بأعيننا ووحينا"، ولن يكون هناك أيّ خطر من الطوفان على هذه السفينة، وستحميها يد الله تعالى. فهذه هي سفينة الإسلام الخالص التي أدعو الناس ليركبوها. فإذا كنت مستيقظا فأسرِعْ واركبها بسرعة، فإن الطوفان هائج في الأرض وكل نفس في خطر داهم. وإذا كنتَ منصفا فلك أن تعترف قبل غيرك بوجود هذا الطوفان، وقد أقررتَ أكثر من مرة أن وعد

[٢٣٢] هود: ٤٥

إنقاذ سفينة الإسلام الذي جاء في القرآن الكريم حق؛ فهذا هو عصر إيفاء ذلك العهد، إذ لم يحلّ بالأمة طوفان مثله من قبل، ولم يشهد العالم حروبا دائرة بين الدين والعلوم كما شهدها في هذه الأيام، ولم تسعَ فلسفةٌ أو علومٌ طبيعية في قديم الزمان لمحو صورة الإسلام كما تسعى العلوم في العصر الحاضر. هل من أحد يستطيع أن يقدم أثرا على ضلالٍ عقلي وعلمي في الأزمنة الغابرة كما نراه اليوم بأم أعيننا؟ هل يسع أحدا أن يُري في الأزمنة السابقة مثالا لطوفان العقل الحالي الذي نراه الآن ليل نهار؟ أين يوجد نظير هذه الصولات الفلسفية والإلحادية الدقيقة للغاية في غابر الأزمان؟ وأين يمكن العثور في القرون السابقة على مثل صيحات العقل المعقدة بهذه الشدة؟ أين مثل هذه الآفات العلمية والعقلية في الأزمنة السحيقة التي يواجهها الإسلام حاليا؟ متى واجه الإسلام في الأزمنة الخالية من المصاعب ما يواجهه الآن؟ ألا تقرّ أن مصاعب المباحث العلمية الشديدة ومشاكلها التي حلّت بالإسلام الآن ما حلّت به من قبل ولا يوجد نظيرها منذ زمن آدم إلى يومنا هذا؟ ألا تعترف بأن آفة هذه الفلسفة والعلوم أشد وأغلظ بآلاف المرات من الآفة التي انتشرت في البلاد الإسلامية بسبب علوم الإغريق؟ ألا تسلِّم بحقيقة أن العدو الذي أطلّ برأسه الآن أكثرُ قوة وشدة من مجموع كل الأعداء الذين كانوا في الأزمنة المختلفة؟ فأين يمكنك الفرار من الإقرار أن ذلك الوعد المقدس الذي تتضمنه الكلمات الطيبات: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ يتعلق بالأيام الراهنة، ويخبر بجلاء أنه كلّما أتى على الإسلام زمن بلاء شديد وواجهه عدو لدود وهاج طوفان شديد، تصدى الله له بنفسه، وجعل سفينة للخلاص من ذلك الطوفان، وأن هذه السفينة هي دعوتي أنا؟ فليسمع من كان من المستمعين. وما دمتَ تنكر أحاديث النبي أصلا، فلا جدوى من تقديم الحديث عن ظهور مجدد على رأس كل مئة سنة. أنّى لك أن تقبله وأنت تنكر الحديث أصلا؟ ولكنني أوجه أنظارك إلى الآية المذكورة آنفا وغيرها من الآيات

الكثيرة المماثلة التي سجّلتها في محلها المناسب أثناء البحث في هذا الكتاب.

فيا صاحبي، إنه لزمنٌ وإنها لآفات كان ضروريا أن تلتفت إليها رحمة الله الأزلية تلقائيا. يقول الله تعالى مشيرا إلى تلك الآفات: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[٢٣٣]﴾ أي سنصون كرامته وعظمته وتعليمه من صولات الأعداء. كان هناك زمن أنقذ فيه الإسلامَ سيفُه المادي من أذى نقاشاتٍ عقيمة كثيرة، وكانت فيه أسباب مبرَّرة للتصدي للظالمين وأصحاب الطبائع الشريرة، وكان الوقت قريبا من عهد النبوة، وكان المسلمون يتحلون بالتقوى والطهارة ومواساة الإسلام الصادقة، أما الآن فلا يوجد منها شيء. بل لا يوجد على وجه الأرض غريب ويتيم ومسكين مثل الإسلام. إن معظم أهل السَّعة عاكفون على إشباع رغباتهم ولا يكادون يفرغون من تعمير عمارات دنياهم وأسباب ملذاتهم أو من بذل الأموال من أجل عزتهم وشرفهم. أما المشايخ فمتورطون في أهوائهم النفسانية، ولا يجدون في نفوسهم قدرة على الدعوة إلى الإسلام ولا حماسا لها أو اهتمام. وإذا كانوا قادرين على شيء فهو أن يكفِّروا أهل قومهم وإخوتهم والمسلمين مع أنهم ينطقون بالشهادتين ويستقبلون القبلة مثلهم، وأن يدعوهم دجالين ويسموهم ملحدين، ويفتوا بأنه لا يجوز التعامل معهم ولا تجوز الصلاة عليهم، وهم كذا وكذا.

إن المرشدين في هذا العصر وأصحاب الزوايا الذين يسمَّون النسّاك وأهل الله جالسون يصمّون آذانهم بدسّ العِهن المنفوش فيها. إن الإسلام يُضرَب أمام أعينهم كطفل بريء، والأعداء جاهزون ليخنقوه، ولكن هؤلاء النسّاك المزعومون ذوو القلوب القاسية لا يبالون بشيء؛ فبمن يستنصر الإسلام إذًا، ومن يعدُّ مواسيا له؟ إن تلك الفِرق كلها غير قادرة على خدمة الإسلام أصلا، ولو استطاعت إحداها على سبيل الندرة فلا يخلو ذلك من الرياء. فإذا لم يكن الإسلام غريبا الآن فمتى إذًا؟

[٢٣٣] الحجر: ١٠

وإن لم تكن هذه الأيام أيام مصيبته فمتى تأتي؟

أقول بتعليم قطعي ويقيني من الله بأن الأيام الراهنة هي أيام البلايا القاسية، وهذا الزمن هو زمن الفتن الدجالية نفسها التي أخبر بها النبي المعصوم ﷺ. إن المشايخ المعاصرين قليلي الفهم ينكرون ذلك ويقولون إن هذا الزمن ليس زمن الفتن الدجالية الكبرى ولا الفتن العظمى! يمكننا أن نقبل قولهم إذا استطاعوا أن يأتوا بنظير هذه الفتن الهائلة - التي تُهاجم صدر الإسلام بالحراب - منذ زمن آدم إلى يومنا هذا. وما دام الصلاح قد ارتفع في هذا الزمن كليا وتلاشت التقوى نهائيا ولم يبق في أيدي البعض إلا قشور التقوى والأعمال الصالحة دون مغزاها، بل لم يبق في أيدي بعضهم الآخر لا قشرٌ ولا لُبّ باستثناء عباد الله المستورين وهم في حكم النادر؛ لذا لم يعد في هذا الزمن شيء يتسبب في إنتاج شي آخر، ولا يضاءُ من سراجٍ سراجٌ آخر. ولقد رأى الله تعالى أن الأرض فسدت وليس هناك مَن يستطيع أن يصلحها مِن تلقاء نفسه ورأى أيضا أن الفساد قد تطرق إلى الأعمال والأقوال والنيّات والعبادات والإرادات ولم تعد الأعمال صالحة؛ فأرسل من السماء بحسب وعده شبيهَ شخصٍ مقدس كان الذين يدّعون اتّباعه هم أساس الفساد وناشرو نجاسة الدجالية في الأرض وانحرفوا عن الحقيقة فصاروا دجالا أكبر. ولما لم تكن لهذا النازل فرصة أن ينال نورا من أهل الأرض أو أن ينال الفيض من التتلمذ أو البيعة على يد أحدهم، بل كل ما ناله فقد ناله من رب السماء، لذا فقد وردت في نبوءة النبي المعصوم ﷺ في حقه كلماتٌ بأنه سينزل من السماء؛ بمعنى أنه سينال كل شيء من السماء ولن يحوز شيئا من الأرض. والسر في مجيئي باسم عيسى عليه السلام هو أن الله تعالى أشهد المسيحَ عليه السلام في السماء على هذه الفتنة عند حدوثها أي أطلعه على هذه الفتنة بأن قومك وأمتك أحدثت هذا الطوفان، فاضطرب للنزول نظرا إلى فساد أمته البالغ ذروته، واضطربت روحه بشدة، فأراد أن يكون له مظهر في الأرض. عندها أنزل الله

تعالى - بحسب وعده الذي قطعه من قبل - روحانية المسيح عليه السلام وحماسه بصورة شخص ذي كفاءات عالية. فبهذا المعنى نزل من السماء كما سبق أن نزل بصورة يوحنا النبيُ إيلياء. وإن لم يقبل المسلمون هذه القصة المذكورة في الإنجيل وقد بُتَّ فيها بحكم المسيح عليه السلام نفسه فعليهم أن يعملوا بحسب الحديث "حدِّثوا عن بني إسرائيل" على الأقل. فليسوا مخوَّلين بالتكذيب بحال من الأحوال لأن المؤمن مُنع منه. غير أن هناك أدلة كثيرة في القرآن الكريم للتصديق، وقد ذكرتُ بعضها في هذا الكتاب وبعضها في مؤلفاتي الأخرى.

لا أريد أن أطيل الكلام في هذا الموضوع، وأنهي بياني على القول بأن الله تعالى قد أرسلني لكي أزيل الشبهات في هذا العصر وأنقذ الناس من العثار. وقد وفّقني لإقناعك إذا كنت باحثا عن الحق. فأُشهد الله تعالى على أنني دعوتك لإزالة أخطائك. ولو التزمتَ الصمت الآن أيضا فقد تمت عليك حجة الله جلّ شأنه. وسيكون إثم حزبك كله في عنقك.

فيا صاحبي، أناشدك بالله الذي كل نفس بيده ألا تهمل رسالتي هذه بعدم المبالاة، بل ينبغي أن تنشر الجواب بعد تفكير رصين.

وفي نهاية هذه الحاشية أنصح لوجه الله المعجبين بمؤلفات السيد المحترم أن يفكروا جيدا: هل النجاة تأتي بالإيمان أو من الفلسفة؟ أقول مرة بعد أخرى وبكل شدة وقوة بأنه إذا كانت المعتقدات الدينية بديهية الثبوت على غرار الفلسفة ومثل حساب الأرقام والرياضيات، لما كانت وسيلة للنجاة قط.

يا أيها الإخوة؛ اعلموا يقينا أن النجاة مرتبطة بالإيمان، والإيمان مرتبط بالأمور الخفية. لو لم تكن حقائق الأشياء مستورة لما كان هناك إيمان، وإن لم يكن هناك إيمانٌ لما وُجدت وسيلة للنجاة. إن الإيمان هو وسيلة رضا الله ومرقاة مراتب القرب، وينبوع لإزالة صدأ الذنوب. إن ثبوت حاجتنا إلى الله تعالى إنما يتسنى بواسطة الإيمان

وحده، لأننا بحاجة إلى الله تعالى دائما من أجل نجاتنا ولخلاصنا من كل أذى وهذه النجاة إنما تتأتّى بالإيمان وحده. إن الإيمان هو علاج العذاب سواء أكان في الدنيا أو في الآخرة. فما دمنا لا نرى حلَّ مشكلة مستحيلا بواسطة قوة الإيمان فإنّ تلك المشكلة تُحَلُّ لنا. وبقوة الإيمان نحقق أهدافا تخالف القياس وتفوق العقل. بقوة الإيمان تتحقق الكرامات وتظهر الخوارق للعيان، وتتحقق أمور مستحيلة التحقق. فبالإيمان يتبين أن الله موجود فعلا. لقد ظل الله تعالى خافيا عن الفلاسفة ولم يعرفوه، ولكن الإيمان يوصل بالله تعالى شخصا ضعيفا ذا لباس بالٍ، ويجعله يحظى بمكالمته ﷻ. إن قوة الإيمان هي الوسيط بين المؤمن والمحبوب الحقيقي، وهذه القوة توصل شخصا مسكينا وذليلا مهانا ومطرودًا من الخلائق، إلى قصر القدسية؛ أي عرش الله تعالى، وترفع الحُجُب كلها، وتُري وجه الحبيب الأزلي. فهبُّوا وتحرّوا الإيمان وأحرِقوا أوراق الفلسفة العقيمة عديمة الجدوى، لأنكم ستنالون البركات من الإيمان.

إن ذرة من الإيمان خير من مئة دفترٍ فلسفة. إن الإيمان لا يتسبب في النجاة في الآخرة فقط، بل يُنقذ من أصناف عذاب الدنيا ولعناتها أيضا. إننا ننجو من أحزانٍ تذيب الأرواح ببركة الإيمان وحده. بالإيمان يطمئن المؤمن الكامل، ويفرح ويتخلص من الاضطراب الشديد والقلق والكرب وطوفان الأحزان حين تبدو له أبواب الأسباب العادية كلها مقفَلة وموصدة في وجهه وكافة أنواع البُعد تزول بسبب الإيمان الكامل. ولا يضر الإيمان شيء مثل البُعد. ولا ثروة مثل الإيمان. كل شخص في الدنيا معرّض للأحزان إلا المؤمن، وكل شخص في الدنيا يصاب بالحرقة والمعاناة والألم إلا المؤمن.

فيا إيمان ما أحلى ثمارك! ويا لشذى أزهارك! سبحان الله ما أعجب بركاتك! ما أجمل النور الذي يسطع فيك. لا يستطيع أحد أن يصل إلى الثريا إلا مَن فيه جذبٌ منك. لقد أحب الله تعالى أن تأتي أنت وتزهق الفلسفة، **ولا رادَّ لفضله، منه**.

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الإلهامات

بحسب ترتيبها في الكتاب

المواضيع

فهرس الأسماء

عقائده الطَّلِيْلاً

حماسه الطَّلِيْلاً لتبليغ الإسلام

حبه الطَّلِيْلاً للنبي ﷺ

حبه الطَّلِيْلاً للقرآن الكريم

فهرس الأماكن

فهرس الكتب